يهــود مصـــر

منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى

عرفه عبده على

لوجو
الهيئة

الهيئة العامة
لقصور الثقافة

سلسلة
الإصدارات الخاصة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• يهود مصر
منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى
• عرفه عبده على
• الطبعة الثانية:
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2010م
16,5 x 23,5 سم
• تصميم الغلاف: أحمد الجنايني
• المراجعة اللغوية:
محمد أحمد عبد المطلب
• رقم الإيداع: ١٥٣٧٥/ ٢٠١٠
• الترقيم الدولى: 978-977-704-208-6
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16أ شارع أمين
سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

83

تعنى بنشر الأعمال الفكرية والثقافية والأعمال الخاصة لأبرز
الكتاب فى مصر والعالم

يهـــود مصـــر

منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى

المحتوى

إلى عز الدين.. ولدى
ربما يتمكن جيلكم من استعادة
ما ضاع ..
ويعود لمصر مجدها وعزها القديم!

تصدير

إن ادعاءات الصهيونية بأن اليهود هم نسل بنى إسرائيل القدامى، هى ادعاءات باطلة زائفة، للربط بين الحركة الصهيونية السياسية وتاريخ بنى إسرائيل القديم، ولتبرير هدفهم من إقامة كيان قومى يهودى فى فلسطين العربية.

وقد أثبت علماء الانثروبلوجيا ومنهم: لامبروز و«دالبى» و«فرانتس شايدل» و«جوان كوماس» و« أوجين بتيارد» و«وليم شلام» وغيرهم.. زيف هذه الإدعاءات، فالتجانس العرقى اليهودى ما هو إلا أسطورة، واليهودية هى ديانة ولم تكن أبداً عرقًا، واليهود فى مختلف أرجاء العالم هم سلالات وأجناس متباينة، ولا تجمعهم أية رابطة جنسية وراثية أو وحدة اللغة والثقافة، بل تجمعهم العقيدة الدينية وحدها!

وقد أثبت هؤلاء العلماء سخف الادعاءات الصهيونية ومفاهيمها، وهذا أيضًاَ ما أكده كتاب «المجلس الأمريكى لليهودية» تحت عنوان: «اليهودية دين لا قومية» بأن الشعب اليهودى بالمعنى السياسى والطائفى ليس له وجود، وإنما يرمز بالشعب اليهودى وشعب إسرائيل إلى الناحية الروحية!

وهؤلاء الصهاينة إنما يبعثون الجنون فى العالم كله، بإعلانهم الزائف أن اليهود المبعثرين فى أنحاء الأرض هم: أمة واحدة.. فاليهود مجموعة دينية، لا يشكلون مطلقًا

وحدة قومية أو عرقية، بل هم مجموعة تدفعهم وتحركهم عقيدة سياسية متطرفة وعنصرية وهى الصهيونية، مجموعة أثارت الاضطرابات والكره الشديد والاحتقار لهم فى كل أنحاء العالم، ووصفوا فى كل عصور التاريخ بالجبن والنفاق والبخل والطمع!

والصهيونية هى «أيديولوجية عنصرية» قامت على أساس عدد من الأوهام والأساطير الزائفة، كان لابد لها حين اسست تجمعا بشريًا استيطانيًا، أن تطبع هذا التجمع بطابعها، عن طريق فرض ونشر وتدعيم استراتيجية عدوانية وعنصرية للتنشئة الاجتماعية، مما أدى إلى ظهور الشخصية الإسرائيلية المتأثرة بالجذور العنصرية الراسخة للصهيونية، والدولة اليهودية نشأت بـ«الإرهاب» والمجتمع الإسرائيلى يعانى أزمة أخلاقية واسعة المدى، كشفت عنها صور الانحراف والجريمة حتى بين الطبقة العليا والطبقة الحاكمة، وبدا بعض المفكرين والساسة الإسرائيليون يرون أن التوصل إلى السلام مع العرب لن يكون نهاية للصراع العربى- الإسرائيلى، بقدر ما هو بداية النهاية للمشروع الصهيونى!

هؤلاء الذين يريدون وبدعم أمريكى بلا حدود أن يعيدوا صياغة تاريخ وتنظيم جغرافية المنطقة، لم يكن لهم تاريخ أوجغرافية!

وهذه الأيديولوجية القائمة على أن الصهيونية هى وحدها القادرة على أن تعكس مصالح جميع المنتمين إلى الديانة اليهودية فى كل بقاع الأرض، وتتحدث عن العلمانيين واللادينيين باعتبارهم شعب توراتى وعن الدولة اليهودية باعتبارها بلاداً مقدسة وإرثًا شرعيًا لملكتى داود وسليمان ومن منطلق أن اليهود فى جميع بلاد العالم هم «شعب إسرائيلى» وتحت هذا القناع قامت دولتهم بالارهاب لترسيخ ادعاءات الحقوق التاريخية والإلهية «الوهمية» فى اغتصاب فلسطين.

وظل اليهود كأقلية يتناقلون الأساطير والتاريخ واللغة، ولم تكن لهم أرض ولا دولة، وفرضت عليهم الصهيونية دراسة تاريخهم ودينهم وجندتهم ودججتهم بالسلاح، وتاجرت بالدول الكبرى. فلم تعد اليهودية ديناً، بل أصبحت فكراً وتوجهًا عنصريًا يتطابق مع النازية، وتحول الارتباط الدينى إلى ارتباط بالصهيونية السياسية!

وتمت صياغة لافتة «معاداة السامية» كأساس اعتمدت عليه الايديولوجية الصهيونية فى تنفيذ مخططاتها الإجرامية، وقادة العصابات الصهيونية الذين وصلوا إلى مقاعد الحكم فى فلسطين المحتلة، نجحوا فى توظيف هذه الأكاذيب، بل وتأديب كل من يفكر فى مناوأتها، ومثلما استغل آباء الصهيونية القدامى الشعارات المعادية للسامية، يذهب مفكرو

ومؤرخو الدولة اليهودية إلى أن ظهور الصهيونية كان رد فعل- دفاعى- على معاداة السامية، واستخدموا هذه اللافتة ضد كل من يكشف مخططاتهم وعداءهم لكل البشر.. مثلما فعل المؤرخ الإسرائيلى «جونل بينين» عندما كتب: «إن الغالبية العظمى من الكتاب المصريين الذين كتبوا عن اليهود المصريين يواصلون استخدام صور ذهنية معادية للسامية»[1].

والحقيقة أن الصهاينة هم: أعداء السامية الحقيقيون، وإلا فبماذا نفسر إصرارهم على ممارساتهم العنصرية ضد الشعب الفلسطينى والعرب عامة، والتحريض اليهودى للولايات المتحدة وأوروبا ضد الإسلام والمسلمين.. وأدع «جونل بينين» ومعه من يروجون لوهم السلام من بيننا، أن يفكروا جيداً فى مقولة «هيلل» أحد كبار مفكرى إسرائيل: «إن الدم وحده هو الذى يصنع إسرائيل ومن ثم فعلى الكيان الصهيونى أن يجابه بكل الوسائل: خطر السلام».. لقد حصلت الدولة اليهودية على كل شىء باسم «السلام» الزائف»، واكتشف الخبراء والبسطاء أيضاً: أكبر عملية نصب واحتيال وقعت باسم «السلام».. ويا أيها السلام كم من جرائم ارتكبت باسمك!.. وكم يرتكب أيضا من مؤتمرات ومفاوضات!.. وصحيفة سوابق «دولة الإرهاب» اليهودية طافحة بالمجازر والجرائم التى تتوارى أمامها خجلا جرائم النازية فالإرهاب هو الذى قدم دولتهم وعليه قامت: دولة عنصرية قامت على أسطورة «تفوق وتميز الشعب اليهودى» دولة تحالف فيها الإرهابى والحاخام والجنرال!

لقد اندمج يهود مصر كاملاً فى المجتمع المصرى، كما لم يحدث فى أى مجتمع آخر وفى أى عصر فى اتجاه معاكس تماماً لرؤية ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية فى ١٦ من مارس ١٩٦٣ حذراً من اندماج اليهود فى شعوب العالم: «إن الاندماج هو الخط الأكبر الذى يهددنا منذ اللحظة التى خرجنا فيها من الجيتو»!

ومن منافيهم المختارة، كتب بعض اليهود المصريين عن الحنين إلى مصر وطنهم السابق، على طريقة «المفهوم البكائى الجديد» للتاريخ اليهودى فى مصر، مجسدين مشاعرهم المركبة تجاه الإنتماء لبيئتهم- الأصلية- العربية الإسلامية.. وهو ما يتناقض مع الفكر الصهيونى الذى لا يقبل أو يعترف بأن يحن إسرائيلى يهودى مصرى أو غيره» إلى حياته فى «الشتات»!.. بينما يرى البعض أن خروجهم من مصر هو الذى أدى بهم إلى الشتات، وهو ما يدحض إدعاءات الصهيونية بأنها» الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية» وأنها نهاية التاريخ اليهودى!

ودعونا نتساءل: هل كان اليهود المصريون والذين لم ينتموا يوماً إلى مصر إنتماء

حقيقيًا– يعيشون بالفعل حالة الشتات داخل مصر؟! وهل كانوا بالفعل» ضحايا الاضطهاد على يد الجوييم كما روجت الصهيونية وبالتالى عليهم أن يستخلصوا الدرس من تجربتهم ويصبحوا صهاينة!

إن أكثر مؤرخيهم يعترفون بأن اليهود عامة، كانوا يعاملون بشكل أفضل فى أرض الإسلام من أوروبا المسيحية في خلال العصور الوسطى.. وأن المناخ العالمى السائد فى مصر، وثقتها الذاتية العميقة بهويتها التاريخية: قد جعلاها بشكل خاص متسامحة تجاه الوجود اليهودى»!

حتى غلاة الكتاب الصهاينة ومنهم « بنيامين جوردون» فى كتابه: «أرض اليهود الجديدة» المتحيز تمامًا للصهيونية، تحدث عن التسامح والازدهار اللذين لاقاهما اليهود فى أرض الإسلام ولم يذكر حادثة اضطهاد واحدة، وليس أدل على ذلك» من التقدم الذى أحرزه اليهود فى مصر.. حين كانت ملجأ لهم من الاضطهاد الذى لاقوه فى إسبانيا عقب سقوط الحكم العربى هناك« وكتب أيضًا: «تعد الحالة السياسية والاقتصادية لليهود مرضية جداً، فهم لا يتعرضون لأى قيود، ويوجد بينهم أغنى أغنياء القاهرة من أرباب البنوك والمصانع والمتاجر.. واستمر وضع اليهود على هذا النحو وازداد ازدهارا بتوالى السنين فكان الأهالى يقبلون على متاجر اليهود ومنتجات مصانعهم، مثلما يقبلون على أطبائهم ومحاميهم دون تمييز.

كماكانوا فى مصر ممثلين فى البرلمان ضمن مقاعد الوفد أو السعديين، وكان يوسف قطاوى وزيراً للمالية، والحاخام الأكبر حاييم ناحوم أفندى» بزيه التقليدى: العباءة السوداء تحتها قفطان أبيض اللون بخطوط سوداء، تعلو رأسه طاقية سوداء ، ممسكًا بيده منشه لطرد الذباب!.. كان عضواً بمجلس الشيوخ وعضواً بالمجمع الملكى للغة العربية.. وعشرات الصحف والدوريات التى كانت تصدر بالعبرية والعربية والفرنسية والإنجليزية، ومعابدهم ومدارسهم الدينية تتعايش مع المدارس اليهودية العلمانية ومع البعثة العلمانية الفرنسية، ومنظمات وجمعيات الشباب والكشافة تنسق نشاطها مع مؤسسات الرعاية الاجتماعية والدينية، وعلى مدى قرون تمتعوا بحرية ممارسة شعائرهم، وطقوس ميزت يهود مصر عن يهود العالم، ومنها وليمة رأس السنة «روشاناه» والتى تبدأ بمباركة الخبز المغموس فى السكر ويتبعها وليمة لابد أن تتضمن رأس سمكة وكرات ورمان ولوبيا وبلح وعشب «الهاروسيث» وقطعًا من لحم الخروف، وفى اليوم التالى وبعد صلاة الصباح يجأر الشوفار «الوعد بالبعث» بعد قراءة المزامير، يجتمع الأتقياء عقب الظهر على ضفاف النيل

للمشاركة فى القداس الإلهى لتغطيس الخطايا وترتيل بعض العبارات وآيات من التوراة ثم يقلبون جيوبهم ويضربون أجسادهم بغرض طرد كل الخطايا!.

ومثلما كان يفعل أطفال كل المصريين، كان أطفالهم قبل رأس السنة بأسبوع يضعون القطن فى أوانى عميقة حيث يغرسون فيها القمح لينبت مع حلول السنة الجديدة.

وطقوسهم المميزة عشية عيد الغفران حيث «مذبحة الفراخ» !.. وفى ليلة الصيام الكبير كان على الأتقياء أن يتلقوا أربعين جلدة على ظهورهم تكفيراً عن خطاياهم، بينما تقوم النساء بإيقاد الشموع أو القناديل فى المعابد فى ذكرى آبائهن واقربائهن، وفى نهاية الصوم كانت تنصب فى شرفات وأسطح منازل اليهود خمائل أو كبائن تزدان بفروع من أشجار النخيل ومن الصفصاف والريحان، وفيه كان يدرك أرباب الطائفة مدى التقدير الذى يحظون به من جانب السلطات وفقًا لأهمية المندوبين الذين توفدهم السراى وحتى ذهاب «محمد نجيب» عام ١٩٥٣ فى تمام الاحتفال بـ«كال نيدريه» إلى معبد اليهود القرائيين بالعباسية إلى جانب العادات التى واكبت الاحتفالات الفخمة بأعياد: بوريم القاهرة أو «بوريم مصراييم» ويوم الأحزان فى التاسع من أغسطس حيث يمتنعون منذ اليوم الأول من الشهر عن تناول اللحوم والحمام خاصة!.. ويقرأون فى الصباح بنبرة حزينة سفر الأنبياء» من التوراة والذى ينبئهم بالمصير الكارثى لليهود وفى المساء يقرأون كلمات« العزاء النبوية» ويرتدى الرجال فى هذا اليوم الملابس البالية، بينما تستحم النساء فى الليل ويتبرجن ويتعطرن حيث يمثلن «بنات صهيون» اللاتى يحتفلن بعد النواح بالوعد بنهوض القدس «المدينة المقدسة» من خرابها فى نهاية العالم!.. وغير ذلك من التقاليد التوراتية فى الاحتفال بعيد «حانوكا» وفى ليلة التوحيد وفى عيد الشباط وفى عيد الفصح اليهودى، وحيث كان يتوقف العمل فى البنوك والمؤسسات المصرفية وبورصة الإسكندرية وبورصات القطن!

ولكن هل كان «يهود الحارة» ممثلين فى هذه الاحتفالات الفاخرة، وهم الذين كانوا غارقين فى البؤس والجهل والهوس الدينى وسيطرة الشعائر الدينية، ذلك المكان الملىء باللصوص من اليهود «طبقًا لتعبير» موريس هارملان» رئيس تحرير «المنبر اليهودى» فى عدد إبريل ١٩٤٣ كما تحدث أيضًا عن الاستغلال البشع للتسول وأنه من الضرورى أن يخضع ذلك التسول إلى قواعد تنظيمية، أراد تقنين وتنظيم التسول!.. بينما أقطاب الطائفة من كبار العائلات اليهودية يعيشون كأباطرة وبارونات!

وبعد أحقاب طويلة وتوالى أجيال، أخذ يهود مصر طريقهم من جديد إلى المنفى،

ووصلوا إلى أراضٍ مغايرة محملين بكل التشوهات والآلام التى صاحبت خروجهم الثانى والذى لن يعرف طريق العودة!.. وأكبر كارثة يخشاها اليهودى هى الاندماج الذى يعنى: إذعان المنفى وإبادة الاسم ومحو التاريخ وبحر من الذكريات وهو ما عبر عنه بصدق «شارل نواوى.. المولود بالإسكندرية» لا يعنينا البكاء على المصير المحتوم لليهود فى بحثهم الدائم عن ملاذ ولا أن نطلق النواح على آلامنا الماضية، بل ما نريده قبل كل شىء هو اقتلاع هذا الخجل الذى يحيط بسرنا، وهو الخجل من تاريخ لا يشبه تاريخ البلد الذى استضافنا، والخجل من لغة وطقوس لا تشبه ما نمارسه يوميًا.. كم أحب أن أرى اليوم وجوه آبائنا أو أجدادنا وهم يتلون مساء عيد الفصح صلاة الهجادة التى تقول: أنا الرب الذى أخرجتكم من مصر»!

لقد عاش يهود مصر عملية التحول السياسى والاجتماعى والاقتصادى بكل تداعياتها عقب ثورة يوليو، وشعروا أنهم ضحايا الأوضاع السياسية خاصة وأن الصهيونية كما كتب جودرون كرامر والفريد مورابيا كانت بمطالبها القومية التى لا تختلف كثيرًا عن القومية العربية تعيد النظر فى اندماج اليهود العرب فى أوطانهم أو فى البلد المضيف!.. فقد ساويا بكل بساطة بين القوميةاليهودية والقومية العربية!.. فالصهيونية تقدم نفسها بأنها« الحركة القومية للشعب اليهودى».. رغم أنهم مازالوا منقسمين حول تعريف: من هو اليهودى؟!

إن مثل هذه الآراء تكشف عن هوى هؤلاء المؤرخين اليهود ، كما تكشف عن خدمتهم لأهداف سياسة صهيونية، وتوظيفهم للتاريخ سياسيًا، ليس هذا فحسب بل أيضًا الأدب والفن، ولعل آداء أهارونى خير مثال، والتى ولدت وتربت فى القاهرة ثم هاجرت إلى إسرائيل حيث أدركتها حرفة الأدب!.. والتى توصف أيضًا بـ«شاعرة السلام»!.. فهى تصور تاريخها الشخصى فى قالب أدبى من خلال التفسير الصهيونى! ففى روايتها الخروج الثانى والتى تدور أحداثها وسط حركة شبابية صهيونية مصرية، كتبت التاريخ من وجهة نظرها الصهيونية مغلفًا فى قالب روائى!.. وقائع مفبركة، وسؤالها المكرر ماذا نفعل فى بلد ليس بلدنا«[1]» وتصورات مغلوطة حتى عندما أشارت إلى أن عائلتها عاشت خمسة عشر جيلا فى مصر ومع ذلك لم تستطع أن تحصل على الجنسية المصرية « لأنها يهودية!.. أوعندما زارت الأهرام مع أصدقائها، حيث انطلق الجميع فى الرقص والغناء بالعبرية من أجل العودة إلى الأرض الجميلة.. وقولها لصديقها راؤول وهى تشير إلى الأهرام متسائلة كأنما تحاول أن تؤكد ما يدور فى ذهنها من ترهات: وهل بنى أجدادنا

هذا كله؟ لابد أنهم كانوا أقوياء جدا!!.. وبالطبع لم يشيد أجدادها الأهرام، ولا كانوا أقوياء جدا!.. ولكنها الأوهام التاريخية التى تتردد كثيراً فى كتابات المؤرخين والأدباء الإسرائيليين، وكما رددها الإرهابى «بيجين» للسادات!.. وتجدر الإشارة إلى أن آدا أهارونى عقب بدء المفاوضات بين إسرائيل والحكومةالمصرية ، انتهزت الفرصة لمعاودة ربط نفسها بمواطنها الأصلى مصر وأرسلت قصيدة بعنوان من «حيفا إلى القاهرة» إلى السيدة جيهان السادات!.

كنت أود أن يحدثنا المؤرخون الإسرائيليون عن اليهود المصريين الذين رحلوا إلى الدولة اليهودية.. فلم نسمع عن أحد منهم واصل صعوده فى عالم المال والاقتصاد والسياسة والشهرة مثلما تحقق لهم فى مصر وجعلهم صفوة المجتمع المصرى، لم يكن لأحد منهم شأن فى قيادة المجتمع الإسرائيلى وفقدوا بريق النفوذ السياسى والاقتصادى، وهم الذين كانوا طبقًا لوصف حاييم كوهين» أغنى الطوائف اليهودية فى الشرق الأوسط وأكثرها استقرارًا!.. هربوا بأموالهم إلى هناك وعاشوا بلا قيمة: كأنهم عبيد للسادة من يهود أوروبا وأمريكا!

ولنتأمل كيف يكتب التاريخ من وجهة النظر الإسرائيلية: فالشعبان المصرى والإسرائيلى هما الوحيدان فى العالم اللذان كانت تربطهما علاقات تاريخية وحضارية وإنسانية منذ آلاف السنين»!.. محاولات مكشوفة لاختلاق جذور حضارية لما يسمى بـ«الشعب الإسرائيلى» «٣» ولنتأمل أيضًا ما كتبته «أجل عريرًا المولودة بالإسكندرية فى صورة مهتزة وخيالية عن الخطب الرسمية لرئيس الدولة فى عهد عبد الناصر حيث يقوم طلبة التاريخ باستذكارها واستعادتها بكل ورع وتقوى، ويتم كل صباح غناؤها مع تحية العلم المصرى وذلك فى كافة مدارس البلاد، كما يجرى أيضاً ترتيلها فى الجوامع كل جمعة ظهرًا مع الصلاة الأسبوعية الكبيرة.. !! «٤» هكذا يكتبون التاريخ.. وهل كانت خطب رئيس الدولة ترتل فى الجوامع وكأنها قرآن يتلى!!..

وكان الأجدر بمثل هؤلاء المؤرخين الصهاينة أن يكتبوا ويؤرخوا بأمانة عن العصر الذهبى للطائفة اليهودية المصرية منذ عصر محمد على باشا وحتى نهايةالملكية.. وعن سلوكيات التسامح والحميمية التى تعد موروثًا مصريًا خالصًا، وكيف كان يهود مصر جزءًا متفاعلا فى نسيج المجتمع المصرى حتى توالت حالات الرحيل النهائى بإشراف «الوكالة اليهودية».. بينما ظلت أغطية الرؤوس وكتب الصلوات مكدسة فى بدرومات المعابد المغلقة!.

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما صدرت الطبعة الأولى لكتابى هذا، لم أكن أتخيل أنه سينفذ في خلال أيام- رغم أزمة القراءة فى مجتمعنا- وسعدت كثيرا بإقبال القراء والباحثين وأساتذة الجامعة، وإشادة كبار كتابنا به، وفى مقدمتهم أديبنا الكبير «جمال الغيطانى».

والله تبارك وتعالى من وراء القصد وهويهدى إلى سواء السبيل،

عرفه عبده على

هوامش التصدير

١– لقد شرفنى المؤرخ اليهودى «جوذل بينين» أستاذ دراسات الشرق الأوسط بالجامعات الأمريكية: بإن وضعنى على رأس هؤلاء الكتاب المصريين الذين يستخدمون صوًار ذهنية معادية للسامية!.. «يراجع: جوذل بينين «شتات اليهود المصريين، ترجمة محمد شاكر، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧، ص٣٦،ص٧٠» فتهمة معاداة السامية هى المرادف لـ« معاداة الصهيونية» التى يستخدمها قادة الكيان الصهيونى ومؤرخوه، والتى روجوا وصاغوا لها القوانين فى أوروبا وأميركا.. لتأديب كل من يفكر فى كشف الفكر الصهيونى وتوجهاته العنصرية!.

٢– فى الخامس من أكتوبر عام ١٩٥٤، أعلن زكريا محيى الدين وزير الداخلية آنذاك فى المؤتمر الصحفى الذى عقده للإعلان عن القبض على شبكة المخربين أبطال فضيحة لافون.. أكد على أن أغلبية اليهود المصريين هم مواطنون مخلصون شأنهم فى ذلك شأن كل المصريين الآخرين، كما أكد فاروق الدجوى المدعى العام فى مرافعته من خلال محاكمة أعضاء الشبكة: أن يهود مصر يعيشون بيننا وهم أبناء مصر، ومصر لا تميز بين أبنائها سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود، وهؤلاء يهود يعيشون فى مصر، لكننا نحاكمهم بسبب أنهم ارتكبوا جرائم ضد مصر، رغم انهم أبناء مصر وهنا تجدر المقارنة بين أقوال المسؤولين المصريين وما كتبه الصحفى الإسرائيلى الشهير فيزير جولان بصحيفة يديعوت أحرونوت: إن أعمال: روبير داسا وفيكتور ليفى وفيليب ناتاسون ومارسيل نينو وغيرهم من أبطال الحادث المؤسف ولدوا ونشأوا فى مصر، لكنهم لم ينظروا إلى أنفسهم قط على أنهم مصريون، لقد كانوا أعضاء نموذجين فى الطائفة اليهودية فى مصر، طائفة ليست لها جذور، ولذا نستطيع أن تعتبر كل يهود مصر: صهاينة!.. أو لكى نكون أكثر دقة نعتبرهم محبى صهيون مؤكدا على عدم وجود أى شىء يربط اليهود بمصر!!.

٣– تزايدت فى السنوات الأخيرة المؤسسات اليهودية المعنية بتاريخ الطائفة اليهودية وتراثهم فى مصر، ومنها على سبيل المثال: المجلس اليهودى العالمى، المجلس اليهودى الأمريكى مكتب المعلومات اليهودية معهد الشئون اليهودية، معهد البحوث اليهودية نيويورك جامعة بشيفا بنيويورك «والتى تحتفظ بسجلات الطائفة اليهودية بالقاهرة» اتحاد اليهود المصريين فى حيفا «نشرة تراث الشعب اليهودى المصرى» جمعية حماية التراث الثقافى ليهود مصر باريس، الجمعية التاريخية ليهود مصر، جمعية الصداقة المصرية الإسرائيلية، المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة.. وتجدر الإشارة إلى أن جمعية الصداقة المصرية الإسرائيلية تمارس نشاطا غير معلن وترأسها ليفانا زامير وأشرفت الجمعية على عقد المؤتمر الدولى ليهود من مصر، بفندق الماريوت والمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة فى الفترة من ٢٥ إلى ٢٩ من مايو ٢٠٠٨ وتوقيت المؤتمر واكب الاحتفالات بالذكرى الستين لتأسيس الدولة اليهودية، بحضور السفير الإسرائيلى وممثلو منظمة يهود مصر فى الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا والنمسا وكندا والبرازيل، وعدد من الشخصيات الإسرائيلية، والأدبية الصهيونية آداء أهارونى التى

رأست المؤتمر، وتم توزيع استمارات على المشاركين تحت عنوان: «أسئلة حول الخروج الثانى من مصر!.. والهدف عمل قاعدة بيانات كاملة عن اليهود المصريين وممتلكاتهم تتضمن: الاسم ومكان الإقامة وتاريخ ومكان الميلاد فى مصر، والمدارس والجامعات التى تعلموا فيها، والجنسية التى كانوا يحملونها والجنسية الحالية، وتاريخ مغادرتهم لمصر، معلومات عن الآباء والأصدقاء، والوثائق التى كانوا يحملونها، فترات الإزدهار والضيق، ثم رؤيته تجاه السلام مع مصر والفلسطينيين والعرب، وهل يرغب فى زيارة مصر مرة أخرى وطبقًا لتعبير منظمى المؤتمر يجب تدوين شهادات اليهود الذين عاصروا الخروج الثانى من مصر.. حتى لا يتم إنكاره!.. وتناول المؤتمر موضوعات: العصر الذهبى لليهود فى مصر الحفاظ على التراث اليهودى فى مصر تاريخ المؤسسة اليهودية فى مصر الحركة الصهيونية فى مصر.. وسعى المؤتمر للضغط على الحكومة المصرية من خلال اللوبى اليهودى فى الولايات المتحدة، من أجل الحصول على تعويضات عن ممتلكاتهم فى مصر!.. وأتساءل: هل ستدفع الحكومة الإسرائيلية واللوبى اليهودى فى أمريكا قيمة ما نهبه اليهود من ذهب وفضة ومتا ع فى خلال خروجهم الأول، طبقا لاعتراف «سفر الخروج»

٤- تاريخ يهود النيل، ترجمة يوسف درويش، دار الشروق، ٢٠٠٧، ص١١٦.

مقدمة

قبيل تأسيس «الكيان الصهيونى» بخمس سنوات، وقف «دافيد بن جوريون» أمام حشد من اليهود فى القدس ليعلن أن يهود العالم يكونون شعبا واحدا فى العالم، شعبا لا وطن ولا خلاص له إلا بالعودة إلى أرض الميعاد!..

وبعد أن تم اعلان الدولة، اعتقد الكثيرون أن العمل السياسى للحركة الصهيونية قد انتهى بإعلان قيام: دولة إسرائيل «وأن تتوقف بالتالى عن الادعاء بوجود أى علاقة سياسية أو قانونية بين يهود العالم وإسرائيل إذ أن هؤلاء اليهود يعتبرون فى نظر القانون الدولى- رعايا ومواطنين دولهم الأصلية ويحملون جنسياتها».

وجاء إعلان قيام الدولة صدمة للكثيرين، عندما تضمن أن يهود العالم يشكلون شعبا متميزا له قوميته الخاصة وأن رسالة الدولة هى العمل على ضم جميع أبناء هذه القومية!.. ونسب الإعلان إلى «وعد بلفور» وصك الانتداب التأكيد على وجود الشعب اليهودى ويعتبر الإسرائيليون أن هذا الوعد هو أول اعتراف دولى فى التاريخ الحديث بوجود «الشعب اليهودى».. ويذكر الإعلان أيضا أن «دول إسرائيل سوف تفتح أبوابها أمام الهجرة اليهودية لتجمع شمل المنفيين»!.. أى أن الدولة الصهيونية تنظر إلى يهود العالم باعتبارهم «إسرائيليون فى المنفى»!!

واستغل الصهاينة فكرة «العودة» التى نسبوها للدين اليهودى كوسيلة لدعم يهود العالم

للأهداف الصهيونية، وإثارة حميتهم الدينية رغم أن «إسرائيل ليست دولة مثل باقى دول العالم».. بل لها رسالة خاصة تهدف إلى «خلاص الشعب اليهودى» !!. لتتحول اليهودية على أيدى زعماء الصهيونية من دين إلى حركة سياسية قومية!

وعندما تردد الصهيونية وإسرائيل أن اليهود فى العالم يشكلون كيانا متميزا وشعبا منفصلا له خصائصه، إنما تجعل من نظرية الجنس أو العرق أساسا جوهريا لها، والنظرية العنصرية ليست غريبة على الحركة الصهيونية، بل هى متأصلة فيها منذ قيامها، فتيودور هرتزل «الأب الروحى للصهيونية» يردد فى كتابه الشهير «الدولة اليهودية» أن أصل اليهود يختلف عن سائر الأصول البشرية، وأنهم يشكلون شعبا واحدا وجنسا متميزا.. وأن عليهم أن يتمسكوا بهذه الفوارق التى تميزهم عن الآخرين من أجل الحفاظ على عنصرهن، فهل يوجد من الناحية العلمية جنسا أو عنصرا يمكن تسميته عنصرا يهوديا «jewish race».

إذا نظرنا إلى الواقع نجد أن يهود العالم لا يكونون «شعبا واحدا» أو «أمه واحدة» أو وحدة جنسية منسجمة بالمعنى السليم استنادا إلى آراء علماء الأجناس والسلالات البشرية. وإذا كان بعض المتعصبين من اليهود يعتقدون بأنهم سلالة عناصر سياسية نقية ممتازة، فإن هذا الاعتقاد لا تؤيده الأبحاث الأنثروبولوجية، فمن الثابت وجود فوارق وتباين واضح فى المميزات الجنسية للجماعات اليهودية المنتشرة فى جميع دول العالم فهم ينحدرون من شعوب وسلالات متعددة ومتباينة ويؤكد ذلك جوان كوماس juan comas أستاذ التاريخ التطبيقى للأجناس البشرية فى الجامعة الوطنية بمكسيكو، فقد أعد بحثا بعنوان أسطورة الجنس اليهودى the mythez of jewish Roce رد فيه أنثروبولجيا على المزاعم الصهيونية والإسرائيلية القائلة بانتماء يهود العالم إلى كيان عنصرى واحد تسميه «الشعب اليهودى» ونظرا لأهمية هذا البحث فإننا سنعرض لبعض الآراء الواردة به.

ففى مستهل بحث جوان كوماس نجده يؤكد الحقيقة التى يظهرها تاريخ الأجناس البشرية والتى توضح أن اليهود غير متجانسين كعنصر، وأنه ليس هناك أى أساس للادعاء القائل بوجود جنس يهودى «أنثروبولوجيا» فهجرة اليهود المستمرة من خلال التاريخ وعلاقتهم بمختلف الأمم والشعوب قد أوجدت شيئا من التهجين، ثم يضيف جوان كوماس أن التحليل العام لليهود وتصنيفهم تبعا لأصلهم ينتهى بنا إلى المجموعة الآتية:

أ- المنحدرون من اليهود المهاجرين من فلسطين وهم قلة.

ب- المنحدرون من الاندماج بين يهود من أصل أسيوى مختلط أو بين اليهود ومجموعات بشرية أخرى، وهم ما يمكن تسميتهم بسلالة تهجين التهجين.

جـ- اليهود من الناحية الدينية فقط حيث أنهم من ناحية التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية ليس لهم أى صلة بيهود فلسطين، وهم عبارة عن أفراد من أصول بشرية أخرى اعتنقوا اليهودية، والمثال الواضح لهذه الفئة «بولان» ملك الخزر الذى اعتنق اليهودية عام ٢٤٠ م مع كثيرين من نبلائه وأتباعه، كما أن هناك عددا كبيرا من اليهود فى بولندا وجنوب روسيا يمكن نسبتهم إلى هذه الفئة.

وهناك شواهد تاريخية عديدة تؤيد حقيقة اختلاط وامتزاج العناصر اليهودية بالشعوب التى عاشوا بينها منذ زمن بعيد ، فقد صدرت عدة قوانين فى فجر المسيحية كانت تحرم الزواج بين المسيحيين واليهود، مثل دستور نيودوسيدس الثانى فى القرن السادس الميلادى والقوانين التى أصدرتها السلطات المسيحية فى توليه عام ٥٨٩ وفى روما عام ٤٧٣ الميلادى، وكذلك القوانين التى أصدرهـالاديسلاس الثانى ملك المجر عام ١٠٩٢ وضرورة التحريم فى هذه القوانين توحى بأن الزواج بين اليهود والمسيحيين كان أمرا شائعا ومألوفا كما قدرت نسبة الزيجات اليهودية فى ألمانيا التى تجمع بين شريكين يهوديين فى الفترة ما بين عامى ١٩٢١، ١٩٢٥ بـ٥٨٪، وتلك التى تجمع بين شريك يهودى وآخر غير يهودى قدرت بـ٤٢٪ وقد عقدت عام ١٩٢٦ «٨٦١ زيجة يهودية كاملة» و٥٥٤ زيجة مختلطة، وهذه الأرقام لها دلالة خاصة إذا أخذنا فى اعتبارنا العدد الكبير من الأزواج الذين أصبحوا يهودا دون أن يكون لهم أى صلة باليهودية.

والادعاء بوجود قومية أو أمة يهودية أو شعب يهودى على أساس دينى وادعاء دولة من الدول حق الولاية على أتباع دين معين يعتبر خطوة انتكاسية انتهى أوانها!.. فضلا عن أن وصف إسرائيل «بالدولة اليهودية» يعتبرجزءا من التضليل الصهيونى والمرتبط بادعاء «الجنسية اليهودية» التى يراد فرضها على يهود العالم!!.

ومحاولة إسرائيل ربط مفهومها للشعب اليهودى بالدين، لا تتمشى مع الاتجاه السائد فى العالم، فلقد تعدت الأديان الرئيسية فى العالم حدود جنسها ولم تعد أية ديانة مقتصرة على عنصر أو جنس معين!.

ولعل خير رد على الادعاء الإسرائيلى والصهيونى القائل بأن الدين اليهودى يؤكد وجود«الشعب اليهودى» ما جاء بكتاب المجلس الأميركى لليهودية وعنوانه «اليهودية دين لا قومية» فهو يؤكد أن «الشعب اليهودى» ليس له وجود بالمعنى الطائفى والسياسى، ففى

الماضى كانت تستعمل عبارات مثل «الشعب اليهودى» وشعب إسرائيل، ولكنها دائما كانت ترمز إلى تعميمات نفسية تمثل استمرار وجود هذه الجماعة فى التاريخ ، وذلك لأنهاجماعة تتعلق بالناحية الروحانية، أما فى الأعوام الأخيرة فقد كان هناك من رغبوا فى تحويل هذه الصفة الروحانية إلى جماعة طائفية قائمة بذاتها، أى بتحويلها إلى قومية، أو إلى أمة لها مميزاتها الجنسية أى التى تتعلق بالأجناس، ولذلك قام هؤلاء بتغيير نفس الألفاظ، فبإطلاقهم اسم «إسرائيل» على دول سياسية غيروا معنى « شعب إسرائيل» وأن عبارة «الشعب اليهودى» ما هى إلا تلفيق سياسى، فليست لها وجود فى اليهودية، كما أنها لا توجد فى أى نص من نصوص اليهود المقدسة.وتعد تحريفا مبتذلا لعبارة «شعب إسرائيل» وهذه العبارة هى المرادف الذى وضعته الصهيونية لأمة اليهود والستار الذى عملت على إخفائها به، فقبل إنشاء إسرائيل كان اصطلاح «إسرائيل» له معنى دينيا صرفا، فعبارة «شعب إسرائيل» الواردة فى التوراة، كانت تشير إلى الأشخاص الذين يعبدون إلها واحدا ويعتنقون الديانة اليهودية.

كما أن المجلس الأميركى لليهودية عارض اعتبار إسرائيل وطنا قوميا لجميع يهود العالم استنادا إلى أن غالبية اليهود فى العالم لم يقيموا فيها على الإطلاق، ولا يرغبون فى هذه الإقامة مستقبلا، كما أن غالبية يهود العالم لا يدينون لها بالولاء السياسى!!

وبينما الفليسوف اليهودى «مندلسون» رائد حركةالتنوير اليهودية« الهسكالاة» قد حدد رؤية جديدة فى الفكر اليهودى، عندما طالب اليهود بنبذ «عقلية الجيتو» وأن يندمجوا فى الشعوب التى يعيشون بينها.. كان زعماء الحركةالصهيونية أشد حرصا وأكثر حذرا من «الخطر الأكبر»: اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها.. و«ضياع الصفات اليهودية المميزة»!!

ومن الملاحظ، أن ظاهرة «الجيتو» التى عاشها قسرا يهود أوروبا، لم تعرفها الجماعات اليهودية التى عاشت فى محيط ثقافى عربى إسلامى.. وبينما يهود الحضارة الإسلامية،كانوا مندمجين فى نسيج هذه الحضارة: لغويا وفكريا واجتماعيا وسياسيا.. كان أقرانهم فى أوروبا- فى العصور الوسطى والحديثة- يتعرضون لأبشع أنواع الاضطهاد!.. وإن كان اليهود قد بالغوا فى مسألة المحارق النازية « الهولوكست» والتى أثبت بعض المؤرخين اليهود زيف هذه الأسطورة التى اخترعتها الصهيونية، وأنها كانت نوع من «تجارة الآلام الكاذبة»!!.

وعلاقة اليهود بمصر، هى علاقة قديمة، تعود إلى زمن نزول أولاد «يعقوب فيها، ثم إلى

بقاء البعض منهم فى منطقة الفيوم، عقب خروج «موسى» من مصر، فى حدث تاريخى مهم، يحيطه قدر هائل من الغموض!.

وقد أثبت المؤرخون وجود طائفة يهودية فى مصر، فى القرن السادس قبل الميلاد حيث استقر بعضهم فى مدن الدلتا، والبعض الآخر فى جزيرة «اليفانتين» بمصر العليا، ثم جاءت جماعة أخرى، بعد فتح الإسكندر الأكبر لفلسطين عام ٣٢٢ ق.م وقد شجع بطليموس الأول اليهود على الاستقرار بالإسكندرية، وبعد سقوط القدس فى يد «تيتوس» عام ٦٦م. أرسل الآلاف من الأسرى اليهود إلى مصر. وتعرضوا لتقلبات عديدة، حتى كان الفتح العربى لمصر، فتحسنت أوضاعهم، وشهدت الطائفة نوعا من الازدهار، وانتقل كثير منهم إلى الفسطاط، التى أصبحت عاصمة لمصر، ولتصبح أيضا مركزا روحيا كبيرا لليهود.

وتشير المصادر التاريخية، إلى أن يهود مصر لم يعيشوا فى معزل أو داخل جيتو، ولم يعتبرهم المجتمع- جالية أجنبية- بل مصريون اعتنقوا الدين اليهودى، والسلوك الاجتماعى لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المصرى، التسامح الفطرى وعلاقات الود تسود الجميع: مسلمين ويهود وأقباط، معايشة مجردة من كل تعصب دينى.

وفى عصر الدولة الفاطمية، والدولة الأيوبية، وعصر سلاطين المماليك عاش يهود مصر ازدهارا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، مماثل لما شهدته الطوائف اليهودية فى الأندلس والمغرب العربى، تحت ظلال الحكم الإسلامى.

ثم كان الفتح العثمانى لمصر عام ١٥١٧، وقد حافظ «النظام الملى» فى ذلك العهد، على حقوق والتزامات الطوائف الدينية، وتمتع كثير من اليهود بنظام الامتيازات، وتحقق للطائفة نوع من «الاستقلال الذاتى» من الناحية الدينية والإدارية.. وكان «الحاخام باشى» فى استانبول، يمثل كل يهود الإمبراطورية أمام «الباب العالى».. ولرؤساء الطوائف المحلية مكانتهم فى الهيئة الدينية الرسمية للدولة.

وبدأت موجات من الهجرة اليهودية، من مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية تنضم إلى العنصر اليهودى الوطنى.. تزامنت مع بداية هجرات مماثلة من بعض دول أوروبا.. وتبلغ هذه الهجرات ذروتها، بحلول عام ١٨٤٠، بفضل تشجيع محمد على باشا وأسرته والجاليات الأجنبية فى مصر، فتزايد توافد يهود أوروبا الذين وجدوا مع سائر الأقليات والجاليات الأجنبية «مناخا ملائما» لاغتنام الفرص فى عالم المال والتجارة والسمسرة، وبسقوط البلاد «فريسة للديون الأجنبية» وسيطرة الأوربيين على مالية مصر، تمتع اليهود

بالامتيازات وحماية القناصل الأجانب، وكان افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، إيذانا بتوالى المزيد من المهاجرين اليهود، وشهد عهد الخديو إسماعيل توسعا فى استخدام اليهود فى وظائف الدولة، وتوجهت الطائفة إلى تشييد المدارس والمعابد والمستشفيات والمراكز الاجتماعية وإصدار الصحف والمجلات، ولم يكن فى القوانين القائمة ما يعوق حريتهم ونشاطهم فى التجارة وأعمال الصيارفة والبورصة والوظائف الحكومية.

ومما لا شك فيه، أن الاحتلال البريطانى قد هيأ لليهود ظروفا أنسب للإزدهار المالى والنفوذ الاقتصادى والسياسى، فالاحتلال الأوربى- بصفة عامة- ارتكز فى محاولته لتوسيع مساحة نفوذه فى العالم العربى الإسلامى، على فرض «الحماية» والرعاية لأبناء الأقليات، ومنحهم حقوقا وامتيازات، لم تكن متاحة للأغلبية، بحيث تتحول الأقلية إلى «جيب سكانى» ترتبط مصالحه وطموحاته بالقرى الاستعمارية صاحبة الحماية، بمعنى آخر، أقلية محلية مندمجة فى المجتمع تتحول إلى عنصر سكانى « غريب» يدين بالولاء لقوة خارجية!.

وقد أسهم التركيب الوظيفى الاقتصادى للطائفة اليهودية- خاصة بين المهاجرين الاوربيين- فى تعميق الاتجاه نحو «التغريب» حيث نشاطهم فى مجالات مرتبطة أساسا بالقوى الأجنبية المهيمنة، مثل التجارة الدولية والبنوك وأعمال البورصة.

أيضا يرجع ازدهار المجتمع اليهودى فى مصر، ليس فقط للانفتاح الاقتصادى على أوروبا بل إلى اعتقاد رسخ فى عقيدة اليهود المصريين، بأن مصر هى «أرض الميعاد»!

وقد لعبت المؤسسات اليهودية العالمية دورا بارزا فى توجيه يهود مصر، وكان على رأسها «الاتحاد الإسرائيلى العالمى- الاليانس الذى اضطلع بمهمة إنشاء المدارس اليهودية فى جميع أنحاء العالم العربى والإسلامى، ضمت أبناء الطوائف اليهودية- المحلية والوافدة- وتركز اهتمام هذه المدارس على مناهج تختلق جذورا ثقافية ودينية وتاريخية للأفكار الصهيونية، وإحياء اللغة العبرية، كأساس لخلق شخصية قومية مشتركة بين الطوائف اليهودية، بعد أن كانت العبرية قاصرة على المعابد وبطون الكتب!.

كذلك أسهمت هذه المدارس فى عمليةالمسخ الحضارى الاستلاب الثقافى من خلال تدريس تاريخ الاضطهادات الأوربية للجماعات اليهودية، فى إطار صياغة «تاريخ موحد مزيف لجميع اليهودى! جوهره الحقد النابع من المعاناة التاريخية الطويلة- الشتات- والحنين إلى الحياة فى ظل مجتمع يهودى آمن فى أرض الأجداد!.

وقد نجحت تلك المدارس بتعميق هذه الافكار وتطوير أهدافها- فى انتزا ع يهود مصر والبلاد العربية من بيئاتهم وحضارتهم وقوميتهم.. ووضعتهم أداة طيعة فى يد الغرب،

ليصوغ منهم مادة المشروع الاستيطانى فى فلسطين!.. مع تزايد نشاط الحركة الصهيونية التى سعت إلى استئصال اليهود العرب من تقاليد مجتمعاتهم، وجردتهم من انتمائهم، ليكون ولاؤهم فقط للشعب اليهودى والدولة الصهيونية!.

وقد حمل المهاجرون اليهود من أوروبا معهم، عقدة الانعزال عن البشر، وادعاء التمايز والاستعلاء على شعوب الأرض، وهم الذين وجدواانفسهم- فى مجتماعتهم الأوروبية عرضة لكراهية الأمم الأخرى، ووجدت هذه العقد طريقها بسهولة إلى الشخصية اليهودية، وأصبحت- عوامل أساسية- فى تكوين هذه الشخصية، سواء عن طريق الإنسان أو الذكريات الدينية والسياسية، التى تضخمت مع الزمن.. مما يؤكد مدى أهمية الخرافة والأسطورة، فى خلق الإطار النفسى العنصرى اليهودى، وبشكل يتجاوز الحقيقة التاريخية!.

وظاهرة العزلة الاجتماعية داخل «الجيتو».. التى ميزت الوجود اليهودى عبر التاريخ، عبر عنها «ناحوم جولدمان» بقوله:

«إن الجيتو يعتبر اكتشافا يهوديا من الناحية التاريخية!.. ومن الخطأ القول بأن الجوييم قد أرغموا اليهود على الانفصال عن بقية المجتمع، هناك فرق بين أن يختار بحريته جيرانه، أو أن يكون مرغما على السكن فى مكان معين.. إن الجيتو، لم يكن مجرد مجموعة من المنازل والمؤسسات اليهودية المحاطة بسور، سواء كان هذا السورمبنيا أو سورا نفسيا، لم يكن سجن جماعى- لليهود، فرضه الآخرون عليهم، وإنما كان سور دفاعى داخلى، حقيقى ورمزى فى أن واحد، شكل حصنا، شيده اليهود لأنفسهم ضد- عداء- غير اليهود»!.

وإذا كانت الطائفة اليهودية فى مصر، قد حققت ازدهارا على المستوى الاجتماعى والاقتصادى، أتاح لزعمائها نفوذا سياسيا وماليا، وعلاقات قوية بالقصر الملكى، فقد حققوا أيضا ازدهارا ثقافيا، تمثل فى حرية التعبير المطلقة من خلال الصحف والمجلات، التى كانت أبرز الوسائل فى التعريف بالفكرة الصهيونية والترويج لها!.. وقد امتد النشاط الثقافى إلى مجالات الأدب والمسرح والموسيقى والسينما.

فيهود مصر الحديثة- ويهود الشرق عموما- لم يرد فى تفكيرهم أية مشاعر للتمايز أو الإيمان بـ«أشياء مقدسة» ولم يشيروا مطلقا إلى «إله إسرائيل» أو الانتماء إلى «الشعب المختار».. فقد كانوا يسعون إلى الاندماج فى المجتمعات التى تضمهم دون أية رغبة أو سعى ملموس من أجل «إعادة بناء هيكل سليمان»!.. أو التفكير فى «مصير دولة

إسرائيل»!

إن يهود مصر كانوا جزءا من النسيج المصرى العام، يفضلون البقاء فى مصر، طالما أن الظروف الخارجية لا تضغط عليهم من أجل الانسلاخ عن هذا النسيج، وإذا ما أجبرتهم الظروف على ذلك، فإنهم كانوا يفضلون الحياة فى أى عاصمة أوروبية، وإذا ما تفاعلت يهودية- البعض منهم- مع الدوافع الصهيونية، وذهبوا إلى إسرائيل، فقد كان ذلك بدافع الأمل فى العثور على وجود يهودى حقيقى فى هذه الدولة التى لا ترحب بأمثالهم كيهود شرقيين إلا ليمارسوا «دور الخادم للأسياد من يهود الغرب»!!.

واليهود المصريون لا يتحدثون عن حياتهم فى مصر بعد مغادرتهم لها بصيغة اللعنة على هذه الحياة، ولكنهم يتحدثون بصيغة «الندم» شأنهم فى ذلك شأن أسلافهم من «بنى إسرائيل» عندما خرجوا من مصر بقيادة موسى عليه السلام!.

والحقيقة الثابتة تاريخيا، أن يهود مصر لم يعانوا أى نوع من الاضطهاد، وأنهم عوملوا بروح من التسامح والمودة وحسن الجوار بين المصريين، دون أى تفرقة بسبب عامل الدين، وتشهد على ذلك الباحثة اليهودية التى أطلقت على نفسها «بنت النيل!» – بت هيئور فى مقدمة دراستها عن يهود مصر، بأنهم لم يعانوا الاضطهاد الذى عانوا منه فى سائر البلاد.. «فمصر هى بلد الحضارة القديمة، وكانت لفترات طويلة مركزا لحكمة الأقدمين وبؤرة للحضارات، لقد كانت منفتحة على العالم الخارجى، ومنحت الشعوب الأجنبية بسخاء من إرثها الروحى كما أنها هى الأخرى ازدادت ثراء من علوم الآخرين وعلاوة على ذلك، فإن حب السلام المغروس فى طابع الشعب المصرى حال بينه وبين الأحداث العنيفة والوحشية على غرار تلك التى سودت صحف تاريخ الكثير من الأمم الأخرى. وإذا ما تجاوز المصرى فى بعض الأحيان حدوده فإن هذا يحدث بسبب دفع السياسيين والمتعصبين من رجال الدين ولكنه كان دائما فى نهاية الأمر يظهر روح التسامح والمشاعر الإنسانية أكثر من أبناء الطبقة الحاكمة له».

ويمكننا القول بأن النصف الأول من هذا القرن، كان عصرا ذهبيا للطائفة اليهودية فى مصر، تألقت فيه على جميع المستويات، والعقد الرابع، شهد تحسنا فى أحوال الطبقة اليهودية الفقيرة، التى كانت تقطن دروب وأزقة «حارة اليهود».. بشكل نسبى وإن ظل البعض منهم مثل: الباعة الجائلين، والعاطلين، ومن احترفوا الشحاذة والتسول، يعانون البؤس وشظف العيش، وليس لهم من أسلوب للحياة، سوى ما يتصدق به الناس، أو ما يجود به عليهم- فى المناسبات الدينية- يهود الطبقة الأرستقراطية الثرية «البارونات»..

الذين كانوا يقطنون الأحياء والضواحى الراقية بالقاهرة والإسكندرية، متمتعين برغد العيش وكل ألوان الرخاء الارستقراطى، يعيشون حياة نادى الجزيرة، ملتفين حول الملك بنادى السيارات بالقاهرة، ونادى اليخت الملكى بالإسكندرية!.

وتجدر الإشارة إلى استغلال الصهيونية العالمية لأحدث وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال، حيث أوجدت على «شبكة الانترنت» موقع باسم: «تاريخ مجتمع اليهود المصريين» على درجة عالية من التنظيم ومدعما بالصور والوثائق.. والمادة المعروضة تمت صياغتها فى أطار سياسى يفرض على المتلقى: الزعم بالاضطهاد الذى لاقاه يهودالشتات فى مصر: ويبرز الزيف والتناقض عندما تشير المادة «العلمية! إلى أن كل ما تحقق من نمو حضارى فى مصر الحديثة كان «رغم الاضطهاد» بفضل اليهود!!.. تماما مثلما يحاولون نسبة كل ما أبدعه الإنسان المصرى القديم إلى أنفسهم!!.. فالهدف محدد: «تأصيل ذاكرة مزيفة لتاريخ اليهود»!!

وهذه الدراسة هى إسهام أقدمه بكل تواضع لاستكمال نقص هائل فى المكتبة العربية، ولأن الدراسات العربية- على ندرتها- والتى تناولت جوانب من هذا الموضوع المهم، افتقرت إلى الرؤية الشاملة الفاحصة المدققة.. كما تأثرت بالوضع السياسى الراهن فى المنطقة العربية.. وهو ما ينطبق أيضا على الدراسات اليهودية، التى اهتمت بمعالجة هذا الموضوع، فى أطار «التوظيف السياسى للتاريخ».

ولعل هذه الدراسة، تدحض مزاعم المؤرخين الإسرائيليين، وادعائهم بأن الطائفة اليهودية فى مصر، كانت متمايزة: دينيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وقوميا، وأنها كانت تشكل جزءا مما يسمى بـ«الشعب اليهودى»! الذى اختلقوه من ظلمات الاوهام وضباب الأساطير استنادا إلى تلك الصلات الدقيقة التى تربط بين يهودالعالم رغم تباين العادات والتقاليد..!!

إن اختلاف الدين بين أبناء المجتمع الواحد، ليس مبررا لادعاء الاستقلال الحضارى والتمايز الاجتماعى والثقافى..!!

وأتمنى أن تقدم هذه الدراسة، مادة جديدة، للباحثين فى تاريخ الطائفة اليهودية فى مصر- عبر العصور- تشكل صورة موضوعية، دقيقة، بمختلف أنساقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية.

الباب الأول:

اليهود فى مصر الفرعونية

الفصل الأول
اليهود فى مصر الفرعونية

أجمع المؤرخون على أنه ليس لليهود- مراحل استيطان تاريخى طويلة- فى بقعة من الأرض، أقاموا فيها مجتمعا حضاريا على أساس من قيم الاستقرار والأمن الاجتماعى.. وهى سمة بارزة فى التاريخ اليهودى بوجه عام!.

فلم يزل اليهود فى هجرتهم الدائمة ما بين بلاد العراق وحوران وكنعان- يعيشون بجوار القبائل ولم يكن فى استطاعتهم التغلب على واحدة من هذه القبائل حتى لجأوا إلى مصر وخرجوا منها بعد قرون إلى الأرض التى ادعوا أنها « أرض الميعاد».. بمقتضى إرث سماوى مزعوم!!

ولم يستفد اليهود من هجرة فى تاريخهم كله- كما استفادوا من هجرتهم إلى مصر- ومع ذلك نجد أن «سفر الخروج- Exode الذى يعرض تاريخهم فى مصر القديمة وخروجهم مع «موسى».. وتاريخهم فى أثناء مرحلة «التيه» التى قضوها فى صحراء سيناء واستغرقت أربعين عاما.. نجد أن سفر الخروج يقطر حقدا ومرارة على المصريين!!.. رغم انهم لم يعرفوا الاستقرار والحياة الرغدة إلا على ضفاف نيل مصر، حيث نهلوا من مناهل الحضارة المصرية، مما زاد فى خبرتهم بتدبير شئونهم والدفاع عن أنفسهم.. فأصبحوا يمارسون فنون الزراعة، كما أحسنوا حمل السلاح حتى أصبحوا قادرين على منازلة قبائل البادية التى عجزوا عن مقاومتها طوال خمسة قرون!.

وقد ذهب المؤرخون إلى أن هجرة أبناء «يعقوب» كانت بداية التواجد اليهودى فى مصر، لتبدأ قصتهم الطويلة مع التاريخ الذى شوهوا معالمه بالزيف، كما كانت بداية قصة الصراع الذى- لفقت- له جذور مصطنعة وميراث أوهام مدعاة تعلق بهاالابناء بعد الآباء فى عنصرية فريدة من نوعها!.. فنسبة يهود اليوم إلى «بنى إسرائيل» ليست سوى إحدى محاولات الحركة الصهيونية لاختلاق جذور لما يسمى بـ«الشعب اليهودى».. ثم ليست هناك دلالات تاريخية كما يقول عالم المصريات د. «رمضان عبده» تؤكد أن «يعقوب» هو نفسه «إسرائيل»!!.. سوى التوارة «المحرفة» ومزاعم صهيونية غير مقبولة لاختلاق «تاريخ موحد مزيف لجميع اليهود»!!.. فلم يكن لليهود تاريخ يذكر فى مصر القديمة إلا بعض التجمعات فى جزيرة الفنتين- كما سيرد فيما بعد- وبالتالى تسقط كل دعاوى نسبة الحضارة المصرية القديمة إلى اليهود!!..

وقد اختلفت علاقة اليهود بمصر القديمة، تبعا لاختلاف وضع فلسطين بالنسبة لمصر، والصلات التى قامت بين مصر وفلسطين من ناحية، وشعوب الشرق الأدنى المجاورة من ناحية أخرى.. فعندما آلت فلسطين إلى الأشوريين، نزح كثير من اليهود إلى مصر، غير مبالين بتحذير نبيهم «ارميا» وإنذاره لهم بعدم الهجرة إليها (١)!.

وحين ورثت بابل آشور، ووفد نبوخذ نصر nebughadnezzer على رأس جيوش أبيه ملك بابل، وأنزل الهزيمة بالملك تخاو الثانى ملك مصر (٦٠٩- ٥٩٣ ق.م.) فى موقعة فرقميش عام ٦٠٥ ق.م. وأجلاه عن فلسطين، آل ملكها إلى بابل. وفى عام ٥٩٧ ق.م ثارت مملكة يهوذا، فبادر نبوخذ نصر- وقد صار ملكا على بابل- إلى إخماد هذه الثورة، واحتلت جيوشه أورشليم ونهبت الهيكل. وقد عادت يهوذا إلى الثورة مرة ثانية (٢) «٥٨٨- ٥٨٦ ق.م) مؤملة أن يسارع ملك مصر «أبريس» (وهو خفرع فى التوراة (٣) ٥٨٩- ٥٦٩ ق.م) إلى نجدتها.وفى هذه المرة أخمد ملك بابل الثورة بكل عنف ودمر أورشليم وهيكلها تدميراتاما شاملا، فقضى بذلك على ما تبقى ليهوذا من استقلال ووجه ضربة قاضية لحياة اليهود بها.

وقد فتح أبريس صدره لليهود الذين نجوا من السبى البابلى. فكانت تلك الموجة الجديدة من هجرة إلى مصر. وقد عرفنا أنباءها من سفر أرميا ومن الخطاب المنسوب إلى ارستياس، ومن وثائق الفنتين الآرامية.

وتحدثنا مصادرنا بأن أبريس أنزل اليهود فى تل الدفنة (٤) «تحفنحيس فى التوراة» وكانت تقع على بعد اثنى عشر ميلا غربى القنطرة وتتحكم فى مدخل الدلتا من جهة

المشرق. ولكن لما كانت هذه المدينة ذات موقع استراتيجى مهم وكانت فى العصر الصاوى المركز الرئيسى للجند المرتزقة فإنها كانت أبعد من أن تصلح معسكرا للاجئين، ولذلك يبدو أن أبريس لم يبق بها من لاجئى اليهود غير أولئك الذى انخرطوا فى سلك الجيش ولا سيما أننا نسمع أن كثيرا من أولئك اللاجئين تفرقوا بين تانيس ومنف وأرض باثروس (parhros) أو أرض الصعيد.

وقد صادف قدوم اليهود قبولا لدى ملوك العصر الصاوى، إذ كانوا يشجعون الأجانب على المجئ إلى مصر للاشتغال بالتجارة والجندية (٥) وقبل أبريس، استخدم الملك ايماتيك الأول (٦٦٤– ٦٠٩ ق.م) كثيرا من اليهود جندا مرتزقة ولا يبعد أن أبسماتيك الثانى «٥٩٣– ٥٨٩ ق.م» كان قد استعان بهم فى حملته على بلاد النوبة فى عام ٥٩١ ق.م.

وعلى أى حال فإن المصادر القديمة تحدثنا بأن اليهود انتشروا فى العصر الصاوى وبعده فى مختلف أرجاء مصر: منف والفيوم ودهشور والبهنسا والأشمونيين وأخميم وطيبة وأبيدوس وأدفو الفنتين وأسوان، وبأن جاليات اليهود فى هذه الأرجاء كانت على اتصال وثيق فيما بينها.

ومن بين المناطق التى استقر بها اليهود، وتهمنا بصفة خاصة جزيرة الفنتين عند حدود مصر الجنوبية، حيث قامت مستعمرة عسكرية كان اليهود يؤلفون أحد عناصرها (٦) وترجع أهمية هذه المنطقة إلى ما عثر فيها من البرديات الآرامية (٧) وهذه البرديات تعطينا صورة واضحة مفصلة عن حياة الجالية اليهودية فى الفنتين من كافة النواحى الدينية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية وذلك بفضل الرسائل التى كان أولئك اليهود يتبادلونها مع إخوانهم فى الفنتين.وفضلا عن ذلك فإن هذه البرديات تعتبر بمثابة سجل حافل بالأحداث التاريخية التى كانت الفنتين بل مصر كلها إلى حد ما مسرحا لها فى العصر الفارسى.

وتكاد تتفق الآراء على أن يهود الفنتين كانوا من سلالة الجند المرتزقة الذى عملوا فى جيش أبسماتيك الثانى أو من سلالة الذين نجوا من السبى البابلى بعد تدمير هيكل أورشليم فى عام ٥٨٦ ق.م (٨).

ومما يجدر بالملاحظة أن اليهود، الذين كانوا يؤلفون جانبا من الحامية العسكرية (haila) التى أقيمت فى الفنتين، لم يكونوا إلا جزءا من الجالية اليهودية التى استقرت فى تلك المنطقة وكانت تضم إلى جانب اولئك الجنود أسرا يمتلك بعضها المنازل فى الفنتين والبعض الآخر فى أسوان (٩).

وقد سمح لليهود بإقامة معبد ليهوه إلى جوار معبد خنوم الإله المصرى الرسمى لهذه المنطقة وقد تجمعت منازل يهود الفنتين حول هذا المعبد فنشأ هناك حى خاص باليهود أخذ يتسع تدريجيا حتى بلغت حدوده مشارف الحى المصرى الذى كان يقع جنوبى معبد اليهود، ولما كانت إحدى الوثائق الآرامية التى عثر عليها فى الفنتين تشير إلى أن المعبد الذى أقامته المستعمرة اليهودية فى الفنتين يرجع إلى عهد ملوك مصر فإن الرأى السائد اليوم هو أن قيام تلك الجالية يرجع إلى ما قبل الفتح الفارسى سنة ٥٢٥ ق.م.

وقد استمر يهود تلك المستعمرة يقومون بمهمتهم فى خدمة مصر وصد الهجمات التى تتعرض لها من جهة الجنوب. ولم يتدخل ملوك العصر الصاوى فى شئون الجالية الداخلية وسمحوا لأفرادها بقسط وافر من الحرية الدينية رغم وجود معبد يهودى فى الفنتين إلى جانب معبد خنوم فإنه لم يحدث طوال العصر الصاوى أى صدام بين اليهود والمصريين بسبب التعصب الدينى أو اختلاف العقائد بين الفريقين. ولم يكن اليهود العنصر الأجنبى الوحيد فى الفنتين وأسوان كما أن يهوه لم يكن الإله الأجنبى الوحيد فى هذه المنطقة من أرض مصر التى ألف أهلها كثرة العناصر الأجنبية العاملة فى الجيش والقائمة على حراسة الحدود. وكيف نفسر إذن الصدام الذى وقع بين اليهود والمصريين فى العصر الفارسى(١٠).

يذهب «G.ricciotti» (١١) إلى أن اليهود سارعوا إلى تقديم فروض الولاء للملك الفارسى وفى الوقت نفسه وجد الفرس فيهم أداة طيعة يستطيعون استخدامها فى السيطرة على بلاد لم تكن فقط بعيدة عن مقر الحكم فى الإمبراطورية، بل كانت أيضا قوية فى شعورها بذاتيتها وحريصة على استرجاع استقلالها. وقد تعزى مبادرة اليهود بالإعلان عن ولائهم للملك الفارسى إلى أنهم كانوا بوجه عام يدينون للملك قورش الثانى (٥٥٩– ٥٣٠ ق.م) بانقاذهم من السبى البابلى وردهم إلى ديارهم. وعندما جاء قمبيز إلى مصر أظهر عطفة على اليهود، ولم يمس معبد اليهود بأى سوء فى حين أن كثيرا من معابد المصريين تعرضت للتدمير والتخريب وتكشف إحدى البرديات الآرامية عن حقيقتين (١٢) إحداهما أنه حين ثار المصريون على الفرس عقب ارتقاء دارا الثانى العرش فى سنة ٤٣٤ ق.م. بقى اليهود على ولائهم للإدارة الفارسية.

والأخرى آنه استدعى وإلى مصر الفارسى فى عام ٤١٠ ق.م. لمقابلة الملك الفارسى فى العاصمة تآمر كهنة خنوم مع ويدرانج widrang الفارسى «وكان يشغل منصب pitrk» حاكم الإقليم وهو مركز سام فى الإدارة الفارسية المحلية وأعطوه مالا وأشياء أخرى ذات

قيمة،وبذلك تمكنوا من إلحاق الأذى باليهود، وعطلوا لهم بئرا وعاقوهم عن عبادة يهوه.

ولهاتين الحقيقتين دلالة بينة إذ أنهما تشيران إلى وقوف اليهود موقفا سلبيا من المصريين حين ثاروا على أعدائهم، وإلى تحين المصريين فرصة غياب الوالى الفارسى لإلحاق الأذى باليهود. وهذا فى حد ذاته يدل على تمتع اليهود برعاية الفرس، وعلى رغبة المصريين فى الانتقام منهم، ولا نستبعد أن مبعث هذه الرغبة لم يكن مجرد التزام اليهود الحياد بين المصريين والفرس وإنما إسهاماً من اليهود فى إخماد الثورة. فلابد من أنه قد آلم المصريين وحز فى نفوسهم أن يقف اليهود منهم هذا الموقف بعد أن أفسحوا لهم صدرهم وأكرموا غربتهم!!.

ويمكن التعرف على مصير يهود الفنتين بعد هذا التاريخ فى ضوء تطورات الحوادث فى مصر بصفة عامة فى هذه الفترة من كفاحها للتحرر من حكم الفرس. إذ أن مصر تمكنت فى عام ٤٠٤ق.م من أن تحرر نفسها من حكم الفرس وكون آمون حر «amyrtaeu» أحد مواطنى سايس، الأسرة الثامنة والعشرين ودام حكمة ست سنوات (٤٠٤–٣٩٩ق.م) ويبدو أن حكمه لم يشمل مصر بأكملها، إذ تشير القرائن إلى أن جالية الفنتين اليهودية كانت لا تزال تعترف بالحكم الفارسى، فقد وصلتنا بردية مؤرخة فى العام الرابع (١٣) من حكم الملك الفارسى ارتاخشاير شاه الثانى (artaxerxes ii) فى ١٢ من ديسمبر ٤٠٢ق.م ووصلتنا بردية أخرى مؤرخة فى العام الخامس من حكم ملك أغفل ذكر اسمه. ويميل البعض إلى تأريخ هذه البردية باليوم الثانى من شهر يونيو ٤٠٠ق.م، وإلى القول بأن الملك المقصود هنا هو الملك آمون حر وأن إغفال اسمه كان أمرا متعمدا، لأن هوى يهود الفنتين كان لا يزال مع الحكم الفارسى ولأنهم لا يزالون يعللون النفس بعودة هذا الحكم. وتؤكد إحدى البرديات أنه حوالى هذا التاريخ كانت جالية الفنتين اليهودية قد اعترفت بحكم الملك المصرى (١٤) فلم يجد أفرادها بدا من إظهار ولائهم له. وعلى أى لم يكن اليهود يتوقعون أن يلقوا عطفًا من ملوك هذه الأسرة التى حررت مصر من حكم حماتهم الفرس.

ولم يعمر حكم الأسرة الثامنة والعشرين طويلا. إذ قام على أثره حكم الأسرة التاسعة والعشرين التى أسسها الملك نايف عاورود الأول (Nepherites) (٣٩٨–٣٦ق.م) وأصله من تل الربع (مديس) فى الدلتا حيث كان مركز عبادة الإله الكبش. وقد كان طبيعيا أن تولى هذه الأسرة اهتمامها للإله خنوم فى الفنتين مما أكسب كهنته قوة ونفوذا كانا نذيرا بخطر جسيم بتهدد اليهود ومعبد يهوه. فلا عجب أن أفضى عصر هذه الأسرة إلى

اضمحلال جالية اليهود فى الفنتين وتدهورها. وربما ترك اليهود تحت رحمة المصريين وكهنة خنوم الذين وجدوا الفرصة سانحة ليشفوا ما فى قلوبهم من كراهية ضد اليهود وتكرر حينئذ ما حدث لليهود سنة ٤١٠ق.م. ولكن كان هذه المرة بطريقة أشد عنفا بحيث لم نعد نسمع عن تلك الجالية. ويرجح الأستاذ كرايلنج ناشر برديات متحف بروكلين أن عهد الملك نايف عاوورود الأول قد شهد نهاية جالية الفنتين اليهودية وذلك لأن آخر بردية مؤرخة وصلتنا من الفنتين تحدثت عن تولية هذا الملك عرش مصر (١٥).

وهكذا قدر لهذه الجالية أن تختفى بعد عدة سنوات من توارى الحكم الفارسى عن مصر ولعل نكبة يهود الفنتين ترجع إلى أن أكثرهم كانوا أعضاء جالية عسكرية فبادروا إلى إظهار ولائهم للملك الفارسى وشاركوا فى إخماد ثورات المصريين فى حين كان باقى يهود مصر. من المدنيين ولم تكن لهم يد فى مناهضة الثورات المصرية ومن ثم لم يتعرضوا لما تعرض له يهود الفنتين، بل أن هؤلاء استطاعوا أن يجدوا لديهم ملجأ وملاذا.

ومن أجل استكمال الصورة العامة عن جالية يهود الفنتين بقى أن نعرض فى شيء من الإيجاز الجوانب الأخرى المتعلقة بحياة هذه الجالية بقدر ما يمكن استخلاصه من البرديات الآرامية. وهى المرجع الأساسى لدراسة النواحى الاقتصادية والدينية والقانونية لتلك الجالية.

ولا تكاد البرديات تفصح عن نوع التنظيم الذى كانت عليه الجالية اليهودية، وإن كان يتبين من بعض البرديات أن شخصا بعينه يدعى يدونيا بن جماريا yedoniah B.Gemariah(١٦) كان ينوب عن اليهود فى مفاوضة السلطات الفارسية ويقوم أيضا بجمع المال الذى كان يهود الجزيرة يسهمون به من أجل المعبد إذ كانوا يدفعون ضريبة ليهوه. مقدارها شاقلان من الفضة يؤديها للمعبد الرجال والنساء على السواء وتذكرنا هذه الضريبة بالضريبة التى فرضتها الشريعة اليهودية على يهود فلسطين إذ كانوا يدفعون على عهد نحميا ثلث شاقل لمعبد أورشليم، ثم زيدت الضريبة إلى نصف الشاقل. ولما كان يهود الفنتين يدفعون شاقلين، فإن هذا معناه أن الأمر كان أكثر من ضريبة حددتها الشريعة ويقصد به كذلك مواجهة مطالب الجالية فيما يبدو. لكننا لا نعرف مدى التزام يهود الفنتين بصفة خاصة ويهود مصر بصفة عامة بدفع ضريبة نصف الشاقل لهيكل أورشليم. ويرجح بعض المؤرخين (١٧) أن يدونيا بن جماريا كان يشغل منصب رئيس الطائفة وهو يقابل منصب الاثنارخيس (Ethnarches) فى العصرين الإغريقى والرومانى. وسواء أقبلنا هذا الرأى أم رفضناه فإنه مما لا شك فيه أنه كان يسود الجالية نظام معين

يسمح بتحصيل ضريبة خاصة بمعبدها، وأن هذه الأموال كان ينبغى أن يعهد بها إلى هيئة معينة تقوم بالإشراف على شئون المعبد والجالية، ومن الجائز أن هذه الهيئة كانت تتألف من الأحبار. وعلى كل حال يبدو أن هذه الهيئة كانت تقوم بدور مهم وقت الأزمات ومثل ذلك أنه عندما دمر معبد الفنتين بادرت بالكتابة إلى أحبار أورشليم وحاكمها وحاكم السامرة الفارسيين على نحو ما أسلفنا. وأغلب الظن أنه كان يأتى فى مقدمة اختصاصات هذه الهيئة مسائل الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث وكافة الأمور التى يراعى فيها تطبيق أحكام الشريعة الموسوية.

ويبدو أن جالية الفنتين كانت تتمتع من الناحية الاقتصادية بقدر من الاستقرار الاقتصادى والرخاء المادى فقد كانت بعض أسرهم تمتلك العبيد والمنازل، وكان بعض أفرادها يفرضون الأموال بمقتضى صكوك يثبتون فيها سعر الفائدة (١٨) وتقرأ كذلك فى أكثر من بردية عن بيع أو شراء منازل أو حصص فيها أو تنازل عنها. وترينا البرديات أيضا قيام معاملات بين اليهود وغير اليهود من المقيمين فى الفنتين ويسجل عدد من البرديات (١٩) أن بعض أفراد الجالية حققوا نوعا من الترف فى معيشتهم فقد كانوا يلبسون الملابس الصوفية، ويستعملون زيت الزيتون، والدهون والبلسم، ولا نتصور أن الاشتغال بالجندية هو الذى أتاح لليهود كل ذلك.

ولما كانت طبيعة تربة الفنتين تمنع أهلها من ممارسة الزراعة، فلابد إذن من أن المدنيين منهم كانوا يشتغلون بالتجارة مع اثيوبيا والنوبة والسودان، وفى النقل النهرى وجباية المكوس الجمركية على السلع الواردة إلى مصر.

وتساعدنا البرديات الآرامية أيضا فى استجلاء بعض المظاهر الاجتماعية، وكان من أبرزها الأمور المتعلقة بالأسرة من زواج وطلاق وميراث وما إلى ذلك . وتتبين من الوثائق أن الزوج كان يبرم العقد مع وكيل عن الزوجة، كان فى الغالب والدها، وأن الزوج كان يقدم الصداق (المهر) Mohar إلى هذا الوكيل وأن الزوجة كانت تذهب إلى بيت الزوجية ومعها منقولاتها، وأنه فى حالة الطلاق كان من حق الزوجة استعادة هذه المنقولات وأن الزوج يفقد ما دفعه من صداق، بل أنه إذا طرد الزوجة دون مسوغ قانونى فإنه كانت تفرض عليه غرامة جزاء سوء تصرفه. ويرجح أن أحبار المعبد كانوا يفصلون في مثل هذه المنازعات. وتوضح البرديات كذلك أنه كان يحق للزوجة طلب الطلاق وكانت فى هذه الحالة تدفع لزوجها تعويضا مناسبا مع احتفاظها بحقها فى منقولاتها.

ولما كانت المرأة اليهودية فى الفنتين تباشر بنفسها إدارة شئونها الخاصة واستثمار

أموالها، وتسهم مثل الرجل سواء بسواء فى دفع الضريبة الخاصة بالمعبد، ويحق لها طلب الطلاق من زوجها، فإن ذلك كله يدل على سمو مكانتها فى المجتمع اليهودى (٢٠).

وقد يكون من الطريف أن نشير إلى أن بعض البرديات تبين أنه كان من الممكن أن يقوم زواج بين مصرى ويهودية، وبين يهودى وأمه مصرية (٢١) ونظرا لاختلاط الأسماء المصرية بالأسماء السامية يمكن القول بأنه كان هناك قدرمعين من اندماج اليهود بالمجتمع المصرى أو على الأقل التأثر به.

وإذا انتقلنا إلى الناحية الدينية فإننا نجد أن اليهود لم يكونوا على درجة كبيرة من الدقة فى مراعاة تعاليم شريعتهم، إذ تلاحظ عدة أمور جديرة بالاهتمام وهى:

أولا: كانت إقامة معبد الفنتين فى حد ذاتها مخالفة صريحة لهذه الشريعة إذ أن سفر التثنية ينص على ألا يكون لليهود غير هيكل واحد هو هيكل أورشليم ولا يجوز أن تقدم القرابين إلا على مذبحة.

ثانيا: كان اليهود يقدسون بعض الآلهة الوثنية مثل اشم بيتاءل (Anarhberhel) وعنات بيتاءل (Eshemberhel) ويعبدونها إلى جانب ربهم يهوه ويمدونها بالمال مثل ماكانوا يمدون يهوه ولعل هذا الانحراف يرجع إلى تأثيرات أجنبية لعلهم تعرضوا لها أثناء فترة السبى البابلى، أو لعلهم خضعوا لمؤثرات البيئة المصرية المحلية، أو أنهم لم ينزلوا هذه الألهة نفس المنزلة التى كانت ليهوه بل اعتبروها تابعة له وتدور فى فلكه، أو لعل ذلك كان نوعا من التسامح الدينى اضطرتهم إليه ظروف قيام الجالية وسط خليط من الشعوب الوثنية مثل المصريين والفرس والفينيقيين والبابليين كما سبق القول. وتتساءل هل كان مرد هذا التسامح الرغبة فى التعايش السلمى دون أن يخطر على بال اليهود أنه ينطوى على أى قدر من الشرك أو الانحراف (٢٢).

وثمة ناحية أخرى يبدو فيها واضحا أن اليهود أغفلوا أوامر شريعتهم ذلك أنهم كانوا يباشرون Nقراض الأموال بفوائد فاحشة قد تصل أحيانا إلى ٦٠٪ فى السنة وإذا عجز المدين عن سداد دينه فإن الفائدة التى لم تدفع كانت تضاف إلى أصل الدين وفى هذه الحالة كان على المدين أن يدفع ربحا مركبا ولم تقتصر الفوائد على المال المقترض فحسب بل كانت تؤدى أيضا إلى الدائن فى حالة إقراض الحبوب (٢٣).

ومع ذلك فإن القرائن تدل على أن اليهود كانوا يهتمون بمراعاة بعض العادات والتقاليد الدينية عندهم إذ من المحتمل أنهم كانوا يراعون أيام السبت، وأنهم كانوا يحتفلون بعيد الفطير Mazzorh وبعيد الفصح. ولما كان العيد الأخير عيدا رعويا قديما

عند اليهود ومرتبطا بعادة نحر الضأن والماعز، وكان ذلك كما رأينا يثير غضب كهنة خنوم فإن بعض المؤرخين يرى أن الاحتفال بهذا العيد كان يتخذ شكلا يغاير ما اعتاده يهود فلسطين.

أما عن العلاقة الدينية بين أورشليم والفنتين فإن يهود أورشليم لم يرحبوا بقيام هيكل ليهوه فى غيرمدينتهم (٢٤) وتحدثنا بردية آرامية بأن الملك الفارسى دارا الثانى حدد ليهود الفنتين موعد الاحتفال بعيد الفطير والمدة التى يستغرقها هذا العيد. وقد حدا هذا ببعض المؤرخين إلى القول بأن يهود الفنتين لم يعتادوا الاحتفال به فرغب يهود أورشليم وبابل إلى الملك الفارسى أن يحملهم على الاحتفال به حتى تسود الوحدة الدينية فى تلك الاقطار من ناحية المظهر الدينى على الأقل (٢٥) ولا نستطيع أن نؤكد أو ننفى أن يهود الفنتين كانوا يدفعون ضريبة نصف الشاقل إلى هيكل اورشليم، وربماكان أحبار أورشليم غير راضيين بوجه عام عن يهود الفنتين إذ كانت يهوديتهم تجافى الروح اليهودية الصحيحة كما ينبغى أن تكون.

ومما لا شك فيه أن معظم الوثائق القانونية ضمن البرديات الارامية قد كتبت بأسلوب قانونى راق، وأن يهود الفنتين شغفوا برفع الدعاوى شغفهم بتسجيل ما يبرمون من عقود واتفاقات.

ولا شك أنه من الأهمية بمكان فى ضوء هذه الحقائق أن نتبين الاستقلال الذاتى الذى كانت تتمتع به الجالية اليهودية من حيث تطبيق الأسس القانونية التى نص عليها التشريع اليهودى، ومدى خضوع الجالية اليهودية لقضاء الدولة فى إطار نظام الحكم الفارسى بمصر، ونوع المحاكم التى كانت تفصل فى قضايا يكون طرفا النزاع فيها أو أحدهما من اليهود.

وبذلك تكون برديات الفنتين الآرامية قد أمدتنا بمعلومات لها قيمتها عن كثير من جوانب حياة الجالية اليهودية. ولسوء الحظ أننا نفتقر إلى المعلومات التى تمكننا من دراسة أحوال بقية يهود مصر وهكذا يصعب تكوين فكرة شاملة عن كل يهود مصر قبل الفتح المقدونى ومن العسير كذلك أن نتخذ مما نعرفه عن يهود الفنتين أساسا لتوضيح أوضاع اليهود فى مصر كلها.

وأين ذهب يهود الفنتين؟ هل عادت إلى أرض يهوذا تلك القلة التى نجحت؟ يستبعد بعض المؤرخين أن يكون ذلك قد حدث، ويرجح آخرون أن نفرا من تلك الجالية اتجهوا إلى إدفو شمالا إذ عثر على شواهد قبور تحمل كتابة آرامية ترجع إلى القرنين الثالث والثانى

ق.م. وسنعرف فيما بعد أن اليهود فى العصرين البطلمى والرومانى اختصوا بالحى الرابع من أحياء هذه المدينة.

ونتساءل كذلك عماحل باليهود فى الأماكن الأخرى مثل طيبة والأشمونين ومنف التى كانت تتبادل الرسائل مع الفنتين.

هل تحققت نبوءة النبى أرميا وما أنذر به يهود مصر من نقمة وعذاب وتقتيل وتشريد..!

هوامش الفصل الأول

١- سفر «أرميا» اصحاح ٤٢، أيات ١٥-١٧، اصحاح ٤٣، أيات ٢-٧.

٢- G. Ricciotti: the history of israel, vol 1,p. 403 milwauke 1955.

٣- سفر «أرميا» اصحاح ٤٤ اية ٣٠.

٤- g. ricciotti: op.cit, p. 32

٥- د. إبراهيم نصحى: «تاريخ مصر فى عصر البطالمة»، جـ٢ ص١٥٦-١٥٨، القاهرة، ١٩٦٠.

٦- R.weill: un doument orameen de la moyenne egypte rev et. juiv .65, pp. 16- 23

٧- E. kraeling: brooklyn aramic payti,new haven 1953

٨- G. ricciotti: op.cit.p. 128

٩- E,kraeling: op. cit.p.23

١٠- ldem,p.84.

١١- G. ricciotti: op.cit.p 159

١٢- ldem,p.112

١٤- ldem,p.113

١٥- ldem,p.115

١٦- ldem,p.87

١٧- ldem,p.222

١٨- ldem,p.41

١٩- ldem,p.55- 59

٢٠- E, bickerman: beitrage zur antiken urkundgeschichte, arch. pap. vitt. p. 216-233

٢١- E. kraelig:op. cit, p. 52-53

٢٢- ldem,p.84

٢٣- ldem,p.65

٢٤- ldem,p.107

٢٥- ldem,p.92

الفصل الثاني
حادثة الخروج.. والقرصنة التاريخية!

الخروج «exodus» – «la sortie» هى محور تاريخ اليهود، وهى اللحظة التى ولد فيها بنى إسرائيل كجماعة دينية، وهى النموذج الذى يؤكد قدرة الأساطير اليهودية على الدمج الوثيق بين العناصر القومية والدينية والتاريخية التى تشير إلى العلاقة بين العهد القديم والأرض المقدسة و«الشعب المختار».. فى توافق يشكل فى النهاية المنطق الروحى لليهودية السياسية!.

وتبرز أهمية الخرافة والأسطورة فى خلق الإطار النفسى العنصرى اليهودى، وبشكل يتجاوز الحقيقة التاريخية.. من خلال الفكر الصهيونى الذى يثير دائما فى تفسيراته وتوجهاته: مشاعر التفوق وادعاء التميز والاستعلاء على شعوب الأرض لديمومة البقاء اليهودى، وتتضخم الذكريات الدينية والسياسية بتوالى الازمان وتعاقب الاجيال، ويجعل الفكرالحاخامى العنصرى من هذا البقاء «اختيار إلهى» و«إرادة الهية لا قدرة للبشرعلى مقاومتها».. وبأن الله قد «اختار اليهود كى يطهروا العالم كله من الشوائب والظلمات».. ومثل هذه الآراء، لابد أن توثر على الجماعات اليهودية، فكرا وسلوكا، بانتمائها إلى «الشعب المقدس» و«الشعب المعجزة» وتصبح الدولة اليهودية وسيلة لتحقيق «الرسالة الخاصة» لليهود!.

ويصف العالم اليهودى «س. فرويد» فى كتابه « اليهودية– موسى والتوحيد» ادعاءات

اليهود بالتمايز والقداسة بأنها خرافة و«.. تلك حالة لانظيرلهاعلى الاطلاق فى تاريخ العقائد الدينية، فلم يحدث قط أن اختارالله عابديه»!!

ولا يمكننا دراسة التأثير المصرى على العقيدة اليهودية، دون الرجوع إلى آراء «فرويد» (١) التى تتلخص فى أن موسى عليه السلام مصرى الدم والعقيدة، وليس يهوديا كما يزعم اليهود، وأهم الأسس التى اعتمدها فرويد: اسم موسى ونشأته وتعلمه وأعماله قبل خروجه من مصر، ثم أثر ذلك بعد الخروج، وزعامته للطوائف التى خرج بها، وأسلوبه فى سياستها وإلزامها بعقيدته، وانقطاع الصلة بينه وبين الأصول الإسرائيلية التى يدعى اليهود نسبته اليها.

ويشير المؤرخ اليهودى «فلافيوس يوسيفوس» الذى عاش فى القرن الأول الميلادى، فى كتابه «تاريخ اليهود القديم» إلى أن موسى كان حاكما وكاهنا مصريا، وكان أيضا من كبار قادة الجيش المصرى و«.. لا صلة فى دم أو فى نشأة أو ثقافة أو زواج بينه وبين بنى إسرائيل الذين سبقواعصره بنحو ستمائة عام.. ولا صلة فى الدم أو فى الثقافة كذلك بين جماعته الذين خرج بهم من مصر، وبنى إسرائيل الذين كانوا عند هجرتهم من فلسطين إلى مصرأسرة واحدة، عدد أفرادهانحو السبعين، فلابد أنهم- فى خلال تلك القرون الستة قد ذابوا فى المصريين والهكسوس الذين فتحوا مصر من خلال ذلك وظلوا يحكمونها، إلى أن طردهم أمراء مصر..».

وقصة الخروج، مازال يحيط بها قدر هائل من الغموض، فالوثائق المصرية لا تتضمن مجرد إشارة عابرة لهذا الحدث التاريخى المهم، وكان لعلماء المصريات والدراسات الشرقية آراء متباينة فى هذا الموضوع، فيقول عالم المصريات الألمانى الشهير «هنريك برجش» فى محاضرة عام ١٨٧٩: «قضيت من عمرى ثلاثين عاما فى دراسة تاريخ وآثار مصر القديمة، وقد استحوذ على تفكيرى بداية أن أربط بين ماجاء فى التوراة عن خروج بنى إسرائيل من مصر، وبين ما يمكن أن نجده مذكورا فى بعض النقوش أو الوثائق، ومع تقديرى لماورد فى الكتب المقدسة، أرى نفسى مقصرا إذا تغاضيت عما هو ثابت منها فى المجال الأثرى حتى تتكون لدى قناعة بصحة ما ورد فى الكتاب الثانى من أسفارموسى.. وخروج بنى إسرائيل من مصر هو أهم أحداث هذا الشعب».

ويشير عالم المصريات الكبير د. «رمضان عبده» فى كتابه «تاريخ مصر القديمة» أن بعض علماء الدراسات المصرية القديمة قد اتجهوا دون الاعتماد على نصوص أثرية مصرية- إلى أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد حدث فى عصر الهكسوس، ورأى بأنهم

خرجوا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة، وبالتحديد فى عهد الملك تحوتمس الثالث، بينما يذهب البعض إلى أن الخروج قد حدث فى عهد ابنه امنحتب الثانى، وعلى رأسهم المؤرخ «مانيتون» (٢).. ورأى آخر بحدوثه فى عهد امنحتب الثالث.

أما عالمة المصريات الشهيرة «نوبلكور» (٣) فى كتابها Ramses le grand فتذهب إلى رأى مخالف، فتقول بأن حادثة الطرد أوالخروج، قد تمت فيما بين العام العاشر والعام الثامن عشر من حكم رمسيس الثانى، رغم أنه ليس هناك أية وثيقة تشير إلى ذلك، وأن اسم موسى هواسم من أصل مصرى، ونشأ فى بلاط الملك، وكان بعض اليهود قد تلقوا علومهم فى المدارس المصرية، وكان سيدنا موسى يتمتع بحماية خاصة من الملك حور محب الذى كان مشغولا بمشكلات الآسيويين فى مصر، وقام الملك سيتى الأول بتشييد الحصون فى شرق الدلتا، وشيد قصره فى «قنطير» التى أصبحت العاصمة فى عهد رمسيس الثانى..

وكان سيتى الأول يضطهد اليهود فى «بيثوم» وهرب موسى إلى «مدين» بعد مقتل أحد زبانية الاضطهاد وتزوج من ابنة كاهن مدين فى غرب وادى عربة – إيلات، ثم عاد موسى إلى مصر، عقب تولى رمسيس الثانى عرش مصر، وطلب منه أن يذهب مع شعبه لعمل تضحية فى الصحراء، ولكن الملك رفض طلبه، فكان ذلك سببا فى بداية الصرا ع، وحدث هذا الطلب بين السنة الخامسة والسنة السابعة من حكم رمسيس الثانى، ومن خلال تلك السنوات شاعت القلاقل على الحدود الشرقية لمصر، وتمادى الملك فى اضطهاد اليهود.. وبدأ الخروج من مدينة رمسيس واتجه اليهود إلى وادى الطميلات، جنوب خليج السويس، وهو طريق خال من التحصينات، ويبدوأن الصدام مع جيش فرعون قد حدث فى المناطق الضحلة فى كليسما– Clysma» على البحر الأحمر، وهنا حدثت معجزة انشقاق مياه البحر، ثم اتجه موسى عقب ذلك إلى صحراء النقب فى سيناء..

وفى الواقع، أن كل هذه الآراء لاتعتمد على مصادر أو شواهد أثرية مؤكدة لكى تدعمها، بل على العكس، ظلت المصادر الأثرية والنصوص المختلفة حتى يومنا هذا على صمتها إزاء هذا الموضوع، الذى أصبح يمثل مشكلة من مشاكل تاريخ مصر القديمة!

فى اليوم الرابع عشر من الشهرالأول من السنة العبرية «نيسان– أبريل» يحتفل اليهود بعيد الفصح: ذكرى نجاة موسى وقومه من فرعون وخروجهم من مصر، وذكرى الخروج هى فى وعى اليهودى دائما وعندما يجتاز عتبة بيته ويضع يده فى مستوى معين من العتبة العليا للباب، حيث وضعت مخطوطة تحتوى أربعة نصوص من التوارة تذكره بـ«جذوره

التاريخية»!.. فهذه العتبة مثبتة فى الحقيقة عند «باب التاريخ البشرى» كما زعم المؤرخ «رافائيل درائى» (٤) أستاذ التاريخ والدراسات اليهودية بجامعة اكس بروفانس ومؤلف كتاب «La sorrie » الذى حاول أن يؤكد بأن الخروج من مصر: لم يكن مجرد عبور للبحر فى عملية هروب مضطربة، ولكنه كان مسيرة واعية واضحة/ لم يكن فقط خروج جغرافى، بل هوخروج فكرى ونفسى/ عبور من العبودية إلى الحرية/ مفتتح الحرية/ تحطيم للسجن/ أساس التاريخ/ خروج عن مذاهب الدولة والأفكار والشعارات الرسمية/ خروج عن الأنظمة الاقتصادية والأيديولوجيات الميثولوجية/ خروج إلى الذات.. نحو المكان والزمان!!

وقد بذل المؤلف جهدا ملحوظا فى التحليل اللغوى، وتفسير الممارسات الشعائرية والكوارث العشر التى أصابت المصريين والظواهر الطبيعية والاصطلاحات الفلكية التى ارتبطت بالتعبير عن ظواهر طلوع القمر ومساره، وإرجا ع آيات سفر الخروج إلى أصولها اللغوية العبرية.

إلا أننا نسجل تحفظاتنا تجاه بعض الآراء الغير مقبولة منطقيا، منها على سبيل المثال: ادعائه بأن «موسى هو الذى فرق البحر وليس الله!».. ومسألة بحر الرمال أو الرمال المتحركة نقلا عن تيودور الصقلى وتسرابون، رغم ورود لفظة البحر صريحة فى التوارة وفى القرآن الكريم.. ووصفه لملك اله باسم «بوزيريس» بأنه كان آكلا للحوم البشر! فى حين لم يذكر لنا التاريخ أن واحدا من فراعنة مصر القديمة كان من أكلة لحوم البشر .. ليس إلا الطعن فى أول من أبدعوا علما وفكرا إنسانيا حضاريا، فضلا عن أنه لم ترد إشارة فى مصدر تاريخى عن اله من آلهة المصريين القدماء بهذا الاسم!.

وقصة الخروج تستعرضها التوارة فى «سفر الخروج» ووقائع الحدث نفسه فى الفصل الثانى عشر من هذا السفر، الذى يفيض حقدا رهيبا على الشعب المصرى، وفيه جعلوا الههم يهواه ينكل بالمصريين فى صورة عمليات انتقامية دامية، ردا على جميل الإقامة لنحو خمسة قرون نعموا من خلالها بخيرات مصر، وهى الخيرات التى ندموا على تركهاعندما عانوا الأهوال والجوع والتشرد فى التيه. واقرارهم فى كتابهم المقدس بأنهم كانوا عبيدا وخدما للمصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت فى البريه ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر، حيث كنا نجلس عند قدور اللحم ونأكل من الطعام شعبنا فلم أخرجتمانا إلى هذه البرية لتقتلا هذا الجمهور كله بالجوع»! والحديث موجه إلى موسى وأخيه هارون.. وأخلاق القوم المتوارثة تدل عليهم.. وصنع بنو إسرائيل- كما أمر موسى-

فطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا، وآتى الرب الشعب حظوة فى عيون المصريين فأعاروها لهم وسلبوا المصريين»

وقصة موسى وقومه تحدث عنها القرآن الكريم فى مواضع كثيرة، واشارات لوقائع الحدث:عندما أوحى الله إلى موسى أن يضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، ونجاته ومن معه، وغرق فرعون وجيشه.. فى سورة البقرة، الآيتين ٤٩، ٥٠ والآيات ٩٠-٩٢ من سورة يونس، والآيات ٧٧- ٨٠ من سورة طه، والآيات ٦٠-٦٦ من سورة الشعراء..

حول فرعون الخروج.. والحقائق التاريخية:

وإزاء الادعاءات والافتراءات التى روج لها مؤرخو الصهيونية، وبعض المستشرقين وعلماء المصريات الأجانب، بشأن تاريخ اليهود فى مصر القديمة، والمزاعم الخاصة بإسهاماتهم الحضارة وقصة بناء الأهرام وقصةالخروج.. كان لزامًا على علمائنا الأفاضل الرد على هذه المزاعم والأباطيل التى طالت رموز من تاريخنا وحضارتنا المصرية القديمة.

وإننى أحيل القارئ والباحث على كتاب: تاريخ مصر القديمة ومظاهر حضارتها ودحض ما قيل بشأنها من مزاعم وأباطيل وهو بالأساس ورقة عمل قدمها أ.د. رمضان عبده بعنوان مواجهة محاولات تشويه الصفحات المجيدة فى تاريخ المصرى عبر العصور «إلى شعبة» التراث الحضارى والأثرى» بالمجلس القومى للثقافة والفنون والآداب والإعلام بتاريخ ٢٨ منأكتوبر ٢٠٠٧ وفى كتابه هذا، عرض لستة مزاعم وأباطيل تناولت بالمغالطات والتشويه المتعمد لتاريخنا فى مصر القديمة، وهذه المحاور هى على النحو التالى:

١- المزاعم والأباطيل الصهيونية حول بناء المجموعة الهرمية وملحقاتها بالجيزة.

٢- المزاعم والأباطيل الصهيونية حول قبائل الشاسو وصلاتهم ببنى إسرائيل.

٣- المزاعم والأباطيل الصهيونية حول شخصية الوزير عبريا الذى كشف عن مقبرته حديثًا.

٤- المزاعم والأباطيل الصهيونية حول الوجود اليهودى قديمًا على حدود مصر الشرقية.

٥- المزاعم والاباطيل الصهيونية حول مومياء رمسيس الثانى وكونه فرعون الخروج.

٦- المزاعم والاباطيل الصهيونية حول ما يسمى بلوحةغسرائيل!

ومن هذه المحاور، التى تناولها العالم الكبير بالدرس والتحليل للمصادر الأثرية والنصوص التاريخية، كان لزاما أن أعرض المحور الخامس وهو فصل الخطاب فى قضية

فرعون الخروج وذلك الحدث الكبير فى تاريخ مصر القديمة، ثم المحور السادس الذى عرض بالأدلة والبراهين على المزاعم الصهيونية الخاصة بما سمى خطأ لوحة إسرائيل:

– المزاعم والأباطيل الصهيونية حول مومياء رمسيس الثانى وكونه فرعون الخروج والرد عليها بالأدلة والبراهين.

تبنى هذا الزعم الباطل العديد من الباحثين الأجانب منهم فيرمان ومدام ديروش نوبلكور ولالويت. وكان أكثرهم تحمسا هى مدام نوبلكور فقد ذكرت فى مؤلف صدر لها بالفرنسية عام ١٩٧٦ بمناسبة معرض رمسيس الثانى فى باريس، وظهر تحت عنوان: ramses le grand رميسى العظيم.

وتذكر فى ص p.xxviii إن الخروج حدث بين العام العاشر والثامن عشر من حكم رمسيس الثانى. ولم تعتمد مدام نوبلكور فى هذا الرأى على أى مصدر أثرى مؤكد أو أية حقيقة تاريخية، والغريب أنها تعترف بذلك فلماذا إذن تبنى مثل هذه الآراء؟ وقد اشترك مع مدام نوبلكور فى كتابة محتويات فصول هذا الكتاب باحثون فرنسيون آخرون ومنهم من ساند هذا الرأى وأيده.

ففى المقدمة صxxxvii ذكرت مدام نوبلكورحرفيا:

إنه بدون شك أنه في خلال هذه الفترة، التى تقع بين العام العاشر والثامن عشر، من الأفضل تسجيل الخروج فيها. والحقيقة إنه ليس هناك أية وثيقة مصرية تشير إليه. وإذا حاولنا خوض المشكلة لكى نحاول تفسير الأحداث التى وقعت، فهناك بعض التفاصيل التى لا يمكن ذكرها فاسم موسى، بالتأكيد من أصل مصرى، فهو يتشابه مع المقطع الثانى والثالث من اسم رمسيس.

وكان هناك أجانب وساميون وعبرانيون، انعزلوا فى مناطق الحدود المصرية، واستقرواكمثقفين بالقرب من الحريم الملكى فى مرور فى الفيوم.

وكان هناك عبرانيون آخرون وبدو انتشروا فى كل مكان فى الشرق القديم، وأصبحوا مستقرين فى مصر وأصبحوا مميزين عن البدو المشاغبين من الشاسو، واستخدموا كلية، هذه الفترة فى زراعة الكروم وصناعة الطوب اللبن. ونعلم أيضاً من خطاب مهم من عصر الرعامسة أنهم كانوا يعملون مع جنود الملك فى سحب الأحجار نحو صرح قصر رمسيس الثانى.

وبعد ماكتبته مدام نوبلكور خصصت الباحثة الفرنسية آن مارى لويرت anne- marie loyrette فى نفس المؤلف السابق فصلاً كاملاً فى المقدمة عن الخروج فى ص p.xlll- xlvi.

وتذكر الباحثة فى صp.xlll إلى أن الخروج حدث فى بداية القرن الثالث عشر ق.م. وتقول حرفيًا: تاريخ موسى، هذاالابن لليفى، اسم من أصل مصرى معروف، تربى فى بلاط فرعون حتى سن الرجولة، وفقه فى كل حكم المصريين، وهذا الأمر لم يكن غريبًا. فكان ذلك شائعًا بين الساميين الذين استقروا فى مصر، فقد اختير بعضهم بعد تميزهم لكى يتأهلوا فى المدارس البعيدة فى الدلتا. وهناك نصوص تشهد بذلك. وبمجرد تألقهم، كانوا يلحقون بمناصب فى الإدارة المصرية لكى يستخدموا فى تنظيم العلاقات مع الساميين. وكان موسى يتمتع بحماية خاصة من الفرعون. وكان الملك حور محب مشغولا بمشكلة الآسيويين فى مصر. وبمجرد انتهاء موسى من تعليمه، رجع إلى عشيرته. وفى هذه الفترة قام سيتى الأول بتشييد خط من التحصينات فى الدلتا وأيضا قصره فى قنطير «الذى سوف يصبح مقرا للعاصمة تحت حكم رمسيس الثانى».

وكانت الأيدى العاملة التى استخدمت فى هذه الأعمال قد جندت من القبائل السامية والقبائل الرحل. وفى هذه اللحظة انضم موسى إلى عشيرته، وانفجرت الأحداث، وقيامه بالهروب إلى مدين بعد مقتل أحد حراس السخرة، وزواج موسى من ابنه كاهن مدين، وفترة شعلة النار هى الفترة التى تلقى فيها موسى الوحى الإلهى وتلقيه الأمر بأن يخرج العبرانيين من مصر. وعودة موسى إلى مصر كانت سهلة بسبب صعود فرعون جديد هو «رمسيس الثانى».

وموسى كان شخصية عظيمة فى مصر، وكان ذو حظوة عند رجال بلاط الفرعون وعند الناس «واقترب من فرعون وطلب منه أن يرحل مع عشيرته لمدة ثلاثة أيام من السير فى الصحراء لعمل تضحية، واعترض فرعون على ذلك ورفض كلية، واندلع الصراع. ويرجع سبب الرفض إلى أن طلب موسى كان يقع بين العام الخامس «حملة قادش الأولى» والعام الثامن «الحملة الأخرى» لرمسيس الثانى، وهى الفترة، التى اندلعت فيها عدة بؤر للثورة بالقرب من المكان الذى اختير للتضحية، قرب الحدود الشرقية.

وأدى رفض الفرعون إلى تصعيد المعجزات وزادت الجروح، التى رد عليها الفرعون بتكثيف السخرة فى بيتوم و«مدينة» رمسيس ومرة أخرى، فإن وجود مصادر متعددة يلقى بظلاله على القصة. والجرح الآخر، هو وفاه الأطفال الرضع الذى أصاب فرعون نفسه فى ابنه الأكبر، وكان من نتيجته هو طرد العبرانيين، وفى مصادر أخرى تتحدث عن هروب..».

وفى صp.xliv أعطتنا الباحثة خريطة تفصيلية للطرق المقترحة للخروج وإقامه العبرانيين «فى مصر» قبل دخول أرض الميعاد.

وتقول فى صp.xlv هرب موسى من مصر، ولم يتخذ طريق التحصينات وكان آلفا للصحراء، فخرج من وادى الطميلات نحو جنوب الخليج، طريق خالٍ تماماً من التحصينات ووقع الاحتكاك بالجيش المصرى فى مكان قريب من المياه الضحلة فى كليسما clysma.. وبعد أن ترك مصر، قاد موسى العبرانيين فى سيناء..

وإنه تحت حكم الفرعون الكبير «رمسيس الثانى» ظهرت ممالك جديدة: آدوم سعير، مؤاب، وعممان، فى اللحظة التى كان فيها الملك المصرى مشغولا بمشكلة الحيثيين. وبسرعة، نظرا للخطر الجديد الذى تمثله هذه الممالك قرر رمسيس الثانى أن يتدخل فى هذه المناطق بعد إبعاد تهديد الحيثيين، ويقع هذا بين العام العاشر والثامن عشر من حكمه..

وللرد على كل من مدام نوبلكور والباحثة لويرت نقول:

كيف يحدث الخروج وما تبعه من أحداث بين العام العاشر والثامن عشر من حكم رمسيس الثانى. لأننا نعلم أن رمسيس الثانى عمر حتى سن الخامسة والثمانين أو أكثر «العمر قرابة -٩٠-١٠٠ سنة» وحكم حوالى ستة وستين عاما من عام ١٣٠١ إلى عام ١٢٣٥ ق. م. تقريبا. معنى ذلك أنه حكم بعد العام الثامن عشر ثمانية وأربعين عاماً أخرى فطبقا لأقوال مانيتون أن حكم الملك رمسيس الثانى استمر ٦٦ عاماً وشهرين.

وتذكر مدام نوبلكور أنه حكم ست وستين سنة وعشرة شهور تماماً، وتعطينا لوحة من عصر رمسيس الرابع والتى عثر عليها فى أبيدوس ومؤرخة بالعام الرابع من حكمه أن هذا الأخير كان يأمل فى حكم طويل مثل الملك وسرماعت ستب إن رع، المعبود العظيم، فى سنته السابعة والستين.

كما انه ليس هناك دليل أثرى واحد يؤكد أو حتى يشير من قريب أو بعيد إلى أن هذا الملك هو فرعون الخروج.

وتحقيقاً لأهدافها التى تخدم أغراضها استغلت مدام نوبلكور علاقتها الطيبة بالمسئولين المصريين لمحاولة العمل على سفر مومياء رمسيس الثانى إلى باريس لفحصها.

وكان من وراء سفر المومياء ثلاثة أهداف رئيسية:

١- معالجتها من البكتريا التى ظهرت بين الأرجل والكعبين وفى الكتف اليمنى وفى التجويف الباطنى.

٢- محاولة معرفة المزيد عن أسرار طرق التحنيط من جهة وأسباب الوضع الذى آلت إليه المومياء ومعرفة تركيبات ومحتويات مواد التحنيط والمواد الأخرى.

٣- محاولة التوصل إلى معرفة السبب الحقيقى لوفاة الملك هل كانت وفاة طبيعية نتيجة تدهور صحة الملك بسبب كبر سنة أم أنه توفى بسبب احتباس التنفس بسبب الغرق على اعتبار أنه فرعون الخروج..

وبالفعل أحيطت المومياء بكل الرعاية اللازمة، على اعتبار أنها أول مومياء ملكية سوف يتم فحصها بأحدث الأجهزة العلمية والطبيةعلى أعلى مستوى.. ثم سرد عالمنا الكبير بشىء من التفصيل نتائج الفحوص العلمية والطبية التى أجريت على المومياء، والمواد التى استخدمت فى تحنيطها، وتجدر الإشارة إلى أن فريق العمل كان مكونا من ١٠٥ باحثًا و٢٠ مؤسسة ومركز ومعهد علمى!

ثم عرض لرأى «فوبلكور» و«عبد المنعم عبد الحليم» القائل بأن: جثة رمسيس الثانى قد استخرجت من البحر بعد هلاكه..

«هناك حقيقة ذات أهمية كبيرة اتضحت عندما نقلت مومياء الملك إلى باريس عام ١٩٧٧ لترميمها، وهى وجود نوع من رمال صحراء شرق الدلتا عالقة بها. وقد استنتج الباحثون الفرنسيون أن رمال شرق الدلتا قد علقت بالجثة أثناء تحنيطها تحنيطًا أوليا فى أحد أماكن مدينة رعمس فى شرق الدلتا»!

ولا يتفق د. رمضان مع رأى كل منهما وذلك:

لأن حبات الرمل لا تعد مصدراً أثرياً يعتد به. وتذكر دكتورة جوزيت تورنك فى تقريرها عن «حبيبات الرمل التى وجدت عالقة بالمومياء». إنها تشبه حبيبات الرمال الموجودة فى الأقصر وأن هذه الرمال دخلت المومياء عند إعادة وضعها فى مكانها الجديد فى خبيئة الدير البحرى على يد كهنة الاسرة الحادية والعشرين.

وحقيقة أخرى مهمة وهى أن المومياء أصابها جفاف شديد ولهذا كان من الصعب أو من المستحيل على العلماء الفرنسيين رغم تلك التجارب والفحوصات بأحدث الأجهزة التوصل إلى أن الملك توفى نتيجة asphyxie de la noyade احتباس التنفس بسبب الغرق ولكن تلك التجارب والفحوصات أثبتت حقيقة جلية وهى تدهور صحة الملك بسبب كبر سنه وأنه لم يتعرض لأى حادث طارئ أودى بحياته فى هذه السن المتقدة. وأمكن بفضل التصوير الإشعاعى الجاف رؤية بقايا عضلات وشرايين دم الملك والتى كانت مسدودة كلية.

١١- وهناك حقيقة مهمة، وهى أن آيات القرآن الكريم تؤكد لنا فى أكثر من سورة أن المسئول الحاكم أو الفرعون الحاكم قد غرق هو ومن معه جميعًا بعد حدوث معجزة انفلاق

البحر أو اليم:

البقرة: الآية ٥٠، الأعراف: الآية ١٣٦،الأنفال: الآية ٥٤، يونس: الآية ٩٠، الإسراء: الآية ١٠٣، طه: الآية ٧٨، الشعراء: الآية ٦٦، القصص: الآية ٤٠، الدخان: الآية ٢٤، الذاريات: الآية ٤٠.

وقبل أن يدركه الغرق أعلن الفرعون الحاكم إيمانه مصداقًا لقوله تعالى فى سورة يونس: الآية ٩٠.

«وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل». ثم أمر الله عز وجل بأن يرفع بدنه مصداقًا لقوله تعالى:

«فليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية».

قال ابن عباس وغيره من السلف فى تفسيره لهذه الآية:

«إن بعض بنى إسرائيل شكوا فى موت فرعون، فأمر الله سبحانه وتعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح، ليتحققوا من موته وهلاكه، ولهذا قال تعالى: «فليوم ننجيك» أى نرفعك على نشر من الأرض «ببدنك»، قال مجاهد، بجسدك وقال الحسن بجسم لا روح فيه، وقوله «تكون لمن خلفك آية»، أى لتكون لبنى إسرائيل.

دليلا على موتك وهلاكك وأن الله هو القادر، وجاء فى سفر الخروج: أن ملك مصر «؟» قد مات وتنهد بنو إسرائيل»!

ونقول فى النهاية أنه رغم كل هذه التحاليل والفحوصات والدراسات الدقيقة التى جرت على هذه المومياء ومومياوات أخرى غيرها لآدميين وحيوانات وطيور وزواحف وغيرها من كائنات إلا أن العلم الحديث لم يكشف عن كل أسرار عملية التحنيط التى كانت من بين أسرار الكهنة، ولم يترك المصريون القدماء أى وثيقة تحكى لنا المواد والخطوات التى أتبعها المحنطون المصريون وهم يقومون بهذه العملية. ومما لا شك فيه أن بعض المواد التى استخدمت لم يعد لها وجود فى البيئة المصرية فى زمننا الحالى.

– المزاعم والأباطيل الصهيونية حول «اللوحة ذات النصين» أو ما يسمى خطأ بلوحة إسرائيل– والرد عليها بالأدلة والبراهين:

وهى معروضة بالمتحف المصرى تحت رقم cg34025 فى الرواق الشرقى. وتعتبرهذه اللوحة من بين عشرة آثار مهمة ترجع إلى عصر الملك مرنبتاح، وكان قد عثر عليها الأثرى اليهودى الإنجليزى بترى عام ١٨٩٦ فى معبده الجنائزى بالبر الغربى، وكان هو أول من

أطلق عليها التسمية الخطأ لوحة إسرائيل اعتماداً على قراءته المحرفة لاسم يسيريارو الذى جاء فى السطر ٢٧ على أنه يعنى إسرائيل ومن هذا التاريخ عرفت هذه اللوحة بهذه التسمية الخطأ حتى الآن.

وقد ظهرت ميول هذا الأثرى الصهيونية فى تأليفه بعدها لعدة كتب ربط فيها بين تاريخ مصر القديم وإسرائيل منها:

بحوث فى سيناء ظهرت عام ١٩٠٦، الهكسوس والمدن الإسرائيلية عام ١٩٠٦، مصر وإسرائيل عام ١٩١١، غزة القديمة «فى خمسة أجزاء» فى عامى ١٩٣١-١٩٣٢، وسيناء عام ١٩٣٧. وبعد أن قام بحفائر عديدة فى مصر. أجرى حفائر فى تل الحصن إلى الشمال من غزة ثم أكملها بليس بين عامى ١٨٩١ و١٨٩٣، ثم قام بترى بعمل حفائر فى تل العجول الذى يبعد ٧ كم إلى الجنوب من غزة فى عام ١٩٣٠ حتى عام ١٩٣٤، ثم استأنفها عام ١٩٣٨.

لقد أثار ما جاء فى السطر ٢٧ فى النص الخاص بالملك مرنبتاح على ظهر اللوحة، والذى يتكون من ٢٨ سطرا الكثير من الآراء وذلك بسبب الاسم الذى جاء فى هذا السطر وقراءته بواسطة أغلب علماء المصريات على أنه يشير إلى إسرائيل أو قبائل إسرائيل أو قوم إسرائيل أو الشعب الإسرائيليين.

وقد قام عالمنا الكبير: بدراسة منفصلة تحليلية لهذا النص المكون من ٢٨ سطرا باللغة المصرية القديمة، لكى يضعنا جميعا أمام مصداقية النص الذى كتبه المصرى القديم، دون أى تحريف أو خطأ، حتى لا ننساق وراء أوهام وخيالات تداعب أحلام الصهاينة، حتى فى مجال البحث العلمى!

ويضيف د. رمضان عبده:والسؤال الذى يجب أن نطرحه الآن بعد كل هذه الترجمات والتفسيرات والذى ربما يدور فى مخيلة كل دارس لتاريخ مصر القديم هو:

هل هناك صلة بين أحداث حملة مرنبتاح على فلسطين التى أشير إليها فى السطرين ٢٦-٢٨ ووقائع خروج بنى إسرائيل من مصر أو وجود دويلة لإسرائيل فى فلسطين فى هذه الفترة؟

اتجه علماء الدراسات المصرية القديمة والدراسات الشرقية بالإدلاء بعدة آراء بخصوص هذا الموضوع، فيرى بعضهم دون الاعتماد على نصوص أثرية مصرية أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد حدث فى عصر الهكسوس، وظهر رأى آخر يفيد بأنهم خرجوا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة، وبالتحديد فى عهد الملك تحوتمس الثالث، وآخرون يعتقدون أن خروجهم حدث فى عهد امنحتب

الثانى وذلك على أساس ذكر اسم الأسرى العابيرو فى نصوصهما لأول مرة، مع تقريب هذا الاسم إلى العبرانيين، وهذا ما لم يتأكد بعد.

وكان مانيتون أول من وضع خروج بنى إسرائيل في أثناء حكم امنحتب الثانى. كما أن هناك من الباحثين من يرى أن ذلك حدث فى عهد امنحتب الثالث، ووصل الأمر ببعضهم الآخر إلى القول بأن خروجهم من مصر كان على أثر وفاة امنحتب الرابع. وظهر رأى حديث يرى أن الاضطهاد حدث فى عهد الملك رمسيس الثانى والخروج على يد ابنه مرنبتاح «٦».

وذلك اعتماداً على الفقرة التى جاءت فى السطر رقم ٢٧ على الاثر رقم٦ «أى اللوحة السابق ذكرها ضمن آثار مرنبتاح» والتى جاء عليها: و«عنصر» اليسيريارو سحق ولم يعد له بذور.. وقد قرأ أغلب العلماء الاسم يسيريارو بـإسرائيل.

وقد اعتمد أكثر العلماء على القراءة الخطأ لهذه الفقرة للحديث عن الخروج فى عهد هذا الملك وإبداء الآراء المتعددة التى لا تدعمها الوثائق أو الأدلة الأثرية.

كما أن عنوان المؤلف إسرآئيل فى مصر هو عنوان مغرض لأنه يعنى وجود إسرائيل فى شبه جزيرة سيناء أى دولة داخل دولة، وهذا لم يحدث على الإطلاق طوال عصور مصر التاريخية، راجع فيما سبق، المحور الرابع، ص٨٤-٩٥».

ويرى بعض العلماء أن خروج بنى إسرائيل من مصر فى عهد مرنبتاح يعد امرا يكاد يكون مستحيلا، وذلك لعدم توافر الأدلة الأثرية الكافية لإثبات وجودهم فى مصر فى عهد هذا الملك.

ولقد جاد فى المزامير ٤٣، ١٢، ١٣٨ ما يفيد أن الحوادث التى سبقت الخروج قد وقعت فى تانيس.

وقد جاء فى سفر التكوين حين أعلن الرب «يهوه» على إبراهيم ما يلى:

أعلم علم اليقين أن نسلك سيقيمون فى أرض ليست أرضهم، وسيصبحون عبيداً هناك، وسوف يضطهدون مدة أربعين عاماً؟ والقصة التى جاءت فى التوراة كما نسخها فيما بعد الكتبة اليهود، تمثل بعض الإسهاب الدينى للظروف الضخمة التى صاحبت هذا الخروج!

وفى الواقع أن كل هذه الآراء لا تعتمد على مصادر أو شواهد أثرية مؤكدة لكى تدعمها، ولم نجد حتى الآن نقشاً أو نصاً واحداً على الآثار المصرية والمصادر التاريخية تؤيد أى رأى من هذه الآراء أو تدفعنا لإبداء رأي جديد، بل على العكس ظلت المصادر الأثرية والنصوص المختلفة حتى يومنا هذا على صمتها إزاء هذا الموضوع.

وحقيقة أخرى أنه لم يكن لبنى إسرائيل أى وجود أو أى دور فى شبه جزيرة سيناء.

لأنه لم يعثر على أى بقاياأثرية التى تدل على هذا الوجود. ففى نهاية القرن الماضى قامت بعثة الاكتشافات الأثرية الإنجليزية بعمل حفائر فى شرق الدلتا. ولم تعثر على بقايا أثرية لجماعات الخروج. أو على أى أثر مادى آخر. كما اهتم علماء الدراسات الشرقية وبعثات الحفائر التابعة لها والمعاهد العلمية فى أوروبا وأمريكا بالبحث عما يؤكد ما ورد فى العهد القديم عن بقايا أثرية تنسب إلى تاريخ اليهود القديم وكان هدف أغلبهم من وراء ذلك سياسيًا أكثر منه علميًا، ولكن لم تحقق هذه الحفائر الغاية منها.

وفى أعقاب عدوان إسرائيل على مصر واحتلالها لسيناء فى ٥ من يونيو ١٩٦٧ اغتنمت الفرصة وجندت البعثات الأثرية اليهودية بالاشتراك مع بعثات أجنبية أخرى فى عمل حفائر فى مناطق مختلفة فى سيناء ووصل عدد هذه البعثات فى الفترة من ١٩٦٧ إلى بداية عام ١٩٧٣ إلى حوالى ١٣ بعثة أهمها بعثات جامعات تل أبيب وبئر سبع والقدس. ولكن كل هذه الحفائر على أرض الواقع لم تفسر عن أى شىء يربط بين عناصر الخروج وسيناء.

يلاحظ أيضًا أغلب علماء الدراسات المصرية القديمة أجانب ومصريين يسمون هذه اللوحة خطأ بـ«لوحة إسرائيل» وهذا يخالف ما جاء على وجهى اللوحة من نصوص فهى تحتوى فى وجهها الأمامى على نص من عهد الملك امنحتب الثالث يسجل فيه أعماله بالنسبة لمعبده فى البر الغربى ومعبدى الأقصر والكرنك والقارب المقدس. وعلى ظهرها نص آخر من عهد مرنبتاح يتحدث فيه عن حملتيه الحربيتين على الحدود الغربية والشرقية، ولهذا فمن الأفضل تسميتها إما بـ«اللوحة ذات النصين» أو« لوحة نصى امنحتب الثالث ومرنبتاح»، أو «لوحة نصى أعمال امنحتب الثالث وانتصار مرنبتاح».

والواقع أن اسم إسرائيل لم يرد إلا فى المصادر غير الوثائق التابعة للكتاب المقدس إلا بعد منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حين ذكر أن ميشع ملك مؤاب حارب إسرائيل.

وأن ما جاء فى نص «مرنبتاح» ليس له صلة على الإطلاق بأحداث الخروج، وذلك لأننا نعلم أن الظروف التى مهدت للخروج، وأسبابه، معروفةفى آيات القرآن الكريم، وتلك المعجزة التى وقعت في خلال الخروج، فكلمات خروج أو خرج أو طرد لم ترد فى نص اللوحة بالنسبة لعنصر اليسيرايرو أو عنصر سهل جزريل، ولم يذكر النص أى تتبع للملك لهذه القبائل من داخل الحدود المصرية، ولم يذكر النص أيضًا أية معجزة حدثت، ولم يذكر النص أى عناصر لبنى إسرائيل!

والآن كيف يكون مرنبتاح هو فرعون الخروج طالما أنه قام بحملته على فلسطين فى العام الرابع أو الخامس، فلو أنه غرق لما ذكر اسمه على بردية انستاسى رقم ٦ والمورخة

بالعام الثامن من حكمه، كما أن لدينا آثارا مؤرخة بالعام العاشر من حكم مرنبتاح إذا كان الملك قد غرق فى أعقاب خروج بنى إسرائيل لما قيل له فى نهاية السطر ٢٨ على: لوحة مرنبتاح هذه الدعوة:

معطى الحياة مثل رع يوميا« والدعو نفسها ذكرت فى نص الكرنك «الأثر رقم ٤، السطر ٧٩»: معطى الحياة مثل رع أبديا، أى أنه كان لا يزال على قيد الحياة. ونقول أيضاً إذا كان الملك قد غرق لظهر تأثير ذلك على موميائه التى عثر عليها فى مقبرة امنحتب الثانى عام ١٨٩٨ بواسطة لوريه الذى قام بفك لفائفها سميث فى يوليو ١٩٠٧ ثم أعاد فحصها لوكاس وقد رأى روخر أنه كان بدينًا بحكم اتساع جلد البطن والفخذين والوجنات وكان يعانى مثل والده من أمراض الأسنان، وأنه مات عجوزاً، والمومياء لم يصبها تلف كبير».

هذه هى بعض النقاط التى أردنا من ورائها توضيح عدة أمورة بالنسبة لما أثير حول نص مرنبتاح بخصوص حقيقة عنصر اليسيريارو وهم سكان سهل جزريل وكانوا من أصل شعوب البحر التى كانت تبحث باستمرار عن إمكان استقرار لها على حدود مصر الغربية والشرقية وليس لهذا العنصر أى صلة ببنى إسرائيل أو يدل على وجود لدويلة إسرائيل قبل عصر مرنبتاح غرب فلسطين كما ادعى البعض، وليس لهذا النص أيضا أى صلة بموضوع الخروج من قريب أو بعيد. وقمنا بتحليل هذا النص ووضعه فى إطاره التاريخى الصحيح وذلك لكى نضع للقارئ العادى والمؤرخ المتخصص أمام حقيقة فهم النص، حتى لا ينساق وراء آراء هى من ضرب الخيال أو تفسير قائم على ترجمة خاطئة، وتوهم حقائق أو أحداث لا تقوم على حقائق تاريخية أو نصوص أو نقوش أثرية مؤكدة ، بل على العكس نجد أن جميع المصادر الأثرية والنصوص المختلفة سواء من قبل عصر مرنبتاح بمدة طويلة أو من بعده بمدة قصيرة أو نصوص من بلاد الشرق الأدنى القديم ظلت على صحتها إزاء هذا الموضوع الذى أصبح عدم التوصل إلى حقائق فيه يمثل مشكلة من مشاكل تاريخ مصر القديم حتى ظهور أدلة أثرية جديدة تكشف لنا عن شخصية فرعون الخروج، وهل كان ملكًا أو وزيراً أو حاكماً لإقليم؟ وما صاحب عهده من أحداث جسام ولكن هذا يعد من المستحيلات.

ويذكر د. فخرى: ولكن تحقيق هذا الموضوع من تاريخ العبرانيين واحتساب الزمن، ثم جاء من نتائج التنقيبات الأثرية فى فلسطين جعل خروج بنى إسرائيل فى عهد مرنبتاح أمراً يكاد يكون مستحيلا ويجب أن يكون فى عهد الأسرة الثامنة عشرة كما يذكر د.

صالح: ولكن لم تتوافر حتى الآن أدلة كافية لإثبات خروج بنى إسرآئيل فى عهد هذا الفرعون أو نفيه، ويبدو أن قرائن النص أقوى من قرائن الإثبات فيه.. ولا زالت القضية بغير حل مرضى حتى الآن.

ولهذا كله كان لا يصح الاعتماد على ترجمة خاطئة للاسم يسيريارو والسير وراء العلماء الأجانب للإدلاء بآراء غير منطقية بالنسبة لتخيل قيام دويلة أو مملكة صغيرة قبل قيامها الفعلى بأربعة قرون تقريبا على أرض فلسطين أو ربط حادث الخروج بما جاء فى السطر ٢٧ من لوحة مرنبتاح دون الاعتماد على أدلة أثرية أو نصوص تاريخية مؤكدة ليبدو غير منطقى ما أدى إلى قيام العديد من النظريات والآراء البعيدة كل البعد عن واقع الأحداث وحقائق التاريخ.

لقد أضفى اليهود على أمانيهم ورغباتهم «قدسية إلهية» تستر ما يخفونه من تآمر وحقد دفين ضد الشعب المصرى خاصة، وشعوب الأرض جميعا، والفكر الصهيونى المغرق فى عدائه للتاريخ وتسخيره لخدمة الأهداف الصهيونية، مازال يعمل على بث مفاهيم وادعاءات زائفة باستخراج نصوص توراتيه يبرر بها جرائمة، و «التوظيف السياسى للتاريخ» قاعدة ثابتة فى الفكر الإسرائيلى المعاصر.. يؤكدها المؤلف بقوله: «.. مصر التى تركوها تؤسس نفسها مرة أخرى فى قلب مملكة إسرائيل»!! كما وصفها بأنها مقبرة التاريخ البشرى».. «ماذا فيها حاليا من ديانات توحيدية أخرى: المسيحية، الإسلام وممارسات استعبادية وتبريرات لاهواتية»!!

والكيان الإسرائيلى يعيش تعاليم وأفكار صهيونية، فيقول أشير جنزبرج: « سيسود شعبنا كل الشعوب الأخرى، إن إسرائيل هى الأمة العليا التى تملك القدرة على التوسع وعلى أن تصبح سيد العالم، وما خلقت الأمم الأخرى إلا لتخدم هذه النخبة المختارة»!

أما الفيلسوف هربرت شيفى لا يكتفى بهذا الفكر المتواضع!..

فيذهب إلى القول بأن «إسرائيل هى الخالق الثانى للعالم، إلا أن الإسرائيليين يعملون بصورة جوهرية وبسرعة أكبر من سرعة الإله عند الخلق الأول للعالم»!!.. إلى هذا الحد يعتقد اليهود أن قدرتهم تفوق قدرة الله!.. كما صورت لهم شياطينهم!

وتستمر القرصنة التاريخية لحساب الأيديولوجية العنصرية الصهيونية لافتعال تاريخ لما يسمى بالشعب الإسرائيلى».

واصطناع « حضارة إسرائيلية».. فأحلام الصهاينة المدمرة التوسعية الإجرامية.. تتلاءم مع أحلامهم فى غزو التاريخ!

هومش الفصل الثانى

١- س. فرويد: «اليهودية فى ضوء التحليل النفسى» ترجمة : عبد المنعم الحفنى- القاهرة ١٩٧٢.

٢- De wit:The Data and Roule of the Exodus, p.20 1960

٣- descroches- niblecourt: Ramses le grand,p. xxviti-xlv 1976.

٤- Rafael Draie:la Sortie, paris, 1990

٥- رموز من تاريخ مصر القديمة ومظاهر حضارتها ودحض ما قيل بشأنها من مزاعم وأباطيل، رمضان عبده على، المجلس الأعلى للآثار، القاهرة ،٢٠٠٩.

الفصل الثالث
يهود مصر فى عصر البطالمة

كانت مصر تحت حكم البطالمة من بين الدول الهيلينستية التى استوعبت عددا كبيرا من يهود الشتات «١» الذين هاجروا من يهوذا وانتشروا على نطاق واسع فى تلك الدول، وقد أسلفنا أن اليهود كثيرا ماهبطوا مصر فى فترات من تاريخها القديم فوجدوا فيها الحياة الرغدة الآمنة التى كانوا ينشدونها، ولم تكن مصر لتخلو تماما من اليهود فى بداية العصر البطلمى، ومن المرجح أنه كانت لا تزال بها بقايا بعض الجاليات اليهودية من العصر الفارسى «٢»، وأن هجرة اليهود الجديدة دفعتها وبعثت فيها الحياة من جديد، وعلى أى حال فإن اليهود انتشروا فى شتى أرجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة، كان أبرزها جالية الإسكندرية دون شك، وقد نقل اليهود إلى تلك المدينة– التى أصبحت فى وقت وجيز من أهم مدن العالم الهيلينستى– نشاطهم الفكرى والاقتصادى مماجعل منها مركزا من أهم مراكز اليهودية حتى أنه كان لا يقل خطورة وأهمية عن أورشليم أو بابل يوم أن كانتا من أهم تلك المراكز فى العالم القديم «٣»، ويكفى أن نذكر أن جالية الإسكندرية أخرجت ليهود العالم المنتشرين فى كثير من أنحائه الترجمة الإغريقية للتوراة، أو بعبارة أخرى التوراة فى صورتها الإغريقية، ومن الإسكندرية انساب اليهود إلى كثير من أقطار البحر الأبيض المتوسط وأصبحوا عنصرا مهما من عناصر سكانه.

ويشير المؤرخ اليهودى «يوسفيا» «٤» «أو يوسيفوس» إلى أن الإسكندرية عندما كان يحاصر صور، بعث إلى الحبر الأعظم فى أورشليم يطلب إليه أن يمده بجند يعينونه على حصارها، فأبى عليه الحبر ذلك تعبيرا عن ولائه للملك دارا الثالث، وعندئذ ثارت ثائره الإسكندر وأقسم أنه سيعطى يهود أورشليم، فى شخص حبرهم، درسا لن ينسوه، وعندما تقدم الإسكندر إلى أورشليم بعد استيلائه على غزة أوجس الحبر الأعظم منه خيفة، ولكن أوحى إليه أن يتخذ وزملاؤه الأحبار ملابس بيضاء وأن يكونوا فى استقبال الإسكندر خارج المدينة، وما أن رأى الإسكندر الحبر الأعظم حتى هرع إلى تحيته، وقد فسر الإسكندر لمرافقيه سبب تصرفه على هذا النحو الذى أدهشهم، بأن هذا الحبر تراءى له فى منامه فى مقدونيا مبشرا أباه بالنصر على الفرس!.. وبعد ذلك ذهب الإسكندر مع الحبر الأعظم إلى هيكل أورشليم حيث قدم القرابين إلى رب اليهود، وعرض عليه اليهود سفر دانيال الذى تنبأ فيه هذا النبى بأن أحد الأغارقة سيقضى على إمبراطورية الفرس «انظر سفر دانيال ٧-٦» ورحب اليهود بالخدمة فى جيشه عندما عرض عليهم ذلك وأقطع الجند السامريين الذين صحبوه إلى مصر، أرضا فى إقليم طيبة، وعهد إليهم كذلك بأعمال الحراسة فى هذا الإقليم، وقد أضاف اليهود فى العصر الهيلنيستى إلى سيرة الأسكندر المنسوبة إلى كاليسثينس ps callisthenes قصة أخرى عن زيارة الأسكندر أورشليم، وهى وإن كانت تختلف عن رواية يوسفيا فى التفاصيل إلا أنها تنتهى إلى نفس النهاية.!

وإذا قارنا بين ما يرويه يوسفيا عن خدمة اليهود فى جيش الإسكندر وبين ما يذكره آريانوس «arrianos» (٥) من أن بعض اليهود انضموا إلى جيش الإسكندر وذهبوا معه إلى مصر ثم غادروها إلى آسيا، فإن هذا يعنى أنهم جاءوا إليها وخرجوا منها، ولكنهم لم يستقروا بها.

ينبغى ألا نعول كثيرا على ما ذكره يوسفيا، إذ أن ذلك لا يعدو أن يكون ضربا من ضروب الدعاية التى حذقها اليهود فى العصرين الهيلنيستى والرومانى وعملوا على ترويجها دون أى اهتمام بالحقائق التاريخية. وكانت هذه الدعاية تهدف، بين ما تهدف إليه إلى أن تنشر بين الناس أن اليهود كانوا موضع عطف الإسكندر وحبه وأنهم كانوا يقيمون فى الإسكندرية منذ اللحظة الأولى التى أنشئت فيها هذه المدينة، ليتخذ اليهود من هذه المزاعم دعامة قوية يرتكز عليها مادعوه لأنفسهم من حقوق وامتيازات كان مصدرها الإسكندر نفسه «٦».

وكان من بين العبيد الذين جلبهم معه بطليموس الأول إلى مصر- بعض اليهود بمحض

رغبتهم بعد أن لمساواعطف الملك، الذى أدرك من ناحيته امكانية استخدام اليهود فى جيشه، فنقل أعدادا منهم ومنحهم إقطاعات ليستقروا فى مصر كالإغريق والمقدونيين!.. وكان أن اجتذبت الحياة الجديدة فى مصر هجرات يهودية وفدت لتنعم بخيرات البلاد.

وبصفة عامة لم يكن المهاجرون الأوائل الذين أتوا إلى مصر فى الفترة الأولى من الطبقات الممتازة فى «مملكة يهوذا» أو من الطبقات التى كانت قد تأغرقت بشكل واضح، بل كانوا فلاحين بسطاء وأسرى حرب وجندا مرتزقة وأجراء يعملون فى الزراعة أو رعى الماشية، وقد عمل الأسرى منهم فى الخدمة العسكرية أو أقطعوا أرضا زراعية كما فعل بطليموس الثالث عندما أنزل فى أراضى الفيوم التى استصلحت حديثا من أسرى اليهود الذين أتى بهم بعد انتهاء حملته فى سوريا. ولا تتوقع لقوم على هذه الشاكلة أن يكون لهم أى نفوذ أو تأثير فى مجريات الأمور فى البلاد.

ولذلك فإن هذه الفترة تمتاز بأن اليهود كانوا يعيشون فى هدوء وسلام ولم يحدث شىء من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بينهم وبين جيرانهم من الإغريق أو المصريين بل أنهم عملوا على اكتساب ثقة البطالمة الذى فتحوا أمامهم أبواب العمل فى الوظائف الحكومية وفى الجيش وفى مختلف المهن والحرف، وتعتبر هذه الفترة أيضا مهمة جدا بالنسبة لتاريخ اليهود فى مصر لأنها كانت بالنسبة لهم فترة استقرار بطىء فى أرض جديدة وفى بيئة غريبة عنهم بعض الشىء، فنشطوا إلى إقامة البيع «المعابد» وتشكيل الجاليات وتوفير البيئة المناسبة لحياتهم طبقا لتعاليم التوراة وكانت البيع وبصفة خاصة بيعة الإسكندرية «المعبد الكبير» بمثابة المراكز التى يتجمعون حولها ويديرون منها شئون دينهم ودنياهم. وإذا تحدثت مصادرنا عن معبد لليهود فى مكان ما، فإن هذا معناه أنه كانت تقوم لليهود فى هذا المكان جالية منظمة ونسب إلى هذه الفترة ترجمة التوراة إلى اللغة الإغريقية. وفى هذا دلال على أن اللغة الإغريقية حلت محل اللغة العبرية أو الآرامية فى معاملات اليهود (٧) فيما بينهم وفى التفاهم مع جيرانهم بحيث استدعى الأمر ضرورة التعجيل بترجمة التوراة إلى اللغة الإغريقية.. وبإيجاز فقد استمر استقرار اليهود فى مصر البطلمية نحو مائة سنة نعموا فيها بالحماية والازدهار.. إلى أن تدخلت الصراعات السياسية و«خياناتهم» المعتادة لتحيل حياتهم إلى نوع من الاضطراب وعدم الاستقرار!.

ففى سنة ٥٥ ق.م اتخذ تدخل اليهود فى شئون مصر مظهرا خطيرا وذلك أنه فى تلك السنة اقتحم جابينيوس حاكم سوريا الرومانى حدود مصر الشرقية ليعيد بطليموس الثانى عشر أو ليتس إلى عرشه. وبفضل حامية يلزيوم اليهودية التى أفسحت الطريق أمام

الجيش الرومانى إطاعة لأوامر انتيباتر «والد هيرود الأكبر» استطاع جابينيوس أن ينجح فى مهمته بكل سهولة. وتخلى اليهود عن برينيكى الرابعة التى كان رعاياها من الإغريق راضين عن حكمها!

وفى سنة ٤٧ ق.م عندما كان يوليوس قيصر محاصرا فى الإسكندرية جاءت إلى نجدته حملة رومانية كان يقودها مثراداتيس البرجامى- كما يشير د. إبراهيم نصحى (٨) وقد كان فى إمكان حامية ليونتوبوليس اليهودية أن تقف فى وجه الجيش الرومانى لولا أنه أبرز خطابا فى أتنيباتر بأن يبذل يهود مصر المساعدات لهذا القائد. وهكذا للمرة الثانية استطاع جيش رومانى الوصول إلى الإسكندرية بفضل مساعدة اليهود. وقد كان من الطبيعى أن يحقد الإسكندريون على اليهود وألا يغفرون لهم هذه الخيانة المتعمدة فى المرتين!!.

ويخبرنا يوسف بعد ذلك بأن كليوباترة السابعة- آخر ملوك البيت البطلمى- عندما قامت بتوزيع القمح على مواطنى الإسكندرية فى إحدى المجاعات التى المت بها استبعدت اليهود باعتبارهم غير مواطنين وقد حمل عليها يوسف بسبب ذلك.

ولا يبعد أن تكون كليوباترة قد لمست بنفسها من الشواهد ما يدل على أن اليهود كانوا يقفون فى صف خصومها وعلى كل حال فإنهم وقفوا منها موقفا سلبيا فى صراعها اليائس مع أوكنافيانوس. ذلك الصراع الذى أنهى حكم البطالمة لمصر (٩) وهكذا خذل اليهود الإسكندر للمرة الثالثة. وكان من الطبيعى أن تشتد روح العداء ضد اليهود وأن تتوتر العلاقات بينهم وبين الإغريق، وأن تنطوى صدور الإسكندريين على حقد دفين لليهود بسبب تلك الخيانات المتتالية!!.

وإذا جاز القول أن تأييد اليهود للجانب الذى تؤيده روما فى الصراع الأسرى فى البيت البطلمى كان بمحض الصدفة فكيف تفسر الخدمة التى أسدوها لقيصر والترحيب الذى استقبلوا به أوكتافيانوس، قاهر كليوباترة وسليلة البيت الذى طالما أسبغ النعم عليهم؟ فى رأينا أن الأمر لم يكن صدفة بل أن اليهود، وقد فطنوا إلى أن حكم البطالمة آخذ فى الضعف والتدهور وأن الأمر سيؤول فى النهاية إلى روما عاجلا أو أجلا، رأوا مصلحتهم فى المسارعة إلى كسب ود حاكم الشرق الجديد. ولا عبرة عندنا بنوايا الرومان وإنما العبرة بتلك الخيانة التى ارتكبها اليهود وهم الذين وكل إليهم البطالمة مهمة الدفاع عن الحدود الشرقية!!.

الحياة الاقتصادية والاجتماعية

كان اليهود أحد العناصر التى شجعها البطالمة على الوفود إلى مصر، والاعتماد عليهم لتثبيت دعائم حكمهم، وليكونوا سندا لهم فى استغلال ثروات البلادوتنمية مواردها.. ولنتتبع جوانب من نشاط اليهود فى مصر البطلمية.

١- الخدمة فى الجيش والشرطة

كانت الخدمة فى الجيش من أبرز الأعمال التى مارسها اليهود عقب مجيئهم إلى مصر (١٠) إذ أن وضعهم كأسرى لم يحل دون استخدام عدد منهم فى حاميات الحدود، أو ارسالهم فى عهد بطليموس الأول إلى «برقة» لتقوية قبضته على تلك البلاد، وقد خدم اليهود فى فرق المشاة والفرسان على حد سواء، ووصل بعضهم إلى رتبة الضباط، ومنهم من تولى مناصب قيادية بالجيش البطلمى مثل «خلكياس، و«أنا نياس».

وتشير بعض المصادر التاريخية إلى احتمال أن رئيس الشرطة فى «اثريب» كان يهوديا، ولا تستبعد أن فئة رجال الشرطة الذين كانوا تحت إمرته كانت تضم بعض اليهود وتنص إحدى البرديات على أن أحد اليهود كان يعمل شرطيا phylakites فى قرية -he phaistios فى إقليم الفيوم وأن يهوديا آخر كان حارسا phylax يقوم بحراسة مخازن الغلال بفيلادلفيا «١١».

وكان لليهود نصيب فى أعمال الحراسة على النيل «potmophylakia» وربماكانت هذه المهمة تشمل تحصيل المكوس الجمركية. وفى رأى «فلكن» أن الموظفين الذين يدعون «حراس النهر» كانوا موظفين من قبل الإدارة المالية ولا شأن لهم بأعمال الحراسة «١٢».

مناصب كبرى:

ولم يقتصر نشاط اليهود فى خدمة الحكومة البطلمية على النواحى العسكرية والشبيهة بالعسكرية فقد كان منهم بعض كبار رجال البلاد الملكى فى العاصمة وكذلك بعض كبار الموظفين فى مختلف فروع الإدارة الحكومية وخاصة فى الإدارة المالية.

ومن أمثلة الشخصيات اليهودية البارزة دوسيثيوس dositeos ابن دريمولوس -drimy los كان يمثل مكان بارزة فى بلاط الملك بطليموس الثالث وبطليموس الرابع، فقد كان فى عام ٢٤٠ ق.م سكرتيرا للملك كما كان هاهنا لـ« الملوك المؤلفين» الإسكندر وبطليموس الثالث..

ويبرز يهودى آخر يدعى أونياس كان موظفا كبيرا فى الإدارة البطلمية ويرجح أنه كان

قائدا strategos فى إقليم هليوبوليس وقد سجلت إحدى البرديات خطابا رقيقا موجها إليه من هيرودس herodes وزير مالية بطليموس السادس فيلومتور الذى عرف عنه الميل إلى اليهود ويستلفت النظر بوجه خاص أن يتحدث الوزير إلى أونياس عن صحة الملك والملكة وأطفالهما.. حتى أن بعض المؤرخين يذهب إلى أنه لم يكن مجرد موظف كبير بل لابد أنه كان أيضا أحد أفراد البلاط الملكى!.

النشاط المالى:

وتمدنا الأوستراكا «١٣» من مصر العليا بمعلومات كثيرة عن دور اليهود فى الشئون المالية ويلاحظ أن غالبيتهاترجع إلى عصر بطليموس السادس (١٨٠- ١٤٥ق.م) وبطليموس الثامن يورجتيس (١٤٥- ١١٦ ق ق.م)

وتنبئنا هذه الاوستراكا بأن بعض اليهود كانوا يشغلون منصب مديرى البنوك trape-zitai إذا كان منهم مدير بنك «diospolis magna» فى طيبة ومدير بنك فى قفط. كماتنبئنا بأن بعضهم كان يتولى الإشراف على مخازن التبن achutothekai ونتبين من هذه الاوستراكا أيضا أن بعض اليهود كانوا يعملون ملتزمين لجباية بعض الضرائب مثل: ضريبة النقل فى النيل، وصيد الأسماك وزراعة الكروم والنخيل، والمراعى، وصناعة النعال!

ويرى «تشير يكوفو» (١٤) أن العمل فى التزام الضرائب كان يجلب على مزاولية كراهية الأهالى فضلاعن أنه لم يكن عملا مربحا بالقدر الذى كان يغرى اليهود بالاشتغال به نظرا للرقابة الدقيقة التى كانت مفروضة على الملتزمين لأن الدولة كانت لا تسمح لأى فرد بأن يثرى عن طريق غير قانونى. ويفسر هذا المؤرخ السبب الذى حدا بثراه اليهود مثل سيمون بن العازار، الذى رددت اسمه الأستراكا من طيبة، إلى القيام بهذا العمل بأن ممارسته كانت تتيح للملتزمين اليهود نوعا من النفوذ يدنيهم من المكانة التى كان الإغريق يتمتعون بها فى المجتمع فى القرى والأقاليم بفضل تلك المناصب الكبرى فى الإدارة المحلية التى سبقوا اليهود إلى شغلها.

اشتغالهم بالربا:

ولماكنانقرأ فى بردية من العصر الرومانى، أن تاجرا إغريقيا حذر زميلا له فى الإسكندرية من اليهود، ولعله يقصد تحذيره من المرابين اليهود. فإنه يبدو بجلاء أن بعض يهود الإسكندرية على الأقل كانوا يعملون مرابين ويجنون أرباحا طائلة من وراء استثمار أموالهم بإقراضها بفوائد باهظة لمن كانوا فى حاجة إليها من رجال الأعمال!!.

النشاط الحرفى

يؤكد «جوستر» «١٥» على أن التلمود قد أشار إلى وجود ما يمكن أن نسميه بلغة العصر «نقابات مهنية» خاصة بالصناع والحرفيين اليهود فى الإسكندرية !.. منها صناعة النسيج، والتجارة والفخار، وصناعة النبيذ.

النشاط الزراعى

كان هناك أيضا يهود يعملون فى شئون الزراعة (١٦) ويأتى فى مقدمتهم أرباب الإقطاعات من الجند اليهود الذين استوطنوا ريف مصر وكانوا أبرز العناصر اليهودية فى القرى واوسعها ثراء، وكغيرهم من أرباب الإقطاعات من الأجانب كانوا يجمعون بين صفتهم العسكرية وبين عملهم فى الزراعة وقد تحولت إقطاعاتهم بمضى الزمن إلى ملكيةخاصة يتوارثهاابناؤهم. وكانوا يقومون باستغلال أراضيهم بأنفسهم أو يعرضونها للإيجار مقابل ايجار ثابت يؤدى لهم.

وإلى جانب أرباب الإقطاعات نجد كثيرين من الفلاحين اليهود العاديين ممن يقومون على زراعة الأرض فى إقليم الفيوم ومصر العليا إذ أننا نجد فى الفيوم يهودا كان بعضهم يستأجرون أرضا يزرعونها لحسابهم وبعضهم يعملون لحساب غيرهم بوصفهم أجراء georgoi ومنهم من عمل كذلك فى تربية وتجارة الماشية.

مما سبق يتضح لنا أن اليهود فى مصر البطلمية كانوا مندمجين فى المجتمع.. ومارسواحياتهم فى حرية تامة فى مختلف المجالات والأنشطة.. حتى تبوأوا المكانة الثانية بعد الإغريق فى ذلك العصر!.

التنظيم الطائفى والقضاء.

سمح البطالمة لليهود بتكوين جاليات قومية «politeuma» (١٧) مثل غيرهم من العناصر الأجنبية ونعرف أن الملك البطلمى كان يصدر مراسيم تنظيم قيام تلك الجماعات وتحديد عضويتها وحقوق أفرادها حتى نالت الصفة الشرعية التى تمكنها من مباشرة نشاطها وحياتها القومية. ويمكن أن تتصور أن أهم الحقوق التى حصل اليهود عليها كانت الحق فى أن يعيشوا طبقا لشرائعهم المتوارثة وقوانين آبائهم tois patrio,s nomois chresthai وبعبارة أخرى قوانين موسى أى أن التوراة كانت القانون الأساسى الذى التزمته الجاليات اليهودية فى مصر.

ويشير المؤرخ «سترابون» «١٨» بأنه كان على رأس الجالية اليهودية رئيس ethnarch-

es يباشر سلطات إدارية وقضائية واسعة كما يرجع بعض المؤرخين أن هذه الجالية كانت تضم مجلسا يسمى : synedrion على غرار ماعرفته التنظيمات اليهودية فى أورشليم.

ونخلص إلى القول بأن هذه الجالية كانت تباشر اختصاصات قضائية وادارية ومالية ودينية ومن حقها أن تتولى إدارة ممتلكاتها وهذا يعنى أنها اكتسبت الصفة القانونية وأن الدولة قد اعترفت بشخصيتها المعنوية «١٩» ويعنى هذا أن اليهود كانوا يتمتعون داخل جالياتهم تلك بقدر كبير من الحرية والاستقلال الذاتى فهل كانوا يطمعون بعد ذلك إلى أن تكون لهم حقوق المواطنة فى الإسكندرية.

ولقد أثار المؤرخ يوسفيا الجدل بين المؤرخين المحدثين عندما زعم أن اليهود كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة فى الإسكندرية..!

وهذا الزعم كان يستتبع إما أن يكون اليهود قد خرجوا عن دينهم أو أنهم على الأقل قبلوا أن يشركوا عبادة آلهة المدينة مع عبادة يهوه. ونحن نشك فى أن اليهود سواء المتحرر منهم أو المتزمت. كانوا يقبلون التخلى بسهولة عن شريعتهم فى مقابل أن يصبحوا مواطنين فى المدينة، ومما يقوى هذا الشك أننا لم تعثر على أية وثيقة من العصر البطلمى ذكر فيها اسم يهودى من الإسكندرية مقرونا باسم حى من أحيائها « ٢٠» ومن الطريف أن كاتب السفر الثالث من كتاب المكابيين ذكر أن بطليموس الرابع فيلومباتور عرض على اليهود أن يصبحوا مواطنين فى الإسكندرية بشرط قيامهم بعبادة الإله ديونيسوس ولكنهم رفضوا. فسلط عليهم نقمته وفتنهم فى دينهم وشاء الرب أن يثوب الملك إلى رشده فأذن لليهود أن يقتلوا كل يهودى استجاب للإغراء وصبأ عن دينه.

لو كان الدين أمرا ثانويا بالنسبة لليهود ولم يروا بأسا فى التضحية به فى سبيل الحصول على مواطنة الإسكندرية لجاءت قصة اضطهادهم على نحو آخر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو كان اليهود يتمتعون بحقوق المواطنة منذ عهد الإسكندر والبطالمة الأوائل لما كان فى عرض فيلوباتور ما يغريهم بترك دينهم. والواقع أن هذا العرض يدل على أنهم كانوا لا يتمتعون بهذه الحقوق وأنهم كانوا يتحرقون شوقا إلى الفوز بها.

على أية حال لم يكن نيل حقوق المواطنة فى الإسكندرية يمثل أهمية كبيرة ليهود الإسكندرية فى العصر البطلمى بعكس الحال فى العصر الرومانى «٢١» حيث كانت هذه الحقوق هى السبيل الوحيد لرفع اليهود من الهوة التى انحدروا إليها نتيجة لخضوعهم لضريبة الرأس التى فرضت عليهم ووضعتهم فى نفس المرتبة مع المصريين وأبعدتهم عن الإغريق الذين كانوا فى نظرهم لا يفضلونهم فى شىء.

والثابت لدينا أن كتاب العصر الرومانى مثل فيلون ويوسف هم الذين أثاروا الجدل الكثير حول مسألة حقوق المواطنة وحق اليهود فى الحصول عليها ولا نكاد نعثر فى المخلفات الأدبية فى العصر البطلمى على شىء خاص بهذه الحقوق فى ذلك العصر. وإنما هم كتاب العصر الرومانى الذين أرادوا أن يثبتوا حق يهود عصرهم فى التمتع بحقوق المواطنة فى الإسكندرية لأنهم اكتسبوا هذا الحق منذ إنشاء الإسكندر هذه المدينة. ولذلك لجأ كاتب مثل يوسف إلى كل وسيلة ممكنة لاثبات أن اليهود كانوا مواطنين فى الإسكندرية مثل الإغريق سواء بسواء!

كذلك انتشر اليهود داخل أقاليم وقرى مصر، حيث أسسوا البيع أو مراكز العبادة، وكان لهذه المراكز الدينية دور مهم أيضا فى حياتهم الاجتماعية هذه التجمعات كانت تتخذ شكل الجاليات وإن لم يكن لها اسم «البوليتوما».. وكان أكثر الاسماء شيوعا التى اطلقت على أماكن العبادة: **proschuche** و **synagoge** الذى يطلق على بعض المعابد اليهودية حتى يومنا هذا.

ويمكننا القول بأن اليهود فى مصر كانوا من حيث الوضع القانونى على درجات، فيهود الإسكندرية انتظموا مثل غيرهم من الإغريق غيرالمواطنين والأجانب فى جالية ولكنهم لم يرقوا إلى مرتبة المواطنين، وسمحت الدولة لبعض جماعات منهم فى الريف بتشكيل جاليات من المرجح أنها لم ترق إلى مستوى جالية الإسكندرية لكن ليس من المستبعد أنها تمتعت بقدر من الحقوق والامتيازات ثم يأتى فى المؤخرة اليهود المنتشرون بين جنبات الوادى فى إعداد قليلة وكانوا فى نفس الوضع الذى كان عليه المصريون.

كذلك تجدر الإشارة إلى اهتمام يهود الإسكندرية بنوع من الكتب اليهودية عرفت باسم أبو كروفا «**apocrypha**» (٢٢) وحرصوا على نقلها إلى اللغة الإغريقية، وكان واضعوها يهدفون إلى نقد الأوضاع الظالمة التى يعيش فيها اليهود، وإلى إشاعة الأمل فى مستقبل أسعد..

وقد كان اليهود يألفون هذا النوع من الأدب عندما كانت بابل وأشور تهددان بالقضاء عليهم قضاء مبرما، وما لبثوا أن عادوا إليه فى الشطر الثانى من حكم البطالمة كرد فعل للضغط الذى أحسوا به والكراهية التى احاطت بهم عندما أثاروا حقد إغريق الإسكندرية عليهم!

ومن المرجح أن يهود مصر البطلمية كانوا قبل أسلافهم يهود الفنتين على قدر كبير من المرونة وأنهم قد تأثروا تأثرا واضحا بالبيئة المحيطة بهم وأنهم لم يروا بأسا فى التخلى

على شريعة موسى حيث اضطرتهم الظروف إلى ذلك حتى لا يقفوا بمعزل عن الحياة المتدفقة من حولهم وإذا كانت الدولة لم تشأ أن تحرمهم من حق تطبيق قوانينهم فى مسائل الأحوال الشخصية فإنهم كثيرا ما كانوا يفضلون الاحتكام إلى القانون الإغريق.. وإذا كان اليهود أنفسهم لم يستمسكوا بشريعتهم، بمعنى أن تطبيق هذه الشريعة لم يكن شائعا حتى بين اليهود، فإننا نستبعد أنه كان لهذه الشريعة من الأثر بحيث يتأثر بها المصريون والإغريق فى معاملاتهم.

وإذاكان هذا الخليط غير متجانس من اليهود الذين وفدوا إلى مصر البطلمية قد ألفوا بسرعة- البيئة الجديدة - وتحققت لهم فيها حياة مستقرة «٢٣»، وحقق البعض منهم حياة رغدة، وتمكن البعض الآخر من الوصول إلى مكانه مرموقة فى البلاط الملكى، إلا أنهم كانوا على قدر كبير من التفاوت من الناحية الاجتماعية سمة كل عصر، وإذا كانت البرديات الأرامية قد أشارت إلى سماح البطالمة لهؤلاء اليهود بتشكيل جالية كانت تتمتع بقدر لا بأس به من الاستقلال المالى والإدارى والفضائى «٢٤» وخصوصهم بالحى الرابع من أحياء المدينة، فمعنى ذلك أن اليهود كان فى إمكانهم مباشرة حياتهم الخاصة دون أى تدخل من جيرانهم أو أى إكراه من الدولة، وكان لديهم كل المقومات التى تمكنهم من إقامة مجتمع يهودى متماسك.. ونتساءل هل انطوى اليهود على أنفسهم داخل معابدهم وفى نطاق جاليتهم، وقصروا إقامتهم على الحى الرابع ونأوا بأنفسهم عن المجتمع الإغريقى فى المدينة؟ وماذا كان موقفهم من الحضارة الهيلينستية وحياة المدينة المتأثرة فى شتى مظاهرها بتلك الحضارة؟ وهل كان فى إمكانهم تجاهلها وهم يعيشون فى عاصمتها ويشهدون كل يوم شتى مظاهرها مثل تلك المهرجانات الوثنية والمواكب الصاخبة التى تخترق شوارع المدينة حاملة صور إيزيس وسيرابيس وديونيسوس، وإفروديت وأدونيس فتشيع البهجة وتبعث فى نفوس أهلها المرح الذى لا يعرف التقوى أو الورع، وحيث دار العلم والمكتبة التى طبقت شهرتها الآفاق الزاخرة بروائع التراث الفكرى عند الإغريق!.. وإذاكان كثير من يهود مصر البطلمية أميل إلى التشبه بحضارة- الإغريق- العنصر الغالب فى البيئة التى عاشوا فيها، فقد كان ذلك فقط تحقيقا لمآربهم الشخصية!!

هوامش الفصل الثالث

1-G. Ricciottl: The History ot israel vol ii, P.169 , milwauke 1955

2-E. Bevan: History of Egypt under the ptomaic Dynasty, P. 3, london 1927

3-G. Ricciotti: op. cit, vol. ii, p. 170

4- R. marcus: josephus, vol vi, app. c, pp. 512-532

5- J.B. Mahaffy: The Empire of the ptolemics, P. 85, london, 1895.

6- M. launey: Recherches sur les Armees Hellenistiques vol, i, P. 542, paris 1949

7- Box, judaism in the greek period, P. 56, oxford, 1953.

٨- د. إبراهيم نصحى: «تاريخ مصر فى عصر البطالمة»، ص١٦٧ القاهرة، ١٩٦٠.

9- C.A.H. vol x: p. Graindor, la Guerre d,alexandrie, p. 135, le caire, 1931

10- ps. aristeas, 13, jos. ant xiv, p.99.

11- R. Reinach: la communaute juive d,athribis, r. et. j .17 1888,pp. 235-238.

12-A.Wilcken: osXiraka i:282- 238, wien 1924

13- Bodi. tait, 233- 234: c.p.jud i, 65-69

14- V. Tcherikover: the jews in egypt, p.9

١٥- راجع أيضا: د. إبراهيم نصحى « تاريخ مصر فى عصر البطالمة»، جـ٢،ص٦٤٢-٦٤٥.

16- J.Juster: Ies juifs dans I,empire Romain P. 378, paris, 1914.

17- P. Cairo zen. 59377, cp. jud i, 13

18- W. Tarn s. Griffith: Hellenistic Civillsation P. 147. lohdon, 1952

19- Strabo op. jos. ant xiv,p.117.

20- J.juster:op cit,p. 718

21- V.Chapot: L,egypte Romaine, P. 264, paris, 1933.

22- R. Taubenschiag: the law of Graeci Romain Egypt, P.9, warsowa 1955.

23- R.Chatles: the Apocrypha and psuedoepigrapha of the old Testament, oxford 1931.

24- J.Juster: op. cit,, p.718.

25- Jos. ant. xll,pp. 125-127.

الفصل الرابع
اليهود فى مصر الرومانية

رأينا فى الفصل السابق كيف ازدهرت أحوال الطائفة اليهودية فى مصر البطلمية- خاصة يهود الإسكندرية- وأنهم عندما شعروا بأفول عصر البطالمة، وبأن حكم مصر سيصير إلى الرومان، أخذوا يعدون أنفسهم لاستقبال العهد الجديد.. ورأينا كيف تأزمت العلاقات بين إغريق الإسكندرية واليهود فى نهايات العصر البطلمى.. وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن الإدارة الرومانية قد أدركت مبكرا أنه يمكن استغلال هذا الموقف لصالحها فعملت على بث الفرقة بين الفريقين ليتسنى لها إخضاع الإسكندرية وكبح جماح الإغريق من مواطنيها الذين طالماتمردوا على الحكم البطلمى نفسه، وأنها تمشيا مع هذه السياسة آثرت اليهود بكثير من الحقوق والامتيازات فى حين أنها لم تعبأ بإجابة الإسكندريين إلى مطالبهم لتشعرهم بالمهانة مقابل المكانة الممتازة التى منحت لليهود!.

ويشير «بيكرمان» **Bikermann** (١) إلى أن الإمبراطور أوجستوس «**Augustus**» قد اعترف بمكانة الإسكندرية المتميزة، متبعا تقليدا رومانيا يجعل للمدن الإغريقية فى الشرق وضعا خاصا يميزها عن سائر المدن، وتمثل هذا الاتجاه فى إعفاء المواطنين فى المدينة من «ضريبة الرأس»..

كما سمح للسكندريين بتكوين مجلس للشيوخ ومزاولة حياتهم السياسية، أما بالنسبة لليهود، فكانت سياسته على النحو التالى «٢»-

- أخضع يهود الإسكندرية، جميعا لضريبة الرأس يؤدونها كاملة غير منقوصة.
- أقر الامتيازات التى اكتسبتها جالية اليهود فى الإسكندرية منذ عصر البطالمة.
- أقر حق اليهود فى تطبيق قوانينهم داخل جالياتهم.
- سمح لهم بتشكيل مجلس شيوخ **gerousia**.

وعلى أى حال فإنه لم يحدث فى عصر أو جستوس أى شىء من شأنه أن يعكر على اليهود صفو حياتهم، وقد مركذلك عصر خلفه الإمبراطور تيبريوس بسلام رغم أن هذا الإمبراطور شن حملة اضطهاد عنيفة ضد اليهود فى روما (٣) وفجأة فى صيف عام ٣٨ م فى عهد الإمبراطور جايوس (كاليجولا) حدثت تلك الفتنة المروعة بين الإغريق واليهود وكانت موضوع عدة كتب وضعها فيلون الفيلسوف اليهودى الإسكندرى بقى منها كتابان الأول **Eis flakkon** والثانى**Bresbeia pros gaion** وقد أورد فى الكتاب الأول تفصيلا دقيقا للفتنة واحداثها بينما خصص الكتاب الثانى للحديث عن سفارة يهود الإسكندرية إلى الإمبراطور جايوس فى روما وكان هو نفسه على رأس هذه السفارة.

وفى هذا الجو المتوتر كما صوره فيلون وصل إلى الإسكندرية ذات ليلة من ليالى صيف عام ٣٨م أجريبا «٤» حفيد هيرود الأكبر وقد عرفه الإسكندريون من قبل يهوديا مفلسا فر من الإسكندرية هربا من دائنيه. ولكن جايوس نصبه ملكا على مملكة صغيرة على حدود يهوذا باسم الملك أجريبا، ويبدو أن هذا الملك اليهودى كان على علم بمشاعر الإسكندرية نحوه ولذلك فإنه كان يريد الإبحار إلى فلسطين عن طريق بلاد الإغريق وسوريا لولا أن الإمبراطور أشار عليه بأن يسلك طريق الإسكندرية ولم يشأ أن يعارضه واحتاط للأمر بأن نزل المدينة ليلا واستخفى فى بيت مضيفه حتى يحين موعد استئناف رحلته إلى فلسطين «٥» ولكن ما أن شاع نبأ قدومه فى الأوساط اليهودية فى المدينة حتى اعتبرت مجيئه فى هذاالوقت بالذات دليل العناية الالهية إذ كانوا يعلمون مكانته لدى الإمبراطور فبسطوا أمامه قضيتهم وشكوا إليه موقف الحاكم الرومانى منهم وأقنعوه بأن يتجول فى المدينة محوطا بالحراس حتى يشعروا الإغريق والحاكم بما له من نفوذ وسلطان.

بيد أن زعماء الإغريق لم يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم فأوغروا صدر الحاكم على اليهود وأسروا إليه أن هذا الملك اليهودى تجاوز حدوده إذ أحاط نفسه بنفس المظاهر التى ينبغى أن ينفرد بها الحاكم دون غيره. ولم يتهور فلاكوس فيقدم علانية على التعرض للملك اليهودى بما يسيئ إليه وأثر أن يبدى له بعض مظاهر الود حتى لا يجلب على نفسه غضب الإمبراطور. وفى نفس الوقت صمم الإسكندريون على السخرية من هذا الملك اليهودى

المفلس صنيعة الإمبراطور فألبسوا أحد الحمقى تاجا من ورق وطافوا به فى الشوارع. وامعانا فى السخرية به كانوا يهتفون «مارين.. مارين» وهى كلمة سورية تعنى الملك أو السيد «٦» وكان الإسكندريون يدركون تماما أن أجريبا عميل المرابين فى مدينتهم لن ينسى سخريتهم منه وأنه سيبلغ الإمبراطور أمر تلك الإهانة التى لحقته وكانوا يعرفون أن كاليجولا يريد أن يحكم كملك هيلينتسى مؤله ينبغى على كافة رعاياه أن يعترفوا بألوهيته وأن اليهود لا يمكن أن يعترفوا به ربا. ولذلك عمد الإغريق إلى أيقونات **eikonas** تحمل صور الإمبراطور فى المعابد اليهودية.

وفى هذا كما يقول فيلون كان الإغريق دهاة بقدر ما كانوا أشرارا، فقد اتخذوا من الإمبراطور ستارا للتنكيل باليهود وقرنوا اسمه بجرمهم لعلمهم أن اليهود عندما يقاومون وضع مثل هذه الأيقونات فى معابدهم يعدون عصاة وخارجين على طاعة الإمبراطور «٧» وقد قاوم اليهود فعلا هذا العمل دون استعمال أسلحة، لكن تبع ذلك حدوث أعمال العنف وحرق بعض دور عبادتهم وتدمير البعض الآخر. ويتهم فليون فلاوكوس بأنه لم يفعل شيئا لإيقاف الإغريق عند حدهم وينعى عليه أنه تجاهل عدد اليهود الضخم فى مصر وفى الإسكندرية وأنه لم يفطن إلى خطورة وضع الأيقونات فى بيع اليهود إذ أن فى ذلك تحديا واضحا لليهود جميعا وانتهاكا لعاداتهم المتوارثة فكان لا يمكن أن يمر مثل هذا الحادث بسلام ولا سيما أنه إذا سرى خبر تلك الفتنة إلى خارج مصر فإن الشعوب الأخرى التى يقيم اليهود بين ظهرانيهم ستعمد بدورها إلى انزال أشد الضربات باليهود، ولم يكتف إغريق الإسكندرية بما فعلوه بل طلبوا إلى فلاكوس أن يحدد الوضع القانونى ليهود المدينة فأصدر قراره الذى أعلن فيه أنهم أجانب وغرباء عن المدينة «٨» وبهذا القرار وجه فلاكوس ضربة قاضية إلى حقهم فى أن يكون أعضاء فى جالية وكانت هذه العضوية هى الضمان الوحيد لسلامتهم إذا ما تعرضوا لضروب النقمة والعذاب وزاد على ذلك بأن أمر بأن يعاقب اليهود بالطريقة التى كان يعاقب بها المصريون وليس على نحو ما كان يعاقب به إغريق الإسكندرية. وقد فسر إغريق الإسكندرية قراره بأن ليس لليهود الحق فى تجاوز الحى الذى كان مخصصا أصلا لإقامتهم فحشروا فى هذا الحى الذى ضاق بهم حتى التمسوا المأوى فى أكوام القمامة خارج المدينة أو على الساحل ودمر أكثر من أربعمائة مسكن من مساكن اليهود التى طردوا منها ونهبت متاجرهم وفتشت مساكنهم بحثا عن أسلحة وحرم على اليهود الخروج إلى الأسواق «٩» واستدعى فلاكوس زعماء اليهود للاجتماع به ويبدو أن هذاالاجتماع لم يسفر عن شىء غير أن بعض أعضاء مجلس

الشيوخ اليهودى ارتكبوا أعمالا أوقعتهم تحت طائلة القانون واستحقوا العقاب فجلدوا علنا فى مسرح المدينة مما أدى إلى وفاة بعضهم وأصابة البعض الآخر بالأمراض. وبلغت الفتنة ذروتها يوم ٣١ من أغسطس وهو يوم عيد ميلاد الإمبراطور إذ اتسمت الأحداث بالعنف الذى بلغ حد الفوضى الشاملة واستمتع إغريق الإسكندرية وهم يشاهدون العذاب ينزل باليهود ألوانا ! «١٠».. وفجأة ألقى القبض على فلاكوس بأمرمن الإمبراطوررحل من فوره تحت حراسة مشددة إلى روما حيث أسرع أيسيدوروس ولامبون من زعماء الإغريق ليتهماه بالخيانة العظمى. وقد خصص فيلون حوالى خمس كتابه «**eis flakkon**» للحديث عن المصير الحالى الذى كان ينتظر هذا الحاكم الذى اعتبره لعنه سلطت على بنى قومه!.

ويبدو أن يهود الإسكندرية لم يخلدوا إلى السكينة .. رغم أن الإمبراطور الجديد «كلاوديوس» قد أقر كافة الحقوق والامتيازات التى كانت لليهود قبل سنة ٣٨.. فما لبثوا أن أيقظوا الفتنة من جديد بعد أن استقدموا يهودا من داخل مصر ومن سوريا، أوامره إلى حاكم مصر لقمع الفتنة بكل حزم «١١» وقد تطلب ذلك تدخل القوات الرومانية فوضعت حدا لسفك الدماء وأعمال العنف، ومما يدل على عنف هذه الفتنة أن كلاوديوس استعمل كلمة «حرب» Polemos عند الحديث عنها فى رسالته المشهورة التى بعث بها إلى الإسكندرية وتدل مهاجمة اليهود لإغريق الإسكندرية على هذا النحو على أنهم لم ينتظروا النتائج التى قد تسفر عنها مقابلة وفدهم لجايوس قبل أن يلقى مصرعه فى منتصف فبراير سنة ٤١م. بل أعدوا عدتهم للانتقام من إغريق الإسكندرية. لكن الحاكم الرومانى هذه المرة كان أكثر حزما من فلاكوس فلم يسمح للفتنة أن تستشرى على نحو ما حدث سنة ٣٨م .

وما أن هدأت الأحوال حتى بادر كل من الإغريق واليهود إلى إرسال وفد عنهم إلى روما وكان الهدف الظاهر للبعثتين تهنئة الإمبراطور بتوليته عرش الإمبراطورية ومحاولة التخلص من تبعة مسئولية الحوادث التى جرت مؤخرا فى الإسكندرية.

وبعد مضى نحو ثلاثة عشرة عاما على تلك الأحداث التى وقعت على عهد كلاوديوس انفجر الموقف مرة أخرى فى الإسكندرية فى عهد خلفه الإمبراطور «نيرون».. وبيان ذلك أنه فى ١٦ من مايو سنة ٦٦ اندلع لهيب الثورة فى أورشليم «١٢» نتيجة لصراع بين الطبقات العليا التى انفقت مصالحها مع مصالح روما والطبقات الدنيا من اليهود فى يهودا وتطور الأمر إلى الثورة ضد روما نفسها وظهور عدة حركات ارهابية قامت بها

جماعات متطرفة كان من أبرزها «عصبة الخنجر» وإزاء ذلك عدلت السلطات الرومان فى مصر عن الحملة التى كانت تعد العدة لارسالها إلى بلاد النوبة وبادرت بإرسال جميع الفرق الرومانية فى مصر إلى فلسطين فيما عدا الحامية العادية التى كان يعهد إليها بالمحافظة على الأمن فى العاصمة وفى أعقاب ذلك وقع الصدام بين اليهود الإغريق فى الإسكندرية ولعله كان انعكاسا للأحداث الجارية فى فلسطين.

ومصدرنا الوحيد عن حوادث الإسكندرية عام ٦٦م هو يوسفيا «١٣» الذى يحدثنا بأن الفتنة بدأت عندما اجتمع حشد كبير من الإغريق فى الملعب المدرج بالعاصمة للتباحث فى إرسال بعثة إلى الإمبراطور نيرون. وحدث أن تسلل إلى الاجتما ع عدد كبير من اليهود، ما أن رآهم الإغريق حتى صاحوا: «جراسيس.. أعداء..» واندفع الإسكندريون للقبض عليهم ولكن غالبية اليهود تمكنوا من الفرار وأراد الإسكندريون أن يحرقوا منازل أولئك اليهود الذين وقعوا فى أيديهم. وعندئذ سارع جمع حاشد من اليهود الناجدة إخوانهم، وأول الأمر رجموا الإغريق بالحجارة ثم حاولوا إضرام النار فى الملعب مهددين بحرق جميع من فيه من الاغريق. وكاد اليهود أن ينجحوا فى تنفيذ ما هددوا به لولا تدخل تيبريوس يوليوس إسكندر حاكم مصر اليهودى الصابئ الذى حاول أولا أن يرد اليهود إلى جادة العقل والصواب حتى لا يضطر إلى استخدام القوة، ولما لم يستجيبوا إلى نصحه استعان عليهم بالجند الرومان الذين كانوا فى طريقهم من برقة إلى فلسطين كما استعان بالفرقتين المعسكرتين فى نيقوبوليس، وأباح للجند الرومان نهب متاجر اليهود واستباحة مساكنهم!.

وثورة اليهود فى عهد «تراجان» تستحق بعض الاهتمام بسبب الطابع الذى تميزت به فقد بدت كحلقة جديدة فى سلسلة الفتن Staseis العادية التى كانت تنشب بين الإغريق «١٤» واليهود إلا أنها اتسعت وأضحت صداما مسلحا بين اليهود والرومان، ففى الإسكندرية، وخارجها خاضت القوات الرومانية معارك حقيقة ضد اليهود، وقد وصفت البرديات الصدام بين اليهود والرومان بأنه كان حربا Polemos وأطلق عليها بوزيبيوس عبارته المشهورة «حرب ليست بالصغيرة» Polmos ou smikos وفضلا عن ذلك رجعت البرديات أصداء القصص الخيالية التى كان الإغريق يتداولونها عن قسوة المحاربين اليهود وشراستهم، فقد مر بنا كيف أن أم أبوللونيوس كانت تعتقد مخلصة أن اليهود يشوون أسراهم. وكشفت بعض البرديات أيضا عن تدابير اليهود لتدمير الطرق والمعابد والمبانى الزراعية فى ريف مصر. وقياسا على ذلك لابد من أن ضروب الوحشية التى ارتكبوها فى برقة قد ارتكبوا مثلها فى الإسكندرية وخارجها من أنحاء مصر. وإذا كان المؤرخون لم

يقدروا عدد ضحايا الفريقين فى مصر فإننا نستنتج من عنف القتال وانتشاره فى أكثر من ناحية والهزائم التى ألحقها اليهود أول الأمر بالرومان والإغريق والمصريين، أن عددهم كان كبيرا دون شك. ولئن نزل بأعداء اليهود خسائر فادحة فى الأرواح فقد نزل باليهود مثلها إذ لم ينجوا فى آخر الأمر من الانتقام الذى كالته لهم القوات الرومانية التى تعقبتهم فى كل مكان وأهلكت منهم الكثيرين حتى ليظن أن مصر أوشكت أن تقفر من اليهود عقب أحداث تلك الثورة.

ويستوقفنا وصف اليهود بالإلحاد Anoisoi فى البرديات التى تتحدث عن ثورتهم فى عصر تراجان. ويلاحظ أن هذا الوصف يتردد بشكل واضح فى الوثائق الرسمية فضلا عن وسائل الأفراد التى تتناول أحداث هذه الثورة ولعل إطلاق هذا الوصف على اليهود يرجع إلى تدميرهم لمعابد أعدائهم فقد كان تدمير المعابد ظاهرة واضحة سواء فى برقة أو فى مصر.

ومما يجدر بالملاحظة أن اليهود لم يتخلوا عن فكرة «ظهور واحد منهم يحكم العالم أجمع» .. «١٥» ومن المحتمل أن سيمون «شمعون» بن جيورا Simon ben giora أحد زعماء ثورة ٦٦– ٧٠م، كان يعتبر نفسه ملكا إذ كان يلبس ملابس الملوك عندما استسلم للرومان «١٦»ولابد من أن لوكاس «لوقا» ملك يهود برقة كان واحدا من هذا النوع فقد كان يعتبر نفسه منفذ بنى جلدته من حكم الرومان. وقد كان يعمد إلى إثارة الحماس الدينى.

فى نفوس أتباعه ولذلك كان تدمير المعابد جزءا من حركته. وهكذا فكرة الخلاص هى التى أوحت إلى هذا الزعيم اليهودى بالقيام بهذه الثورة التى اختار لها وقتا مناسبا لكن تراجان كان موفقا فى حملته فى الشرق، ولو أحسن اليهود أعمال رأيهم لربما آثروا عدم القيام بالثورة على الإطلاق. ومع ذلك استمرت فكرة الخلاص تستهوى اليهود وتسيطر على عقولهم فسنرى مخلصا آخر يظهر فى عهد هادريان ويجر الويلات على بنى قومه. ورب متساءل يقول ولم لم تكن فلسطين مهدا لهذه الحركة التى تستهدف تخليص اليهود؟ لعل السبب هو أن التفرقة بين يهود فلسطين ويهود الشتات كانت قد زالت منذ تدمير الهيكل وإخضاع يهود الإمبراطور جميعا لضريبة اليهود. وربما اختيرت برقة عن عمد لبعدها عن مراكز تجمع الجيوش الرومانية التى كانت تحارب تحت قيادة تراجان ضد البارثيين. ومع هذا لا نستبعد أن يكون ابتداء قيام الثورة فى برقة بالذات كان من باب الصدفة، وأن ذلك يستتبع اعتبارها شيئا أكثر من صدام عادى مع اليهود هناك على نحو ما كان يحدث فى مصر من مصادمات لا تتعدى المجال المحلى، ولكن ظهور هذا المخلص لوكواس كان

السبب فى ازدياد النار اشتعالا. وقد أعمت فكرة الخلاص اليهود عن تقدير الموقف حق قدره وعن أنهم يحاربون قوى تفوقهم فى كل شىء، فسيطر على عقولهم شىء واحد وهو أنهم «جند الرب الذى سيقودهم إلى النصر ويعيدهم إلى هيكل أورشليم»!.. فاندفعوا مسلوبى الارادة إلى قبرص وإلى مصر يقتلون ويدمرون ويبطشون بالإغريق والرومان وأهل قبرص وأهل مصر لا يفرقون بين جنس وجنس ولعلهم بتدميرهم معابد الوثنيين كانوا ينتقمون لما لحق بهيكلهم من دمار على أيدى الرومان!.

ولم يكن عهد الإمبراطور «هادريان» بصفة عامة عهد خير وبركة لليهود فقد شهدت بدايته إخماد ثورتهم الكبرى «١٧».

وصدر الأمر بإبطال عادة الختان عند اليهود، وقرب نهايته قامت فى فلسطين سنة ١٣٢م ثورة عاتية تزعمها مخلص آخر هو سيمون بار «بن» كوخفا أو بار «بن كوزيفا» وذلك عندما أمر الإمبراطور بأن تشيد مستعمرة رومانية محل أورشليم وتحمل اسم «Colonia Aelia capitolina» «١٨» وأن يقام لجوبتير معبد محل الهيكل وقد بذل الإمبراطور مجهودا ضخما حتى استطاع إخماد الثورة سنة ١٣٥م وبعد ذلك حظر على اليهود أن تطأ أقدامهم الأرض المحيطة بأورشليم » فيما عدا اليوم التاسع من شهر آب «أغسطس» فى ذكرى ذلك اليوم الذى دمرت فيه أورشليم. ومن المرجح أنه حدثت فى مصر بعض القلاقل ولكنها لم تكن ذات أهمية تذكر. وعلى كل حال لم نعد نسمع عن اليهود كعنصر يتسبب وجوده فى إثارة الفتنة إلا فى عام ٤٢٥م حين قام كيرلس kyrillos أسقف الإسكندرية على رأس جماعة من المسيحيين باحتلال جميع معابد اليهود وطردهم من المدينة!! «١٩».

المهن والحرف

الخدمة فى الجيش والأسطول والشرطة:

كانت خدمة اليهود فى الجيش البطلمى من أهم الأعمال التى أسهم بها اليهود فى خدمة الملك البطلمى وحكومته. لكن بعد دخول الرومان مصر آلت كل المسئوليات العسكرية إلى الجيش الرومانى، وسرح الجيش البطلمى بكافة تشكيلاته مما يجعلنا نرجح اختفاء جيش أونياس فى ليونتوبوليس، باعتبار أنه كان متصلا اتصالا معينا بالجيش البطلمى. غير أن المؤرخ الفرنسى جوستيه «J. Juster» «٢٠» يرجع أن اليهود خدموا فى الجيش الرومانى، ويستدل على ذلك بأن المؤرخ اليهودى يوسف ذكر أن الحكومة الرومانية سمحت لليهود بالاستمرار فى عملهم فى حراسة النهر «Fluminis custodia» وبأنه لم يكن فى

وسع أغسطس تسريح الجند اليهود نظرا لضخامة عددهم ولأن الكثيرين منهم كانوا من أرباب الإقطاعات العسكرية، ولو أنه أقدم على ذلك فعلا لوقعت اضطرابات كثيرة فى البلاد وفى رأيه أن اليهود استمروا فى خدمة الجيش الرومانى حتى استبعدهم الإمبراطور تراجان ثم الإمبراطور هادريان بعد ثورتهم الكبرى ١١٥- ١١٧م. لكنهم- فى رأيه- ما لبثوا أن عادوا إلى الخدمة العسكرية فى مستهل القرن الثالث الميلادى ودليله على ذلك قائمة بأسماء جند رومان كانوا يعسكرون فى أوكسير ينخور «البهنسا» ويحمل بعضهم أسماء سامية عادية، ويقطع بأن أحدهم وهو باريخيوس «Barichius» كان يهوديا «٢١».

وعلى النقيض من رأى هذا المؤرخ ينفى «تشيريكوفر» «٢٢» نفيا باتا أن اليهود كانوا يخدمون فى الجيش الرومانى ويفند رأى جوستيه. بأن عمل اليهود فى حراسة النهر لم يكن عملا عسكريا وأن يوسف وهو يتحدث عن يهود الإسكندرية لم يخطر بباله مهام الحامية اليهودية التى كانت مكلفة بأعمال الحراسة والدفاع عن الفرع البلوزى فى أواخر عصر البطالمة، وإنما كان يدور بخلده خدمة اليهود فى أعمال الحراسة فى النيل وهى المعروفة باسم «٢٣» Potamophylakia وأن عمل اليهود كان مقصورا على جباية المكوس الجمركية ويرجح أن الحكومة الرومانية عهدت بهذه المهمة إلى الموظف المعروف باسم مدير الضرائب الجمركية «Arabarches» ونعرف أن هذا الموظف كان مختصا بجباية المكوس الجمركية على السلع الشرقية القادمة من موانى البحر الأحمر إلى موانى البحر الابيض مارة بالصحراء الشرقية فقط. ونعرف كذلك أن هذا الموظف كان فى الوقت نفسه هو اثنارخيس اليهود فى الإسكندرية ويرى أن هذا الفرض تفسير للطريقة التى أبرز بها يوسف أهمية قيام اليهود بهذا العمل!.

وقد يعين على توضيح مسألة خدمة اليهود فى الجيش الرومانى الالتماس الذى رفعه فى سنة ٤٣ق. م الحبر الأعظم هيركانوس الثانى إلى دولابلا «Dolabeila» حاكم ولاية آسيا يطلب فيه إعفاء اليهود من الخدمة العسكرية لأنهم لا يستطيعون أن يطعموا من طعام الجند الرومان ولا أن يقاتلوا فى أيام السبت. وقد أكد ذلك دولابلا فى القرارالذى أصدره بإعفاء اليهود من الخدمة العسكرية بآسيا بقوله «أن الجندى اليهودى لا ينبغى له السير إلى القتال يوم السبت» «٢٤»وهذا يتماشى مع تعاليم الربانيين من أن اليهودى لا يستطيع أن يبعد عن مدينته أو قريته أكثر من ألفى خطوة فى يوم السبت ومع ذلك لم يحل هذا كله بين اليهود. والخدمة فى الجيش البطلمى. ولذلك فإننا نميل إلى الاعتقاد بأن الحكومة الرومانية كانت لا ترحب كثيرا بخدمة اليهود فى جيشها فى مصر نظرا لتلك

الاضطرابات التى اجتاحت البلاد وكان اليهود سببا فيها. وفى خدمة الشرطة يصادفنا اسم حارس يهودى هو «يعقوب Jacob ابن اخيلليوس Achilleos فى قائمة تضم أسماء عدد من الخفراء والحراس كانوا يقومون فى أواخر القرن الثالث الميلادى بأعمال الحراسة فى أوكسير نخوس.

ويحتمل أن يكون بعض اليهود قد عملوا فى حراسة الموانى Hormo phylakia عند أسوان.

الخدمة فى الحكومة:

إذا كان اليهود قد باشروا نشاطا ملحوظا فى خدمة الحكومة البطلمية وكان منهم بعض كبار الموظفين وكثير من ملتزمى الضرائب وجباتها فقد باشروانشاطا مماثلا فى خدمة الحكومة الرومانية.

كان بين وظائف الإدارة المالية التى شغلها اليهود وظيفة مدير الضرائب الجمركية ara-barces أو alabarces كما يكتبها يوسف «٢٥» الذى يحدثناعن اثنين من أبرز شخصيات الجالية اليهودية بالإسكندرية ممن شغلوا هذه الوظيفة وقد كان كل منهما فى الوقت نفسه يشغل وظيفة اثنارخيس للجالية اليهودية السكندرى. وهو والد شخصيتين مهمتين هما تيبريوس يوليوس الإسكندر اليهودى الصابئ حاكم مصر من قبل الرومان، والآخر هو ماركوس أحدكبار رجال الأعمال اليهود فى الإسكندرية.

والأراباخيس الثانى هو ديمتريوس صهر أجريبا الأول الملك اليهودى «٢٦» وكان اختصاص هذا المنصب الإشراف على تحصيل المكوس الجمركية على السلع الشرقية فى الطرق المؤدية من وادى النيل إلى موانى البحر الأحمر مثل ميوس هرموس وبرينكى عبر الصحراء الشرقية وقد زاد من أهمية هذه الوظيفة أن شاغلها كان فى الوقت نفسه حاكما لمنطقة طيبة «٢٧» ولاجدال فى أن الإدارة الرومانية كانت تهتم بأن يكون الطريق إلى البحر الأحمر آمنا ولذلك عهدت بإدارة المنطقة التى تخترقها طرق التجارة إلى موظف واحد.

وفيماعدا وظيفة مدير الضرائب الجمركية لا نعثر فى مصادرنا على شواهد تشير إلى أن بعض اليهود شغلوا مناصب حكومية كبيرة أخرى ولا نستطيع أن نقيس على حالة تيبريوس يوليوس إسكندر الذى شغل عدة مناصب مهمة فى الجيش والإدارة حتى وصل إلى منصب الحاكم العام لمصر وذلك لأنه كان يهوديا صابئا، ولولا ذلك لما تأتى له الفوز بهذه المكانة السامية «praefectus».

النشاط الاقتصادى:

يشير المؤرخ «فيلون» إلى جوانب من حياة اليهود الاقتصادية فى صدر العصر الرومانى. وقد ذكر فى كتابه «in flaccum» «٢٨» فى معرض حديثه عن فتنة ٣٨م أنه نتيجة لهذه الحوادث خسر اليهود محالهم «Ergatiria» وأن توقفهم عن العمل كان أفدح من الخسائر التى لاحقتهم نتيجة لأعمال النهب التى قام بها إغريق الإسكندرية إذ فقد أصحاب رؤوس الأموال hoic poristi مستودعاتهم enthekas وحرم كل شخص سواء أكان مزارعا georgos أو من أصحاب السفن naukleros أو تاجرا emporos أو صانعا technitos من مباشرة عمله.

وتأتى طبقة أصحاب رؤوس الأموال « hoi poristai» فى المقدمة ويبدو أن أفراد تلك الطائفة لم يستثمروا أموالهم فى التجارة فحسب بل أيضا فى نواح شتى كان من ابرزها إقراضها مقابل فوائد للتجار أو لغيرهم على نحو ما فعل اسكندر ليسياخوس عندما أقرض الملك أجريبا الأول اليهودى. وربما لم يكن أجريبا عميله الوحيد. ولعل اشتغال اليهود بإقراض الأموال هو الذى أثار ضدهم ذلك الشعور بالكراهية المشوبة بالحذر الذى تلمسه فى ذلك التحذير الذى وجهه تاجر إغريقى إلى صديق له مقيم فى الإسكندرية سنة ٤٠م حتى لا يتعامل مع اليهود ولعل المقصود هنا النص على تحذيره من التعامل مع المرابين اليهود.

وقد لعبت الطائفة الثانية Hoi naukleroi دورا مهما فى النشاط الاقتصادى فى الإسكندرية، وخاصة فى التجارة البحرية ونقل القمح إلى إيطاليا وكان القمح المصرى كما نعلم أحد مصادر «Annona» الرئيسية للإمبراطورية. وكان يقوم إلى جانب هؤلاء فى داخل البلاد طائفة من اليهود يعملون فى نقل القمح إلى الإسكندرية كما سنرى فيما بعد.

أما الطائفة الثالثة Hoi naukleroi تضم طائفة من الصناع. وقد سبق التحدث عن هذه الطائفة فى العصر البطلمى من واقع ما ذكره فيلون وما جاء فى التلمود عن صناع الإسكندرية وقد جاء فى التلمود أن جموع الصناع كانوا يجلسون فى البيعة حسب مهنهم مثل العاملين فى صناعة المعادن والصائغين والنساج والنجارين والحدادين، وأن أى يهودى يريد العمل فى مهنة معينة كان يتعين عليه الاتصال بالنقابات المهنية اليهودية. واهتمام التلمود بهذه الطائفة من الصناع يدل على أهمية الدور الذى لعبته فى الحياة الاجتماعية ليهود الإسكندرية ولم يكن فى استطاعة هذه الطائفة من الصناع الانضمام إلى النقابات المهنية العامة فى الإسكندرية وذلك لأن هذه النقابات كانت تقوم على أساس

دينى ومن المرجح أن طائفة الصناع اليهود كانت تجمع بين العمل فى حرفة معينة وبين التجارة فى السلع التى كانوا يضعونها فى حوانيتهم.

أما الطائفة الخامسة Hoi naukleroi فأغلب الظن أنها كانت تتألف من المزارعين الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة فى الريف المجاور للإسكندرية. وينقلون إلى العاصمة فى سفنهم الصغيرة منتجات أراضيهم. وقد ذكر فيلون أن الإغريق هاجموهم فأحرقوا سفنهم وأغرقوا سلعهم.

وإلى جانب هذه الطوائف اليهودية كان يوجد كثير من الفقراء العاملين فى مهن متواضعة «٢٩».

الوضع الدستورى للطائفة

سبقت الإشارة إلى أن الإمبراطور «أوجستوس» قد أقر ليهود الإسكندرية بكافة الامتيازات والحقوق التى اكتسبوها فى عصر البطالمة.. ويحدثنا «سترابون» «٣٠» الذى زار الإسكندرية على عهد ارجستوس، عن الطائفة اليهودية وتنظيمها الداخلى.. فيقول أنه «كان على رأسها الاثنارخيس Ethnarches كان يحكم الشعب Ehnaos اليهودى ويباشر اختصاصات قضائية وإدارية واسعة كما لو كان ارخونا فى مدينة حرة ويمدنا كل من فيلون ويوسف ببعض المعلومات المهمة عن التنظيم الداخلى للجالية اليهودية فى الإسكندرية غير تلك التى نسمتدها من استرابون، فيروى فيلون أنه فى عهد الحاكم الرومانى أكويلا Aquila فى عام ١١م. توفى رئيس الجالية وكان يطلق عليه اسم جنارخيس Genarches فبعث أغسطس بتعليماته إلى ماجيوس ماكسيميوس Magius Maximius الحاكم الرومانى الجديد بأن يقيم لليهود مجلسا للمسنين أو الشيوخ -Ger ousia ويضيف يوسفيا إلى ذلك أن كلاوديوس أرسل خطابا إلى حاكم مصر فى عام ٤٢ م ذكر فيه أن لم يمنع اليهود من أن يكون لهم اثنارخيس بعد وفاة الاثنارخيس السابق على عهد اكويلا ويذكر يوسفيا أيضا أن مجلس الشيوخ اليهودى ظل قائما حتى عصره «أى فى عصر فسباسيان» وأنه كان على رأس الجالية جماعة من الرؤساء عرفوا باسم رؤساء الشيوخ Hoi proteuntes (٣١).

أما عن مجلس الشيوخ فإنه لم ترد فى مصادرنا معلومات تفصيلية عن عدد أعضائه، لكننا نرجح أنهم كانوا واحدا وسبعين عضوا وذلك قياسا على عدد أعضاء مجلس -syne drion «٣٢» فى فلسطين. واستنادا إلى الرأى القائل بأن الجالية بأكملها كانت مشكلة على نسق النظام المعمول به فى أورشليم.

وإلى جانب الاثنارخيس مجلس الشيوخ كان يوجد عدد من الأراخنة أو الحكام كانوا يشغلون بعض المناصب الخاصة كما كانت توجد أيضا طائفة من الرؤساء كانوا يعرفون باسم آراخنة السيناجوج «Arhisynagogoi» «٢٣». وقد كشفت إحدى الوثائق البرديةعن وجود دار لحفظ السجلات والوثائق الخاصة باليهود كانت تعرف باسم دار أرشيف اليهود «Arheion ton loudaion».

ومما تقدم يتضح أن الجالية اليهودية كانت تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتى وأنها بلغت قدرا كبيرا من التنظيم وأفادت بشكل واضح من الامتيازات التى منحت لها فى العصر البطلمى. وعندما جاء العصر الرومانى ازدادت تماسكا وتنظيما وأفادت من اعتراف القانون الرومانى بقيام هذا النوع من الجاليات أو الاتحادات وسماحه لها بعقد الاجتماعات الخاصة بأفرادها فضلا عن أنه كفل للجالية الحرية والحماية ورفع الشكاوى إلى الإمبراطور دفعا لظلم أو التماسا لمنفعة. وقد اعتبرت الإدارة الرومانية الدين مسألة خاصة بمعتقدية لا تتدخل فى الشئون المتصلة به وذلك تحقيقا لمبدأ التسامح الدينى الذين درجت عليه الإمبراطورية الرومانية.

وهكذا نرى أن الطائفة التى شكلها اليهود فى الإسكندرية فى العصر البطلمى استمرت قائمة كذلك فى العصر الرومانى، مستمدة كيانها من استمساكها بدينها ووفرة عددها ونشاطها الاقتصادى. وقد كان فى استطاعة هذه الطائفة أن تظل بمنأى عن تدخل السلطات الرومانية إذا ما راعت الحدود التى ينبغى أن تقف عندها وإذا كان اليهود فى العصر البطلمى قد قنعوا بالحقوق والامتيازات التى ترتبت على عضويتهم لهذه الجالية دون أن يفوزوا بحقوق المواطنة فى الإسكندرية فهل استمر وضعهم كذلك فى العصر الرومانى؟

وزعم يوسفيا أن يهود الإسكندرية فى العصر الرومانى كانوا مواطنين كاملين وأنهم كانوا يتمتعون بحقوق المواطنة منذ بداية العصر البطلمى، إن لم يكن الإسكندر نفسه هو الذى منحهم هذه الحقوق. وأجهد هذا المؤرخ اليهودى نفسه لإثبات صحة دعواه.

وكان «أبيون» ألد أعداء اليهود يسخر بدوره من هذه الدعوى ويدلل على زيفها «٣٤». ولما كان يوسف قد عنى بالرد على أبيون فإن هذا يوحى بأن مسألةتمتع اليهود بحقوق المواطنة فى الأسكندرية قد انعكست آثارها فى كتابات المؤرخين المحدثين الذين تصدوا لبحث الوضع المدنى لليهود فى الإسكندرية فانقسم هؤلاء المؤرخون بدورهم إلى فريقين فريق يقول يتمتع اليهود بحقوق المواطنة فى الإسكندرية وفريق ينكر عليهم ذلك!.

يشير بعض المؤرخين إلى وثيقة مهمة أعانت على تفهم الوضع القانونى ليهود الإسكندرية «بردية لندن رقم ١٩١٢» التى تتضمن الخطاب الذى بعث به الإمبراطور كلاوديوس إلى الإسكندرية سنة ٤١م. بعد استماعه إلى الوفد الإسكندرى والوفد اليهودى أثر تجدد الاضطرابات فى ذلك العام. وقد تناول هذا الخطاب مسائل شتى سبق أن عرضنا إلى جانب منها وفيما يلى ما جاء فى هذا الخطاب خاصا باليهود «٣٥»:

ولهذا أناشد، للمرة الثانية الإسكندريين من ناحية أن يبدوا روح التسامح والود لليهود الذين عاشوا فى المدينة نفسها منذ سنوات طويلة، وألا يعتدوا عليهم فى أثناء قيامهم بطقوس عبادتهم التقليدية، وأن يدعوهم يمارسون عاداتهم كما كانوا يفعلون أيام المؤله اغسطس، والتى أقررتها بعد سماع أقوال الطرفين.

وأناشد اليهود من ناحية أخرى ألا يتطلعوا إلى أكثر مما حصلوا عليه حتى الآن، وألا يرسلوا بعد اليوم بعثتين كما لو كانوا يعيشون فى مدينتين، فذلك أمر لم يحدث أبدا من قبل وألا يقحموا أنفسهم فى مباريات النوادى وتدريبات الشباب، بل عليهم أن ينتفعوا بما فى حوزتهم، ويتمتعوا فى مدينة ليست بمدينتهم En allotria polei بوفرة من الخيرات كافة».

وأهم النقاط التى تعنينا فى هذا المقام من أمر هذا الخطاب هى:

أولا: أن كلاوديوس حث اليهود على أن يقنعوا بما لديهم من امتيازات ولعله كان يقصد تلك الامتيازات التى كانت جاليتهم تتمتع بها من حيث أنها كانت تكفل لها الحرية الدينية التامة وقدرا لا باس به من الاستقلال على نحو ما رأينا.

ثانيا: أن الإمبراطور حظر على اليهود بكل صراحة وحزم الاشتراك فى نشاط الجمنازيوم ومبارياته وهذه كما نعرف كانت جزءا لا يتجزأ من التعليم فى الجمنازيوم ومعنى ذلك أنه لا يعترف لهم بأى حق بأن يكونوا أعضاء فى منظمات الشباب وبالتالى ليس لهم حق الانتساب إلى هيئة المواطنين.

ثالثا: ناشد الإمبراطور اليهود ألا يطالبوا بمزيد من الامتيازات فى مدينة لم تكن مدينتهم وهو فى هذا يتفق كل الاتفاق مع قول فلاكوس أن اليهود أجانب وغرباء وفى هذا دليل قاطع على أن اليهود أجانب وغرباء «Xenoi kai epeludal» كانوا يملكون حق الإقامة فى المدينة «ouigo» دون أن يكون لهم حق الاندماج فى هيئة مواطنيها، واعتراف الرومان بالجالية اليهودية لم يترتب عليه أكثر من حق اليهود فى الإقامة الدائمة فى المدينة

وممارسة حقوق معينة فى نطاق هذه الجالية.

وبذلك يكون الإمبراطور كلاوديوس قد أوضح وضع اليهود القانونى بأنهم يشكلون جالية تعترف الدولة رسميا بتكوينها وبما اكتسبته هذه الجالية من امتيازات محددة، لكنه أوضح فى الوقت نفسه أنهم ليسوا مواطنين بدليل أنه حظر عليهم الاشتراك فى مباريات الجمنازيوم. وقد مر بنا مدى حرص الإدارة الرومانية على تحرى الدقة فى إثبات أسماء المواطنين فى سجلات الشباب وبالتالى فى قوائم الجمنازيوم. وإذا جاز لأعداء اليهود أن يصروا على اعتبارهم اجانب عن المدينة فإنه ماكان يجوز لإمبراطور فى مثل فطنة كلاوديوس ودقته أن يلقى الكلام على عواهنه ويصفهم على هذا النحو إلا إذا كانوا رسميا كذلك. وقد رأى من الحكمة إفهام اليهود ادراكه حقيقة وضعهم فى المدينة بعبارات واضحة لا لبس فيها!.

والواقع أن الوثائق القانونية القليلة المتعلقة باليهود فى العصرالرومانى لم توضح إلا النذر اليسير من التصرفات القانونية لليهود فى الإسكندرية وخارجها (٣٦) وإن كانت قد أطلعتنا على أن بعض اليهود فى الإسكندرية كانوا يسجلون عقود زواجهم وطلاقهم أمام المكتب القانونى الذى كان يديره رجل إغريقى وأنهم كانوا يسجلون لديه أيضا بعض الاتفاقات المالية من قروض وغيرها سواء أكانت معقودة فيما بينهم أو مع غير يهود.

وفى ضوء دراسة الأوضاع القانونيةعند اليهود فى مستعمرتهم فى الفنتين فى القرن الخامس ق. م وفى مصر على عهد البطالمة نستطيع القول بأن اليهود فى العصر الرومانى لم يحجموا عن التعامل مع جيرانهم من غير اليهود بل أنهم خضعوا فى معظم هذه المعاملات للقواعد التى رسمتها التقاليد القانونية عند الإغريق والرومان دون أن يأخذوا فى اعتبارهم أن بعض هذه القواعد لا تتفق مع شرائعهم ومبادئ دينهم!

الحياة الاجتماعية:

كان اليهود فى العصر البطلمى، رغم تأثيرهم الواضح بالبيئة المحيطة بهم ومن رغبتهم الشديدة فى مسايرتها، يؤلفون مجتمعا منفصلا بفضل احتفاظهم بوجه عام بتقاليدهم ومراعاتهم لتعالى شريعتهم إلا حيث اضطرتهم ضرورات الحياة إلى مسايرة اتجاهات المجتمع المحيط بهم إذ كانوا لا يترددون فى التخلى عن تلك التقاليد والتعاليم أو جعلهما فى المقام الثانى من الأهمية إذا تضاربت مع مصالحهم.

وقد فقدوا تبعا لذلك بعض المظاهر التى كانت تميزهم عن غيرهم إذ اكتسبت بعض عناصرهم فى الإسكندرية مسحة إغريقية تمثلت فى اصطناع اللغة الإغريقية واتخاذ

الأسماء الإغريقية وارتداء الزى الإغريقى «٣٧» وكيف تأثر كذلك بعض يهود الريف بالبيئة المصرية فكانوا يتحدثون باللغة المصرية ويستخدمون الأسماء المصرية. ورغم كل ذلك ظل يهود الإسكندرية مثل ما ظل يهود الريف فى جوهرهم يهودا لم تجرفهم البيئة التى يعيشون فيها.. فإلى أى مدى تأثرت الطائفة اليهودية بالظروف الجديدة التى سادت مصر فى العصر الرومانى؟..

قدر «فيلون» عدد يهود الإسكندرية بنحو ٢٠٠ ألف نسمة، وقد ازداد عددهم حتى أنهم شغلوا حيين من أحياء المدينة، بعد أن كان لهم حى واحد فى العصر البطلمى، وانتشرت معابدهم فى أكثر من حى من أحياء المدينة.

وإلى جانب ما كان يتمتع به اليهود فى المدينة من أمن وطمأنينة فى الفترة السابقة لحوادث سنة ٣٨م أطلق لهم الرومان الحرية الدينية الكاملة واستمرت بيعتهم الكبرى قائمة «٣٨» وقد ظفرنا من التلمود بوصف لما يفهم منه أنها بلغت من الاتساع حدا كان لابد معه من استخدام نظام الإشارات حتى يتسنى للمصلين متابعة شعائر الصلاة وكانت هذه البيعة الكبيرة المركز الذى يتجمع حوله يهود المدينة، فقد كانت تتيح لهم حياة دينية تمكنهم من تدارس التوراة وإقامة الصلوات فى الوقت الذى لا تطلب منهم الدولة أداء أى التزام نحو العبادات المحلية أو المشاركة فى العبادة الرسمية للدولة وقد أوضحنا من قبل مدى الجزع الذى أصاب جالية يهود الإسكندرية عندما استباح الإغريق بيعتهم وأصروا على وضع تماثيل الإمبراطور فيها، وذكرنا أن ذلك التصرف لم يكن مشروعا نظرا لتعارضه مع الامتيازات التى منحت لليهود وجرى الأباطرة على احترامها ولذلك لم يتردد كلاوديوس فى إعادة الأمور إلى نصابها فأكد من جديد حتى اليهود فى التمتع بالحرية الدينية الكاملة.

وقد دأب يهود الإسكندريةعلى مراعاة تقاليدهم وعاداتهم واحترام أيام السبت وساءهم أن يتدخل فلاكوس فى إبطال الاحتفال بذلك اليوم وقد أورد فيلون نص خطبته يظن أنها لفلاكوس جاء فيها «٣٩» «إذا ما حدث هجوم فجائى على مصر أو فاض النيل أو شب حريق، أو هبت عاصفة، أو حاق بالبلاد مجاعة، أو طاعون أو إذا زلزلت الأرض زلزالها أو حدث أى شىء من هذا القبيل فى يوم سبت هل تلتزمون مساكنكم هادئين لا تحركون ساكنا؟ أم تتجولون فى الشوارع طبقا لعاداتكم وقد خبأتم أيديكم فى ملابسكم حتى لا تضطرون إلى مد يد العون لأولئك الذين يقومون بعمليات الإنقاذ، أو تظلون فى بيعكم، تقرؤون كتبكم المقدسة، أم هل تشاركون فى إنقاذ آبائكم وأبنائكم وأموالكم وكل ما هو عزيز عليكم».. ولم تحل السلطات الرومانية دون اليهود والاحتفال بأعيادهم ذلك الاحتفال

الذى اعتادوا إقامته كل عام بمناسبة إتمام الترجمة السبعينية للتوراة فى جزيرة فاروس واحترمت الدولة مشاعرهم الدينية فلم تجبرهم على الإسهام فى الأعياد الوثنية أو الأعياد الإمبراطورية «٤٠» ولم تعترض على حجهم إلى أورشليم ولا إرسالهم الهبات والأموال إلى الهيكل قبل تدميره عام ٧٠م ولم يكن فى استطاعة اليهود مراعاة لتقاليدهم أن يطعموا على موائد الوثنيين إذا حرموا على أنفسهم أنواعا معينة من الأطعمة مما أثار فى نفوس الإغريق نوعا من الدهشة مصحوبا بالسخرية حتى أنهم ساقوا نساء اليهود إلى المسرح فى أثناء فتنة سنة ٣٨م وحملوهن على أكل لحم الخنزير باعتبار ذلك غاية ما يمكن أن يوقعوه باليهود من إرهاب وتعذيب «٤١».

وثمة ناحية أخرى متصلة بالدين كان لها أثرها فى أن اليهود انتحوا فى حياتهم ناحية خاصة بهم وقد تمثل ذلك فى ابتعادهم عن المنظمات والنقابات المهنية التى كانت تنتظم العاملين فى المهن والصناعات وذلك لأن الدين كان عنصرا أساسيا فى تشكيل هذه النقابات فقد كانت تقوم على أساس عبادة يشترك فيها أعضاؤها، ومن ثم لم يكن فى استطاعة اليهود إلى تكوين نقابات خاصة بهم مثل نقابة العاملين فى نقل القمح إلى روما « Navicalaril» وكانت نقابة منفصلة تماما عن النقابة العامة للمدينة وكانت واحدة من الاتحادات المهنية اليهودية الصرفه التى لم تعترف لها الدولة بشخصية معنوية «٤٢» وإذا كان اليهود يفضلون سياسة التسامح الدينى التى درجت عليها الإمبراطورية الرومانية قد استطاعوا أن يهيئوا لأنفسهم حياة دينية بعيدة عن تدخل جيرانهم أو تدخل السلطات الرومانية، فإنهم تمكنوا كذلك من أن يهيئوا لأنفسهم حياة سياسية خاصة بهم فى ظل جاليتهم التى كانت تتمتع بقدر من الاستقلال الاجتماعى والقضائى.

وهكذا استطاعت الطائفة اليهودية أن تحقق لأفرادها كيانا اجتماعيا خاصا بهم، بيد أن هذه الطائفة لم ترق إلى نفس المستوى الذى كان عليه الرومان أو الإغريق وذلك لخضوع اليهود لضريبة الرأس المهينة التى نزلت بهم من الناحية القانونية إلى مصاف المصريين مما حدا بفلاكوس إلى وصفهم بأنهم أجانب وغرباء عن الإسكندرية.

لم يكن فى استطاعة اليهود الإفلات من عمليات الإحصاء المقترنة بضريبتى الرأس واليهود.

وكانت عملية الإحصاء فى حد ذاتها عملية مذلة مهينة تبرزهم كعنصر غريب عن المدينة بالفعل. وكان من المحتمل أن يترتب على وضعهم السياسى المهين استسلامهم إلى اليأس واعتزالهم المجتمع الإسكندرى غير أنه من دراستنا الحياة اليهودية الاقتصادية ومختلف

أوجه نشاطهم وجدنا أن نشاطهم قد زاد فى العصر الرومانى نتيجة للسياسة الاقتصادية التى اتبعتها روما فى مصر وأتاحت الفرصة أمام استغلال رأس المال الخاص.

ويمكننا أن نقسم المجتمع اليهودى بالإسكندرية إلى طائفتين:

أولا: الطائفةالأولى وتضم أثرياء اليهود من أرباب الفئات الخمس التى أشرنا إليها وكانت هذه الطائفة تضم دون شك أعضاء مجلس الشيوخ والاثنارخيس وطائفة الزعماء « Hoi gmoromoi» الذى وسطهم تيبريوس يوليوس إسكندر «حاكم مصر اليهودى الصابئ لدى زملائهم يهود المدينة الثائرين لوقف القتال سنة ٦٦م.

ثانيا: الطائفة الثانية وتضم عامة اليهود من الفقراء والعاملين فى المهن المتواضعة.

ونجاح الطائفة الأولى فى ميدان النشاط الاقتصادى يدل بجلاء على أن فكرة الانطواء على أنفسهم فى جالياتهم لم يكن امرا مقبولا ولا مستساغا لديهم وعلى أنهم استطاعوا التوفيق بشكل واضح بين مطالب حياتهم الخاصة كما رسمتها لهم شريعتهم وبين مقتضيات الحياة النابضة من حولهم، ولعل إحساسهم بأنهم يبعدون عن الكيان السياسى للمدينة ومحرومون من الانتماء إلى الطبقات الممتازة هو الذى دفعهم إلى إحراز هذا النجاح ليفوزوا فى الناحية الاقتصادية بما يعوضهم عما افتقدوه من الناحية السياسية.

وهناك حقائق معينة يمكن أن نستعين بها فى توضيح العلاقة بين المجتمعين الإسكندرى واليهودى «٤٣»:

أولا: رغم ميل بعض يهود الإسكندرية إلى التحرر، فإنهم لم يتخلوا عن دينهم وتعاليم شريعتهم ولا يمكن اعتبار الأسر التى انحرفت عن اليهودية أو صبأ بعض أفرادها دليلا على خضوع جميع اليهود خضوعا تاما للمؤثرات الوثنية المحيطة بهم، فقد ظلت البيع نشطة فى المدينة واستمرت الحفلات تقام كل عام بمناسبة اتمام الترجمة السبعينية للتوراة بل وظهر بين اليهود مذهب يهودى جديد هو مذهب المتنطسين الذى أشرنا إليه.

ثانيا: بقى فيلون، وهو الفليسوف المتحرر، متأثرا بتعاليم دينه فهو عند حديثه عن المرأة اليهودية المحمودة السيرة يقول أنه كان عليها أن تصرف الشطر الأعظم من يومها فى البيت ولا تختلط بالناس فى الأسواق وأن تختار أهدأ ساعة فى اليوم لتذهب إلى البيعة لتؤدى فرائض الصلاة، وقد أبدى فيلون استنكاره لاقتحام الجند مخادع النساء بحثا عن الأسلحة فى أثناء فتنة سنة ٣٨م.

ولكنه وهو الحريص على أن تلتزم المرأة تعاليم الشريعة، ولا ينزعج عندما سلبت القوانين الرومانية من المرأة أهليتها القانونية.

وهكذا ترى فى دعوة فيلون الجمع بين أتباع أرقى آداب السلوك فى المجتمع الإغريقى وبين أداء شعائر الدين اليهودى واحترام القوانين التى فرضتها الدولة.

ثالثا: استمر اليهود فى العصر الرومانى مستمسكين بعادات معينة مثل إعراضهم عن أكل لحم الخنزير والإصرار على الختان إلى حد أن فيلون تصدى للدفاع عن تلك العادة دفاعا قويا، وأقام الدليل على فوائدها الصحية. ولم تشأ الدولة الرومانية أن تتدخل لإبطال هذه العادة واعتبرتها امتيازا خاصا باليهود، وذلك باستثناء تلك الفترة التى أمر فيها هارديان بتحريم إجراء عملية الختان فقد أعاد الإمبراطور أنطونينوس بيوس لليهود امتيازهم القديم.

رابعا: لا نستطيع أن نتصور أن اليهود كانوا يشاركون الإغريق وغيرهم الاحتفال بأعياد المدينة الدينية والمهرجانات والمواكب التى تقام من حين إلى حين، وإذا كان لا يستبعد أن المتحررين من اليهود أو بعضهم كانوا يقبلون على مشاهدتها فإن من المستبعد أنهم كانوا يشاركون فيها مشاركة فعلية.

خامسا: كان لليهود مقابر خاصة بهم وذلك منذ بداية إقامتهم فى المدينة.

سادسا: اعتداد اليهود بجنسهم ودينهم واعتقادهم أن يهوه هو ربهم خالصا لهم من دون العالمين وأنه تبعا لذلك يصعب على الشعوب الأخرى أن تصل إليه وأنهم باعتبارهم شعب الله المختار أرفع منزلة من هذه الشعوب التى تعبد أربابا مترفقةلا تسمو إلى مرتبة يهوه، وتنص تعاليم الربانيين أن الدين والجنس عنصران متلازمان لا يمكن الفصل بينهما ومن ثم لا يمكن أن يحدث تقارب بين الدين اليهودى والأديان الوثنية وقد وصف يوسف تيبريوس يوليوس إسكندر حين صبأ مرتدا عن دين آبائه وأجداده، وكان الأحبارمعلمو الشريعة «التناثيم– Teanaim» يرددون فى صلواتهم أن جهنم مثوى الصابئين والمرتدين عن دينهم خالدين فيها أبدا!!.

سابعا: كان الإغريق، فيما يبدو، يرون أن اليهود يحملون أوزار جنسهم ودينهم معا فقد اهتمت الدعاية ضد اليهود بإبراز المجتمع اليهودى فى صورة مجتمع منعزل ومنفصل عن حياة المدينة.

ومعنى هذا أن إغريق الإسكندرية فى العصر الرومانى كانوا يعتبرون اليهود فعلا عنصرا غريبا ليس على شاكلتهم «٤٤» وإذا أضفنا إلى ذلك ماكان هؤلاء الإغريق يكنونه لليهود من حقد لمؤازرتهم للرومان، فإننا نتبين بوضوح أن الإغريق كانوا ينفرون من اليهود ويضيقون بهم ذرعا فى مدينتهم. وفضلا عن ذلك فقد أسلفنا أن اليهود وصفوا فى وثائق

أعمال شهداء الإسكندرية بأنهم قوم غير متحضرين وأنه بسبب ذلك طالب الإغريق بحرمانهم من الالتحاق بالجمنازيوم وأن الإمبراطور كلاوديوس أجاب الاسكندريين إلى مطلبهم عندما حظر على اليهود المشاركة فى الألعاب التى ينظمها المنظمون يعنى إقصاءهم عن المجتمع الإغريقى السكندرى ودمغهم بعدم الأهلية للاندماج فى هذا المجتمع والقضاء على كل محاولة كانوا يبذلونها فى سبيل التقريب إلى جيرانهم، ومن ثم يعتبر ردا غير مباشر على محاولة فيلون التقريب بين ثقافة قومه وثقافة الإسكندرية، ولعل فلاكوس عندما وصف اليهود فى قراره بأنهم غرباء وأجانب يقيمون فى المدينة لم يصور كيانهم السياسى ووضعهم القانونى فحسب بل صور كذلك نظرة المجتمع السكندرى إليهم وبالاضافة إلى ذلك كان الإغريق يصفون اليهود بأنهم كفرة ملحدون «٤٥» anosioi مما يدل على احساس الإغريق العميق بأن دين اليهود دين أجنبى وقد بدأ هذا واضحا فى تنديدهم بالإمبراطور تراجان لأنه بدلا من أن يناصر الإغريق الذين تربطهم به الصلات والروابط الدينية للتشابه بين دين الإغريق ودين الرومان، كان يناصر اليهود الملحدين.

وجملة القول أن الإغريق كانوا يعتبرون اليهود غرباء فى الجنس والحضارة والدين ويرفضون ادماجهم فى مجتمعهم.

وإذا كان يهود الإسكندرية بصفة عامة أخذوا بمظاهر الحضارة الإغريقية وكانت فئة قليلة منهم قد ذهبت فى ذلك إلى أبعد مدى فارتدت عن دينها وقبلها المجتمع الإغريقى فى صفوفه.

فإن اليهود عامة، المتحررين منهم والمتزمتين، احتفظوا بدينهم وعاداتهم بدرجات متقاربة ولا سيما أن المجتمع الإغريقى أوصد دونهم منتدياته وأن الحكومة الرومانية اعتبرتهم غرباء عن المدينة، فتابعواحياتهم فى طائفتهم ومجتمعهم اليهودى.

وإذاكانت هذه هى حالة المجتمع اليهودى فى الإسكندرية، فماذاكان وضعهم الاجتماعى داخل البلاد؟

أسلفنا أن المجتمع اليهودى فى غير الإسكندرية كان ينقسم فى العصر البطلمى إلى عدة طبقات.

أولا: طبقة تضم كبار الموظفين وكبارملتزمى الضرائب وجباتها وأرباب الإقطاعات من الضباط والجند.

ثانيا: طبقة تضم الإجراء والرعاة وأصحاب المهن الحرة.

ثالثا: طبقة تضم العاملين فى المهن المتواضعة ويلحق بهذه الطبقة العبيد والعبيد المحررون.

أما فى العصر الرومانى فقد تضاءلت الطبقة الأولى بعد أن قل اعتماد الإدارة الرومانية على خدمات الموظفين وملتزمى الضرائب وجباتها من اليهود وبقيت الطبقات الأخرى تباشر حياتها التى اعتادتها من قبل. ونستطيع فى ضوء دراستنا للحياة الاقتصادية لليهود فى هذا العصر أن نقسم المجتمع اليهودى إلى عدة فئات.

أولا: ملاك الأرض وهذه طبقة تطورت عن طبقة أرباب الإقطاعات فى العصر البطلمى بعد أن تحولت إقطاعاتهم إلى ملكية خاصة.

ثانيا: أصحاب المهن الحرة مثل المشتغلين بالتجارة وأعمال النقل فى النيل ومن موانى البحر الأحمر وإليها.

ثالثا: العاملون فى المهن المتواضعة والعبيد الذين اعتقوا من الرق ونالوا حريتهم.

وماذا كان إذن نوع الحياة التى يحياها يهود الأقاليم تستطيع أن تتصور أن طبقة اثرياء اليهود حاولت أن تعيش على نمط أثرياء الإغريق فى عواصم الأقلية إذا كانوا على شاكلتهم يمتلكون الأراضى الزراعية أو يزاولون شتى أنواع النشاط الاقتصادى التى كانت تدر عليهم ربحا وفيرا وربما تابع فريق من اليهود ما بدأوه فى العصر البطلمى من تقليد حياة الإغريق وأن كان الموقف قد تغير تغيرا محسوما فى العصر الرومانى لأن دخول الجمنازيوم قصر عندئذ على الإغريق وأصبح الجمنازيوم مؤسسة تخضع خضوعا مباشرا لإشراف الإدارة الرومانية. وكانت هذه الإدارة شديدةالحرص فى تطبيق الأوامر الخاصة بدخول الجمنازيوم، ولذلك أصبح من المتعذر على أى يهودى إلحاق ابنه بالجمنازيوم ليصطبغ بالصيغة الإغريقية التى تمكنه من أن يبدو مثل الإغريق فى شكله ومظهره فيكتسب احتراماخاصا فى المجتمع فى عاصمة الإقليم وإذا كان إغلاق الجمنازيوم فى وجه اليهود قد حرمهم من الاندماج فى الوسط الإغريقى والحصول على أرفع أنواع الثقافة الإغريقية فإنهم دون شك لم يعدموا وسيلة للفوز بقسط من التعليم الإغريقى على أيدى مدرسين خصوصيين سواء من الإغريق أو اليهود المتأغرقين «٤٦».

وإذا كان يهود الإسكندرية قد استطاعوا بفضل جالياتهم أن يحيواحياتهم الخاصة ويؤدوا طقوس عبادتهم فى يسر وأمن وسلام، فإن يهود الريف كانوا أيضا ينتظمون فى جاليات تتجمع حول بيعتهم الكثيرة المنتشرة فى أنحاء متفرقة من الوجهين البحرى والقبلى وتوفر لهم كل مقومات حياتهم، فلا عجب أنهم كانوا يستمسكون بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم، وفى بعض المدن كان اليهود يقيمون فى أحياء خاصة إذ تشير مصادرنا إلى حى اليهود فى أوكسير ينخوس، وقد سبقت الإشارة إلى أنه كان لليهود حى خاص بهم

فى مدينة أدفو هو الحى الرابع فيها، ولما كان هذا الحى محاطا بسور ومنفصلا عن بقية الأحياء الأخرى، فإنه يمكن اعتباره «جيتو– ghetto» «٤٧» لو صح أنه فرض على يهود أدفو ألا يقيموا إلا فيه فى أثناء فتن العصر الرومانى ما جعل اليهود يلجأون إلى الإقامة فى الحى الرابع وإحاطة الحى بسياج وذلك لأنهم كانوا فى العصر البطلمى يقيمون فى كل أحياء المدينة دون التقيد بحى معين.

بعد أن تتبعنا تاريخ اليهود وأوضاعهم الاقتصادية القانونية والاجتماعية منذ أواخر العصر الفرعونى حتى العصر الرومانى أى منذ أن عاشوا فى مصر كأقلية عنصرية متميزة ذات شخصية واضحة المعالم، وعرفنا أنهم رغم معيشتهم فى وسط غريب عنهم وفى ظل حكومات أجنبية ليست على دينهم قد حافظوا إلى حد ما على مقومات حياتهم الخاصة.

وبفضل التسامح الدينى الذى ساد العصور القديمة استطاع اليهود أن يباشروا شعائر دينهم فى حرية تامة دون أى تدخل من الدولة أو من جيرانهم. ويلاحظ أن معابدهم وبيعهم لم تدمر أو تغلق إلا عقب اضطرابات سياسية كان اليهود أنفسهم فى كثير من الأحيان سببها..!

ومع احتفاظ اليهود بجوهر حياتهم، دفعهم التكالب على أمور الدنيا وتحقيق المنافع المادية إلى مجاراة البيئة التى يباشرون فيها نشاطهم فتركت فيهم كل من البيئة الإغريقية والبيئة المصرية آثارا واضحة المعالم.

وقد تبينا من دارسة مهن اليهود وحرفهم ومختلف نواحى نشاطهم الاقتصادى أنهم ألقوا سريعا الظروف الجديدة التى كان عليهم أن يعيشوا بمقتضاها واندفعوا يحققون نجاحا ماديا ملحوظا يعوضهم عما كانوا يفتقدون إليه من المكانة السياسية والاجتماعية..

ومن خلال هذه الدارسة، لعلنا لمسنا تشابها بين العوامل التى أدت إلى معاداة اليهود فى العصرين الهيلينستى والرومانى وتلك التى أدت إلى مناصبتهم العداء فى العصور الحديثة. ولذلك لعلنا لا نسرف فى الرأى إذا اعتبرنا أن مسئولية النكبات التى كانت تحل باليهود إنما تقع عليهم بسبب سلوكهم وصفاتهم التى تأصلت فيهم ولازمتهم طول عصور التاريخ!!.

هوامش الفصل الرابع

١- Bikermann: une Question d,Authenticite des priblleges juifs,An de l,nst. de phil. a l,hist. orien t.xIII. p. 396.
٢- J. Milne: a History of Egypt under the roman rule P.3, Lonedon, 1924.
٣- Suetonuis: teberics xxxvi
٤- Ricciotti: Histody of israel, vol ii,p. 382.
٥- philo, in flacc. 25-28.
٦- Idem.29
٧- Abdullatif a. ali: the confict between caligula and judaea ann. fac. arts, vol ii, 1953, p. 107
٨- philo, in flacc. 54.
٩- Iden. 55-72
١٠- Iden. 78-80
١١- J. Milne: op. cit, p. 19
١٢- Ricciotti: op. cit,p. 393
١٣- J.lesquier: i,armee romaine d,egypte d,auguste diocletien, p. 21,1918
١٤- c.p. jud. i p.90
١٥- c.p. jud i.p.92
١٦- c.p.jud. i,p.92
١٧- u. wiliken: antisimtismus p. 815
١٨- Dio cassius: roman History lxix, 12, 14
١٩- u.wilrken: op. cit, p. 820
٢٠- J.juster:op. cit,p.273
٢١- Iden.p. 274
٢٢- V.Tcherikover:op. cit,p. 28
٢٣- O.theb.36, 93- cp.jud. i.p.53
٢٤- J.juster: op.cit. p.146
٢٥- W.o.III.302
٢٦- Jos.ant.18,160, 259.

٢٧- E. Schirer:Geschicht des judischen, p.50. leipzig 1909
٢٨- Philo, in flaxx. 35-37
٢٩- Bgu. 1896- c.p.jud. iii 489
٣٠- Strabo: jos. ant xiv p.117
٣١- Jos. bel jud. vii p. 412
٣٢- Aicciitti: op.cit p. 179.
٣٣- Idem, p. 181
٣٤- Jos. ca.p.2 p.38
٣٥- Jos. ant, xix,p. 282.
راجع أيضا: عبد اللطيف أحمد على مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء أوراق البردى، ص١٠٣- القاهرة ١٩٦٠.
٣٦- J.juster:op.cit,p. 496
٣٧- Jos. b.j 2.p. 385
٣٨- J.juster:op. cit.p. 358
٣٩- Philo de somnis, 123, cf. j. juster:op. cit. p. 355
٤٠- J.juster: op.cit, p. 359.
٤١- Philo. legatio, 45
٤٢- J.juster op. cit. p. 486
٤٣- E. barker: from alexander to constantine, p. 133-134. oxford 1956
٤٤- J.juster:op. cit. p. 480
٤٥- Philo, in flacc. 26- 29
٤٦- l. Fucks: die juden in Aegyptens, p. 69, wien 1924.
٤٧- G. Nanteuffil: Fouilles franco- polonaises, rapports tell edfou, vol I. p. 145- 146, vol iii.p. 336-345

الباب الثانى:

مصر الإسلامية

الفصل الأول
يهود مصر الاسلامية

عقب الفتح الاسلامى لمصر، ازدادت الهجرات اليهودية إليها نتيجة تحسن أوضاعهم الاجتماعية فقد صار اليهود «أهل ذمة» بعد أن كانوا أقلية منبوذة تحت الحكم البيزنطى، ومن خلال القرون الثلاثة التى أعقبت الفتح الإسلامى توافدت هجرات يهودية متعددة من شرق العالم الإسلامى لتستقر فى منطقة حوض البحر المتوسط، واستوطن معظمهم مصر، فجو الحرية والتسامح الذى أتاحته دار الإسلام على رحابتها، وفر لليهود فرصا هائلة لم يسبق لهامثيل للمشاركة فى النشاط الاقتصادى المزدهر فى العالم الإسلامى.

وتشير المصادرالتاريخية إلى أن يهود مصر لم يعيشوا فى جيتو مثلماكان حال أقرانهم فى أوروبا الكاثوليكية طوال العصور الوسطى، فالمجتمع المصرى الإسلامى لم يعزلهم باعتبارهم أقلية منبوذة، ومارس يهود مصر أنماطا متعددة فى مجالات النشاط التجارى والإدارى وفى التعليم والطب والمال والمهن الحرفية، باختصار شديد مارس يهود مصر الإسلامية نشاطهم بدءا من الوزارة حتى أصغر المهن التى عرفها المجتمع المصرى.

وقد اعتمد الإسلام فى نظامه السياسى الأخذ بالمبدأ الشرقى القديم الذى يعتبر القانون شخصيا، أكثر منه إقليميا «١»، وعليه فقد أتاح للأقليات الدينية، مثل اليهود نوعا من الحكم الذاتى والشعائر الدينية والعادات والتعليم والمساعدات الاجتماعية، من

صلاحيات هذه الأقليات، وكانت السلطة الإسلامية تصدر مراسيما لتعيين زعماء الطائفة، الذين انتخبتهم الطائفة نفسها، فى مناصبهم، وقد أكدت هذه المراسيم من جديد الحقوق الإدارية والدينية التى بلورتها وأقرتها التقاليد المتوارثة فى حياة الطائفة اليهودية.

وتكاد لا نعرف شيئا عن نمط التنظيم الطائفى اليهودى فى خلال الفترة الممتدة بين الفتح العربى والقرن العاشر، ولكننا، من ناحية أخرى، نجد سيلا من المعلومات التى أخذت تتدفق علينا مع بداية العهد الفاطمى فبفضل اكتشاف جنيزة القاهرة أصبحنا على معرفة تامة بأسلوب النظام الداخلى لحكم اليهودى الذاتى فى مصر «٢». خلال القرون ١٠- ١٣م، ما يفوق معلوماتنا عن أية جالية يهودية أخرى فى خلال تلك الفترة.

سلطة «البيشيفا» ومنصب «الناجد» رئيس اليهود فى مصر

يذكر المؤرخ اليهودى المصرى يوسف بن اسحاق السمبرى، فى القرن السابع عشر «٣» أن الفاطميين سرعان ما استحدثوا فى مصر سلطة مركزية مستقلة على اليهود، وهى منصب «الناجد» حيث يقول:

«فى سنة ٣٦٣ للهجرة، «٩٧٣- ٩٧٤م» تسلم الخلافة ببغداد الخليفة الطائع، فزوج ابنته بسلطان مصر الذى كان يدعى «عصر الدولة» ووصلت الملكة إلى مصر سنة ٣٦٦هـ «٩٧٦- ٩٧٧م» فسألت إن كان ليهود مصر سلطان أو أمير كما هو الحال فى بابل «أى بغداد» عاصمة الخلافة العباسية.. فأخبرها السلطان بأن اليهود ليس لهم ملك أوأمير، فلذلك قالت: أن لهم فى مملكة أبى رئيسا «ناسى» يسمى الداودى لأنه من نسل داود «أى رأس الجالوت» فابعث فى طلب شخص من تلك الأسرة يأتى إلى مصر، فسر السلطان بذلك وبعث برسائل مع السعاة إلى بغداد.. فبعثوا إليه بفلان الحبر العالم والحكيم من أسرة « الناسى» بالعاصمة، فوضعه سلطان مصر فى أرض مصر ومنذ ذلك الوقت وجد منصب: «الناجد» فى مصر جيلا بعد جيل».

ورغم الأخبار الغريبة التى وردت فى رواية السمبرى، والتى اشتملت أيضا على وصف رأس الجالوت فى العراق، وهو ما اقتبس حرفيا تقريبا عن الرحالة بنيامين التطيلى، فإن معظم الباحثين يعتقدون باعتماد رواية السمبرى هذه على عنصر تاريخى حقيقى.

ويعزز من هذا الاعتقاد ورود هذه الرواية مرة أخرى فى رد كتبه الحبر داود بن أبى زمره كبير حاخامى القاهرة فى القرن السادس عشر «٤» وفضلا عن هذا، فإن هذا الاعتقاد يقوم على أساس منطقى أيضا، ومفاده أن الفاطميين كانوا متلهفين على استحداث مؤسسة مستقلة لزعامة يهود مصر، وذلك بغية إبطال ولاء هؤلاء اليهود لرأس

الجالوت الذى كان يعينه خصومهم العباسيون فى بغداد.

إلا أن هذا التفسير للحقائق التاريخية لم يعد ممكنا كما يشير البروفيسور مارك كوهن «٥» وذلك لأننا لم نعثر بين العدد الهائل من وثائق الجنيزةالخاصة بمطلع الحكم الفاطمى على شهادة واحدة تشير إلى وجود «الناجد» فى مصر، أو قيام أى منصب رفيع آخر عهد إليه بالسلطة العليا لإدارة اليهود فى العصر الفاطمى، بل إن وثائق الجنيزة تثبت، أن الفاطميين فى أول عهدهم قد اعترفوا برئيس المعهد الدينى فى فلسطين رئيسا على يهود دولتهم.

أضف إلى ذلك أن متطلبات الإدارة فى الدولة الفاطمية قد أسهمت بدورها فيما يبدو، فى رفع شأن رئيس المعهد الفلسطينى. فقد تطلع الخليفة الفاطمى، بعد قيام دولته المستقلة فى مصر وفلسطين، إلى ممارسة صلاحيات الخليفة، بما فيها العادة التى جرى عليها العباسيون فى تنصيب شخصيات مرموقة من غير المسلمين، ومن ذوى النفوذ على طوائفهم ومعابدهم وكان من الطبيعى أن يقع اختيار الخليفة عند بحثه فى نطاق دولته عن سلطة تماثل سلطة رؤساء المعاهد ورأس الجالوت ببغداد على رئيس معهد أورشليم بالذات، ولما كانت صلاحية إقامة المحاكم الدينية، وتعيين القضاة الشرعيين ذوى السلطةالقانونيةعلى معظم النواحى الداخلية للطائفة، هى العنصر الأساسى فى الحكم الذاتى الذى منحه الإسلام لغير المسلمين، فقد كان انتخاب رئيس معهد أورشليم لهذا الغرض طبيعيا وضروريا فى آن معا، لقد كان من حقه وحده تعيين القضاةالشرعيين، كماكان ممثلا للسلطة القضائية العليا فى الطائفة اليهودية، وبناء على ذلك قام الفاطميون، بعد دخولهم مصر بفترة وجيزة بتعيين رئيس معهد أورشليم رئيسا على اليهود فى الدولة الفاطمية، ونحن هنا لا نأخذ بالرأى القائل بأن الفاطميين أقدموا على هذه الخطوةبغية ثنى مواطنيهم اليهود عن ولائهم لرأس الجالوت ببغداد العباسية، وذلك بهدف تفسير مسألةاستحداث منصب «الناجد» فقد أقدم الفاطميون على ذلك، فى الواقع، رغبة منهم فى ضمان مطالبتهم السياسية بالخلافة وليس لتخوفهم من ولاء اليهود فى دولتهم للزعامة اليهودية فى العراق، وإذا كان تعيينهم لرئيس معهد فلسطين قد عزز مكانه المعهد الفلسطينى فعلا بين يهود مصر، فقد كان ذلك نتيجة عرضيه وليس هدفا خططت له السياسةالفاطمية سلفا.

ورغم دور الفاطميين الكبير فى تحديد شخصية الرجل الذى تزعم اليهود فى دولتهم «٦» فإن تحديد مضمون هذه الزعامة كان يتم، إلى حد بعيد، من قبل العناصر

اليهوديةالداخلية وليس من قبل الفاطميين، فقد أكد مرسوم تعيين الجاءون «رئيس المعهد» حقوقا تأصلت فى تقاليد الطائفة اليهودية، فقد أسندت إليه السلطةالدينية العليا وحق تفسير التوراة فى الخطبة الدينية، كما كان رئيس المعهد هو المشرف على شؤون الزواج والطلاق «٧» وعلى سلوك اليهود الدينى والأخلاقى، بما فى ذلك تصرفاتهم إزاء المسلمين، ومن حقه أيضا فرض الحرمان «الحيرم» وتعيين أو إقالة الخطباء الدينيين والحزانين «أئمة الصلاة فى المعبد» والجزارين الشرعيين، وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين ومراقبة أعمالهم وأعمال القيمين على المحاكم الشرعية، وكان يكنى « رئيس المثيبة»، كما كان قراره فى أمور الدين والإدارة نافذا لا رجعة فيه وأخيرا فإن رئيس المعهد كان يستطيع تفويض صلاحياته لكل من يصطفيه محليا أو فى أى مكان من الدولة.

وكان الفاطميون يدعمون منصب رئيس المعهد بدفع هبة مالية للمعهد «٨» على النحو الذى اتبعوه مع المؤسسات الدينية النصرانية، بيد أن هذه الهبة المالية توقفت حين شرع الحاكم بأمر الله، فى عشرينات القرن الحادى عشر، بالتضييق على أهل الذمة!

ويبدو أن التراخى فى الروابط التى شدت يهود مصر إلى معهد أورشليم كاد يؤدى إلى شكل جديد من الاستقلال الطائفى ليهود مصر، وذلك فى العقود الأخيرة من القرن العاشر والربع الأول من القرن الحادى عشر، فقد أخذ فى هذا الوقت حاخامان تلقيا علومها الدينية فى العراق يطبقان فى مصر أعرافا كادت تزعزع تماما سلطة المعهد الفلسطينى على اليهود فى الدولة الفاطمية.

وكان أول هذين الحاخامين شمريا بن الحنان، وهو أحد الأسرى الأربعة» الذين يعزو إليهم إبراهيم بن داود مؤلف «سيفر هقبلاه» «٩» نشر شريعة العراق فى كافة أنحاء الأندلس والمغرب ومصر. وقد أنشأ شمريا «مدراش» «مدرسة دينية» لتعليم التلمود بالفسطاط، وكان نظام هذا المدراش شبيها بنظام مدارس الصبيان التى قامت بجوار المعاهد فى العراق، كما قام شمريا بنشر الردود على الأسئلة الدينية باسمه، متبنيا فى مراسلاته أسلوب رؤساء المعاهد، ثم أنه كان يحمل لقب «أب بيت دين» رئيس محكمة شرعية» وهو عادة من حق رئيس المحكمة الربانية فى المعهد، ومن الجدير بالذكر أنه لا يحمل، فى أى من الوثائق المتعلقة به، لقب« حبر» الذى كان يمنحه رئيس المعهد الأورشليمى.

وقد ورد اللقب العربى «رئيس اليهود» منسوبا إلى شمريا فى إحدى رسائله « ١٠» وربما كانت السلطة الفاطمية اعترفت به اعترافارسميا بشكل ما، وذلك ادراكا منها بأنه

شغل فى الواقع كثيرا من المهام التى اقتصرت ممارستها على رئيس المعهد، بيد أن هذا اللقب لم يستعمل، باعتباره لقبا رسميا للسلطة المركزية على يهود الدولة الفاطمية، إلا فى نهاية ذلك القرن.

وقد فاق الحنان بن شمريا أباه فى إمعانه بتحدى رؤساء المعهد، فقد مارس إلقاء الخطبة فى الجماعة، وكانت من حق رئيس المعهد فقط، بل أنه عين له معيدا ينقل أقواله إلى المجتمعين، وفرض «الحرمان» الدينى، وجمع التبرعات من طوائف فلسطين بالشام للمدراس الذى انشأه أبوه بالفسطاط، كما أنه تمكن أيضا من الحصول على هبة مالية من الخليفة الفاطمية لهذه المدراس، ويستدل من إحدى الرسائل فى جنيزة القاهرة على أن الحنان هذا كان ينوى المطالبة بمرسوم فاطمى يخوله السلطة على يهود مصر «١١» وذلك فور اعتلاء الخليفة الظاهر كرسى الحكم فى فبراير ١٠٢١م. وإزاء هذه التحديات السافرة لصلاحيات رئيس المعهد قام المعهد الفلسطينى بمعاقبة الحنان بانتزاعه منه لقب «رئيس محكمة شريعة» الذى كان يحمله أبوه، كما ألقت عليه الحرمان أيضا.

فى هذا الوقت بالذات حدثت فى مصر تطورات داخلية، خلقت الظروف المواتية لاستبدال رئيس المعهد الفلسطنى بأحد الزعماء المحليين من يهود مصر، رئيس على يهود الدولة الفاطمية، فقد شرع الوزير بدر الجمالى، وكان حاكم الدولة الفاطمية الفعلى فى السنوات ١٠٦٤- ١٠٩٤م، باتباع سياسة جديدة ألزمت الأقباط بنقل مقر بطريركيتهم الدائم من الإسكندرية إلى القاهرة وذلك بغية حماية المصالح الفاطمية فى النوبة والحبشة اللتين اعتقدتا بوحدانية طبيعة المسيح وتبعتا فى الوقت ذاته الكنيسة القبطية فى مصر، ويبدو أن تركيز السلطتين الدينية والعلمانية للأقباط فى القاهرة أدى إلى إحداث تطور مماثل لدى اليهود أيضا، وذلك بقيام سلطة يهودية مقرها القاهرة، فى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر.

ورغم أن العوامل الخارجية كان لها أثر كبير فى هذا التطور، فإن الدور الحاسم فى هذا الأمر كان من نصيب زعيم الطائفة اليهودى فى العاصمة المصرية «١٢» لقد شهد هؤلاء الزعماء وكانوامن مؤيدى المعهد الفلسطينى سابقا، التطورات المهمة التى جدت داخل المعهد وخارجه، وما كان من ضعف نفوذه فى مصر نتيجة لذلك، وإزاء الفرا غ الإدارى نتيجة تضعضع المعهد،وانتقال مركز الزعامة القبطية إلى القاهرة استجابة للتغييرات الجديدة فى السياسة الفاطمية، فقد تحول هؤلاء الزعماء بولائهم من المعهد الفلسطينى إلى أسرة محلية أيضا، وكانت هذه الأسرة ذائعة الصيت، عمل كثيرون من

أبنائها أطباء فى خدمة الخليفة وعلى رأس هؤلاء الأخوان يهودا ومبوراخ «مبارك» بن سعديا، وإذ تقلد هذا الأخوان السلطة التى كانت من قبل وقفا على رئيس المعهد، فقد حظيا بتأييد كبا رجال الطائفة اليهودية، كما حظى المنصب الذى استحدث فيما بعد باعتراف الفاطميين حتى سنة ١٠٨٢م، وكان صاحب هذاالمنصب يلقب برئيس اليهود.

ففى ذلك العام أقيل مبارك من منصبه، واستبدل بالرئيس «الناسى» داود بن دانيال بن عزريا– الناسى ورئيس المعهد وقد أمعن داود هذا، الذى تولى الرئاسة فى الفترة ١٠٨٢–١٠٩٤م فى التفرد بمعظم المهام التى منحها الفاطميون فى السابق لرئيس المعهد وذلك رغم المعارضة الشديدة التى أبداها رؤساء المعهد فى أورشليم، وفى سنة ١٠٩٤ أعيد تنصيب «١٣» الناجد مبارك بن سعديا، طبيب الوزير الأفضل بن بدر الجمالى، وفى عهد هذا الناجد الحازم تم استبدال رئيس المعهد برئيس اليهود الذى بسط سلطاته الادارية والدينية العليا على كافة اليهود فى الدولة الفاطمية.

وكان مبارك بن سعديا، باعتباره رئيسا رسميا ليهود مصر يسيطر على المهام والمناصب التى اقتصرت سابقا، بشكل صارم. على رئيس المعهد الفلسطينى، فقد كان مبارك أعلى سلطة قضائية فى البلاد، قام بتعيين القضاة الشرعيين للطوائف المحلية بواسطة المحكمة الكبرى للقضاة فى العاصمة، وكما كان الحال بالنسبة لرؤساء المعهد، فقد تولى مبارك رئاسة محكمة الاستئناف الشرعية، يتوجه إليه المتقاضون من المحاكم المحلية، كما كان بوسع رئيس اليهود فرض رأيه بما كان له من الهيبة التى يكنها المواطنون فى الأقطار الإسلامية لحاكمها، وكان يصلح ذات البين لدى العامة والخاصة، كما لعب دورا مهما فى تنظيم الحياة الدينية، وخصوصا بتعميمه نصا موحدا للصلاة، والإشراف على الانضباط فى المعابد، وسنه بعض القوانين المتعلقة بحياة الأسرة، وأخيرا فإنه قام بدور الوسيط لكافة اليهود عند حكامها الفاطميين ولم يكن رؤساء المعهد سابقا قادرين على هذه المهمة نظرا للمسافة الشاسعة بينهم وبين مركز الخلافة فى القاهرة.

وفى عهد مبارك استحال منصب رئيس اليهود، أو الناجد كما دعى فيما بعد خير ممثل للحاكم الذاتى لليهود فى العالم الإسلامى، وقد بقى هذاالمنصب حتى بداية القرن السادس عشر إلى أن ألغى فى أعقاب احتلال العثمانيين لمصر، فى ظروف لم تتضح لنا بعد!.

التنظيم الطائفى

لقد كانت أخطر المهام التى انتزعها رئيس اليهود من رئيس المعهد هى تعيين وكلاء محليين لإدارة شئون الطائفة على المستوى المحلى، وهذا الطائفة المحلية، كانت الخلية

الأساسية فى الحياة اليهودية المنظمة فى خلال هذه الفترة، ويبدو أن الأمر يحتاج إلى توضيح لمعنى «التنظيم» فالمؤرخون الذين درسوا حياة الطائفة اليهودية فى القرون الوسطى أشاروا إلى بلاد أوروبا الشمالية، أو الطوائف الإشكنازية، باعتبارها المكان الأول الذى قامت فيه طائفة يهودية منظمة ومستقلة ، وقد كان ذلك، وفقا للرأى الشائع، فى القرن الحادى عشر تقريبا، وفى نفس الفترة التى ظهرت فيها الكوميونات المسيحية على شكل وحدات سياسية منفصلة منحها رجال الإقطاع أو الملوك وثيقة الحكم الذاتى وبناء على ذلك تجرى المقارنة بين التنظيم اليهودى المحلى والتنظيم المحلى المسيحى، فتنسب بذلك للطوائف اليهودية المحلية كثير من الخواص النقابية التى اتصفت بها الكوميونة المسيحية فى القرون الوسطى «١٤».

أما حياة الطوائف اليهودية فى الشرق الإسلامى فقد قيل عنها أنها مفككة وغير مستقرة، وقد جرى التأكيد بشكل خاص على طابع المركزية والهيروقراطية عند الطوائف اليهودية فى الدولة الإسلامية، حيث حال رئيس المعهد أو الناجد دون قيام طائفة مستقلة ومنظمة بشكل «ديمقراطى». ويرى البعض فى هذا الشكل الهيروقراطى للتنظيم الطائفى نوعا من الاستبداد!..

وتبعا لهذا الرأى، فإن تركيز السلطة، وغياب الحكم الذاتى المحلى فى العالم الإسلامى قد انعكسا على حياة اليهود فى العالم العربى القروسطى «١٥».

ان جنيزة القاهرة، بما فيها من فيض الرسائل المتعلقة بحياة يهود مصر، تقضى فى الواقع بإعادة النظر فى هذا الموقف، ذلك أن الحياة الطائفية المحلية تظهر، من خلال هذه المصادر، باعتبارها عنصرا مهما فى العلاقات الاجتماعية اليهودية «١٦»، ولكن الطابع التنظيمى هنا أقل شكلية، وأكثر مرونة مما تظهره لنا المصادر المتعلقة بحياة الطائفة اليهودية فى أوروبا الشمالية.

وبالنسبة للخدمات الاجتماعية الأساسية فقد كانت مركزية سواء فى جمع الإيرادات أو فى إنفاق المصروفات، وكان المصلون، فى الأماكن التى يقوم فيها كنيسان «معبدان» للربانيين، يجتمعون تحت سقف واحد فى المناسبات الخاصة، كما كان القراؤون ينضمون إليهم فى بعض الأحيان أيضا، وتجدر الإشارة هنا أننا نقصد فترة ما قبل الانشقاق التام بين اليهود الربانيين واليهود القرائين، والذى حدث فى القرن الثالث عشر نتيجة للحملة العنيفة التى قام بها الرئيس موسى بن ميمون «رمبام» وأعلى فيها الحواجز بين الربانيين والقرائين من يهود مصر «١٧»!!

لم تقتصر عضوية الطائفة على جماعات المصلين فى المعابد المختلفة وحسب، وإنما ضمت كل أبناء الطائفة بمن فيهم النساء والأطفال،وكثيرا ما كان يجتمع أبناء برمتهم للتباحث فى أمور ذات أهميات متباينة، ونظرا لأن معظم الطوائف كانت صغيرة، فلم يكن من العسير تجميع كل أبنائها فى مكان واحد، وقد اتفقت هذه الطوائف على الأخذ بمبدأ الإجماع فى اتخاذها القرارات، وذلك أن الجدل حول هذا المبدأ من ناحية، ومبدأ الأخذ برأى الأغلبية من ناحية أخرى، والذى شغل الطوائف الإشكنازية طويلا، لم يكن قائما فى الطوائف المتمثلة فى الجنيزة، وليس من الغريب أن تكون الكوميونة المسيحية فى أوروبا، بكل اجراءاتها الديمقراطية المستقاة من القانون الرومانى، قد شكلت قدوة للمشرعين اليهود هناك، بل دفعهم الأمر أيضا إلى التنقيب فى الشريعة اليهودية بحثا عن التبريرات التى تتيح للأغلبية فرض إرادتها على الأقلية، أما فى العالم الإسلامى فقد كان الحكم الذاتى أقل تزمتا بل أكثر تسامحا، بالمقارنة مع أوروبا وهكذا فإن هذه المشاكل لم تكن قائمة بالنسبة للمسلم أو جاره اليهودى «١٨».

أصحاب المناصب

رغم مشاركة الطائفة فى بعض من نواحى الحياة السياسية، فإن القسم الأكبر من شئون الحياة اليومية فى الطائفة كان وقفا على مجموعة صغيرة من الرجال، الذين تمكنوا بفضل مركزهم أو تعيينهم، أو كليهما معا، من القيام بالمهام الضرورية، فهناك جماعة ورد ذكرها فى كل مكان، وهى جماعة الشيوخ ولم تكن مؤسسة الشيوخ هذه، التى قامت بعد «كهنة» الكنيس المذكورة فى المصادر الهيلينية و «وجهاء المدينة» المذكورة فى الأدب التلمودى، مقصورة على اليهود فى العالم الإسلامى، ولكن وثائق الجنيزة توضح، أكثر من أى مصدر آخر، المهام التى مارسها هؤلاء «الشيوخ» فى الطوائف اليهودية فى خلال القرون الوسطى.

ويمكن القول، بوجه عام، أن شيوخ اليهود فى مصر كانوا نواة من الموظفين المدنيين الذين يتمثل عملهم فى مساعدة المسئولين عن مجالات معينة فى حياة الطائفة.

زعيم الطائفة «المقدم»

أشارت بعض الوثائق والمراجع التاريخية «١٩» إلى المهام المتنوعة الواسعة التى مارسها زعماء الطائفة المحلية بأنفسهم، وقد كان فى ذلك كثير من المرونة، ذلك أن الزعيم الخبير بأمور الدين مثل إفرايم بن شمريا، وكان يحمل لقب «الحبر» من المعهد الأورشليمى، وكان يعالج القضايا الإدارية والدينية كلها، مثل إصدار الأحكام، وتطبيق

الفرائض اليهودية، ومراقبة سلوك أبناء الطائفة، والخدمات الاجتماعية، ولم تكن سلطة إفرايم القضائية مقصورة على يهود الفسطاط وحسب، بل تعدتها إلى الطوائف اليهودية المحيطة بالفسطاط أيضا. ومن ناحية أخرى فإن رؤساء الطوائف فى القرى الصغيرة كانوا، فى الغالب، أقل إلماما بالشريعة من زعماء المراكز الكبيرة كالفسطاط، ولذا فقد كان لوظيفة «الشيوخ» أهمية كبيرة فى تلك الأمكنة النائية، ولا سيما فى إصدار الأحكام.

وقد طرأ فى خلال الفترة التى نحن بصددها هنا تغيير ملموس على مصطلح وتنظيم الزعامة اليهودية المحلية فى مصر، فقد جرت العادة، حتى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر، وكان رئيس معهد أورشليم مازال يتمتع باعتراف الحكومة الرسمى كرئيس لليهود فى الدولة الفاطمية، أن يعين رئيس المعهد بنفسه رؤساء الطائفة المحليين فى مصر، وكان هؤلاء الرؤساء الذين يختارون عادة، كما هو الحال بالنسبة لأفرايم بن شمريا، من بين «أحبار» المعهد، من تلامذة الحاخاميين والقضاة، ولكن هذا النموذج لم يكن موحدا: فبالنظر إلى الهيكل التنظيمى للطائفة، آلت إدارة بعض الطوائف إلى رجال تدل صفاتهم على أن وظيفتهم الأساسية كانت فى مجال آخر من مجالات الخدمات الطائفية، وهكذا فإننا نجد الحزانين والنساخ، على سبيل المثال، يتقلدون أحيانا هذاالمنصب الرفيع فى الطائفة «٢٠».

وحين أدت تقلبات الدهر، فى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر، إلى تفكك المعهد الأورشليمى، وتبلور منصب جديد لرئيس اليهود فى الوقت ذاته، فإن تغييرا دقيقا طرأ على المصطلح الدال على الزعامة المحلية،وكان فى ذلك ما يشير إلى تغيير فى غايات التنصيب والتنظيم السياسى، فقد تضمن التغيير الاصطلاحى استحداث الكلمة العربية «مقدم» وإطلاقها على الزعماء المحليين «٢١» ولفظة «مقدم» هى مصطلح شديد المرونة فى المعجم السياسى العربى فى القرون الوسطى، وعلى النحو ذاته لدى اليهود الناطقين بالعربية أيضا، وعليه فإننا نجده فى وثائق الجنيزة يدل على مهام كثيرة ومتنوعة مثل : إمام الصلاة فى الكنيس، صاحب وظيفة فى الكنيس، كبير الحزانين، كبير الأطباء، وحتى رئيس المعهد ذاته.

وحوالى سنة ١١٠٠م نجد لفظة «المقدم» تستخدم بشكل ثابت للدلالة على المسئول عن إدارة شئون الطائفة المحلية ويبدو أن هذا التجديد الاصطلاحى كان انعكاسا لعلو شأن رئيس اليهود، بل أن داود بن دانيال، على وجه التحديد، هو الذى أحدث فيما يبدو هذاالتجديد، فقد كان نجل « الناسى» ورئيس المعهد السابق دانيال بن عزريا، وهو من

أصل عراقى وكان يطمع فى فى الوصول إلى عظمة أسلافه من رؤساء الجالوت، كما كان أول رئيس لليهود يقطع علاقته بالمعهد الفلسطينى علنا، وكان من بين الإجراءات العصيانية، التى قام بها بن دنيال تعيين رؤساء الطائفة المحليين، ولما كان المعهد وحده هو المخول بمنح لقب «الحبر» فقد لجأوا إلى المصطلح العربى أى «المقدم» بدلامن اللفظ العبرى، ليطلق على «الزعيم» وهكذا حصل المنصبون منذ ذلك الحين، وكان بينهم الحزانون والنساخ على لقب «المقدم» بفضل المناصب الادارية التى تقلدوها، حتى أصبح مصطلح «نائب» أيضا على الذين اختيروا لإدارة شئون الطائفة المحلية، وبهذا فقد مثل استحداث هذا اللقب انتزاع الحق بتعيين الزعماء المحليين من أيدى رئيس المعهد.

وكانت مهام «المقدم» تختلف تبعا لمؤهلاته ومواهبه «٢٢»، ونستطيع استخلاص مجموعة من الواجبات المناطة بمنصب المقدم، من رسالة موجهة إلى طائفة المحلة سنة ١١٠٠م تقريبا، وتتضمن رد كبار القضاة بالفسطاط، باسم الناجد مبارك بن سعديا، وذلك أثر خلاف وقع بين زمرة من أبناء الطائفة وبين «مقدم» المحلة وأدى إلى اعتزاله منصبه. وتتجلى مهام «المقدم» بوضوح من خلال وصف الفوضى التى عمت هناك نتيجة لاعتزاله:

(...) ودخل عليهم الخلل بعدم من ينظر/ فى أحكامهم ومشاجراتهم وأن ذلك قد انكشف إلى موت/ هعولام «أى:غير اليهود) وضعف خبر الأسور والهتر «أى: الحرام والحلال» عندهم وعدم سماع/ دبى توراه «رأى: كلام التوراه» فى الفصول والموعديم «أى الأعياد الدينية» والشبتوت «أى: أيام السبت» على عاداتهم/ وتحنيك صبيانهم ونواشئهم على التوراة والمصوت «أى: الفرائض الدينية» وإرشادهم/ إلى طرق الصواب واراعهم عن السلوك فى ضدها «..»

يتضح مما سبق أن المقدم استطاع أن يتولى القضاء، ويفصل فى أحكام الدين، ويشرف على السلوك العام، ويعلم الصغار والكبار «٢٣» ومن الجدير بالذكر أن «مقدم» المحلة كان ملما بأصول الدين، منذ حصوله على لقب «الحبر» وفى ذلك ما يفسر عمله معلما ومربيا، ومع ذلك فإنه لم يستمد سلطته الإدارية فى الطائفة المحلية من رئيس المعهد الفلسطينى وإنما من رئيس اليهود فى مصر، ولذا فإن الخلاف رفع إلى مبارك بن سعديا ليبت فيه.

وقد كان القرار الذى اتخذ فيما بعد، كما يتضح من وثائق الجنيزة حول هذه القضية، بإعادة «المقدم» إلى منصبه، من صلاحيات الناجد وكبار القضاة، إذ هم الذين كانوا عينوه فى منصبه.

وبالإضافة إلى «المقدم» الذى تحدد وثائق الجنيزة مكانته فى الطائفة بوضوح، هناك مسئول آخر تذكره الوثائق كثيرا، ولكنها لا توضح ماهية مهامه على الإطلاق، ويدعى فيها «روش هقهال» أى رئيس الجماعة، أو «روش هقهيلوت» أى رئيس الجماعات «٢٤» وينطوى هذا اللقب على ازدواجية الدلالة فى كلمة «قهال» كما ذكرنا آنفا، ويرى «اشتور» أن «روش هقهال» كان رئيسا على الشيوخ، وأن مهامه لم تختلف عن المهام التى قامت بها مؤسسة الشيوخ المذكورة، أما جويتاين فيعتقد أن هذا اللقب قد حل محل اللقب القديم «روش هكنسيت» أى رئيس الكنيس، كما يرى أن هذا اللقب يشير فى فترة الجنيزة أساسا إلى رئيس جماعة المصلين فى كنيس معين، ولكن جويتاين يضيف قائلا: «بأنه لما جرت العادة فى القرنين العاشر والحادى عشر بتعيين «أحبار» من قبل المعهد الفلسطينى، ثم تعيين المقدم فيما بعد لمنصب رئيس الطائفة، فقد تطور «روش هقهال» إلى لقب فخرى لا ينطوى على أية أهمية إدارية» «٢٥».

القضاة الشرعيون والمحاكم الشرعية

لقد كانت المحاكم الشرعية، بالطبع، العمود الفقرى فى حياة الطائفة المحلية فى مصر، ففى مجتمع تكاد تتلاشى فيه الحدود تماما بين الدين والسياسة، ويحكمه مبدأ القانون الشخصى لا الإقليمى، اكتسب القانون الدينى اليهودى «والقبطى أيضا» صلاحية شاملة، مما جعل القاضى الشرعى، تلقائيا، شخصية ذات شأن كبير فى إطار الحكم الذاتى إلا أن هذه المؤسسة المسؤولة عن التفسير اليومى للشريعة اليهودية وتطبيقها كانت مرنة بعيدة عن الصرامة «٢٦» شأنها فى ذلك شأن المؤسسات الأخرى للطائفة المحلية، فقدكان عدد القضاة الذين يجلسون للقضاء، على سبيل المثال غير موحد، صحيح أن «محكمة الثلاثة» التى يذكرها التلمود كانت قائمة، إلا أن محاكم أكبر منها كانت أيضا من عشرة قضاة أحيانا!

وكان القاضى المتخصص يتقاضى أجره من الطائفة، ويسمى ديان «قاض» أو «بيت دين» محكمة، وهو اختصار «أب بيت دين» «رئيس المحكمة» لم يكن القاضى يجلس وحده للقضاء، وإنما يساعده رجلان على الأقل يوقعان على الأحكام، وكانا عادة من «الشيوخ» وقد ظل رئيس المعهد الأورشليمى يقوم بتعيين القضاة حتى أواخر القرن الحادى عشر، ثم خلفه فى هذه المهمة، رئيس اليهود، كما كان على القاضى أن ينال تصديق الحكومة الفاطمية على تعيينه،وفى مسودة طلب مقدم للحكومة الفاطمية للتصديق من جديد على تعيين يوسف الكاهن، قاضى يهود الإسكندرية، كتبت على ما يبدو، سنة ١٠٣٦م نجد

تحديدا لصلاحياته، ومن بينها النظر «فى أحكامهم وعقد نكاحاتهم وطلاقاتهم على سنن مذهبهم» وبالفعل فإن فيض الوثائق القضائية من الجنيزة، ويقدر بالآلاف ، يؤكد أن القضاة فى مصر قد كرسوا معظم وقتهم للنظر فى القضايا المالية التى نشأت فى الغالب عن الشراكات فى العمل، والنظر فى الاحوال الشخصية، وتحدد الوثيقة مسئولية القاضى أيضا عن «نصب حزانين فى معابدهم وعزل من يرى عزله «وليس من الغريب أن يقوم قاضى يهود الإسكندرية بمهام إدارية كتعيين الحزانين والإشراف على الخدمات الاجتماعية، ففى ذلك ما يشير إلى الدمج بين المهام الدينية والإدارية من جهة كما يشير، من ناحية اخرى، إلى مرونة التنظيم داخل الطائفة اليهودية ذاتها وتمثل فى كثرة المهام التى اضطلع بها موظفو الطائفة «٢٧».

كذلك يمكن الإشارة هنا إلى ظاهرة أخرى من ظواهر تداخل الوظائف والمؤسسات المختلفة فى الطائفة، ففى وثائق الجنيزة من القرنين العاشر والحادى ترد كلمة «هشوفيط»- أى الحاكم وقد رأى «جويتاين» احتمال استخدام هذه اللفظة فى الإشارة إلى من اشتغل بالقضاء بشكل جزئى فقط، دون أن يكون قاضيا شرعيا متخصصا، أو الإشارة إلى من اشتغل «حاكما متجولا» ينتقل من مدينة إلى أخرى أو حتى إلى القاضى المتخصص نفسه أيضا.

وقد مرت مصطلحات التنظيم القضائى ومضمونها بتغييرات طفيفة، ولكنها بالغة الأهمية ، وذلك مع ظهور منصب رئيس اليهود كسلطة مركزية عليا بين يهود الدولة الفاطمية (٢٨) فى أواخر القرن الحادى عشر. ففى الفترة الأولى من تولى مبارك بن سعديا منصب رئيس اليهود «حوالى ١٠٧٨- ١٠٨٢م» قام بتعيين القضاة فى مدينة الإسكندرية مبتدئا بذلك مرحلة أدت فى نهايتها إلى ضعضعة السلطة القضائية لرئيس المعهد الفلسطينى، وواصل هاود بن دانيال، خليفة مبارك، الذى لقبه رؤساء المعهد الأورشليمى بـ«مغتصب السلطة» نقل السلطة القضائية العليا من الشام إلى مصر، فأنشأ أول محكمة شرعية عليا فى عاصمة مصر الفاطمية، بينما كان هذا الاسم مقصورا على المحكمة الشرعية العليا التابعة للمعهد أو لرئيس الجالوت، وقد مارست هذه المحكمة العليا التى أنشأها داود صلاحيات المعهد فى تعيين المندوبين للمحاكم الأخرى.

ورغم أن المحاكم اليهودية وقضاتهاكانوا فى غاية الصرامة «٢٩» إلا أن سلطتهم القضائية على الطائفة اليهودية لم تكن مطلقة فرغم حظر الشريعة قديما على اليهود اللجوء إلى محاكم غير يهودية، فقد عمدوا فى مصر كثيرا إلى التقدم بشكاواهم إلى المحاكم

الإسلامية أو اليهودية دونما فرق، وذلك لتنفيذ العقود التجارية، لقد اعترفت الشريعة اليهودية بصلاحية أنوا ع كثيرة من الصكوك الموقعة فى محاكم غير يهودية، مما حدا باليهود إلى استغلال هذا الترخيص وإلى الاستعانة بالسلطة غير اليهودية فى تنفيذ الالتزامات القانونية، وفى الأحوال التى كان فيها القانون الأسمى أجدى من الشريعة اليهودية للمصلحة الاقتصادية، كاتفاق المضاربة على سبيل المثال، فإن الأمر لم يكن مقصورا على الازدواجية فقط، وإنما تسربت الأعراف الإسلامية أيضا إلى المستندات التى صيغت فى المحاكم اليهودية، ولكن القضاة المسلمين، من جهتهم، كانوا يراعون نظراءهم من القضاء اليهود، ويمتنعون عن البت فى قضايا حساسة دينيا مثل قوانين الأوال الشخصية!

وهكذا فإن اليهود كانوا على حق فى توقعهم العدالة فى الحكم من القضاة المسلمين كما يشير مارك كوهن نفسه «٣٠» كما كان الشهود المسلمين موضع ثقة. أما المجال الوحيد الذى أمكن فيه الجور فى الحكم من وجهة نظر يهودية لا إسلامية فهو المجال الخاص بقوانين الإرث، فكثيرا ما تدخل القضاة المسلمون فى قانون الإرث اليهودى، إذ يجيز القاضى الشرعى الإسلامى، على سبيل المثال مصادرة الممتلكات المتروكة دون وصية ولكن الأمر لم يكن موجها ضد اليهود بشكل خاص، ولم يعتبره اليهود كذلك فى تلك الفترة، ذلك أن النصارى أيضا عانوا من هذا النوع من التدخل، أضف إلى ذلك أن الأمر لم يؤثر على ثقة اليهود الوطيدة بنزاهة القضاة الإسلامى، والواقع أن تهاون اليهود فى الحفاظ على الحواجزالفاصلة كما يتمثل ذلك فى موقفهم من المحاكم الاسلامية، لم يكن سوى مظهر من المظاهر الكثيرة التى تشير إلى اندماج يهود مصر بالأغلبية المسلمة فى الفترة الفاطمية وحتى فى الفترات اللاحقة.

وكان ثمة نوع آخر من السلطة القضائية خرجت عن نطاق جهاز القضاة المنظم وإن كانت متممة له، وقد تمثلت فى رجال الدين الكبار الذين قاموا بفضل سعة علمهم باصدار الأحكام الدينية والرد على الأسئلة التى كانت توجه إليهم، وإن لم يقوموا بدور القضاة بالضرورة، كان هؤلاء يحملون اللقب العبرى «راب» ويلعبون فى المجتمع اليهودى دورا شبيها بدور «المستشار القضائى» فى الإمبراطورية الرومانية والمفتى فى الإسلام «٣١»، حتى أن أجوبة «تشوبوت» كثيرة كان يطلق عليها «فتاوى» وهى الكلمة العربية المماثلة للمصطلح.

أصحاب الوظائف الأخرى:

بالإضافة إلى الشيوخ والمقدم والقضاة والكتاب، والحاخامين أصحاب الأجوبة إذا وجدوا كان هناك عدد آخر من أصحاب الوظائف الذين خدموا الطائفة اليهودية المحلية فكان الحزانون وقد كان منهم كثيرون فى المكان الواحد أحيانا يعتلون المنابر فى الصلاة وينتقلون بين الطوائف الأخرى، كما يسافرون أحيانا خارج البلاد يديرون الصلاة مقابل الأجر، وكان هؤلاء يقومون خلال ذلك بمهام يوكلها إليهم الناجد المصرى أحيانا فقد عمل كثيرون منهم كتابا عموميين أو كتاب محاكم، أو حتى قضاة، وبالإضافة إلى وظائف أخرى متنوعة.

وكان المشرف المباشر على الكنيس أو المعبد هو الشماس «٣٢» وكان يدعى بالعربية الخادم وقد كان له نفوذ كبير نظرا لمركزه المهم كمشرف على أهم مبنى عمومى لدى أبناء الطائفة كما كان الخادم، نظرا لملازمته الكنيس حيث تعقد جلسات المحكمة، يعمل أحيانا مساعدا للمحكمة، فيقوم باستدعاء المتقاضين وتسجيل أقوال الأطراف المتنازعة،وتسليم أوراق الطلاق وغيرها.

وكان للطائفة جزار شرعى «شوحيط»، ومراقب على الصلاحية الشرعية للمآكل أو الكشروت سمى «الحارس» «الشومير» ولدينا وثيقة صدرت عن محكمة القاهرة، حوالى سنة ١١٠٠م، تتضمن شهادة بالكشروت لشحنه من الجبن جاء بها تاجر يهودى إلى الفسطاط.

وكان من بين الوظائف المهمة فى الطائفة، «الفرناس»، وهو يرعى شئون الفقراء المعوزين أشبه بموظف الشئون الاجتماعية.

إيرادات ومصروفات الطائفة:

كانت الطائفة اليهودية فى مصر، تقدم لأبنائها الخدمات الاجتماعية المتنوعة، فمن ذلك إعانة المحتاجين، ومساعدة عابرى السبيل، ودفع الجزية عن العاجزين عن الدفع، وافتداء الاسرى وتعليم الصبيان الفقراء واليتامى، ونفقات دفن الموتى، ودفع معاشات الحاخامين ورؤساء الطوائف، وصيانة الكنس وكان لابد من مصدر دخل لتغطية هذه النفقات، ولكن الطوائف المصرية، بخلاف الطوائف الإشكنازية، لم تقم بجباية الضرائب من ابنائها. ففى أوروبا، حيث كان للطائفة اليهودية تنظيم تعاونى، كانت جباية الضرائب من الطائفة قاعدة متبعة، وذلك لدفع الضرائب الكثيرة التى فرضتها الحكومة على الطائفة ككل، ولتمويل الخدمات الاجتماعية فى الطائفة ذاتها، أما فى مصر حيث التنظيم الطائفى أقل تعاونا وصلابة وأكثر تفككا منه فى البلدان المسيحية، فقد كان مصدر إيرادات الطائفة هو التبرعات «٣٣».

كما كانت إدارة حسابات الطائفة والقيام بالخدمات تتمان عن طريق التطوع فى الغالب. وقد أنيطت هذه المهام بأناس عرفوا بالاستقامة وبأنهم موضع الثقة، اختارهم زعماء الطائفة وأبناؤها من بين طبقة الأثرياء، وكان «الفرناس» من أهم أصحاب هذه الوظائف، ويطلق هذا اللقب عند اليهود فى أوروبا على رئيس الطائفة المحلية، وتكمل وظيفة «الفرناس» فى مصر، أو تماثلها أحيانا،وظيفة « نئمان بيت هدين» «أى أمين المحكمة»، وقد تضمنت هذه الوظيفة العامة مهام مختلفة ذات طابع قضائى: مثل الحجز على ممتلكات المدينين ودفع النفقات للمطلقات لإعالة أولادهن الصغار، وإعطاء القروض للمحتاجين مع الودائع التى يشرف عليها.

وخير مثال لموظف الخدمات العامة، الذى شغل وظيفة الفرناس» «٣٤» ووظيفة «أمين المحكمة» فى الوقت نفسه، هو الكاهن بن يحيى، فقد كان شامى الاصل، على ما يبدو، وظل يعمل فى هاتين الوظيفتين حوالى خمسين سنة «الوثائق ١٠٥٧– ١١٠٧م» وبالاضافة إلى إدارة حسابات الطائفة اليهودية فى العاصمةالمصرية، فقد ساعد أيضا فى تنظيم لتبرعات ليهود اورشليم، ولما كان ابن يحيى أحد وجهاء الطائفة المصرية وأمنائها، فقد لعب دورا مهما فى الحياةالعامة، كما كان أحد الزعماء المحليين الذى عملوا على استحداث منصب «رئيس اليهود» فى خلال النصف الثانى من القرن الحادى عشر.

وتشهد وثائق الجنيزة، ولا سيما قوائم المتبرعين منها على تنوع المصادر لتمويل الصدقات، ففى حملات التبرعات الخاصة جمعت الأموال لغايات تعتبر من الفرائض الدينية، مثل افتداء الاسرى، وتصف إحدى الرسائل، من فترة احتلال الصليبين لأورشليم سنة ١٠٩٩م، كيف وجه رئيس اليهود، الناجد مبارك بن سعديا، نداء صارخا إلى الجمهور، فجمع ١٢٣ دينارا لاستنقاذ بعض اسفار التوراة وافتداء الأسرى اليهود من أيدى الغزاة الافرنج «٣٥».

على أن أهم مصدر لإيرادات الطائفة المحلية «فى الفسطاط» التى تتناولها معظم المعلومات المتوفرة لدينا» كان «الهقديش» أو الأوقاف من البيوت والعقارات، ويبدو أن «القودش» أو الهقديش» هو وليد العادة اليهودية القديمة فى تقديم الهدايا للكنيس أوالفقراء، ولكن هناك ما يماثل، الهقديش» فى النظام الإسلامى وهو « الوقف»، وهكذا فإن «الهقديش» اليهودى فى فترةالجنيزة كان يسمى أحيانا بمصطلح البيئة الإسلامية الوقف»، أو الحبس إلا أن اليهود، بخلاف المسلمين، لم يعرفوا إلا الوقف العام، أما الوقف الأهلى الشائع فى المجتمع العربى فلا نجد مثيلا له عند اليهود، وكان الوقف اليهودى يمنح،

بشكل رسمى، للمحكمة، وهى تستأثر بإدارته وحدها، وغالبا ماكان الوقف اليهودى يكرس لغايات محددة مثل دعم جماعة معينة من المحتاجين، كفقراء أورشليم، كماكان «الفرناس» فى الفترة التى تشملها دراستنا هذه هو القيم على ممتلكات الوقف، ولكن الموظفين الآخرين ساعدوا فى ذلك أيضا «٣٦».

وكان العمل التطوعى، الذى يعتبر المبدأالعام فى عمل الفرناس ينطبق على إدارة الأوقاف أيضا، بيد أن الوثائق تشير إلى أن الطوائف شرعت، منذ خمسينيات القرن الثانى عشر بدفع الأجور للفرناسيين مقابل عملهم، فكان هذا الأجر يدفع اما عن طريق السماح لهم بخصم عشر الإيرادات، أو بتخويلهم جباية المبالغ المستحقة عن إيجار الأملاك غير المنقولة، ولم يحظ هذا الانتقال من العمل التطوعى إلى العمل بالأجر، بالتفسير المناسب حتى اليوم، وإن كان ذلك يتصل بما يذكره الباحث «موشيه جيل» حين يقول أن أعداد الهقديش فى القرن الحادى عشر كانت ضئيلة، بالنسبة للفترة التى تلتها، أما فى القرن الثانى عشر فيبدو أن الفرناسيين اضطروا إلى تكريس المزيد من وقتهم للقيام بمهامهم، ولذا فقد تلقوا تعويضا ماليا عن ذلك، وبمقارنة الإيرادات من الأوقاف اليهودية مع المدفوعات التى أنفقت على الإدارة والصيانة والترميم والتأمين والضرائب الحكومية فإن فائض الإيرادات يبلغ ستين بالمائة حسب تقديرات جيل. ويقدر جويتاين الدخل السنوى العام من الأوقاف بعشر آلاف درهم «حوالى سنة ١١٨٠م» وقد غطى هذا المبلغ الذى يساوى مصروفات عشر عائلات من ذات الدخل المنخفض لمدة عام كامل، نفقات الطائفة على الخدمات الضرورية إلى حد كبير.

السياسة وأثرها على الطائفة:

مما لا شك فيه أن الطوائف اليهودية مارست فى خلال القرون الوسطى، النشاط السياسى ايضا، وفى الجنيزة شواهد كثيرة على ذلك فيما يتعلق بيهود مصر وبلدان البحر المتوسط الأخرى، ومن مميزات هذا النشاط البارزة كانت النزعة إلى الانقسام وذلك ما تعكسه المصطحات العربية الواردة فى وثائق الجنيزة، مثل العصبية «الحزب» و«التحزب».. وهى تمثل ظاهرة اجتماعية شائعة بين اليهود، فقد كان للنزا ع على الزعامة دور واضح فى حياةالطائفة «٣٧» إذ انعكس سخط الجماهير على المسئولين عادة فى مقاطعة الذهاب إلى المعابد، حيث كانت تدار شئون الجمهور بإشراف الزعامة المحلية، وقد استخدم التعبير العربى «لزموا بيوتهم» فى وصف هذاالشكل الشائع من النشاط السياسى الشعبى، وهو سلوك شبيه، أو ربما متأثر أيضا، بالعادة الإسلامية فى مقاطعة صلاة الجمعة فى المسجد

أحيانا- كتظاهر ضد الحكومة!

وعلى هذا النحو، يبدو أن الطائفة اليهودية سارت فى أعقاب المسلمين أيضا، فى إيجاد التعبير عن ولائها السياسى لزعمائها، فقد كانت خطبة الجمعة لدى المسلمين تتضمن دعاء للخليفة، يؤكد الولاء له، وكذا كان من عادة اليهود أن يرفعوا فى كنسهم صلاة الولاء لزعيمهم الأكبر أى لرئيس المعهد فى الشام أو العراق، أو لرئيس الجالوت، وكانت هذه الصلاة المسماة «يحيى» أو فى عهد المدرجة فى صلاة «القديش» تدعو الله أن يأتى بالإخلاص فى عهد سيدنا رئيس المعهد» أو «رئيس الجالوت».. كما كانت الحال فى المسجد!.

وكان حذف هذا النص من الصلاة يعتبر «نوعا من التمرد أو إشارة إلى انتقال الولاء من زعيم لآخر» ومع مرور الزمن جرت هذه العادة أو عادة أخرى شبيهة للتعبير عن الولاء لرئيس يهود مصر، رغم أننا فى الواقع نجهل الشكل الذى آلت إليه.

وعلى نحو ما كان فى البيئة الاسلامية، راجت لدى اليهود الظاهرة المسماة «بحوريم» أى الفتيان، وعلى غرار «الاحداث، المسلمين فى المدن الشامية، كان «البحوريم» فى الطائفة اليهودية «ويسمون فى الجنيزة «الصبيان»، «الشباب»، «الشبان».

أو «البحوريم» فى العبرية» يمثلون طبقة من الناس ظهروا فى أوقات خاصة، ليثيروا الفتن ويتمردوا على الزعامة، أو يحالفوا إحدى الشيع فى الطائفة، ولم تكن فى مصطلح «البحوريم» دلالة دقيقة على أعمارهم، فقد يكون من بين «البحوريم» أحيانا طاعنون فى السن أيضا، ويبدو أن فى هذه التسمية إشارة إلى فترة سياسية، لازمت فيها هذه التسمية ، من باب الهجاء، كل الذين عارضوا السلطة المتمثلة عادة فى طبقة الوجهاء والشيوخ إلى حد بعيد، خصوصا وأن نزعة التمرد كانت تعتبر من الصفات المذمومة فى الشباب «٣٨».

الحياة العائلية:

تفوق معلوماتنا عن العائلة اليهودية، فى دول البحر المتوسط الإسلامية من خلال القرون الوسطى، كل ما نعرفه عن هذه العائلة فى أى زمان أو مكان قبل العصر الحديث، وذلك بفضل جنيزة القاهرة والدراسات التى قام بها الباحث «ش. د. جويتاين».

وتساعدنا هذه المعلومات الوفيرة المتراكمة، من جنيزة القاهرة، حول العائلة - وهى المؤسسة التى تعتبر فى نظر معظم المؤرخين الاجتماعيين المعاصرين الخلية الأساسية فى المجتمعات البشرية الغابرة على فهم المجتمع اليهودى التقليدى عامة، وإلى أبعد الحدود،

فقد كانت العائلة الموسعة تشكل الوحدة التنظيمية الأساسية فى القرابات اليهودية «فقد كانت قرابة الدم أقوى من روابط الزواج، كما يقول جويتاين» (٣٩) وما احترام الوالدين، والإخلاص بين الاخوة حتى بعد زواجهم، والاقتران بذوى القربى وخصوصا من أبناء العمومة، إلا بعض التعبير عن تماسك العائلة الموسعة.

لقد حرص أبناء العائلة الواحدة على العيش متجاورين، وفى بيوت أو شقق تضمها مساحة واسعة ومسيجة ، وكثيرا ما كانت البيوت، أو أقسام منها، جزءا من الاملاك العائلية، مما أدى، عند انتقالها بالوراثة، إلى الحفاظ على مشاعر الوحدة عند أبناء العائلة الواحدة، ولم تقم وحدة العائلة الموسعة على حساب وحدة الأسرة الصغرى المؤلفة من الزوجين، كانت هذه النواة الأسرية المحدودة، المؤلفة من الزوج والأولاد، تتعايش فى وفاق مع العائلة الكبرى الموسعة.

وكانت الفتاة تتزوج ، عادة، فى سن مبكرة جدا وذلك وفقا للتقاليد اليهودية وتقاليد شعوب البحر المتوسط عامة «لم يكن زواجها فى الثانية عشرة من عمرها أمرا شاذا» وكان العريس فى الغالب أكبر من العروس سنا، إلا أن فارق السن لم يكن كبيراجدا. وقد شجعت التقاليد اليهودية والشريعة أهل العروس على تزويد العروسين بالحاجات الضرورية على شكل مهر ذى شأن، وذلك ما سهل زواج رجال فى مقتبل العمر، حين تكون قدرتهم على إعالة انفسهم وجمع الثروة مازالت محددة.

وفى هذا المجتمع الذى تميز بكثرة التنقل فى سبيل التجارة، تمتعت النساء بقسط من الحرية، وبالمقارنة مع مكانة المرأة المتزوجة فى المجتمع اليهودى التقليدى، ولعل خير مثال على ذلك ما أثبتته الدراسة التى قام بها الباحث فريدمان من حق المرأة اتخاذ اجراءات الطلاق، إذا قام زوجها رغم إرادتها، بأعمال من شأنهافصم رباط الزوجية، ومنها الزواج من امرأة ثانية أو إيواء جارية فى بيته، وقد اعتمد حق المرأة هذا، فى الشروع بإجراءات الطلاق فى حالة تعدد الزوجات، على حكم شرعى فلسطينى قديم طواه النسيان مع مرور الزمن، من خلال اندماج يهود الشرق الأوسط بالعادات البابلية، وقد بعث هذا الحكم الشرعى من جديد وسمى نهج الفسطاط فى أواخر القرن الحادى عشر، وشاع، كما يبدو، مع بداية القرن الثانى عشر، حين تحددت الشروط المتعلقة بالموضوع كجزء من عقد الزواج، وعلى يد الناجد مبارك بن سعديا، فى أغلب الظن، ويبدو أن واقع المجتمع المصرى، الذى اتسم بالتنقل والدينامية والانفتاح إلى حد بعيد، كان له أكبر الأثر فى جعل «بند الزواج الأحادى» قانونا يحمى المرأة اليهودية المتزوجة فى أواخر القرن الحادى عشر!.

وقد كان الطلاق فى هذه الفترة واسع الانتشار وتعود أسباب ذلك إلى كثرة التنقل فى المجتمع، وبقاء الزوجات وحيدات بعيدات عن ازواجهن فترات طويلة من خلال سفر الأزواج التجار إلى البلدان النائية، ولا داعى لاعتبار شيوع الطلاق مظهرا من مظاهر ضعف الأسرة، كما هى الحال اليوم، بل أنه، على العكس، يعتبر دليلا على الاهمية التى أولاها المجتمع لهذه المؤسسة العائلية التى رمى إلى حمايتها من الأضرار الناجمة عن الروابط الزوجية الواهية.

وثمة مظهر آخر من مظاهر تماسك الأسرة ويتمثل فى مشاعر الود المتبادلة بين الزوج والزوجة، التى نطالعها، من حين لآخر فى رسائل الجنيزة وقد كتب هذه الرسائل أزواج يتمالكون عادة، عواطفهم من خلال تعبيرهم عن تلك المشاعر، كما أن الاهتمام البالغ الذى كرس لتعليم الأولاد، وحب الوالدين لأبنائهم، يشكلان برهانا آخر على تماسك الأسرة واستقلالها بتأثير المجتمع المصرى الشرقى.

التعليم:

نكاد لا نجد فى هذه الحقبة التى نحن بصددها إطارا منتظما للتعليم «العالى»، لدى الطائفة اليهودية فى مصر وذلك باستثناء الفترة التى أقام فيها شمريا بن الحنان «مدراسا» فى أواخر القرن العاشر، ونعنى بالتعليم العالى دراسة التلمود على مستوى متقدم فى المعهد الدينى، وإذا مارغب يهود مصر فى طلب مثل هذه العلوم، دون مغادرة بلادهم، فقد كان بإمكانهم إتمام هذا النوع من الدراسة فى نطاق دروس للكبار، جرت فى حلقات بالمعابد، أو الحصول على دروس خصوصية لدى أحد الحاخامين المحليين، وعلى كل حال، فإن دراسة التلمود كانت تقتصر على عدد محدود جدا، ممن أنهوا دراستهم التلمودية الابتدائية«٤٠».

أما التعليم الابتدائى، وهو مجال لا نعرف عنه الكثير لدى الطوائف الاشكنازية فى هذه الفترة، فإن وثائق الجنيزة تمدنا بمعلومات كثيرة عنه فى كل ما يتعلق بمصر، فقد كان التعليم الابتدائى فرضا على الأولاد الذكور، كما تنص التقاليد اليهودية القديمة، وبوسعنا العثور على إشارات حول تعليم البنات أيضا فى المدرسة.

كان المعلمون يعلمون فى بيوتهم وفى المعابد، أو فى بيوت الأسرة الغنية، وكانت العائلات الغنية تدفع للمعلم أجرا أسبوعيا، بينما تكلفت الطائفة بدفع أجور التعليم عن الأيتام وأبناء المعوزين، من صندوقها الخاص، كما كانت تقام حلقات منظمة لتعليم الطائفة لهذا الغرض، وفى وقت لاحق «حوالى أواخرالقرن الثانى عشر» أصبح من المألوف ضم

أبناء المحتاجين إلى حلقات دروس مشتركة مع الصبيان الذين يدفعون أجور التعليم، والطائفة تدفع أجور هؤلاء المحتاجين.

النشاط الثقافى:

النشاط الثقافى لليهود فى مصر فى خلال هذه الفترة كان محكوما بحقيقة تاريخية مهمة، تمثلت فى ذوبانهم فى محيط الثقافة العربية الإسلامية الواسع، فقد أدى النشاط الثقافى الهائل الذى شهدته فترة صعود الحضارة العربية الإسلامية إلى تخلى اليهود فى بلدان العالم العربى– ومصر من بينها بطبيعة الحال– عن اللغة الآرامية واللغة العبرية، واتخاذهم اللغة العربية لغة للكتابة والإنتاج الأدبى وهو ما جعل يهود البلاد العربية يسلكون، بالضرورة، دوربا جديدة فتحت آفاقها الحياة الثقافية فى مصر وغيرها، وفى مصر استخدم اليهود لغتين إحداهما العربية والأخرى العبرية، والواضح أن اللغة العربية كانت هى لغة الحياة اليومية، لأنه لم يحدث منذ القرون المسيحية الأولى أن كانت اللغة العبرية لغة محكية ولذا ظلت اللغة العبرية مرتبطة إلى حد كبير بالتراث الدينى لدى اليهود بيد أنه من المهم أن نلاحظ أن كثيرا من الكتابات الدينية للأحبار والعلماء اليهود فى مصر كتبت باللغة العربية.. ويشير البروفيسور «فينكلشتاين» إلى أن معظم إنتاج الشعراء اليهود كتب باللغة العربية، وكذلك معظم الإنتاج النثرى، وفيما عدا بعض التعبيرات والمفردات العبرية الخاصة التى وجدت طريقها إلى اللغة العربية، استخدم اليهود اللغة العربية حتى فى شروح التوراة، وفى التعليق على التلمود، وفى رأى بعض الباحثين أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الكتابة باللغة العربية فى ذلك الوقت كانت هى الممارسة الطبيعية والأقل جهدا، كما أن اللغة فى المؤلفات العلمية، لا تحمل مفهوما أيديولوجيا، كما هو الحال فى الإبداع الفنى مثل الشعر إلا أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا أن الأسباب المباشرة لتلك الظاهرة تكمن فى حقيقة تسيد اللغة العربية فى ذلك الحين من جهة، ورغبة المؤلف فى أن ينتشر لدى جمهور عريض من القراء من جهة أخرى، فقد كان اليهود المصريين، شأنهم شأن المسلمين والمسيحين، وكانت العربية لغتهم، ومن ثم كان طبيعيا لمن يوجه كتاباته إليهم أن يكتبها باللغة العربية، كما أن لدينا دليلا قويا على تسيد اللغة العربية بين يهود مصر فى ذلك الحين يتمثل فى وثائق الجنيزة التى كتبت باللغة العربية ولكن فى حروف عبرية!

ولا يوافق «د. قاسم عبده قاسم » «٤١» على عبارات مثل: الشعر اليهودى والأدب اليهودى أو ما شابه ذلك من عبارات يستخدمها الكتاب والباحثون اليهود حاليا وهم

يتحدثون عن اليهود الذين عاشوا فى رحاب الحضارة العربية الإسلامية فى مصر وغيرها، فالشعر والأدب الذى كتبه اليهود المصريون فى ذلك الزمان يعد شعرا وأدبا مصريا، سواء من حيث لغته أو من حيث مضمونه وأغراضه، ولا يمكن أن ننسب ثقافة إلى دين ما متجاهلين حقائق التفاعل الاجتماعى والاقتصادى والفكرى التى تشكل مع البيئة والتاريخ المشترك ما نسميه الثقافة العامة للمجتمع، فقد كان اليهود المصريون يستخدمون اللغة العربية فى معظم الأحوال، وقد وجدوا الفرصة متاحة أمامهم فى حيوية اللغة العربية ومفرداتهاالكثيرة لكى يستخدموا التعبيرات العربية فى التعبير عن المشكلات والأغراض التى فرضتها تطورات الحياة الاجتماعية فى مصر فى خلال تلك العصور.

كذلك كان عامة اليهود لا يعرفون غير اللغة العربية وتكشف إحدى وثائق الجنيزة عن هذه الحقيقة، والوثيقة عبارة عن خطاب مرسل من نساخ يهودى متجول إلى زوجته، وفى الخطاب الذى كتب بالعربية بحروف عبرية يذكر الرجل اسم من سيقرأ الخطاب.

ومن ناحية أخرى كان الخلاف المذهبى الطويل بين الفرق اليهودية المختلفة حول تفسير الكتاب المقدس قد أنتج نشاطا أدبيا واسع النطاق، بيد أن أهم ما يلفت النظر هو أن هذه الأعمال اللاهوتية كتبت باللغة العربية فى أغلب الأحوال وهكذا لم يكن لليهود المصريين جيتو ثقافى»، مثلما لم يكن لهم جيتو سكنى أو جيتو حرفى وإنما كانوا جزءا عضويا فى كل أكبر، هو المجتمع المصرى. وفى بعض الأحيان نجد فى مصادر تلك الفترة ما يشير بوضوح إلى أن العلاقات الطيبة قد قامت بين المثقفين اليهود والمسلمين، فقد ذكر «السخاوى» أن المؤرخ الكبير «تقى الدين المقريزى» كان ملما بمذاهب أهل الكتاب من اليهود والنصارى حتى كان افضلهم يترددون عليه للاستفادة منه.

ولأنه لم توجد حدود صارمة تفصل اليهود، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا عن مواطنيهم، فإنهم شاركوا فى النشاط الثقافى العام، بل انهم درسوا القرآن الكريم، وبذلك سلكوا كل الدروب التى أتاحتها الثقافة العربية، وباستثناء اللغة العبرية الحديثة فإن اليهود لم ينتجوا أعمالا ذات قيمة سوى فى أثناء الفترة التى سادت فيها اللغة العربية وكان لتلك الأعمال صداها البعيد بين كل اليهود رغم أنها كتبت باللغة العربية لأنها تناولت شروح التلمود وتفسيرات دينية أخرى!!.

وإذا كان ليهود مصر بعض الخصائص الثقافية التى تميزهم، فإنها كانت ثقافية فرعية ذات أصول دينية تصب فى المجرى العام لثقافة المجتمع. والمصادر التاريخية تكشف زيف مزاعم الباحثين الإسرائيليين بأن يهود مصر « جالية أجنبية أقامت فى مصر»!!.. فعلاقة

الدولة باليهود المصريين كانت منضبطة ومحكومة بالوضع القانونى لأهل الذمة داخل الدولة ولم يكن لليهود فى علاقتهم بالدولة المصرية أية خصوصية تميزهم عن غيرهم من طوائف أهل الذمة فالعلاقة كانت موازية لعلاقتها بغيرهم من الرعايا ولم يكن لليهود أى استثناء.. كما أن المجتمع لم يعتبر اليهود جالية أجنبية!.. بل اعتبرهم مصريين اعتنقوا الدين اليهودى مارسوا سلوكيات وتفاصيل الحياة الاجماعية المصرية.. باعتبارهم مصريين عاشوا على أرض مصر ولم يعرفوا فى ذلك الزمان وطنا غير مصر!!

يعقوب بن كلس:

يقودنا البحث حول وضع اليهود فى الحياة السياسية والاقتصادية فى مصر الفاطمية إلى اسم يتردد تقريبا فى جميع المصادر التاريخية العربية لذلك العصر، وهو يذكر دائما كأول وزير للأسرة الفاطمية فى مصروهذه الشخصية هى: أبوالفرج يعقوب بن يوسف بن كلس أو بايجاز يعقوب بن كلس وتستحق هذه الشخصية أن تكون موضوع بحث خاص، ليس بسبب أن أعمال وإنجازات رجل الدولة هذا توفر لنا رؤية فريدة لآلية العمل الإدارية والاقتصادى فى أيامه فحسب، بل لأن سيرة حياته تقدم لنا تصورا مهما للدور الذى شغله رجل يهودى من خلال حكم الأسرة الفاطمية فى مصر «٤٢» ويمثل يعقوب بن كلس واحدا من الشخصيات الكبيرة وبرهن على قدراته وإمكاناته غير العادية التى أوصلته إلى شغل مناصب عظيمة الأهمية فى دولة إسلامية أوقف على خدمتها جميع مواهبة التى امتلكها!.

إن الحقيقة الوحيدة التى بقيت لنا فيما يتعلق بحياة يعقوب ابن كلس المبكرة هى أن أبوية كانا يهوديين وذلك بالإضافة إلى أصله البغدادى.

فقد ولد من أبوين يهوديين فى سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م فى بغداد، وقد أشير إليه دوما من قبل المؤرخين العرب باسم يهودى من بغداد» أو « اليهودى البغدادى» أو «الكاتب اليهودى «٤٣»، وقد تلقى تعليمه الأول فى بغداد وهاجر من هناك إلى بلاد الشام بمرافقة والده فى سن مبكرة، ولانعرف بالضبط تاريخ هذه الحادثة، ومن المؤكد أنهما استقرا فى الرملة فى فلسطين حيث من المحتمل أن يعقوب شرع بالعمل هناك للمرة الأولى فى حياته.

وتختلف روايات المصادر حول طبيعة عمله، فتبعا لابن تغرى بردى عمل هناك سمسارا، وجاء فى مصادر أخرى أنه عمل وكيلا للتجار وقد جاء وصفه بأنه كان أمينا فى تعامله مع الصناع، بيد أن الحظ لم يبتسم له، وقد أخفق وعندما أصبح غير قادر على الوفاء بالتزاماته هرب من الرملة إلى مصر.

ولا تسعفنا المصادر فى تحديد التاريخ الصحيح لوصول يعقوب بن كلس إلى مصر،

ويعتقد ابن خلكان، أن ذلك كان سنه ٩٤٢– ٩٤٣م، لكن هذا بعيد الاحتمال جدا، وكل مايمكن قوله بشكل مؤكد أن يعقوب بن كلس كان موجودا فى بلاط كافورحاكم مصر فى سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م، ومن الممكن الافتراض أنه كان يعيش فى مصر بضع سنوات من ذلك التاريخ.

ومهما يكن من أمر فقد نجح يعقوب بن كلس فى توطيد مكانته فى الفسطاط بعد إقامة قصيرة فيها، وكما هو الحال فى الرملة بدأ حياته هنا كتاجر وبهذه الصفة تمكن من الدخول بعلاقات عمل مع كافور، حيث قام له بعدة مهام، وهكذاتمكن من الارتقاء بسرعة إلى وضع أصبح فيه من قبيل تاجر البلاط، ومن ثم أصبح يعرف باسم « تاجر كافور» « ٤٤ ».

وقد حصل على تصور ثمين للتنظيم الاقتصادى والمالى للبلاد وذلك من خلال المعلومات والمدفوعات التى قدمها كافور ثمنا لمصنوعات وأشياء وردها يعقوب بن كلس، فقد جاء الدفع ليس نقدا فحسب، بل على صورة حوالات على قرى وممتلكات فى مصر ونتيجة لذلك توجب على يعقوب القيام بزيارات متوالية لهذه القرى والممتلكات ولذلك ازدادت معارفه بأخبار القرى وأوضاعها، وما لبث أن أصبح خبيرا معترفا به حول الأوضاع الزراعية، وأصبح دوما على استعداد حسبما قال المقريزى لتقديم المعلومات المعتمدة عندما كان يوجه إليه سؤال حول مكان من الأمكنة أو حجم المحاصيل فى منطقة من المناطق وبفضل هذه الإمكانات ازدهرت أعماله وشرع فى جمع الثروة.

ثم تنامت شهرته، وتوطدت صلته بكافور وعمل مستشارا له، فتنامى نفوذه حتى أن كافورا قد أصدر تعليماته الخاصة لجميع دواوين الدولة بالامتناع عن إنفاق أصغر المبالغ بدون أمر من يعقوب بن كلس، ولقد أكد المقريزى أن كل شىء «بات يمر من بين يديه» وتتضح مكانته غير المعتادة فى بلاط كافور من خلال الاحترام الذى ناله من الجميع، حتى روى أن الحجاب والأمراء كانوا يقفون له!.

التحول إلى الاسلام:

ولم تشكل اليهودية عائقا لتقدمه على طريق الشهرة، والمكانة والنفوذ، والاحترام، فقد كان معروفا باسم اليهودى وظل كذلك، وقد أكد هذا كله ابن «عساكر» بعدما قام بسرد أخبار حياة ابن كلس، وأنه ظل متمسكا بدينه ولم يتزحزح عن إيمانه بيهوديته « ٤٥ ».

ثم حدث تغير فى موقف كافور، فبعدما جرب كافور حكمة يعقوب طويلا، وتيقن من نزاهته وإدراكه السياسى بات ميالا لجعله وزيرا له وروى واحد من المقربين من كافور أنه

سمعه يبدى اعجابه بقوله «أى وزير بين جنبيه»!!.

وكانت حقيقة كونه يهوديا، على أية حال، عائقا يقف فى سبيل وصوله إلى هذا المنصب، وروت عدة مصادر قول كافور بهذا الصدد: ولو كان «يعقوب بن كلس» مسلما لصلح أن يكون وزيرا« ٤٦»!

ولم تخفق هذه المغريات مع ما حملته الوزارة من معان فى تأثيرها على ابن كلس، فأعلن بنفسه عن دخوله الإسلام، وسواء أكلف يعقوب تخليه عن دين آبائه كثيرا من الآلام أم لا، فمن المؤكد أن المصادر نقلت عن كافور إقراره أن تحوله جاء بسبب مطامحه الدنيوية لا بسبب قناعاته فقد« تاقت نفسه للسلطان، و«تطلعت للوزارة» وقد أمن صعوده نحو ما طمح إليه باعتناقه للإسلام!

وتضيف المصادر تفاصيل زخرفية كثيرة لقصة تحوله إلى الإسلام، فقد قيل إنه أخذ شيخا إلى بيته يعلمه القرآن والفقه وبقية العلوم الإسلامية، حتى إذا جاء يوم جمعة دخل المسجد للمرة الأولى، وأعلن عن إسلامه وأشهره، ثم ركب يريد كافور وبصحبته عدد من الناس، وكان كافور عظيم السرور بذلك فخلع عليه عددا من الخلع ومنحه كمية من الهدايا، وتحدث المقريزى بأن كافور أقام له استقبالا رسميا حضره رجالات الدولة وأهلها لتقديم التهائى له «٤٧».

ورغم ما أضفى على يعقوب أثر اعتناقه للإسلام وما ناله من حظوة وتقدم لدى كافور حيث رقاه إلى أعلى المناصب، فإن من النتائج الكبرى التى نجمت عن ذلك كسب العداوة الشديدة للوزير أبى الفضل بن الفرات، وكان لهذه العداوة نتائج واسعة جدا، حيث أنها أرغمت يعقوب على الفرار من مصر، مما دفعه للاتصال بالبلاط الفاطمى بالمغرب.

وسيرتبط النجاح فى الإصلاح المالى والإدارة المالية بشكل عام فى تاريخ مصر دوما باسم يعقوب بن كلس، فهو الذى أرسى قواعد إدارة مالية سليمة وفعالة، تمكن عليها خلفاء المعز من تكوين الآراء فى ضوء نجاحاته، وقال، س، هـ. بيكر فى وصفه: عبقرية مالية ومنظم من الطراز الأول».

وزير فى دولة العزيز:

وازدادت مكانة يعقوب بن كلس فى الدولة ثباتا بعد وفاة المعز ووصول ابنه العزيز إلى الخلافة فى سنة ٩٧٦م، فقد توسعت أعماله كمشرف ومسئول عن الضرائب والأموال عن طريق «وضع أعمال أخرى تحت إشرافه» «٤٨»..

ولم يتم تحديد هذه الأعمال الأخرى، ونعرف هنا للمرة الأولى أن يعقوب بن كلس كان

بالمناسبة يستشار فى مسائل السياسة الخارجية والاستراتيجية، والاستشارات هذه المتعلقة بالقضايا الخارجية ذات أهمية خاصة، وتشير إلى زيادة رفعة شأنه، ولاحتلاله فيما بعد للمكانة السامية فى الدولة الفاطمية بتسلمه للوزارة.

واعتمد العزيز اعتمادا مطلقا على رأى يعقوب بن كلس والتجأ إلى مشورته، وقد نصحه يعقوب بإعداد حملة ضد البكتين، وبناء عليه قاد العزيز الحملة بنفسه وعاد منتصرا والبكتين معه وهو أسير، ونسمع أن أول أعماله أثر عودته كان تعيين يعقوب ابن كلس وزيرا.

وروت المصادر جميعا خبر تعيين يعقوب بن كلس وزيرا، وهناك خلافات حول تحديد تاريخ التعيين، ومرد هذه الخلافات بشكل رئيسى إلى الاختلاط والمزج بين المرحلتين اللتين مرت بهما عملية تعيينه فى الوزارة: تعيينه وزيرا فى عام ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م نيله للقب «الوزير الأجل» فى سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م «٤٩».

وتظهر أهمية تعيين يعقوب من خلال حقيقة أنها كانت المرة الأولى التى جرى فيها تعيين وزير من قبل الحكم الفاطمى فى مصر، وتلح المصادر على هذه الحقيقة من خلال قولها إنه كان «أول من وزر للدولة الفاطمية فى الديار المصرية»!

ويكفينا أن نذكر عن أعماله كوزير حقيقتين مهمتين هما:

١- تنظيم الإدارة فى عدة دواوين، وزود كل ديوان بعدد محدد من الكتاب، أما بالنسبة لديوان الأموال فقد زود بعدد من الجهابذة ، وأقام هؤلاء الموظفون فى قصر يعقوب بن كلس، وعملوا جميعا تحت إشراف «زمام» محدد.

٢- مؤسسة الخزائن التى كانت سمة خاصة بالإدارة الداخلية للفاطميين، ولقد قيل أنه وضع فى داره عددا كبيرا من الخزائن أشرف على كل منها ناظر خاص.

وعلى هذا تولى إدارة الدولةالفاطمية بأكملها التى تألفت فى تلك الأثناء من مصر وبلاد الشام والمغرب والمدينتين المقدستين مكه والمدينة، فقد خضع جميع الموظفين فى هذه البلاد مع كل أعمال الدولة له!

سقوط مؤقت.. والعودة!

جاء فى المصادر: فى سنة ٩٨٣- ٩٨٤م أمر العزيز باعتقال وزيره يعقوب بن كلس ومصادرة أملاكه، ونقل مبلغ ٢٠٠،٠٠٠ دينار من دار الوزير إلى الخزانة فى دار الخلافة، ونقرأ بعد هذا أن يعقوب بن كلس أودع فى الاعتقال فى القلعة وأن الإدارة أسندت إلى خبير بن القاسم، وذلك دون إبداء السبب «٥٠» ولهذا نتسائل: ما السبب لهذا العزل المفاجئ؟

ونقرأ عند ابن الأثير وابن تغرى بردى أن القضية ارتبطت بتهمة الخيانة وتعلقت بالبكتين الثائر المعتقل من بلاد الشام، فلقد روينا كيف أعاده العزيز معهأاسيرا، وعلى عكس جميع التوقعات لم يتم العفو عن هذا العدو الخطير للفاطمين بل أثقل بالخلع إلى حد أنه منح مكانة فى البلاد، وأصبح من ذلك الحين من حاشيةالعزيز، وعارض يعقوب بن كلس بشدة هذه المعاملة، وبعد سنوات من التنافس بين الاثنين تمكن يعقوب بن كلس من دس السم إلى خصمه، وغضب العزيز لهذا غضبا شديدا، ونظرا لاتهامه وزيره به، سجنه!« ٥١ ».

وتجمع المصادر على أن سجن يعقوب قد امتد إلى أقل من شهرين، ولم يكتف العزيز بعد هذا بإعادة كل ما صادره من يعقوب بن كلس إليه بل أضاف إلى ذلك هدايا كثيرة ثمينة وخلع جديدة، ووقع الخليفة سجلا أعلن فيه عن عودته إلى مناصبه فى إدارة الحكومة واستمر منذ ذلك الحين يعقوب بن كلس فى تسيير أعمال العزيز بدون انقطا ع حتى وفاته فى سنة ٣٨٠هـ/٩٩١م.

ولكن لماذا أعيد إلى مناصبه بهذه السرعة بعد اعتقاله؟ يقول ابن الاثير مجيبا: «ثم وقفت أمور دولة العزيز باعتزال الوزير فخلع عليه وأعاده إلى وزارته»!

النهاية..

تلقى العزيز نبأ وفاة يعقوب سنة ٣٨٠هـ/١٩٩م بعدماخدمه ما يزيد على اثنتى عشرة سنة بحزن يعدل اهميته الحيوية لمصر، وتتعدد الروايات التى أوردتها المصادر فيما يتعلق بمرضه ووفاته..

وفى تاريخ الإسلام هنالك أمثلة قليلة مشابهة لمثل هذه العلاقة الشخصية الحميمة بين خليفة ووزير، وسيد ومسود، حيث أن شعوره أنه مغادر هذه الحياة لم يحل بينه وبين تقديم نصيحةثمينة لسيدة، وأن يبدى عواطفه نحوه، حسبما يفعل الأصدقاء الأوفياء.

وكان س. هـ بيكر، محقا فى حديثه «٥٢» عن يعقوب بن كلس من «أن الخلافة الفاطمية لم تستطع أن تجد رجلا آخر قديرا مثله وإداريا خبيرا نظيرا له فى السياسة الاقتصادية للبلاد، ذلك أن الازدهار الاقتصادى فى وادى النيل فى ظل الحكم الفاطمى مرتبط باسمه».

وتجدر الإشارة إلى احترام الخلفاء الفاطميين للاستقلال الداخلى للطائفة، كما أن الشخصيات البارزة كانت تحمل اسمان أحدهما: عبرى يتداول بين أبناء الطائفة، والآخر: عربى يتداول خارج نطاق الطائفة.. كذلك لوحظ من خلال وثائق الجنيزة العدد الكبير لطائفة اليهود القرائين، الذين كانوا أكثر ثراء من اليهود الربانيين والأكثر حفاظًا على

التقاليد الموروثة، وتولى عدد منهم المناصب الكبيرة وكان منهم أطباء بالقصر الفاطمى.

ولعل ما يميز عصر الدولة الأيوبية، قدوم عدد من العلماء المشاهير إلى مصر، وكانت لهم إسهاماتهم فى نشاطات الطائفة، كان أبرزهم موسى بن ميمون المولود فى قرطبة عام ١١٣٥م، قضى عدة شهور فى فلسطين ثم وصل مصر عام ١١٦٥م وسيطر بشخصيته على حياة الطائفة، فقد كان طبيبا وعالما للاهوت وفيلسوفا ورئيساً طائفياً، وأسس مدرسة للدراسات الدينية اليهودية، وهو مؤلف كتاب «مرشد المترددين» وكتاب «ميشنة التوراة» وهو القانون الذى يعرف اليهودية التوراتية والتلمودية.

وشهد عصر سلاطين المماليك، توافد المهاجرين اليهود الأسبان، وكان بينهم الأطباء والحاخامين وعدد من الوجهاء الاثرياء، وتلاقت عاداتهم وطقوسهم مع تقاليد إخوانهم فى الدين فى تأثير متبادل، واقتضي الأمر أحيانا اتباع تعاليمهم. وكان أبرز سمات العصر العثمانى: توافد كبار العلماء اليهود الأسبان، منهم: رابى دافيد بن سلمون بن أبى زيمرا» والذى أصبح الحاخام الأكبر لطائفة القاهرة و«رابى موسى بن اسحاق الأشقر» و«رابى يعقوب كاسترو» كما تم تعديل التنظيم الطائفية بإلغاء منصب «الناجد» عام ١٥٦٠م، وكان «إبراهام دى كاسترو» رأس مصلحة النقود، كما تولى اليهود مناصب المسئولية المالية وتحصيل الضرائب، واحتكروا مجال الصيارفة الرسميين، وتولت إستانبول مهمة تعين الحاخام الأكبر.. والخلاصة، إن الطائفة اليهودية فى مصر عاشت عصراً مزدهراً ومستقراً فى ظل الحكم الإسلامى.

الفصل الثاني
أثر الثقافة العربية
فى ثقافة الجماعات اليهودية

«الواقع أن اليهود، على ضوء وثائق الجنيزة، يتجلون شريحة صغيرة، ولكنها مهمة، من السكان المصريين، فقد عاشوا آمنين نسبيا.. كما اندمجوا، على نحو رائع، بالبيئة من حولهم».

المؤرخ اليهودى: مارك كوهن

إذا كان لليهود بعض الخصائص الثقافية التى تميزهم، فمن المؤكد أنها كانت ثقافة فرعية ذات أصول دينية نمت داخل الإطار العام لثقافة المجتمع الإسلامى، خاصة فى العصر الوسيط، ولقد أدى النشاط الثقافى الهائل الذى شهدته فترة اشراق الحضارةالعربيةالإسلامية فى ذلك العصر، إلى تخلى اليهود فى أرجاء العالم الإسلامى- خاصة فى مصر- عن اللغة الآرامية واللغة العبرية، واتخاذهم اللغة العربية لغة للكتابة والإنتاج الفكرى.

بينما يسرف الباحثون والمؤرخون الإسرائيليون فى استخدام مصطلحات مثل: الأدب اليهودى، الشعر اليهودى، الثقافة اليهودية، وهم يتحدثون عن اليهود الذين عاشوا فى رحاب الحضارة العربية الإسلامية.. فى محاولة لاختلاق جذور ثقافية وحضارية وتاريخية، من غيابات الأوهام والأساطير والتعصب الدينى والعنصرى!

لذا حاولت فى هذه الدراسة، أن ألقى الضوء على الوجود اليهودى فى المجتمع العربى الإسلامى فى مختلف عصوره ومدى تأثره بالظواهرالاجتماعية والثقافية لهذا المجتمع.. ودحض ادعاءات اليهود بالتمايز الحضارى والاجتماعى والثقافى!

تسامح عربي:

قبيل الفتح الإسلامى للأندلس، لاقت طائفة اليهود الأندلسيين عنتا ورهقا، واضطهدت اضطهادا شديدا، فبخست أرواحهم، وصودروا فى أموالهم وممتلكاتهم، وفر الكثير منهم إلى المغرب العربى، الذى كان ينعم بعدل المسلمين ورحمتهم، وقد استنجد بالعرب كثير من يهود الأندلس، واستقبلوا هؤلاء الفاتحين العادلين، كما استقبل أقباط مصر- عمرو بن العاص- وما كاد يستمر للمسلمين حكم الأندلس، حتى أمنت طائفة اليهود على حياتها وحرياتها وأموالها ومعتقداتها.

وبلغ التسامح العربى مداه نحو هذه الطائفة فى عصر الناصر والمنتصر بالله، ولعل أبرز الأدلة على ذلك، رعاية الخليفة الناصر للطبيب اليهودى الشهير «حسداى بن اسحق بن عزرا بن شبروط» حتى أنه جعله واحدا من خاصة وزرائه الذين يشاورهم فى شئونه الخاصة..

وكان للثقافة العربية أثر رائع فى اللغة والآداب العبرية فى ذلك العصر خاصة، أسهمت الثقافة العربية بقدر كبير فى تطور اللغة العبرية، بل والمحافظةعليها من الانقراض، وقد دأب علماء اليهود الذين عاشوا فى الأقطار الإسلامية، على وضع الكتب اللغوية على نسق المؤلفات العربية فى قواعد اللغة، وتناولت فنون الشعر العبرى، جميع الأغراض المعروفة فى الشعر العربى. وبدا تأثر شعراء اليهود لا سيما الأندلسيين واضحا بالآداب العربية ونسجوا على منوال ما درسوه من الاتجاهات الشعرية العربية، وصاغوا قصائدهم وفقا للأبحر الشعرية المألوفة فى اللغةالعربية، كذلك انتهجوا نفس الأساليب البلاغية العربيةالشائعة، كما قلدوهم فى نظم الأحاجى والألغاز، وانفرد الشعراء اليهود بفن واحد هو «الحنين إلى أرض الميعاد».

ولم يؤلف اليهود كتابا علميا فى قواعد اللغة العبرية ألا بعد أن تتلمذوا للعرب، وبعد أن نشأوا فى مهد الثقافة الإسلامية، نشأةمكنتهم من فهم العلوم العربيةعلى اختلاف أنواعها.

ويأتى على رأس الأدباء اليهود، الفيلسوف الشاعر «شلومو بن جبريول» الذى وصف بأنه سيد شعراء أهل ملته فى عصره، وقد صب شعره فى قوالب شعر عربية، كما أنه درس جميع اتجاهات الفلسفة باللغة العربية، حتى أنه وضع فيها بالعربيةكتابه «ينبوع الحياة» وترجم هذاالكتاب إلى اللاتينية، وظل يدرس فى معاهد أوروبا حتى القرن السادس عشر، وينسب إليه نظمه لقصيدة بلغت نحو الأربعمائة بيت، ضمنها كل ما كان معروفا من قواعد العبرية التى كان يجيدها، وقد أبدى فى كتاباته ألما وحسرة على ترك أبناء ملته لغتهم وتمسكهم باللغة العربية!

كما ظهر من أدباء اليهود «مناحم بن سروق الطرطوشى» الذى كتب فى الأدب العبرى نظما ونثرا، منتهجا نهج الأدباء العرب، ومن يهود الأندلس من كتب فى الرياضيات والطب وعلم الأخلاق، الذى برع فيه «يحيى بن يوسف بن فاقوذا»، صاحب كتاب الهداية الذى يدعو فيه إلى إصلاح الحكم والأخلاق، وقد تأثر فى هذا بكتابات الإمام «أبى حامد الغزالى» ومنهم «سليمان بن زقبيل» الذى حاكى الحريرى فى مقاماته.

ومن الشعراء العبرانيين الذين تأثروا بالشعر الأندلسى فى تراكيبه وأغراضه. شاعر غرناطه«موسى بن عزرا» الذى برع فى فنون الشعر وقصص الحب، وتناول فى شعره وصف مجالس اللهو والخمر وتباريح الهوى والغزل، متأثرا تماما بالبيئة الأندلسية وشعرائها، كما أن له عدة مؤلفات فى الفلسفة وهو صاحب المؤلف المشهور «المحاضرة والمذاكرة» فى تاريخ النظم والنثر فى اللسانين العربى والعبرى، والموازنة بينهما فى اللغتين، كما برع موسى بن عزرا و«الحريزى» فى فن النقد الأدبى.

وأمير الشعر العبرى هو «يهوذا هاليفى» الملقب بـ«أبى الحسن اللاوى» ويعد أيضا من كبار فلاسفة اليهود، وله كتاب مشهور فى الفلسفةالدينية بعنوان: «الخوزرى» ألفه بالعربية ثم ترجم إلى العبرية.

ومنهم «إبراهام بن عزرا» الذى قضى شطر حياته الأول فى قرطبه- ساحة العلم والأدب- حيث درس أصول الدين والحكمة. ثم «يهودا بن داود حيوج» المعروف عند العرب بـ«أبى زكريا يحيى» و«يونا بن جناح» القرطبى المعروف بأبى الوليد، اللذين سلكا أيضا مسلك النحاة العرب- خاصةالنحوى الكبير سيبويه- ونظرة سريعة فى كتابى «الأصول» و«اللمع» لابن جناح، تطلعنا على مقدارما للعرب من فضل على اليهود.

وقد نقل اليهود إلى لغتهم الكثير من العلوم الإسلامية، كالتوحيد والطب والفلسفة وغيرها، مثل مؤلفات «ابن سينا» وكتاب « تهافت التهافت» للإمام الغزالى، وكتاب «تهافت الفلاسفة» لابن رشد، مما كان له أبلغ الأثر فى تهذيب العقيدة اليهودية فيما يتعلق بالذات الإلهية وصفاتها.

ومن المناسب أن نعرض لآراء البروفيسور «دافيد يالين» أستاذ الأدب العبرى فى العصر الأندلسى، بالجامعة العبرية بالقدس فى كتابه «فن الشعر الأندلسى».. حيث يقول:

لقد كان العصر الأندلسى- عصرا زاهرا- فى الأدب العبرى، وهو العصر الذهبى الثانى للأدب العبرى، إذ كان العصر الذهبى الأول هو عصر الكتاب المقدس.. ومما يؤسف له، أن ذلك الشعر الأندلسى الجميل قد كاد يندثر ومنذ جلائنا عن الأندلس، عشنا فى

أقطار شتى، وتأثرنا بآداب متنوعة ، وتبدلت أذواقنا تبدلا تاما بالنسبة للجمال وتذوقه.. اتخذ شعراؤنا من الشعر العربى فى ذلك العهد نموذجا ينسجون على منواله، وكان الشعر العربى قد بلغ الأوج فى الازدهار والإبداع، أن جمال الطبيعة فى بلاد الأندلس، كان له بالطبع تأثيره القوى على اليهود، الذين كانوا ينعمون آنذاك تحت ظلال الحكم العربى، ومنذ بدء القرن العاشر الميلادى- أى منذ انتقل مركز التوراة من العراق إلى الأندلس- كان العلماء والأدباء والشعراء اليهود ينهلون من الثقافة العربية، التى كانت تمثل وقتئذ ينبوعا للثقافة والتفكير اليهودى».

أهمية وثائق الجنيزة:

هى عبارة عن مخطوطات عبرية، ومخطوطات عربية كتبت بحروف عبرية وأخرى بالعبرية القديمة والآرامية، عثر عليها فى الفسطاط، وبالتحديد فى معبد «بن عزرا» ومقابر اليهود فى البساتين، وتبرز أهميةهذه الوثائق فى الدلالة على أن هذه المنطقة كانت تمثل «مركزا روحيا كبيرا» ليهود ذلك العصر، ويرجع تاريخ وثائق الجنيزة إلى عصور الفاطميين والأيوبيين وسلاطين المماليك.

وبالإضافة إلى اعتبار هذه الوثائق: سجلا تاريخيا تلقائيا لأوضاع المجتمع اليهودى فى تلك العصور، فإنها أيضا تكشف عن جوانب التأثير التى أحدثها الفقه الإسلامى، والفكر الاسلامى فى الديانة اليهودية، إلى حد ظهور فرقة جديدة تحمل اسم «اليهود القرائين» تأثرت فى نشأتها وأفكارها بفكر المعتزلة! فى فترة ما قبل عصر الدولة الفاطمية فى مصر، كان فى تاريخ يهود مصر شخصيتان بارزتان، تشهد مكانتهما العلمية على أن الطائفة اليهودية فى مصر- فى القرن التاسع الميلادى- قد عاشت مناخا يسوده التسامح، وفر لها قدرا من النشاط وتحصيل العلوم، **الأول هو:** الطبيب الفيلسوف «إسحق بن السموءل» الذى هاجر من مصر إلى القيروان عام ٩٠٠م، حيث عمل طبيبا فى بلاط حكام المغرب من الفاطميين.

والثانى هو الفيلسوف واللغوى الشهير سعيد «سعديا» ابن يوسف الفيومى، الذى ولد بالفيوم، ويعتبره اليهود أبا النحو العبرى، حيث كان أول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبرى، على غرار قواعد اللغة العربية فى كتابه: «المجموعة» كما ألف كتابين آخرين: اللغة العبرية، وكتاب الفصاحة، وقد أخذ الكثير من العلوم الإسلامية وتأثر بمذهب المعتزلة، وفى كتابه بستان العقول» نلمس بوضوح أثر الفقه الفاطمى، كما أخذ عن الكرمانى مؤلف كتاب «راحة العقل».

.. وقد عظم شأن سعديا حتى أصبح من أشهر رؤساء معاهد العراق، وكان قبيل رحيله إلى العراق، قد أمضى عدة سنوات فى فلسطين، وتولى رئاسة معهد «سورا» بالعراق.

عصر الدولةالفاطمية:

انتزعت القاهرة الفاطمية مكانة بغداد، وأصبحت بفضل سياستها الاقتصادية المنفتحة والمتسامحة- كما يشير مارك كوهن- أكثر مفترقات الطرق التجارية نشاطا فى العالم الإسلامى، فى هذه الظروف، سرعان ما وجد يهود مصر أنفسهم وقد توافد إليهم المهاجرون اليهود فى أعقاب الفتح الفاطمى- فى مكانة متميزة.

اسمان يهوديان برزا فى العصر الفاطمى: يعقوب بن كلس» الذى أشهر أسلامه عندما كان مستشارا لكافور الإخشيدى، أملا فى تقلد منصب الوزارة، ثم تقرب إلى الخليفة المعز لدين الله، إلى أن قلده العزيز بالله بن المعز منصب الوزارة عام ٩٧٧م.

والثانى: «بلطيال بن شفطيا» وكان معاصرا لابن كلس، وطبيبا فى بلاط الخليفة المعز، عظم شأنه حتى تزعم الطائفة اليهودية فى مصر.

وتذهب بعض الآراء، إلى أن الفاطميين باعتبارهم أقلية شيعية فرضت سلطانها على الأكثرية السنية، فمن الجائز أنهم قد استخدموا الكتاب والأطباء اليهود لضمان ولائهم للحكم، لكن من الواضح، أن عصر الدولة الفاطمية كان بالنسبة لليهود فى مصر « فترة اندماج حقيقى فى الحياة السياسية العامة للدولة» مما حدا بالشاعر المصرى «الحسن بن خاقان» إلى السخرية من سياسة الفاطميين قائلا:

يـــهـــود هـــذا الـــزمـــان قـــد بـــلـــغـــوا

غـــايـــة آمـــالـــهم وقـــد مـــلـــكـــوا

الـــعـــز فـــيـــهم، والمـــال عـــنـــدهـــمـــو

ومـــنـــهم المـــســـتـــشـــار والمـــلـك

يـــا أهل مـــصـــر إنى نـــصـــحـت لـــكم

تـــهـــودوا، قـــد تـــهـــود الـــفـــلك!

الدولة الأيوبية وعصر سلاطين المماليك:

شهدت الفترة ما بين القرن الثانى عشر ومنتصف القرن الرابع عشر، ازدهارا ثقافيا لليهود المصريين، كان بداية هذه النهضة الثقافية حوالى عام ١١٦٥م، عندما رحل إلى مصر «موسى بن ميمون» أشهر شخصية يهودية نبغت فى ظل الحضارة الإسلامية، حاملا

معه تراثا ثقافيا أندلسيا، وقد تلقى علومه بجامعةالقرويين فى فاس قبل هجرته إلى مصر، وافكاره الفلسفية تشهد بمكانته العلمية، وقد أنشأ فى مصر «سلالة من الأدباء والعلماء» هيمنوا أيضا على زعامة الطائفة.

تولى ابن ميمون منصب «رئيس اليهود» عام ١١٧١م مع استقلال صلاح الدين بمصر وتأسيس الدولة الأيوبية، وظل فى منصبه حتى عام١١٧٧م، ثم تولاه مرة أخرى فى الفترة ١١٩٥-١٢٠٤م، كما اشتهر كطبيب خاص لصلاح الدين.. وقد تأثر فى كتاباته الطبية بمؤلفات ابن سينا والرازى، وأشهر مؤلفاته كتاب «دلالة الحائرين» الذى أتم تأليفه باللغة العربية عام ١١٩٥م، ثم ترجم إلى العبرية بعد ذلك كتاب «قواعد الشريعة اليهودية».

وتشير كتابات ابن ميمون إلى ممارسة بعض اليهود للصوفية على النمط الإسلامى، وقد تأسست حلقة صوفية يهودية بالقاهرة، وأخرى بالإسكندرية، ضمتا جماعة من وجها اليهود: أطباء» قضاة، علماء موظفون.

وقد مارس «إبراهم بن موسى بن ميمون» ورفاقه طقوسا مماثلة للتصوف الإسلامى، وأكثروا من الصيام، وأضافوا إحناء الرؤوس والسجود فى صلواتهم، وحذا إبراهيم حذو أبيه- موسى بن ميمون- والسجود فى صلواتهم، وحذا ابراهم حذو أبيه- موسى بن ميمون- الذى اتبع سلوكا اسلاميا تقشفيا فى إقامة الشعائر بالمعابد، وقد حاول ابراهم نشر هذه الطقوس بين الطائفة.. غير أن بعض وجهاء اليهود شكوه إلى السلطات الأيوبية، لمحاولته إدخال «البدع» إلى الديانة اليهودية!.. وقد رد عليهم بدفاع أدبى قوى فى كتاب الزهد الذى ألفه باللغةالعربية، ومن مؤلفاته أيضا: «تفسير المشناه» باللغةالعربية عام ١١٦٨م و«المشناة توراة» بالعبريةعام ١١٨٠م، كما تضمن كتابه «كفايةالعابدين» باللغةالعربية، آراؤه فى التصوف اليهودى وبرنامجا للخاصة من المتصوفين اليهود!

وقد ورث إبراهم منصب أبيه باعتباره السلطةالتلموديةالأولى، وترأس الناجد «داود بن إبراهم بن ميمون» معهد الفسطاط، وتنسب إليه مجموعة من المواعظ، وشرح لجزء «الآباء» من المشناة و«تحرير نبوءة الطفل نحمان».. كما ألف شقيقه ««عوبديا» بن إبراهيم بن ميمون» رسالة شبه صوفية بعنوان «المقالة الحوضية» وكانت كتاباته تحاول إضفاء الاحترام الفكرى على التصوف اليهودى ويبدو أن ازدهار التصوف الإسلامى فى مصر قد شكل محطة على طريق كثير من اليهود إلى اعتناق الإسلام، ومن بعض نصوص الجنيزة، يتضح لنا أن اعتناق اليهود للدين الإسلامى، لم يكن حدثا غريبا فى حياة الطائفة اليهودية.

كذلك وضع الناجد «يهوشع بن إبراهم بن داود» مجموعة الفتاوى الشرعية كما كتب ابنه داود رسالة بالعربيةعن المكاييل والمقاييس فى التوراه والتلمود، وكان الشاعر «يوسف بن تنحوم هيروشلمى» آخر من كتب الشعر باللغة العربية، وقد عاش فى رعاية أسرة ابن ميمون، كما كان والده عالما فى اللغة وتفسير التوراة، كذلك دون عدد من الأطباء اليهود المصريين من خلال القرن الثالث عشر الميلادى رسائل فى الطب والعقاقير.

وقد عرض «أبا إيبان» وزير الخارجية الإسرائيلى الأسبق، إلى تجربة اليهود فى الأندلس والمغرب، فى كتابه «MY people» الذى أقر فيه بازدهار اليهود اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا فى ظل الحكم العربى، فيقول:

«شهدت الطوائف اليهودية فى أسبانيا والشمال الإفريقى، ازدهارا فى جميع مجالات الإبداع على مدى قرنين من الزمان – فى أقل تقدير – تحت ظل الوصايةالعربيةهذا الازدهار لم يتحقق من قبل على مدار تاريخ الشتات الذى تعرض له اليهود».

الفصل الثالث
وثائق جنيزة القاهرة

الدراسة التاريخية، أو الاجتماعية، أو اللغوية، لعصرما، لابد من أن تعتمد على المخطوطات والوثائق، فهى أصدق تعبير عن العصر الذى كتبت فيه، فإلى جانب الأهميةالبالغة لوثائق الجنيزة، بالنسبة إلى تاريخ يهود العالم العربى، فإنها تشكل دورا مهما، أيضا، فى دراسة التاريخ الإسلامى عامة، وفى مصر بشكل خاص.

والجنيزة مصطلح حديث أطلق على الوثائق والمخطوطات التى كنزها اليهود فى العصور الوسطى، فى معبد «بن عزرا» بالفسطاط، الخاص بطائفة اليهود ارلبانيين، ومقابر اليهود فى حى البساتين، ولهذا اطلق على هذه المجموعةا سم «غنيزة القاهرة».

وتعنى الجنيزة، لغويا، المخبأ، أو مكان الدفن، فهى قريبة من الكلمة العربية التى تعنى الموكب المشيع للميت، أما فى تقاليد اليهودية، فيطلق اسم الجنيزه على مستودع الأوراق البالية من الكتابات اليهوديةالمقدسة، التى لا يجوز إبادتها، حتى وإن لم تعد تستعمل، وذلك لما يفترض من ورود اسم الله فى ثناياها، وعليه، فقد جرت العادة على خزن هذه الكتب الباليةوقصاصات الورق، «مؤقتا» فى مكان محدد فى المعبد، ثم يتم، من حين إلى آخر، تفريغ هذا المكان من محتوياته، لتنقل، عادة، إلى المقبرة«٥٢» حيث تدفن نهائيا، ويطلق اسم «غرفة الجنيزة» على المستودع المؤقت فى المعبد، وكذلك على المدفن الدائم فى المقبرة.

ومعبد «بن عزرا»، الذى اكتشفت فيه مخطوطات الجنيزة، كان يعرف باسم معبد

الياهو، ويعرف، أيضا، بقصر الشمع، وتزعم بعض الروايات اليهودية أن النبى الياهو «إيليا» قد تجلى ذات مرة للمتعبدين هناك. ويعتبر اليهود المصريون موقع ذلك المعبد مكانا مقدسا، حيث يزعمون أن النبى موسى صلى إلى الله فى هذا المكان، ودعاه أن يرفع عن المصريين الطاعون الذى ابتلاهم به.

وتعتبر محتويات غرفة الجنيزة فى معبد «بن عزرا» أخطر وأهم مخطوطات الجنيزةعلى الإطلاق، وهى ملحقة بأعلى المعبد «فى نهاية بهو النساء» وتبلغ قياساتها ٥×٢×٥×٢،٥م، وليس لها مدخل سوى نافذة عالية يمكن الوصول إليها من على السلم فقط، حيث كان على يهود ذلك العصر الصعود لإلقاء أوراقهم من تلك النافذة إلى داخل الغرفة.

وأول من علم بوجود الجنيزة فى الفسطاط، كان الرحالة اليهودى سيمون فون جلورن الذى زار المعبد «وكان مازال يدعى كنيس، أو معبد، الياهو» فى سنة ١٧٥٢، وألقى نظرةعلى الجنيزة، كما ذكر فى يومياته «المصدر نفسه».«٥٣»

ثم تمكن اليهودى الروسى إبراهام فيركوفتش «١٧٨٦– ١٨٧٤» من الحصول على بضعة آلاف من تلك المخطوطات، التى استقرت فى المكتبةالعامة فى سانت بطرسبرج «لينغراد حاليا».

وفى العام ١٨٨٨، قام اليهودى البريطانى الكان ادلر بزيارة المعبد، ولكنه لم يتمكن من اكتشاف حجرة الجنيزة، غير أنه عاد، مرة أخرى، فى العام ١٨٩٦، حيث قاده الحاخام الأكبر للقاهرة إلى حجرة الجنيزة ذاتها، فكان أول أوروبى يمنح هذا الامتياز، حيث الحجرة، ثم يخرج ببضعة آلاف أخرى من وثائق الجنيزة، لتكون مجموعات تحمل اسمه فى مكتبة السمنار اليثولوجى اليهودى فى نيويورك.

بعد شهور قليلة من زيارة ادلر الثانية، والناجحة، عرضت على أستاذ العلوم اليهودية، فى جامعة كمبريدج، «سالومون شختر»، بعض المخطوطات العبرية، التى حصلت عليها شقيقتان مسيحيتان من اسكتلندا، ابتاعتاها من تاجر عاديات بالقاهرة، وسرعان ما اكتشف شيختر أن تلك المخطوطات تحتوى على جزء من النسخة الأصلية لكتاب «حكمة ابن سيرا» الذى يضم شروحا للتوراة، وكان معروفا من خلال ترجمته اليونانية فقط، فقرر الرحيل إلى القاهرة، فى «ديسمبر» ١٨٩٦، مزودا بالدعم المالى من صديقه مدير كلية القديس جون، فى كمبريدج، تشارلز تايلور، وبرسائل توصية إلى زعماء الطائفة اليهودية فى القاهرة من الحاخام الأكبر فى انكلترا وتمكن شختر من استخلاص مئة وأربعين ألف ورقة، وضعت فى صناديق، وأرسلت إلى بريطانيا، لتكون أكبر وأهم مجموعة جنيزه فى

العالم، تحت اسم «TAYHIOR- SCHECTER» فى مكتبة جامعة كمبريدج، وباقى مجموعات وثائق الجنيزه موزع على مكتبات: نيويورك، وواشنطن، وفيلادلفيا، واكسفورد، ولندن، ومانشستر، وباريس، وميونيخ، وفيينا، وبودابست ، ولينغراد، والقدس«٥٤» وفى مقابر البساتين، اكتشفت مجموعة أخرى بلغت نحو أربعة آلاف مخطوطة، العام ١٩١١–١٩١٢، بفضل جهود اليهودى المصرى، جاك موصيرى، ودعمه لبعض الباحثين الأوروبيين، وهى مستقرة، الآن، فى الجامعة العبرية، فى القدس، تحت اسم مجموعة موصيرى».

ومما لاشك فيه، أن دراسة التاريخ اليهودى قد أفادت كثيرا من وثائق الجنيزه، التى ترجع إلى الفترةالممتدة من عصر الدولة الفاطمية حتى عصر الدولة الأيوبية أى من نهايات القرن العاشر الميلادى حتى أواسط القرن الثالث عشر، وتوجد وثائق، أيضا، من العصرين، المملوكى والعثمانى، بل إن هناك، أيضا، بعض الرسائل، والوثائق يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر.

وتؤكد وثائق الجنيزه أن اليهود لم يختلفوا كثيرا فى مصر والدول المجاورة لها، فى العصور الوسطى، عن جيرانهم المسلمين فى أنشطتهم الاقتصادية وعاداتهم الاجتماعية، ولذا، فهى تعد مصدرا ممتازا لتاريخ العالم الإسلامى الاقتصادى، والاجتماعى، فى تلك الحقبة«٥٥» حيث نتعرف منها على نظم التجارة وأحوالها بين دول البحر المتوسط الإسلامية والهند، بجانب الموارد المالية والصناعية. والبضائع، والأسعار، والرحلات البحرية.

وتنقسم وثائق الجنيزة إلى ثلاثة أقسام لغوية: الأول بالعبرية، والثانى بالعربية المكتوبة بالعبرية، والثالث بالآرامية. وتنقسم، من حيث الموضوعات، إلى نوعين: المصادر الأدبية، والمصادر الوثائقية. المصادر الأدبية تشكل الجزء الأكبر من هذه المخطوطات، وتشمل: الصلوات والشعر الدينى وصفحات من التوراة على لفائف الورق، أوالبردى، أو ترجمات للتوراة إلى اليونانية، وقصص نثرية، والمشناة، والتلمود، ومؤلفات فى التنجيم والفلسفة والطب، وتعاويذ، ونصوص سحرية، ورسائل إخوانية. أما النوع الثانى، الوثائقى، فقد توسع يهود مصر كثيرا فى تفسيرهم لتحريم إبادة الأوراق المكتوبة، حيث اختزنوا أوراقا كثيرة، لا تحمل شيئا من التقديس، فتضمنت مذكرات للمفكرين والتجار اليهود، حوت معلومات عن الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، عن المجتمع الإسلامى، كما تضمنت ملفات المحاكم: عقود الزواج، وثائق الطلاق، الوصايا، صفقات بيع وشراء، وفواتير حساب، وشهادات عتق عبيد وإماء، وإبراء، وخطابات رسمية إلى السلطات،

وتقارير، وشكاوى، والتماسات، ورسائل خاصة بجمع تبرعات من اليهود لأعمال الخير، كعتق جارية يهودية، أو تقديم فدية ليهود تعرضوا للأسر فى أثناء السفر فى البحر.. كما عثر على مؤلفات بعض المسلمين باللغة العربية، وبعضها بالأحرف العبرية، مما يؤكد شغف اليهود بأدب الدولة الإسلامية التى عاشوا بين ظهرانيها، فظهر أثر ذلك فى كثير من إنتاجهم الأدبى ذاته، كذلك عثر على وثيقة يهودية عبارة عن قائمة بجهاز عروس، تلقى الضوء على جانب من الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بشكل عام، حيث أوردت هذه الوثيقة أشياء من شوار العروس بقيمتها المالية، وترسم صورة للملابس والحلى التى استعملتها النساء فى ذلك العصر، جوانب كثيرة من الحضارة المادية تتجلى من خلال هذا النوع من الوثائق.

وتشمل جنيزة القاهرة، أيضا، ما يسمى بـ« البيوط»، ويعنى هذا المصطلح الشعر الدينى، أو تلاوة التوراة بأسلوب شعرى، وقد ارتبط هذا الشعر، أو البيوط ، بيوم التاسع من آب «اغسطس» الذى يصوم فيه اليهود وتتحدث هذه الأشعار الدينية عن كائنات تشبه الملائكة تتدخل وتشن حربا شعواء لا تبقى ولا تذر أحدا من أعداء الرب. وهذه الملائكة تظهر حينما يعلن شالتئيل عن قدرته على تحقيق الخلاص، واعادة بناء الهيكل فيثيرون القلاقل فى جميع الأمم، وتحل المجاعات. وتهب العواصف والأعاصير، ويسيل دم الأعداء كجداول الأنهار، ويلقى الآلاف حتفهم من هول ما يرون!.

هذه المخطوطات، أو التصورات، اليهودية القديمة ليوم الخلاص وتدخل الرب وملائكته ضد الأمم المجاورة من أعداء الرب وإعادة بناء هيكل سليمان وقيام مملكة لليهود، يعطينا تصورا وتحليلا لماتقوم به، حاليا، الدولة الصهيونية، واستشرافا لما تنوى القيام به مستقبلا!

وترجع أهمية هذه المخطوطات إلى أمرين أساسيين:

الأول تلك السماحة الإسلاميةالعظيمة التى تمتع بها الذميون عامة، واليهود منهم فى العالم الإسلامى، الأمر الذى فتح لهم الأبواب للاشتغال بالأعمال الثقافية، والمهن العلمية، كالطب والصيدلة والاقتراب، عن طريق ذلك من دوائر الحكام المسلمين، على غرار الحاخام موسى بن ميمون الذى كان طبيبا ومستشارا خاصا لصلاح الدين الأيوبى إبان الحروب الصليبية مما يعنى أنه قد شاهد أمورا كثيرة تتصل بتاريخ تلك الحروب من داخل خيمة البطل الإسلامى صلاح الدين. ومن هناتبدو أهميةالمخطوطات فى الكشف عن التاريخ الاجتماعى، والسياسى، للعالم العربى، والإسلامى، فقد عثر فى جنيزه القاهرة على أوراق

عديدة بقلم موسى بن ميمون، نشر بعضها، وما زال البعض الآخر طى الكتمان فى جامعة كمبريدج«*»«٥٦».

الثانى الذى يجعل لهذه الوثائق أهمية تاريخية. هو أن طريق التجارة عبر شبه الجزيرة العربية إلى الهند، سواء بالبحر أو بالبر، كان هو الطريق الذى يسلكه التجار اليهود ضمن قوافل التجارة الكبيرة ومن هنا، فإن سجلاتهم التجارية، ومذكراتهم حول مشاهداتهم عن حياة شبه الجزيرة ومنطقة الخليج، تمثل سجلا تاريخيا تلقائيا للأوضاع العامة فى تلك المناطق، وإذا أضفنا إلى ذلك أن هؤلاء التجار، حين عودتهم إلى مصر، قاموا بنقل البضائع إلى المغرب وفى نطاق حوض البحر المتوسط، فإنه يمكننا أن نتصور المدى الجغرافى الذى تغطيه هذه الوثائق، وتكشف عن طبيعة الحياة فيه.

كما أن هذه الوثائق تكشف عن جوانب التأثير التى أحدثها الفقه الإسلامى والفكر الإسلامى فى الديانة اليهودية، إلى حد ظهور فرقة يهودية جديدة تحمل اسم «اليهود القرائين»، تأثرت ، فى نشأتها وأفكارها، بفكر المعتزلة، بدأت فى العراق، ثم انتقل مركزها إلى مصر.

ونظرا إلى أهمية هذه الوثائق، فقد أولاها العلماء اليهود اهتماما خاصا، وكان على رأسهم العالم الأميركى، صاموئيل د. جويتين، الذى كتب سلسلة طويلة من الدراسات الخاصة بتلك الوثائق، ضمنها فى مؤلف ضخم تحت عنوان «مجتمع البحر المتوسط، الطوائف اليهودية كما تبدو من خلال وثائق جنيزة القاهرة»«٥٧»

وقد سبقتها الدراسة التى أعدها «يعقوب مان» تحت عنوان اليهود فى مصر وفلسطين تحت حكم الخلفاء الفاطميين، ثم دراستان لموشى جيل عن «الأوقاف اليهودية والمؤسسات الخيرية اليهدوية»، ودراسة حاييم شاكد تحت عنوان«بيبليوجرافية مقترحة عن وثائق الجنيزه»«٥٨»

كما قدم العالم اليهودى الأميركى مارك كوهين محاضرة فى المركز الأكاديمى الإسرائيلى، فى القاهرة، العام ١٩٨٢م، بعنوان «وثائق جنيزه القاهرة مصدر للتاريخ المصرى». وقد نشر المركز، فى مجلته الدورية، ملخصا وافيا لهذه المحاضرة بالعنوان ذاته«٥٩»

بعد معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية لوحظ أن الوفود الإسرائيلية، التى تدافعت إلى القاهرة، بدأت مواصلة عمليات النهب لما تبقى من وثائق الجنيزة فى معبد «بن عزرا» ومقابر اليهود فى حى البساتين، وهى التى منحها لهم مؤسس الدولة الطولونية، أحمد بن

طولون، فى القرن التاسع الميلادى، ومنذ ذلك العصر وهى تستخدم لدفن وثائق الجنيزة فى أحواشها.

وفى العام ١٩٨١، تقدمت وحدة البحوث الإسرائيلية، فى جامعة عين شمس، برئاسة د. إبراهيم البحراوى، ببحث تحت عنوان «حماية المخطوطات اليهودية المصرية من النهب والتهريب».

وقد تضمنت مقدمة مشروع البحث ملاحظات عدة حول عمليات النهب الجارية، وأوصت بتكوين فريق بحث يتولى استخدام هذه الوثائق، وحفظها، وفهرستها علميا، لتحقيق هدفين:

١- منع احتمالات تزييف التاريخ من جانب المستشرقين والباحثين اليهود، الذين يخضعون كل ما يتعلق بتاريخهم وثقافتهم للتوظيف السياسى، الذى لا تخفى مآربه، بالإضافة إلى أنهم إذا ما امتلكوا الوثائق حجبوا ما هو حجة عليهم، وروجوا لما يناسبهم، بالتغيير والتبديل فى حقائق التاريخ.

٢- المحافظة على المخطوطات المدفونة فى مقابر البساتين، قبل أن تمتد إليها يد العبث والنهب، وحتى لا يكون مصيرها التهريب إلى خارج مصر، كما حدث لمجموعتى كمبريدج وفيينا. غير أن إسرائيل أدركت أن المشروع المصرى يقطع الطريق على عمليات النهب والتهريب الجارية لوثائق الجنيزة، فسارع مدير المركز الأكاديمى الإسرائيلى، آنذاك، فى القاهرة، والسفير الإسرائيلى الأسبق فى القاهرة، د. شيمون شامير، إلى صوغ مشروع بحث مماثل قام بتقديمه إلى هيئة الآثار المصرية باسم مارك كوهين، الأستاذ فى جامعة برنستون الأمريكية. وبعد أن أصدر قرار اللجنة الدائمة للآثار بمنح امتياز المشروع لجامعة عين شمس، لجأ الجانب الإسرائيلى إلى سلاح الضغط بالطوائف اليهوديةالأميركية ومراوغات مجلس الطائفة اليهودية فى القاهرة، وتدخلات الحاخام الأكبر الإسرائيلى، الذى جاء فى فتواه: «.. ممنوع إخراج أى سفر أو شىء جنزى، وفقا للشريعة، إلا إذا كان هناك سبب معقول»

وعليه ظل المشروع مجمدا ، ليصبح مثلا صارخا لمحاولات التدخل الإسرائيلى فى بحوث جامعة مصر رغم الجهود التى بذلت لوضعه فى حيز التنفيذ، للحفاظ على الثروة المصرية من النهب، وحفظ حقوق الاختيار السياسى للباحث المصرى.

الهوامش

1-M. Cohen: Jewish life in medievla Egypt 641-1382,Tel aviv 1987.P 30
2- Goitein: mediterranean xociety vol. 11,p.356.
3- M. Cohen: jewish self-government in medieval Egypt. princeton,1980
4- S.Goitein:op.cit,p. 23-25.
5-M.cohen: Jewish life- p,31
6-S.goitein: op,cit, p.68- 72
7-M. Friedman: jewish marriage in palestine a Cairo geniza study vol i, pp. 21-25
8-M. cohen:op.cit,p.32
9-M. cohen:op.cit,p.33
10- M. cohen: jewsh silf gov.p.255
11-s. Goitein: op. cit., pp.72- 75
12- Mann: jews in egypt and palestine. pp. 19-26
13- M. cohen:jewish life..p.56
14- M.coen:op cit,p.37
15-iem p.37
16- S goitein:op. cit,p.76
17-M.Cohen:op cit. p.39
18-idem p.40
19-idem,p.42
20- S.Goitein:journal of jewish studies,vol 12,p.155-158.
21- S.Goitein: mediterranean society,vol 11,p.72-75
22- M.Cohen:op.cit.p.43
23-E.Ashtore:some featyres of the jewish communities in medieval 24-EGypt,zion 3, 1965,p.129
25-S. Goitein:op.cit,p.76-77
26- Idem,p.79.
27-M. Cohen:op.cit,p.44
28-E.ashtor:op.cit,p.130
29-S. Goitein:ha-yishuv be-eres yisrael,jerusalim 1980pp.109-111.
30-M.Cohen:op.cit,p.46-47
31- M. Cohen: op.cit,p.47
32-S. goitein: ha-yishuv.. p.78

34- M.cohen: op.cit,p.49
35- S.Goitein: medit- society,vol 11,p.86
36- M. Cohen:op.cit,p.50
37- E. Ashtor:op.cit,p.132
38- M.Cohen:op.cit,p.51
39- S.Goitein:op.cit,p.88
40-M. Cohen: op cit,p.53.
41-S.Goitein:op.cit,p.96.
42-M.Cohen:jewish self.. pp. 255-259
٤١- د. قاسم عبده: «اليهود فى مصر من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى» ص٧٦-٧٧ القاهرة،١٩٨٧.
٤٢- W.j.Fischel:jews in the economic and political life of medieval islam,New York,p.70
٤٣- ابن خلكان: جـ٢،ص٤٤٢،المقريزى: جـ٢،ص٥،الذهبى: جـ١،ص١٨٠،ابن تغرى بردى جـ٢،ص٤٥،ابن الصيرفى: ص٩٣.
٤٤- ابن خلكان: جـ٢،ص٤٤٣.
٤٥- ابن خلكان: جـ٢،ص٤٤٣.
٤٦- المقريزى: جـ٢،ص٦،ابن تغرى بردى: جـ٢،ص٤٥.
٤٧- ابن الصيرفى،ص٩٤.
٤٨- المقريزى: جـ٢،ص٦.
٤٩- ابن الأثير: جـ٢،ص٤٨٤.
50- .j.Fischel:j:op.cit.p.87.
51- Idem,p.88
52- Cohen,m.: op.cit.p.91
53-Cassuto,c:aselection of synagogues in old cairo,b.l.a.c.c.no10, 1988,p.9
54- Choen,m: the geniza documen ts of cairo asource for egyptian history,b.l.a.c.c no2,1983,p.5
55- Norman, g.: sixty yeans of geniza research, 1957,p.16.
٥٦- إبراهيم البحراوى: استراتيجية الاختراق الفكرى الصهيونى فى إطار المعاهدة المصرية الإسرائيلية، شئون فلسطينية، عدد ١٨٤، يوليو، ١٩٨٨م، ص٤٧- ٤٨.
57- Goitein,s.:op.cit
58- Shaked,h.:atentative bibgiograpgy of the geniza docureents, pavis, 1964.
59- Bulletin of the israegi acaderic center in caero, no3, 1983/1984

الفصل الرابع
يهود مصر.. فى كتابات الرحالة الأجانب

الرحلة هى «عين الجغرافيا المبصر»ة.. ليس هذا فحسب، بل هى جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض، وإذا كان الإنسان الذى كرس اجتهاده لإنجاز الرحلة، لم يفرط فى جنى ثمراتها والانتفاع بها، فإن الرحلة– فى حد ذاتها قد رسخت كل العوامل والمفاهيم التى بنيت عليها وحدةالبشر على هذا الكوكب فالرحلة قديمة قدم الإنسان ذاته، وكما لعبت دورها فى حركةالكشوف الجغرافية، فقد حققت نوع من الاتصال الحضارى بين الشعوب، واكتساب المعرفة بالآخر، خاصة فيما يتعلق باللغة واللهجات والأوضاع الاجتماعية والتقاليد المتوارثة.

وتعد كتابات الرحالة الأوروبيون الذين زاروا مصر فى عصر سلاطين المماليك وفى عصر الإمبراطورية العثمانية، مصدراً بالغ الأهمية لدراسة الأوضاع السياسية والإجتماعية والاقتصادية للطائفة اليهودية فى مصر.. ويلاحظ أن الرحالة اليهود كانوا أكثر حرصاً على تتبع نشاط الطوائف اليهودية فى الشرق عامة، ومصر بصفة خاصة، والوقوف على أوضاعهم الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعلاقتهم بالسلطات المحلية.

التطور السكانى للطائفة فى كتابات الرحالة اليهود:

كانت تطورات القرن الحادى عشر الميلادى من أهم أسباب التطور السكانى لليهود

المصريين، فقد كانت الحروب المستمرة ضد قبائل البدو فى فلسطين، ثم الغزو السلجوقى لفلسطين سنة ١٠٧١م، فالحملة الصليبية الأولى سنة ١٠٩٩م، كان هذا كله وراء تدفق أعداد كبيرة من اليهود صوب مصر التى كانت آمنة نسبيًا فى تلك الفترةالتاريخية، وتكشف أوراق الجينزا عن أن شطرًا كبيرًا من يهود مصر آنذاك كانوا من المهاجرين أو من سلالتهم، ففى القرن الحادى عشر كان غالبية اليهود الذين هاجروا إلى مصر من يهود العراق وإيران، بل ومناطق آسيا الوسطى مثل نيسابور وسمرقند، إلى جانب الوافدين من تونس وصقلية وفضلاً عن الأعداد الضئيلة التى قدمت من فرنسا وإيطاليا والإمبراطورية البيزنطية، لم يتوقف تيار الهجرةاليهودية من فلسطين وبلاد الشام إلى مصر.

ورغم أن هذه الهجرات اليهودية إلى مصر قد رفعت النسبة العددية ليهود مصر، فأن أعدادهم ظلت ضئيلة بشكل عام بالنسبة إلى أعداد كل من المسلمين والمسيحيين، فالهجرةإلى مصر بعد قيام الدولة الفاطمية لم تكن وقفًا على اليهود وإنما شملت أعدادًا كبيرة من المسلمين والمسيحيين أيضًا، وقد أمدنا الرحالة اليهودى الأسبانى «بنيامين التطيلى» بتقرير عن أعداد اليهود فى القرن الثانى عشر، وذكر لناخمسة عشر مكانًا عاش بها اليهود فى مختلف أنحاء البلاد.

ويكشف ما ذكره بنيامين عن أن عدد اليهود قد تزايد فى مصر بسبب نجاح الحملة الصليبية الأولى واستيطان الصليبيين فى فلسطين وبلاد الشام، مما نتج عنه هجرة عدد كبير من السكان ومنهم اليهود بطبيعةالحال خصوصا بعد مذبحة القدس التى ارتكبها الصليبيون ضد المسلمين واليهود، وفى رأينا أن نسبة اليهود إلى المسلمين فى مصر لم تتغير بسبب الهجرة التى نجمت عن الغزو الصليبى لأن اليهود لم يهاجروا وحدهم، وإنما فى إطار حركة تهجير واسعة النطاق بسبب المذابح وعمليات التفريغ السكانى التى ارتكبها الصليبيون.

بيد أن النسبة العدية لليهود كانت تزيد فى المدن والموانئ الرئيسية عنها فى المناطق الريفية، حقيقة أن الدراسات التى أجريت على أوراق الجينزا أثبتت أن اليهود المصريين عاشوا أيضًا فى الريف حيث مارسواأعمال المال والتجارة الصغيرة ولكن نسبتهم العامة فى الريف كانت أقل من نسبتهم فى المدن وذلك لأنهم لم يشتغلوا بالعمل الزراعى.

وتدل الإحصائيات على أن المجاعات والأوبئة التى ازداد معدلها فى الشطر الأخير من عصر سلاطين المماليك والتى أدت إلى تدمير البناء السكانى فى مصر عامة كانت وراء تقلص أعداد اليهود المصريين أيضًا.

وتشير أقوال الرحالةاليهود الذى زاروا مصر فى أخريات القرن الخامس عشر إلى هذه الحقيقة فالرحالة «جوزيف دى مونتانيا « الذى زار مصر سنة ١٤٨٠م، و ميشولام الذى زارها سنة ١٤٨١م، وعويديا الذى جاء إلى مصر سنة ١٤٨٨م وتلميذ مجهول لهذا الأخير زار البلاد سنة ١٤٩٥م كلهم يشيرون إلى أرقام لا تخرج بمجموع اليهود فى مصر عن أربعة آلاف وخمسمائة نسمة، كذلك فأن ما ذكره الرحالةاليهود عن أحوال المدن المصرية التى زاروها يتوافق مع ما ذكرته المصادر التاريخية العربية عن خراب مناطق كثيرة وأسواق عديدة فى أنحاء مصر بسبب نقص السكان، فقد ذكر ميشولام أن الفسطاط كانت معظم أحيائها قد تحولت إلى أطلال، ولم يكن بها سوى معبد يهودى واحد، كذلك ذكر عويديا أنه حين زار مدينة الإسكندرية وجد أن ثلثى المدينة قد نالهما التدمير وأن كثيراً من منازلها غير مأهول.

نأتى بعد ذلك إلى العامل الأخير من عوامل تدهور أعداد اليهود فى مصر، وهو اعتناق أعداد كبيرة منهم للدين الإسلامى وهل كان هذا العامل عاملاً أساسيًا من عوامل ضآلة أعداد اليهود فى تلك الفترة؟

الواقع أن المصادر التاريخية العربية تمدنا بسجل جيد عن حالات اعتناق اليهود للإسلام طوال الفترة التى تقع فى رحاب الزمان بين الفتح الإسلامى والغزو العثمانى لمصر، ولسنا بصدد تقديما إحصائيا لهذه الحالات وإنما سنطرح بعض الأمثلة ذات الدلالة ومن المهم أن نشير إلى أن المصادر العربية اهتمت برصد حالات الأعيان وكبار اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ولم تهتم بالإشارة إلى حالات اليهود الفقراء وعامة اليهود جريًا على عادة مؤرخى ذلك الزمان فى إهمال شئون عامةالناس، ولكن ما نعرفه من المصادر التاريخية العربية عن اعتناق عدد كبير من أعيان اليهود للدين الإسلامى، وحذو الكثيرين من عامة اليهود حذوهم، يمكن أن يسهم فى تفسير استمرار تناقص عدد اليهود فى مصر رغم استمرار وفود المهاجرين اليهود من الخارج.

ويبدو أن تشدد اليهود القرائين فى التمسك بتعاليم التوراة حرفيًا قد تسبب فى بعض المشاحنات أحيانًا بينهم وبين الربانيين،، وثمة اختلاف بين الطائفتين فيمايتعلق بقواعد ذبح الحيوانات أدت إلى احتكاكات عنيفة بين الجانبين ثم طلب القراؤن أن يسمح لهم بحوانيت خاصة للحوم تخضع لتفتيشهم وأن يسمح لهم بفتح حوانيتهم فى أعياد الربانيين التى يعترفون بمواقيتها وقد استجاب الخليفة الظاهر لمطالبهم وأصدر مرسومًا بذلك.

وقد ذكر «عوبديا» الرحالة اليهودى أن القواعد الخمس لذبح الحيوانات واحدة عند

القرائين والربانيين فى مصر القرن الخامس عشر، ولكنه قال انهم يحرصون على الذبح بسكين حامية جداً ليس بها أى نتوء، وأنهم يلتزمون بالتعليمات الواردة فى التوراة عن الخمر فى صرامة شديدة، بل إنهم يتحرزون فى استخدام العسل المستخرج من العنب أوعصيره، وقال أنهم أغنى من اليهود الربانيين.

السامرة:

رغم أن الباحثين من القرائين والربانيين لا يعتبرون السامرة فرقة من فرق اليهود، فأن الواقع كما نلمسه من المصادر التاريخية يكشف عن أن المصريين حكاماً ومحكومين، اعتبروهم كما عاملتهم السلطات المصرية باعتبارهم من أهل الذمة فقد جاء بوصية رئيس السامرة السابق ذكرها: وليعلم أنهم شيعة من اليهود لا يخالفونهم فى أصل المعتقد، ولا فى شىء يخرج عن قواعد دينهم لمن انتقد، ولولا هذا لما عدوا فى أهل الكتاب..

والسامرة هم أتباع السامرية الذى أخبر الله تعالى عنه بقوله فى سورة طه: وأضلهم السامرى ويقول بعض المفسرين إن هذا السامرى هو الذى صنع العجل الذى عبده بنو إسرائيل حين ذهب موسى عليه السلام لموعد ربه.

وقد ذكر« «عوبديا»» أن السامرة فى مصر فى عصر سلاطين المماليك كانوا أغنى الطوائف اليهودية ويشغلون معظم الوظائف العليا فى الدولة، فمنهم الصرافون ورجال الإدارة وسمع أن أحدهم يمتلك ثروة تقدر بمائتى ألف قطعة ذهبية.

وكان عدد السامرة فى مصر قليلاً إذ لم يكن لهم سوى معبد واحد بالقاهرة ذكره المقريزى فى خططه وذكر ««عوبديا»» أن عددهم فى القاهرة القرن الخامس عشر لم يكن يزيد عن خمسين أسرة وتكشف بعض الوثائق الجنيزا عن أن السامرة كانوا بمعزل عن بقية اليهود على حين كان القراؤون والربانيون يتقاربون فى الأزمات.

والسامرة لا يؤمنون سوى بالأسفار الخمسة التى تمثل القسم الأول من العهد القديم إلى جانب سفر يوشع وسفر القضاة، وهم ينكرون بقية أسفار العهد القديم وأسفارالتلمود.

كذلك ذكر «ميشولام» أن السامرة كانوا يعيشون فى حى خاص بهم فى القاهرة، ولهم معبد مستقل «وهو ما ذكره المقريزى فى خططه»، كما لاحظ أنهم يحافظون على حرمةالسبت حتى منتصف النهار فقط ثم ينتهكون حركته، وقال ««عوبديا»» إن عدداً كبيرا من السامرة رحلوا معه من القاهرة إلى فلسطين لتقديم الأضاحى على جبل جرزيم بنابلس، كما لاحظ ضآلة أعدادهم.

هذه الطوائف المذهبية الثلاث كانت تشكل جسد الجماعةا ليهودية المصرية ورغم الخلافات والمتناقضات المذهبية بين أبناء هذه الطوائف الثلاث فإن المصادر كشفت عن أن السلطات المصرية تعاملت معهم جميعًا باعتبارهم يهودًا، وتجلى هذا واضحًا فى التنظيم الداخلى للجماعة اليهودية تحت إشراف رئيس اليهود الذى اعتبرته الحكومة ممثلاً لليهود ومسئولاً عنهم أمامها.

الحرف والمهن:

تضح من دراسة المصادر التاريخية العربية، ووثائق الجنيزا، أن اليهود فى مصر الإسلامية قد عملوا فى حوالى مائتين وخمسين حرفة يدوية فضلاً عن ممارستهم لحوالى مائة وسبعين نمطًا من النشاط فى مجالات الاقتصاد والإدارة والتعليم والطب والتجارة والمال، والحقيقة أن اليهود المصريين مارسوا أكثر من أربعمائة مهنة وحرفة فى خدمة المجتمع المصرى منذ دخول الإسلام وحتى الغزو العثمانى، بدءًا بالوزارة وانتهاء بأصغر المهن التى عرفها المجتمع المصرى آنذاك، واللافت للنظر أن عدد اليهود الذين عملوا فى خدمة الحكومة، سواء فى وظائف الإدارة العليا، أو جباية الضرائب وغيرها، جعل نسبة اليهود فى الجهاز الحكومى أعلى من نسبتهم العامة بين السكان.

وتحدث ««عوبديا»» عن مشاركة الصناع والحرفيين اليهود زملائهم من المسلمين والمسيحيين فى مصر كافة ظروف العمل سواء فى الحوانيت والورش والمصانع الصغيرة أو فى مجال العمل اليومى المأجور فى أعمال البناء والنقاشة وغيرها.. وقد لاحظ الرحالة اليهودى «عوبديا» الذى جاء من مجتمع أوربى يقيد نشاط اليهودى، أن الحرف والصناعات فى مصر مجالها مفتوح أمام الجميع، وقال أنه لا يوجد مكان فى العالم يناسب التجارة أكثر من القاهرة فمن السهل أن تصبح غنيًا، كما أن المرء يقابل فى القاهرة أعدادا لا تحصى من الأجانب من كل أمة ويتحدثون بكل لسان.. وكانت أحوال اليهود فى شتى أرجاء مصر برهانًا على أنهم عاشوا حياة عادية، مثل سائر المصريين، دون أن يقف الدين حائلا بينهم وبين ذلك!

العلاقات الاجتماعية:

وعلى صعيد العلاقات الاجتماعية التى كانت تربط اليهود بغيرهم من المصريين، تشير المصادر التاريخية إلى أن العلاقات جرت فى مجراها الطبيعى، بل أن بعض وثائق الجنيزا كتبت بأيدى بعض المسلمين والمسيحيين، ولم تكن ثمة حدود صارمة تفصل اليهود عن بقية المصريين وهو الأمر الذى أدى إلى ذوبانهم فى المجتمع فتحدثوا لغته ومارسواعاداته

وتقاليده، دون أن يميزهم شىء عن غيرهم من المصريين.

وقد لاحظ الرحالة اليهودى «ميشولام» أن اليهود يسلكون مسلك المسلمين فى جميع بلاد السلطان وذكر أنهم لا يضعون فى بيوتهم أثاثًا كبيرًا، وأنهم كانوا يفترشون الأرض التى تغطيها سجادة أوحصيرة، وقد أكد الرحالة ««عوبديا»» «كلام زميله» «ميشولام» كذلك ذكر كل منهما أن اليهود المصريين لا يدخلون المعبد بأحذيتهم، ولو على سبيل الزيارة، وإنما يتركون الأحذية خارج المعبد بجوار الباب ويجلس الجميع على الأرضالمفروشة بالسجاد أو الحصير داخل المعبد، ولم يك ممكنًا لليهود المصريين ألا يتأثروا بالجو الإسلامى المحيط بهم، والعادات التى تحكم سلوك أبناء هذا المجتمع رغم اختلاف الديانة، وهذا السلوك الاجتماعى حتى داخل المعبد اليهودى استرعى انتباه الرحالةالقادمين من الغرب الأوربى فحرص كل منهما على تسجيله لغرابته بالنسبة لهم.

من خلال صورة رسمهاالرحالة اليهودى «عوبديا» لوليمة السبت عند اليهود المصريين، ومقارنتها بما نعرفه عن عادات الطعام لدى المصريين فى ذلك العصر وفقا لما جاء بالمصادر العربية والدراسات الحديثة، فقد ذكر هذا الرحالة اليهودى أنهم يأكلون على الأرض من طبق واحد كبير ثم يتبادلون عبارات المجاملة مثل بالهناء والشفاء فيأثناء تناول الطعام والفاكهة، وقد لاحظ «عويديا» أن اليهود المصريين بأكلون بسرعة، ولكنهم لا يأكلون كثيرا وهم يجلسون فى دائرة على سجادة ويقف حامل الأكواب بالقرب من مفرش صغير فوق السجادة فوقها جميع أنوا ع فاكهة الموسم، وفى بعض الأحيان يشرب المدعوون وهم يشمون أزهار الياسمين التى أحضروها لهذه المناسبة ومن الصورة التى رسمها قلم هذا الرحالة اليهودى يمكننا أن نكتشف أن اليهود كانوا يتصرفون باعتبارهم مصريين، ولم تكن تلك عادة يهودية بدليل أنها أثارت انتباه «عوديا» ودهشته فسجلها لكى يحكيها لمواطنيه.

كذلك لاحظ هذا الرحالة أنه كان من عادة اليهود المصريين ألا يطبخوا فى منازلهم سوى لإعداد وليمةالسبت، وأنهم كانوا يشترون الطعام جاهزًا من الأسواق طوال أيام الأسبوع الأخرى نظرا لاشتغالهم بأعمالهم والواقع أن سكان القاهرة فى ذلك الزمان اعتادوا الكل خارج بيوتهم، كما اعتاد بعضهم أن يرسلوا الطعام إلى حوانيت «الشرائحية» لإعداده وطهيه لهم، ولذلك انتشرت أعداد هائلة من المطاعم وحوانيت الشرائحية، فضلاً عن باعة الطعام الجائلين فى أنحاء القاهرة وغيرها من كبريات المدن المصرية فى تلك العصور.

ومن طبيعة الأمور أن يتأثر اليهود بالجو الاجتماعى المصرى عامة، ولكن التنظيم الاجتماعيالمصرى آنذاك أتاح لليهود قدرًا كبيرًا من حرية التنظيم الداخلى.

هكذا يتضح أن اليهود فى مصر الإسلامية- من خلال كتابات الرحالة اليهود قد مارسوا حياتهم الاجتماعية باعتبارهم جزءًا من البنيان الاجتماعى المصرى عامة، وفى ضوء الظروف التاريخية والقيم والمثل التى كانت تحكم العلاقات الاجتماعية فى ذلك العصر.

ولقد برزت فى مصر صراعات تجارية بين اليهود وجيرانهم فى المدن الكبرى، التى تركز فيها أغلب اليهود بخاص فى الإسكندرية والقاهرة ونعثر فى مصادر مختلفة على معلومات إحصائية قليلة عن نشاطات اليهود التجارية فى مصر من خلال القرن التاسع عشر ويتضح من هذه المصادر أن كثيراً منهم كانوا موظفين وصيارفة وصاغة ذهب وفضة وتجار وسطاء، وفى هذا القرن حينما أصبحت مصر مركزًا سياحيًا ارتبط اليهود بأعمال السياحة بخاصة فى الموانئ وفى القاهرة وبعد ذلك وبخاصة من خلال القرن التاسع عشر وصل إلى مصر يهود من الطبقة المتوسطة والعليا وكان بعضهم مواطنين جدد أو أبناء مهاجرين يعملون فى مهن حرة: محامين وأطباء وما شابه ذلك وانخرط يهود آخرون فى أعمال أخرى على نطاق واسع مثل تجارة الجملة التصدير والاستيراد والأعمال المصرفية والصناعات الخفيفة.

ونجد وصفًا مهماً للقرائين فى نهاية القرن التاسع عشر لدى «سلوشتس» حيث يركز فى وصفه على العلاقات الاجتماعية الوثيقة التى سادت بين افراد الطائفة اليهودية ليس بين القرائين والربانيين فقط بل أيضًا بين الربانيين أنفسهم، وبين الطائفة السفارادية القديمة وبين الطائفة الإشكنازية التى انخرطت وذابت فى طائفتهم ومن خلال هذا العرض قدم سلشتس وصفًا عامًا لعادات القرائين ونمط معيشتهم وكان الشىء الذى ترك لديه انطباعا قويا هو كراهية واستعلاء يهود مصر السفارديم على القرائين فقد احتقروا القرائين ووصفوهم باسم الأشرار، كما كانوا يطلقون ذلك على إخوانهم الاشكنازيين ولكى يجسد ذلك تحدث بإسهاب عن أسطورة وهى واحدة من أساطير كثيرة سمعها ترددت فى أيام موسى بن ميمون أيضًا، لتبرر السبب فى هذه التسمية وبالفعل لقد عكست هذه الأسطورة الجو الفكرى الذى ساد بين أفراد الطائفة ومع ذلك ورغم الكراهية التى أكدها «سلوشتس» ثانية فى الكلمات التى نسبها لموسى بن ميمون وبخاصة جملة لأنهم ليسوا يهوداً ولم يقفواعلى جبل سيناء» إلا أننا يمكن أن نفرق بين نظرة التلمود والشريعة

اليهودية والعلاقات السليمة والتأثيرات المتبادلة التى سادت بين القرائين والربانيين فى الحياة اليومية وذلك من خلال تفرقة أخرى بين الربانيين والطائفة الاشكنازية والتى كانت غريبة عنهم فى روحها وعاداتها، وأنهى سلوشتس وصفه بهذه الكلمات:

«خرجت من الشارع القرائى فى القاهرة مفعمًا بمشاعر مختلفة، ففى هذا المكان المنعش شعرت بنفسى غريبا أكثر من غربتى فى شارع الربانيين، أخيرا فإن هؤلاء اليهود متشابهون وكل من يراهم يعرفهم لأنهم من أصل إسرائيلى ولا يوجد غرباء بينهم كما حدث لدى قرائى شبه جزيرة القرم، فالكراهية والتعصب الدينى باعدت بين الأقارب وقربت المتباعدين، فهل سيظل سيف الدين والإيمان يعمل بالحتمية التاريخية؟

ومن خلال القرن التاسع عشر استمر أغلب يهود مصر فى العمل فى تجارة التجزئة وفى عدد هائل من الأعمال المتواضعة كان من بينها الحياكة وكان أغلبهم فقراء، ولقد لعب المسلمون دورًا صغيرًا نسبيًا فى أغلب هذه الأعمال، وفى المقابل عمل أغلب أبناء الأقليات الأخرى فى مصر فى تلك الأنشطة التجارية.

ويشير «ايزنشتات» أن السكن فى أحياء مستقلة أمرًا شائعًا لدى الغالبية والقلية على حد سواء ورغم إعراب المعتدلين المسلمين عن ضرورة إبعاد اليهود والمسيحين عن الأحياء المسلمة فإن هذا أيضا كان هدف المتعصبين، إلا أنه لم يصبح قانونيا فى الدولة وفي خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس عشر حتى القرن السابع عشر كان من حق اليهود أن يقيموا أينما شاءوا، وإن كان أبناء كل دين قد اهتموا بالسكنى كل على حدة وهكذا فعل اليهود ولقد قسم الحى اليهودى أو ما يطلق عليه حارة اليهود إلى طائفتين: القرائين والربانيين وأقامت كل طائفة فى شوارع خاصة بها، على أحد جانبى الحارة الواقعة على حدود الأحياء غير اليهودية.

ولا نجد أحياء يهودية فى المدن الرئيسية فى مصر فى ضواح بعيدة بل كانت فى قلب المدينة ولكن رغم أن أغلب يهود المدن كانوا يعملون بالتجارة فى نهاية القرن السادس عشر، إلا أنهم لم يقيموا بصورة عامة فى المراكز التجارية داخل المدن المصرية والسورية فكان الحى الذى أقام فيه أغلب القرائين، حيًا سكنيًا فقط ومن لم يعثر منهم على مسكن مناسب فى حى اليهود كان فى الغالب يستأجر مسكنا فى أحد الفنادق وكما أشار «سلوشتس» كان الطابق الأرضى يستخدم كمحلات والطوابق العليا للسكن، وكان للتجارة اليهود محلات فى الأسواق الكبرى، يذهبون إليها صباح كل يوم ويعودون إلى منازلهم فى المساء، كما كان يوجد أيضا أسواق فى الأحياء اليهودية باسم سويقة لأنها ليست سلسلة

من المحلات المرتبة، بل كانت عبارة عن أكشاك متهالكة أو مصاطب على ابواب المدينة أو ساحة خالية وكانوا يبيعون فيها الخضروات والسلع الغذائية الأخرى وبالطبع كانت توجد أيضاً محال فى الأحياء اليهودية لكنها صغيرة ومظلمة لم تتح مساحتها الصغيرة وأسقفها المنخفضة أن يضع التاجر فيها إلا سلعا قليلة فقط.

وعن تقاليد الزواج كتب «يعقوب سابير»: كانت كل عائلة تقدم هدية وفقا لاستطاعتها أما أهل العريس فكانوا يقدمون للعروس الحلى، وكان هذا الحلى يقدم للعروس العذراء، وقد قال الحاخام «يشوعاه شبابو يديع زاين» الذى عاش في خلال القرن السابع عشر ونقلا عن الحاخام مهرا سكندرى إن المهر الذى يقدم للعروس أمر منصوص عليه شرعًا فى التوراة، أما المستعربون فقد جرى العرب لديهم على تقديم المال وفى المقابل قد جرى العرف لدى اليهود الذى تنحدر أصولهم من الأندلس على رفض أخذ المهر نقدا حفاظا على الشرف وفضلوا فى المقابل الاكتفاء بالحلى.

وكتب «سلوشتس» أن العروس كانت تخرج فى الليلة السابقة للزواج فى صحبة النساء ووجهاء المجتمع إلى بيت العريس وكان الراقصون يحيطون بها من كل جانب وحينما كانت العروس تقف مع عريسها تحت المظلة التى يقف اليهود دائمًا تحتها عند الزواج كانت العروس والعريس يرتديان ملابس بيضاء، وكان كل منهما يقف فى مواجهة الآخر وكان الجميع يرتل فى تلك اللحظة بعض الصلوات الداعية إلى تكليل الزواج بالنجاح ومع انتهاء هذه المراسم كانت العروس تتوجه إلى غرفتها فى حين أن العريس كان يقف لتحية المدعوين.

وكان من بين العادات القديمة التى استمرت حتى القرن التاسع عشر أن الزواج كان يتم فى حضور عشرة أفراد كان من بينهم الحاخام ومندوب المحكمة وكاتبها عادة، وكان دور الحاخام يتمثل فى ترتيل الصلوات وفى إثبات أن الشهود صالحون للإدلاء بشهاداتهم!

كذلك أفاد عدد من الرحالة اليهود عن المظاهر الإحتفالية التى واكبت عيد بوريم أو عيد «الأقدار» ومنها: ركوب الخيل، ألعاب الحواه، والمفرقعات والصواريخ، الأسهم النارية، «التجول» بمدية همام الشرير ثم حرقها علنا، الفرق الموسيقية العربية، الرقص الشرقى، والكميات الهائلة من البيرة والعرق.. كانت تلك الاحتفالات تتم على الدوام بحضور المسلمين مع اليهود طيلة ستة أيام كاملة مليئة بالرقصات الصاخبة، والإباحية، وبكل مظاهر الأخوة.

ولم يتوقف فضول طيلة قرون أمام هذا المزيج من التقوى والملذات الذى يتسم به يهود الإسكندرية كان هذا حال «ميشولام فولتيرا» الذى ترك لنا عرضا بليغًا عما شاهده أثناء مروره بالإسكندرية فى العام ١٤٨١م، كما كان الشأن نفسه مع عباديا بريتنور الذى قام بزيارة تلك المدينة فى العام ١٤٨٧م.

فهو يلتقى بيهود يرتدون ملابسهم كالمسلمين، ويدخلون حفاة فى كنائسهم ويجلسون على الأرض لإقامة الصلاة، وهى تلك العادة التى سيستمرون فيهاحتى نهاية القرن الثامن عشر رغم تحذيرات الحاخامات العثمانيين ، غير أن عوباديا بريتنورو يقدم لنا تفاصيل أخرى مذهلة عن تلك الطائفة فهو يقول: إن يهود الإسكندرية بعد إنتهائهم من اسبوع العمل والتوجه إلى الحمامات يفرطون فى تناول الأطعمة الليذة وفى شرب كميات من النبيذ والكحول حتى يصل بهم الأمر إلى حافة السكر عندئذ فقط يتوجهون للكنيس مرتدين أجمل ما عندهم من ملابس حيث يجلسون على الأرض ويقضون كل الليل تقريبا فى تأدية الصلاة وترتيل الأناشيد، وتوجيه التسابيح إلى الرب. وعندما يعودون إلى منازلهم، فإنهم يلتزمون براحة يوم السبت بدقة شديدة، أكثر شدة مما يحدث مع اليهود فى بلدان أخري، فهم لا يخرجون من بيوتهم سوى من أجل التوجه للمعبد أو قاعة العلم. سوف يقضون أيام السبت فى ظلام كامل، ويتناولون الأطعمة الباردة التى تم إعدادها فى اليوم السابق دون أن يكون قد إقترب منها أحد الكفار لتدفئتها كما هى العادة فى بلدان الأخرى!

ومن خلال كتابات الرحالة اليهود يتضح لنا أن الطائفة اليهودية فى مصر قد حققت ازدهاراً على المستوى الاجتماعي والاقتصادى، وأن ظاهرة العزلة الاجتماعية داخل «الجيتو» التى ميزت الوجود اليهودى فى أوروبا، لم يعرفها اليهود فى مصر ولا فى أى من المجتمعات الإسلامية، لأنهم كانوا جزءًا من النسيج العام للمجتمع!

دور اليهود فى حركة التجارة الدولية:

وقد أشار الرحالة البولندى «هران» الذى زار مصر عام ١٥٩٨م إلى البورجوازية اليهودية، الذين يملك البعض منهم مخازن للأحجار الكريمة والذهب والفضة والمنسوجات، وأن بعضهم الآخر يعمل بالطب والصيدلة وتجارة الأدوية.

كما أشار «جونزاليس» إلى دور اليهود فى حركة التجارة الدولية، سواء كمستقلين أو كوسطاء بين الأوروبيين والتجار المحليين، وكما هو سائد فى الشرق فقد كانت أية صفقة تتم عبر وسيط.. وتحدث «براون» عن الأنشطة التجارية لليهود وأن إرتباط الأجانب بالوسطاء اليهود أثار إنتقادات الأوروبيين المقيمين فى مصر، وأكد البولندى هران على أن

التجار الفرنسيين الذين كانت لهم مصالح متعددة فى مصر، خلال القرن السادس عشر، قد تعاملوا مع اليهود بقدر كبير من التحفظ، كما أعرب هؤلاء الفرنسيون عن استيائهم من اقتناء بعض التجار اليهود المنافسين لأسماء فرنسية، لإستغلال تلك التسهيلات الجمركية التى كان يحظى بها الفرنسيون.

وأشار البريطانى «براون» عام ١٦٦٨م إلى إشتغال بعض اليهود بتهريب البضائع، كما تحدث عن تاجر يهودى يدعى «إفراهام» الذى أجاد عدة لغات أجنبية ، وله علاقات متميزة بقنصل فينسيا، والقنصل الفرنسى، وبعض المسئولين الأتراك، وأعرب عن تقديره له كإنسان مهذب ومتفقه فى التوراة!

كذلك تحدث «جونزاليس» عن الأخوين «ياكوف وموشيه إشكنازى» كوكيلين تجاريين بالإسكندرية لصالح أحد التجار الإنجليز فى إستانبول، كما أشار إلى أن عدد فى اليهود يعملون كوكلاء لتجار بريطانيين ويعقدون معهم الصفقات التجارية.

وتفيد تقديرات الرحالة: «براون» و«هيمندورف» و«سنينى» الذين زاروا مصر في خلال تلك الفترة، أن اليهود أحرزوا تقدما كبيرا فى أنشطتهم التجارية، مما أسهم فى تزايد ثرواتهم، وأنهم وصلوا إلى هذه المكانة بسب ما عرف عنهم من دسائس ومؤامرات!

وأفاد جان باليرن الذى زار مصر عام ١٥٨١م إلى وجود عدد من اليهود الفقراء، وبوجود تمييز واضح بين اليهود الربانيين، والقرائين الذين تدنت أوضاعهم الإقتصادية، كما كان لليهود تمثيل فى مجالات التجارة المحلية المختلفة، فمنهم أصحاب المحال فى الأسواق الكبرى، ومنهم الباعة الجائلون فى المدن والقرى، وكانوا يمتنعون عن البيع فى أيام السبت والأعياد اليهودية، وأشار «كيجل» و«مونكونيس» إلى تنوع المنتجات التى تاجر فيها اليهود: المنسوجات والحرير والملابس، والأحجار الكريمة وأدوات الزينة، والمعادن، والنبيذ والسمن والسكر والفلفل والليمون!

وأكد «تيفيه» الذى زار مصر في خلال العام ١٥٥٠/١٥٥١م أن أكثر اليهود الذين عملوا بالجمارك: إعتنقوا الإسلام، وحققوا مكاسب تجارية ، وألقى باللوم على اليهود باعتبارهم لعبوا دوراً فى تسليم القسطنطينية إلى الأتراك، عندما تظاهروا باعتناق المسيحية وخانوا الإمبراطور، كما أكد على أن الخيانة من صفاتهم.. وقدر عددهم فى مصر بعشرة آلاف، وأكثرهم يتواجدون فى الإسكندرية ودمياط ورشيد، وأكثر المقيمين بالقاهرة يعملون فى حى الصاغة وخان الخليلى، ولهم منازلهم ومتاجرهم فى حارة اليهود بالقرب من الموسكى، وأنهم متمسكون بالتوراة والتلمود!

كذلك أشار بعض الرحالة إلى عمل بعض الحاخامات في خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، بالتجارة، الأمر الذى أتاح لهم فرصة التمتع بالاستقلال الاقتصادى وعدم الاعتماد كلية على زعماء الطائفة!

وأفاد الرحالة الفرنسى «كاستيلا» الذى زار مصر عام ١٦٠٠=١٦٠١م بأن بعض اليهود اشتغلوا فى تجارة العبيد، ومنهم: إسحاق إشكنازى ووكيله: يوسف بن عزرا اللذين تاجرا فى العيد القادمين فى قوافل السودان والحبشة، كما كان يسمح لليهود بشراء وبيع العبيد المسيحيين فقط!

كذلك أفاد «براون» بأن التجار اليهود فى دمشق وحلب وصيدا كانت تربطهم علاقات تجارية مهمة مع يهود مصر، وأن بعضًا من التجار الشوام اليهود أقاموا فى مصر، وكان على رأس الصادرات الحرير والمنسوجات.. كما أشار إلى العلاقات التجارية القوية التجارية بين يهود الإسكندرية ورشيد والقاهرة، ويهود تركيا، خاصة إستانبول وأزمير وأدرنة وسالونيك، التى هاجر منها أعداد كبيرة من اليهود إلى مصر من خلال نهاية القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر.

أيضاَ أفاد «جونزاليس» «وبيلون» إلى أن اليهود الذين أخرجوا من الأندلس كان أكثرهم يجيدون عدة لغات، ولأنهم أقاموا فى المراكز التجارية والمدن الساحلية التى نشط فيها الوجود الأجنبى، فقد توارث أجيال منهم الإشتغال بالترجمة، كما عمل المترجمون اليهود حتى نهاية القرن الثامن عشر فى خدمة القناصل الفرنسيين.. كما أشار عددم من هؤلاء الرحالة إلى الدور البارز لليهود فى الأعمال المالية التى شملت: الصرافة، وتقديم القروض، وسك النقود، وتحصيل الضرائب ورسوم الجمارك .. وأفاد باليرن و«كاستيلا» و«براون» وغيرهم، أنهم إلتقوا بيهود يعملون فى الجمارك وأنهم فتشوا حقائبهم وطالبوهم بتسديد الرسوم الجمركية وأكدوا على أن الرسوم التى كانوا يحصلونها من المسيحيين تفوق بكثير الرسوم المفروضة على غيرهم!

وأفاد «كارستن نيبور» عام ١٧٦١م إلى تعدد الأجناس فى القاهرة، وانقسام يهود مصر إلى: الفرنسيين والتلموديين والقرائين، وأن للقرائين كنيس خاص بهم رغم صغر عددهم، وأكد على أن للتلمودين مركزاَ جيداً فى مصر، حيث وضعوا أيديهم على كافة الجمارك فى بولاق ومصر العتيقة والإسكندرية ودمياط، ويحصلون على الحماية والدعم فى مصر أكثر من الولايات العثمانية الأخرى، ويستدل على نفوذ اليهود: أن الدوائر الجمركية تغلق أيام السبت فى وجه كافة البضائع سواء أكان أصحابها من المسلمين أو المسيحيين!

وأفاد الأمير «رودلف» الذى زار مصر فى عام ١٩٧٢م، بإنه لم يَرَ أى فرق عرقى بين المسيحيين فى سوق الحمزاوى سوق التجار المسيحيين فى زمانه والذى أصبح فيما بعد سوقًا خاصًا بالتجار اليهود وإشتهر بتجارة المنسوجات والحراير، وبين اليهود فى حى الصاغة، والمسلمين فى حى النحاسين، وأضاف: وفى السوق يؤكد العرب أنهم جنس سامى حقا كإخوانهم اليهود ولا يمكن التمييز بينهم وأشار إلى قذارة الحى اليهودى وربط الغش دائمًا باليهود الرجال اليهود يبيعون ويشترون ويساومون ويغشون وعندما يجد مسلمًا يغش فسرعان ما يشبهه بابن عمه اليهودى!

دى شابرول.. وغناء اليهود!:

كان «دى شابرول» أحد أفراد الفيلق الثقافى الذى صحبه نابوليون فى حملته إلى مصر، كماكان عضوا بلجنةالعلوم والفنون، وكان لعلماء هذه الحملة الفضل فى وضع أول وأشهر موسوعة علمية.. «وصف مصر Description De i,Egypte وقد اختص دى شابرول بجزء من القسم الثانى الدولة الحديثة نشر فيه أبحاثه تحت عنوان: «دراسة فى عادات وتقاليد المصريين المحدثين».. وفى هذا الفصل تحدث عن الغناء الدينى ليهود مصر، كماأشار إلى تباين الشعائر الدينية والعادات بين الربانيين والقرائين، فيقول «[١]»:

لم يكن لدينا فى أوروبا أدنى معرفة بالأسلوب الموسيقى الخاص بيهود مصر، فقد اعتقدنا أن من الأوفق، حين كنا فى هذه البلاد، أن نتيقن ما إن كان لهذا الأسلوب، أو أنه ليست له، بعض أمور تسترعى الانتباه، وقد شاء أحد اليهود الإيطاليين، وكان قد جاب جزءا كبيرا من أوروبا ثم اتجه إلى مالطة والقاهرة فى ضحية جيش حملة مصر أن يساعدنا فى أبحاثنا حول هذا الموضوع، وزودنا فى الوقت نفسه بمعلومات مفصلة للغاية حول تقاليد وعادات يهود مصر، لكننا لن نتوقف عند ذلك وحسب، فلقد شئنا كذلك أن نكون شهودا على كل ما كان ميسرا لنا أن نراه وأن نسمعه، ولما كنا نعلم أنه توجد بمصر طائفتان من اليهود تتعارضان بشكل تام فى تقليدهما وعاداتهما وطقوسهما، فقد كان من السهل علينا أن نحضر حفلات العبادة عند هؤلاء وعند أولئك حتى يكون بمقدرونا أن نحكم بأنفسنا ما أن كان هناك اختلاف كبير بين أسلوبى الغناء عندهما، لكن التجربة برهنت لنا أن ليس ثمة خلاف من هذا النوع، وجعلتنا على يقين من أن تنوع غناء اليهود لا يعود قط إلى اختلاف مللهم،وإنما هو ناتج وحسب الطريقة التى يعبرون فيها، فى بعض البلدان، عن ألحانهم الموسيقية.

وأولى هاتين الطائفتين من اليهود، المتعارضتين كل منهما مع الأخرى تمام التعارض

فى كل شىء عدا الغناء الدينى، هى طائفة الربانيم أى الربانيين وقد سميت بهذا الاسم لأنها تتبع المذهب الربانى، أما الطائفة الثانية فهى طائفة القرائيم أى القرائين، وهم صدقيون، وقد نحت هذه الطائفة سلطة الحاخامات على عكس ما تفعل الأولى.

ويقع حى الربانيين فى القاهرة قريبا من حى الموسكى، وهو يؤدى إلى حى خان الخليلى، ويسمى حارة اليهود أما حى القرائين فيقع غير بعيد عن ذلك، فهو يتاخم خان الخليلى.

ولكل واحدة من هاتين الطائفتين تقاليد وعادات تختلف فيما بينها، لحد أن يهود أى من الطائفتين لا يشاءون أن يتزودوا بحاجتهم «من اللحوم» من جزارى الطائفة الأخرى، لا أن يستخدموا نفس آنية الطهى التى يستخدمها الآخرون، وحتى أنهم لا يأكلون طعام بعضهم البعض، ولدرجة أن عمال إحدى الطائفتين ممن يعملون عند أبناء الطائفة الأخرى، لا يأكلون كذلك من طعام هذه الطائفة، بل يذهبون ليشتروا من عند يهود طائفتهم كل الأطعمة التى يحتاجون إليها، عدا الفاكهة، فهذه يشترونها دون تفرقة من عند من يبيعها مهما يكن الاختلاف فى ملة البائع أو طائفته بل حتى فى دينه.

والأمر نفسه بخصوص الشعائر الدينية فلكل واحدة من الطائفتين تقويم مختلف فيما يتعلق بالأعياد: فالربانيون يحتفلون بعيد القمر الجديد «الهلال» لمدة يومين متعاقبين«٢» لكن القرائين عكس هؤلاء لا يحتفلون به إلا لمدة يوم واحد وينبع الربانيون والقراءون، كل فيما يخصه، هذه العادة نفسها فى بقية الأعياد الأخرى إذ يجعل الآخرون مدة احتفال تقل بيوم واحد عن المدة التى يخصصها الأولون للاحتفال بها.

ولذلك فلابد أن هؤلاء اليهود يولون احتراما كبيرا لغنائهم الدينى طالما لم يتجاسروا رغم ذلك كله، على إدخال أدنى تغيير على هذا الغناء.

وإذا ما صدقنا فى هذا الصدد الروايات المتواترة، والتى يحتفظ بها اليهود حتى اليوم، فلابد أن تكون الشعائر والأغنيات المستخدمة عند يهود هذا البلد، قد تناولها قدر من التحريف أقل بكثير مما تناولها فى أى مكان آخر، إذ هى قد انتقلت إليهم هناك دون أن تتعرض لأى انقطاع منذ عصور بالغة القدم، وفى الحقيقة فإنه لا تزال ترى فى مصر، فى معابد عدة، نسخ من التوراة مدونة بالعبرية القديمة، أى التى لا تستخدم فيها النقاط أو الشكلات، ويحتفظ بنسخة من التوراة مكتوبة على هذا النحو فى معبد القاهرة المسمى، المعبد المصرى، ويحتفظ بنسخة مماثلة فى المعبد المسمى ربانيم القربوصى باسم منشئه، وتوجد نسخة ثالثة مشابهة فى المعبد الكائن فى مصر العتيقة والمعروف باسم عزير صوفر

أى ابن عزرا الكاتب «٣» وهو قد سمى على هذا النحو، إذ يزعم أن هذه النسخة من التوراة قد كتبت بخط يد الحبر الأعظم عزرا، وقيل لنا كذلك أنه توجد بالمثل بالمحلة «الكبرى» ،بالقرب من المنصورة، نسخة من التوراة بالغة القدم كتبت على غرار النسخة السابقة، وأن تكون فوق رقائق من النحاس، مما جعلهم يطلقون على هذا المعبد اسم سيفر نحاس أى الكتاب النحاسى.

ومهما يكن من أمر قدم شعائر يهود مصر، وقدم أسلوب غنائهم الدينى، فمن المؤكد ، على الأقل، أن ميلوديهم بالغ الاختلاف،عن المليودى الذى يتبناه يهود أوروبا، وأن ألحانهم الموسيقية، رغم أنها تحمل الاسم نفسه الذى يطلقونه عليها فى كل مكان، تتكون من ذلك فى مصر من مقامات أو طبقات صوتية مختلفة عن تلك التى تتألف منها هذه الألحان نفسها فى أى مكان آخر.

ادواردلين.. ويهود مصر!:

ادوارد لين أشهرمستشرق ورحالة بريطانى، وكان ظهور كتابه «المصريون المعاصرون.. شمائلهم وتقاليدهم» عام ١٨٣٦م نقطة تحول بارزة فى تاريخ العلاقة بين مصر والرحالة والمستشرقين الأوربيين، كما أسهم فى ظهور اتجاه جديد فى أدب الرحلات إلى مصر، كما قدم تفسيرا دقيقا لنظم المجتمع الإسلامى.. وقد عايش لين تفاصيل الحياة اليومية للمصريين وتأثر بها، حتى أطلق على نفسه «منصور أفندى»!.. وفى هذا الفصل تناول حياةالطائفة اليهودية فى مجتمع القاهرة، مشيرا إلى التسامح الدينى الذى تمتعوا به فى ظل «عيشة هادئة»..كما ألمح إلى حيلهم فى الصفقات التجارية واحترافهم الربا وأعمال الصرافة.. وأن «البخل صفة مميزة ليهود مصر!».. ويقول:

يبلغ عدد اليهود فى هذا البلد خمسة آلاف تقريبا، يسكن أغلبهم العاصمة فى حى حقير مقفل قذر بقطعة أزقة عديدة يضيق أكثرها إلى درجة لا تسمح بمرور شخصين.

ويختلف يهود الشرق، فى الملامح وفى هيئة الوجه عامة، عن أمم أخرى فى آسيا الجنوبية الغربية أقل مما يختلف يهود أوروبا عن الشعوب التى يعيشون بينها غير أن كثيرا ما نجدهم يتميزون بشدة بياض البشرة وصهبة الشعر وصفاء عيونهم البندقية أو الزرقاء أو الرمادية اللون. ويشكو كثير من يهود مصر من أمراض العين وانتفاخ البشرة نتيجة الإفراط فى استعمال زيت السمسم فى الطعام وهم على العموم قذرون غير مهذبين فى ملبسهم وفى شخصهم أيضا، ولا يختلف لون عمائمهم عن لون عمائم الرعايا المسيحيين. وتنتقب اليهوديات ويلبسن ملابس المصريات الأخرى فى الطريق العام.

ولليهود ثمانية معابد بحيهم بالقاهرة. وهم يتمتعون بالتسامح الدينى ويخضعون لحكم أقل تعسفا فى مصر منه فى أى بلد أخرى من بلدان السلطة التركية. وهم يؤدون مبلغا من النقود مقابل إعفاء حيهم من إشراف المحتسب، ويؤدون المثل للوالى ما دامت وظيفته قائمة وهم يميزون عن الآخرين فى بيع أصناف المؤن بسعر مرتفع، فيستطيعون تبعا لذلك شراء هذه الأصناف بثمن أعلى، فيجهزون حوانيتهم بالمؤن، وعلى الأخص الفاكهة، التى تفوق غيرها جودة فى أنحاء أخرى من المدينة.

واليهود مثل الأقباط ولسبب مماثل يدفعون جزية، ويعفون من الخدمة العسكرية.

واليهود محل ازدراء المسلمين وكراهيتهم ويقال أنهم يحملون للمسلمين وللإسلام بعضا متأصلا أكثر من أى شعب آخر. ويذكر القرآن فى سورة المائدة «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاس عَدَاوَةً للَّذينَ آمَنُوا اليْهُودَ والَّذِينَ اشْرَكُوا وَلَتجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِيَنَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنا نَصَارَى» وقد قص على صديق مسلم عندما ذكرت هذه الخاصية فى أخلاق اليهود حادثا وقع منذ بضعة أيام فقال: «كان أحد اليهود يمر مبكرا صباح يوم من أيامالأسبوع الماضى بمقهى لأحدمعارفه المسلمين يسمى محمدا. فرأى شخصا يقف هناك فظنه صاحب الدكان «إذ كان الغسق لا يزال قائما» وقال: «سعدت صباحا يا شيخ محمد» فلم يرد هذا الأخير، وكان يهوديا آخر، على تحية الأول بغير زجرة غاضبة لمخاطبته بأكره الأسماء التى يمكن التفوه بها أمام يهودى وسحب الجانى إلى الكاهن الأكبر الذى حكم بجلده جلدا شديدا لهذه الإساءة رغم احتجاجه بأنها غير متعمدة» ومن الشائع قول المسلمين: «أن فلان يكرهنى كراهية اليهودى» فلا عجب إذا أن يكره المسلمون اليهود أكثر ما يكرهون المسيحيين، وكان اليهود إلى عهد قريب يدفعون ويضربون أحيانا فى شوارع القاهرة لمجرد عبورهم على يمين مسلم. وهم الآن أقل عرضة للجور، ولكنهم قلما يجرأون على شتم أى عربى أو تركى ينتهرهم أو يضربهم ظلما، فقد أعدم كثير منهم لاتهامهم زورا وحقدا بسب القرآن أو الرسول. ومن العادى أن تسمع عربيا ينعت حماره المتعب بأفضح الشتائم المختلفة يختمها بوصفه الحيوان باليهودى.

وكثيراً ما ضحى بيهودى لإنقاذ مسلم كما جرى فى الحادث التالى :«صرف أحد الجنود الأتراك بعض النقود، فناوله الصيرفى وكان مسلما، بعض النقود المسماة «عدلية» بستة عشر قرشا وقدم التركى هذه النقود إلى أحد التجار ثمنا لبعض البضائع، غير أن الأخير رفض أن يحاسبه على أكثر من خمسة عشر قرشا «للعدلية» قائلا أن الباشا أمر منذ عدة أيام بألا يعدل هذا النقد بستة عشر قرشا بعد ذلك، فعاد الجندى إلى الصيرفى

فتظلم التركى إلى الباشا نفسه، الذى غضب لإهمال أوامره وأرسل فى طلب الصيرفى. واعترف هذا الرجل بذنبه غير أنه حاول أن يلتمس لنفسه عذرا بزعمه أن كل صيرفى فى المدينة تقريبا قام بالمثل، وأنه استلم قطع العدلية بالسعر نفسه ومع ذلك لم يصدقه الباشا، أو رأى أنه من اللازم أن يجعل منه عبرة لغيره، فأشار بيده إيعازا بضرب عنقه. وتحركت الشفقة فى قلب مترجم البلاط لهذا الرجل التعس فتوسل إلى الباشا أن يعفو عنه، وقال: «إن هذا الرجل لم يعمل أكثر مما يعمله جميع صيارفة المدينة، وقد استلمت أنا نفسى البارحة قطع «عدلية» بالسعر ذاته». فصاح الباشا:«ممن» فأجاب المترجم: «من يهودى عاملته عدة سنين» فأحضر اليهودى وحكم عليه بالشنق بينما أعفى عن المسلم، فاغتم المترجم وجد فى الدفاع عن اليهودى المسكين.ولكن الباشا لم يلن. كان من اللازم أن يضرب مثلا، وقد اعتبر أن قتل يهودى خير من قتل مسلم أكثر جرما. وقد رأيت التعس مشنوقا فى نافذة «سبيل» ملحق بمسجد قائم فى أهم شارع فى المدينة وقد عرض أقارب اليهودى مبالغ كثيرة ليعفى عنه، غير أن الحظوة الوحيدة التى استطاعوا الحصول عليها إدارة وجهه ناحية الشباك حتى لا يراه المارون. وكان هذا اليهودى يحترمه كل من عرفه «ما عدا المسلمين طبعا»، وقد ترك عائلته فى عوز شديد، فقام المترجم الذى تسبب فى موته بغير تعمد بإعانتهم.

ويعيش اليهود فى مصر عيشة هادئة على العموم، وقل فعلا من يخالطهم ممن هم على غير دينهم. وهم يعتبرون عامة شعبا معتدلا فى مأكله. ويرتدى أغنياؤهم أجمل الملابس داخل بيوتهم، ولكنهم يظهرون فى الخارج بملابس ساذجة بل رثة أيضا وتحوى مساكنهم رغم مظهرها الحقير القذر غرفا جميلة حسنة الأثاث. وليس اليهود داخل منازلهم بصرامة الكثيرمن الشرقيين الآخرين فى إخفاء نسائهم عن الأجانب، أوعلى الأقل من مواطنيهم وعن الإفرنج، وكثيرا ما يحدث أن يستقبل الزائر الأوربى حيث يجلس نساء الأسرة اليهودية سافرات، فيقمن على خدمته وتسود هذه العادة فى السوريين المسيحيين المقيمين بالقاهرة. ويقال أن تدبير المكائد يغلب فى اليهوديات، غير أن ليس فيهن عاهرات يصرح لهن باحتراف الدعارة ويعيش أفراد الطبقة الدنيا فى بؤس شديد، وليس لأكثرهم طريقة للتعيش غيرما يجود به عليهم يهود الطبقة العليا.

والبخل صفة مميزة ليهود مصر خاصة أكثر منها ليهود البلدان الأخرى حيث هم أقل عرضة للظلم. وهم يعنون بكل وسيلة ممكنة لإبعاد شبهة الثراء عنهم ولهذا السبب يبدون فى أقذر شكل ويهملون مظهر بيوتهم الخارجى، وهم على العموم يحرصون على القيام

بفروضهم الدينية، كما أنهم رغم حيلهم فى الصفقات التجارية أمناء فى إنجاز عقودهم.

ويحترف كثير من اليهود المصريين عملية الصرف «أى إقراض النقود». ويعمل آخرون «صيارفة» وهم ذوو أمانة دقيقة. ويصيغ غيرهم الذهب والفضة، ويشتغل بعضهم بالبقالة وبيع الفاكهة، والقليل من الطبقة الثرية يحترف التجارة عموما.

كلوت بك والفقر الظاهرى «لليهود:

أما الفرنسى كلوت بك كبير الأطباء فى بلاط محمد على باشا ومؤسس مدرسة الطب فى عصره، فقد استلفت نظرة الفقر الظاهرى ليهود مصر وتفضيلهم للملابس الرثة وما فطروا عليه من الجشع والبخل، فكتب:

يسكن السواد الأعظم من يهود القطر المصرى مدينة القاهرة ولهم فيها حى خاص بهم ضيق الطرقات مظلمها قذر وله أبواب خاصة يغلق بها فيحبس اليهود أنفسهم فيه كلما أرادوا ذلك ليكونوا فى معزل عن بقية سكان المدينة ومنازلهم متلاحمة متراكمةإلى بعضها رديئة التقسيم زرية الشكل، واختلاف يهود مصر عن بقية سكانها من حيث السحنة والملامح أقل منه فى أوروبا بينهم والأقوام التى يسكنونها ومن عاداتهم لبس الثياب الرثة والأطمار البالية وقد جبلوا على هذه العادة إلى درجة يخيل للناظر منها أنهم يزدهون بما هم متمرغون فيه من تلك الفاقة والمتربة، أما وجوههم فشاحبة اللون والمجمع عليه أن هذا العارض المرضى فيهم سببه الإفراط من أكل زيت السمسم المعروف بالسيرج أو الشريج.

وقد تلاقت فى يهود الشرق الأدنى الطباع والغرائز التى جعلتهم فى القرون الوسطى مبغضين فى أوروبا وممقوتين من الناس طرا وهم ما برحوا إلى اليوم على ما فطرواعليه من الجشع والشح، لا تراهم يجتهدون فى ستر ما لديهم من الثروة عن الأنظار، والغالب على اليهود الجهل مع التدين والتشيع للدين تشيعًا يزيده حدة توالى وقوع المظالم والاضطهاد من كل نوع عليهم حتى فى أيامنا هذه.

ورغم ذلك فأنهم يمتازون بالنشاط والملابنة والداهنة ومعالجة الصناعات المختلفة ولا يترفعون عن الوسائل أيًا كانت ما دامت تكفل لهم الربح قل أو كثر، أما أخلاقهم وعاداتهم فمبنية على الشدة والصرامة لذلك كانت بعيدة عن مظنة الدنس والشوب.

ونساء اليهود تتحجبن كالمسلمات والقبطيات تحجبًا تامًا ولا سبيل إلى اتهامهن بما تهم به المرأةالتى تفرط فى عفتها مع الرجل وتساومه على شرفها.

وعن نشاطهم الحرفى ومعاناة أكثرهم الفقر، أضاف كلوت بك:

يعالج اليهود من الصناعات ما يتطلب أداؤها أكثر ما يكون من النشاط والحركة،

وتكون أرباحها محفوفة بالمصاعب والأخطار، فأغنياؤهم يسلفون النقود بالربا الفاحش وغيرهم يزاولون بيع الأمتعة القديمة أو يتداخلون بين الباعة والمشترين لأداء مهمة السمسرة أو يحترفون بالصاغة.. ألخ ومن اليهود فريق كبير يعانون الفقر ولا يعيشون إلا من الصدقات التى يتيحها لهم ذوو اليسر من أبناء دينهم.

تأثيرات أوروبية!

فى نهاية القرن التاسع عشر، سادت فى الأوساط اليهودية نقاشات حادة حول التأثيرات الأوروبية فى نمط الحياة والسلوكيات اليهودية، وعكست فتاوى الحاخامات الجدل الكبير بين الإخلاص للشريعة ومظاهر الخروج عن حدود هذا الإخلاص.. ومنها دنس التحول إلى موضة الملابس الغربية وعدم تغطية الرأس الذى كان علامة على الحداد حتى قرر الحاخام بن شمعون: عدم تطبيق الإلزام بتغطية الرأس على يهود مصر كما اعتبرت حلاقة الذقن متغيرا كبيراً فى المظهر الخارجى للرجل اليهودى!

وواكب هذا التغيير الكبير للرجل اليهودى تغير مماثل للمرأة اليهودية، فهى التى سبق أن حافظت على غطاء شعرها، بدأت تكشف عن خصلات من شعرها، وبينما إعتادت النساء المتزوجات تغطية رؤوسهن، فقد كان يمكن للجميع معرفة أن المرأة قد طلقت حينما تسير فى الشارع بشعر مكشوف.. الأمر الذى تحفظ عليه الحاخام «مندل كوهين» مع بالغة أسفه.. وصار من الضرورى إدخال تغيير على التقاليد الإجتماعية السائدة بالنسبة لعفة المرأة باعتبار أن هذا التقليد خروج عن السلوك اليهودى التقليدى!

وكتب الحاخام «الياهو حزان»: لم تبدأ النساء فى كشف رؤوسهن فقط، فحينما أتيت إلى هذه المدينة الإسكندرية وجدت عادة إتمام عقد الزواج فى الليل، ولم أحتج على ذلك لأنهم إعتادوا على ذلك بناء على فتوى من حاخام متفقه فى الدين وهو الحاخام الأكبر الذى سبقنى «موشيه فاردد» ١٨٨٨م ولكن بمرور الوقت رأيت العيون الكبيرة المترتبة على ذلك: حيث تأتى النساء شبه عاريات بلباس ضيق، لكى تشاركن بعد ذلك فى الرقص!

فقد كانت صورة اللهو السائدة بين يهود مصر، فى ذلك العصر، هى حفلات الرقص المبهرة وكان حماس اليهود كبيرا فحاولوا استغلال كل الفرص المتاحة كحجة للرقص بالأسلوب الأوروبى وكانت العادة فى الإسكندرية، هى زواج اليهود في أثناء النهار، حتى يشارك المسنون أيضاًَ فى حفل الزواج ثم اتبعوا العادة السيئة المتمثلة فى عقد القران ليلا طبقا لتعبير الحاخام: الياهو حزان وحتى يكونوا مستعدين وجاهزين لانتهاك الشريعة فيخرجون فور الإنتهاء من البركات السبع للرقص واللهو، رجالا ونساء وشبابا وفتيات،

ويحل الشيطان بينهم ليشعل الحرائق كما هو معروف!

أيضًا انتشرت على نطاق واسع: موضة ملابس السهرة الأوروبية بين نساء القاهرة والإسكندرية وتصفيف شعرهن وفقا للموضة الأوروبية السائدة واعترف الحاخام حزان بهذه السلوكيات المستوردة التى شاعت بين اليهوديات، حتى أنه لم يَرَ أى احتمال لإلغائها أو الحد منها، حتى قال:«لتظلم العيون من رؤية الشر الذى وجده شعبنا»!

مراجع الفصل الرابع

المراجع العربية:

١- اليهود في مصر، من الفتح العربي حتى الغزو العثماني: قاسم عبده قاسم، دار الفكر للدراسات والنشر، ط. أولى، القاهرة، ١٩٨٧م

٢- رحلة الأمير ردولف إلى الشرق، ترجمة وتعليق: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣- رحلة إلى مصر ١٧٦١-١٧٦٢م: كارستن نيبور، ترجمة: مصطفى ماهر، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧٧م.

٤- رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

٥- رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط. أولى، ٢٠٠٢م

٦- عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم: ادوارد لين، ترجمة: سهير دسوم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٧-لمحة عامة إلى مصر: أ. ب. كلوت بك، ترجمة: محمد مسعود، دار الموقف العربي، القاهرة، ط. الثالثة، «٢٠٠م.

المراجع الأجنبية:

1- Adlen, e. n.:jewish travellers,edited weth on introduction ly elkan.
2- Ashtor,e.:the jeus and the mediterranean econory 10- 15th centuries,london, 1983.
3- Belon,p.de mans:le voyage en egypte 1547,1fao, le caire,1969.
4- Browne,w,g.:travels in atrica,egypt,and syria from the year 1792 to 1798, london,1799.
5- castela,h:voyages en egypte des ariees 1597-1601,ifao.le caire,1974.
- Gallay,e.:juifs d,egypte,imabes et textes,paris,1984.
- Gonzales,p.a.:le voyage en egypte 1665- 1666, ifao,le caire,1977.
- clhen,a.:sixteenth century etypt and palestine,jeoralem. 1984.
- palerne, j.: le voyage en egypte 1581, ifao,le caire,1970.
10- Thenaud,j.:le voyage d, outremen egypte,mont sinay,palestine,paris,1884.
11- Thevenot,j: voyage de m.r.de thevenot ou levant,aresterdam,3eme ed,1872.
12- Thevet,a: voyage en egypte,1549- 1552,ifao. le caire,1984.

الباب الثالث:

يهود مصر الحديثة

الفصل الأول
وقائع حارة اليهود!

إن الاندماج اليهودى فى واقع المجتمع المصرى..كان اندماجاوانصهارا نسجته الأيام، من خلال التسامح الفطرى الذى ميز الإنسان المصرى عبر تاريخه، وجعله بحسه الحضارى يفصل بين الدين وأمور الحياة اليومية، فلم تلق حارة اليهود بالقاهرة: مصير حارات اليهود فى العالم..!

و«حارة اليهود».. هى أشهر الأماكن التى عاش فيها يهود مصر، وتتبع قسم الجمالية، وتنقسم إلى قسمين: شياخةاليهود الربانيين، وشياخةاليهود القرائين.. ليس معنى هذا أن اليهود المصريين قد عاشوا فى جيتو كما عاشوا فى أوروبا، فنشأة الحارة، كان فى الأساس طبقيا وليس دينيا..

وعن النشأة التاريخية لحارة اليهود، يقول «على باشا مبارك» فى خططه:

هى جزء من الحارة القديمةالتى عرفت بحارة زويلة فى خطط المقريزى، عندما نزل القائد جوهر بالقاهرة سنة ٣٥٨ هـ، واختط لكل قبيلة خطة عرفت بها.. ويسلك إليها من سوق الصيارفه، ومن خط الخرنفش عند باب سوق السمك، ومن شارع خميس العدس، ودرب الصقالبة المسلوك إليه من الزقاق الذى على يسار المار من شارع السكةالجديدة، من جهة «قنطرة الموسكى».. الخلاصة أن حارة زويلة القديمة التى أشار إليها مؤرخو الخطط، انقسمت إلى أربعة أقسام: حارة زويلة المعروفة اليوم، حارة اليهود الربانيين، حارة اليهود

القرائين، درب الصقالبة، وجميعها يطلق عليه «حارة اليهود» غير أن لكل واحدة منها بابا من خط يبعد عن الآخر، أما فى الداخل، فالجميع حى أو حارة واحدة.

تشغل حارة اليهود: مساحة كيلو مترين مربعين تقريبا، تبدأ من وسط شارع الصاغة، تتفرع بداخلها نحو ١٢ حارة وزقاقا، تكثر بها المنحنيات والعطوف، وتتصل عن طريق سبعةمنافذ، بحى الخرنفش وجنوب الحسينية، وتجاور شارع الموسكى وخان الخليلى والصاغه وحى الحسين.. وقد فصلها عن شارع الحمزاوى «سوق الحمزاوى الكبير» شارع الأزهر عند شقه.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن يهود مصر لم يعيشوا فى معزل أو «جيتو» ولم يعتبرهم المجتمع جاليةأجنبية، بل مصريون اعتنقوا الدين اليهودى، والسلوك الاجتماعى لم يميزهم عن بقية أبناء المجتمع المصرى.

والتمييز بين مستويات الحياةالاجتماعية والاقتصادية ليهود مصر، كان يخلق بالفعل تباينا ملحوظا على نفس النحو الذى كان قائما فى المجتمع المصرى وسكان الحارة الذين يمثلون أفقر الطبقات اليهودية، كانوا جزءا من نسيج المجتمع من حيث اللغة والثقافة والتقاليد المتوارثة.

التسامح وعلاقات الود تسود الجميع: مسلمين ويهود وأقباط، معايشة مجردة من كل تعصب دينى، مع احتفاظ أهل كل دين بشخصيتهم الاجتماعية الذاتية، ونوع من المشاركة الوجدانية فى مناسبات الأفراح والأحزان والاحتفال بالأعياد.

يقول أديبنا الراحل إحسان عبد القدوس»:

«عشت طويلا قريبا من حارةاليهود، كان لى صديق من أيام الدراسةالابتدائية، يملك والده دكانا لبيع الثياب فى شارع الموسكى، ويسكن فى كوم الشيخ سلامة المتفرع من نفس الشارع، قريبا جدا من حارة اليهود.. وكنت أقيم مع صديقى فى بيته أياما لنذاكر دروسنا معا، وكنت أحيانا، فى أيام الأجازات، أنزل معه إلى دكان والده، وأعمل معه فى استقبال الزبائن.. وحارة اليهود بجانبنا.. يخرج أهلها فى الصباح، ويعيشون بين كل أهالى وتجار شارع الموسكى والشوارع المحيطة به، وكان بين موظفى دكان والد صديقى يهودى من أهالى حارة اليهود، ورغم أنه كان يتميز بالصمت والانعزال، فإنه كان يدعونى إلى بيته فى الحارة.. لم تحرق وتدمر حارةاليهود فى القاهرة، كما حرقت ودمرت فى جميع أنحاء العالم عبر التاريخ!!».

وبينما حدد الفيلسوف اليهودى «موشى مندلسون» ١٧٢٩– ١٧٨٦م، الرائد الروحى

لحركة «الهسكالاه» رؤية جديدة فى الفكر اليهودى- آنذاك- عندما طالب اليهود بنبذ «عقليةالجيتو» وأن يندمجوا فى البيئات التى يعيشون فيها، وأن يتواءموا مع شعوبها.. نجد أن الحركةالصهيونية، كانت أشد حرصا وحذرا من «اندماج اليهود» فى شعوب الأرض، وضياع «الصفات اليهودية» المميزة!».

جو من التسامح الفطرى كان يظلل حياة اليهود المصريين، لم يعكره سوى استفزازات وتحركات المنظمات الصهيونيةبدءا من عام ١٩٣٨، وما بعد نشوب حرب ١٩٤٨ التى كشفت عن الوجه القبيح للصهيونية ووضوح أهدافها التوسعيةالدموية.. وتأثر كثير من يهود مصر بالدعاية الصهيونية، وفكرة الحنين إلى وطن يجمع كل يهود الشتات».. والحلم بالأرض التى وعدهم الله!

وهو ما عبرت عنه الأديبة الإسرائيلية «ادا اهارونى» فى روايتها «الخروج الثانى» بقولها:

«لقد كان الشعب المصرى كريما معنا، ولكنى لا أريد أن أكون ضيفا محتملا فى أرض غريبةبعد الآن!.. لقد حان الوقت لنشكرهم على حفاوتهم والبدء فى التفكير فى وطننا الحقيقى!» وسؤال يتكرر فى فصول الرواية: «ماذا نفعل فى بلد ليس بلدنا؟!»..

الغالبية العظمى من سكان حارة اليهود، كانوا يتمتعون بالجنسية المصرية، ومعظمهم كانوا من الفقراء، وبعضهم من متوسطى الدخل.. والواقع الاجتماعى يشير إلى أن الحارة كانت موطنا للعديد من الاسماء اليهودية التى صعد نجمها فى سماء الارستقراطية اليهودية، مثل أسر: قطاوى، موصيرى، هرارى.. وبعض العائلات الثرية الشهيرة كانت تتباهى بأن «أقدامها لم تطأ هذا الحى الإسرائيلى»!

واختلطت التقاليد اليهودية بالعادات الشرقية داخل بيوت الحارة، كما اختلطت تلك التقاليد والعادات بالثقافات الأوربية المختلفة داخل بيوتات العائلات الثرية فى أحياء الزمالك وجاردن سيتى ومصر الجديدة.. مما أزعج جيل الشباب بمشكلات الهوية، فى إطار الظروف المحيطة بهم، والذين وجدوا فى الأفكار الصهيونية تعبيرا عن «الشعور القومى» والرغبة فى هوية اجتماعية وسياسية!

حالة من التماذج الاجتماعى والاندماج، أكسبت يهود الحارة كثير من التقاليد الاجتماعية، فعلى سبيل المثال، تقاليد الزواج ومراسمه من أهم المعالم والظواهر التى تتباين بشأنها الحضارات، تباينا عظيما، لكن يهود الحارة تأثروا- إلى حد كبير- بعادات وتقاليد الزواج فى مصر، وأخذوا منها الكثير، مثل: حمام العرس، تخضيب الأيدى

والأرجل بالحنة، إظهار منديل البكارة!.. إقامة الولائم للمدعوين.. بل حتى عادة «قرص العروس فى ركبتها»!!

وفى مذكرات الكاتب والصحفى اليهودى «يعقوب صنوع» التى دونها عقب نفيه إلى باريس بعنوان Memoires تلك الحكاية الطريفة، أنه كان خامس مولود لأمه «سارة» التى فقدت أبناءها الأربعةبالموت، فلما حملت به خشيت أن يلحق باخوته، فاستشارت إمام جامع سيدى الشعرانى، الذى أجابها بأن سبيلها الوحيد هو أن تنذر مولودها للإسلام، ففعلت ووفت بنذرها، ونشأ يعقوب شبه مسلم، وحفظ القرآن، عندما ألحقته بكتاب لتحفيظ القرآن وتعلم مبادئ الدين الإسلامى وقواعد اللغة العربية.. وتدل هذه القصة خاصة إذا عرفنا أن أم يعقوب قد ولدت بحارة اليهود تحيط بها بيئة إسلامية، وتأثرت بالتراث الفولكلورى الدينى المصرى، الذى جعل أبناء الديانات الثلاث، يلوذون- فى الحالات المستعصية بالقديسين وبأولياء الديانات الأخرى، وقد أتاحت هذه التنشئة المصرية ليعقوب صنوع وغيره من يهود الحارة: الاندماج الكامل فى الحياة والمجتمع.

معابد حارة اليهود

لم يتبق بحارة اليهود من بين أحد عشر معبدا سوى ثلاثة فقط وملجأ للمسنين «دار رحمين اسحق ليشع الخيرى».

أهم المعابد الموجودةحاليا بالحارة، هو معبد «ابن ميمون Maimonedes أو «راب موشى».. بالتحديد فى ١٥ درب محمود، الجزء المعروف بعطفة حمام اليهود، وابن ميمون هو الفيلسوف والطبيب والعالم اليهودى الشهير، ورئيس الطائفة، ولد بقرطبة عام ١١٣٥م، وتوفى بالقاهرة عام ١٢٠٤م. وأول بناء لهذا المعبد كان عقب وفاةابن ميمون، ونفس هذا المكان، شهد لقاءات ابن ميمون بتلاميذه ومريديه، كما كان أيضا عيادة لعلاج مرضى الحى.. والمعبد منخفض عن مستوى الأرض، شيد على مساحة٦٠٠ متر مربع، واجهته من الرخام الفاخر، ومن خلال قرون مضت تجدد وأعيد بناؤه مرات عديدة، وآخر عملية ترميم شامل كانت فى مايو عام ١٩٦٧.. مما يدل على أن يهود مصر كانوا يمارسون شعائرهم ويجددون معابدهم بكل حرية.. حتى فى أسوأ لحظات الصراع العربى- الإسرائيلى!

وهو المعبد الوحيد فى مصر، الذى بنى هيكله فى ساحةالمعبد دون أن يكون للهيكل قبة أو سقف.. وسرداب يدخله الزائرون حفاة الأقدام، إلى الغرفةالمقدسة التى رقد بها جثمان ابن ميمون لمدة سبعةأيام، قبل نقله إلى طبرية بفلسطين حيث دفن بها، ويتوجه إليها اليهود وبعض المسلمين والأقباط لنيل البركات والتماسا للشفاء.. وأسطورة يهودية تحكى بأن من

كان مريضا ويرغب بالشفاء، فعليه أن ينام بهذه الغرفة، من غروب الشمس حتى مطلع الفجر، فيصحو وقد برأ من مرضه!

بعض التمائم والرقى مازالت عالقةبجدران المعبد، ولوحة تذكاريةتسجل زيارة للملك فؤاد، الذى يروى أنه رقد عاريا فى تلك الغرفة المقدسة التماسا للشفاء!

والمعبد الثانى: «رايى حاييم كابوسى» فى ٣ درب نصير، وكابوسى الذى ينسب إليه هذا المعبد، كان واحدا من أبرز علماء التوراة، واشتهر بلقب «صاحب الكرامات».. وقد برع فى أعمال السحر !.. وكابوسى من أصل أسبانى، هاجرت أسرته إلى مصر، التى ولد بها، وتوفى عام ١٦٣١، ودفن بضريحه بمقابر اليهود بالبساتين، والمعبد والضريح مزارين مباركين لليهود!

والمعبد الثالث: «معبد موصيرى» أو «معبد باريوحاى» بشارع الصقاليه رقم ١٦ شيدته عائلة موصيرى عام ١٩٠٥، فى نفس المكان الذى ولد به عميد العائلة «نسيم موصيرى» عام ١٨٤٨م كما كان مدرسة للتعاليم التلمودية، وتعليم اللغة العبرية ومازال المبنى بحالة جيدة!

وحتى عام ١٩٧٥، كان ما يزال قائما «معبد المصريين» أقدم وأكبر معابد اليهود بالقاهرة.. «انظر: المحافل والمعابد اليهودية بالقاهرة».

وبحارة العطار، فرن «الكاشير» الذى يصنع الخبز ويعد الفطائر غير المخمرة ، طبقا للعقيدة اليهودية، فعلى سبيل المثال، فى عيد الفصح الذى يوافق ذكرى خروج بنى إسرائيل من مصر لابد أن يذبحوا شاة أو جديا، ويأكلون قطعة من العظم المشوى وخبز الكاشير.. ولابد أن يكون الدقيق من قمح زرع وحصد بأيد يهودية خالصة، حتى يصبح حلالا فى شريعتهم.. وقد عرضت الحاخامخانة هذا الفرن للبيع فى نهاية عام ١٩٦٩، غير أنه لم يأت بالثمن المناسب، فتم إغلاقه!

بؤساء حارة اليهود!

تحت عنوان «دائما حارة اليهود»!.. كتب «موريس هارميلان» فى أبريل عام ١٩٤٣ بالصحيفة الأسبوعية «المنبر اليهودى la Tribune juive».

«قبيل الفرن الخاص باعداد الفطائر غير المختمره، بحارة اليهود، وتحت بوابة كبيرة مفتوحة، تقبع عجوز ضامرة، بالكاد يمكن أن تميزها كامرأة، على فراش رث، تتنفس بصعوبة، عيناها غائرتان فى وجه أكلته التجاعيد، جسدها هزيل وقذر، كأنه دجاجة ضعيفة تغطيها أسمال، وآلاف من الذباب يحوم حول هذه الكتلة الآسنة.. لوحة تثير

الغثيان والتقزز!.. ويزيد المشهد قتامة، تلك الجموع الغفيرة، التى تروح وتغدو دون اكتراث!.. وبجوارها حفيدتها، تستدر عطف الناس ورحمتهم من أجل «حسنة»!

مشهد مهين لا يجب أن يسمح به ولو فى حارة اليهود!.. هذا المكان الموبوء المليئ باللصوص!!.. إهانة كبيرة لطائفتنا ولو رأى مسيو فريسكو مندوب الجمعية اليهودية الخيرية، هذا المشهد، لاهتز كيانه، وأن القلم ليعجز عن التعبير عن هذه المهنة المخزية: الشحاذة!.. ولابد من انتخاب لجنة خاصة تتولى علاج هذه الآفة»!.

وفى الخامس من مايو عام ١٩٤٩م، تعود الصحيفة إلى إثارة موضوع تردى الأوضاع الأوضاع الاجتماعية لسكان حارة اليهود، بين اعلان عن «ماء كولونيا دوشيس» المنعش!.. وإعلان يدعوك إلى تذوق نبيذ هوك» المعتق اللذيذ!.. وآخر عن «دروس فى اللغات الحية بمدارس بيلتز» الشهيرة!

«خلل قائم، وبون شاسع بين شريحة المرفهين.. وطبقة الشعب البائس فى حارة اليهود!!.. كم كنا نود أن نفتتح جريدة وقائع أسبوعية– لا نتحدث فيها إلا عن حارة اليهود وقذارتها المنفرة!.. وقد رفع هذه المشكلة: دانييل سابورتا ود. ليفى فى آخر اجتماع لمجلس الطائفة، غير أن بعض أثرياء الطائفة أشاروا بأنه ليس من اختصاصات المجلس أن يحل محل الحكومة فى تحسين أحوال الحارة..!

ولكن الأمر لا يتعلق بالمجلس، بل يتعلق بالرعاية الصحية، نقصد تفشى الأمراض المعدية مثل: التراكوما، داء الثعلبة، التيفود.. فحارة اليهود أصبحت مستودع ميكروبات!

يجب الاهتمام بمعالجة مثل هذه الأمور، وبشكل جاد، وأن تولى النظافة بهذا الحى، اهتماما خاصا، حتى لا يقال لأحد ذات يوم: «قذر مثل سكان حارة اليهود»!!

مشاكل حارة اليهود: الفقر، الأمية، البطالة، التسول، نقص الرعاية الاجتماعية، بدأت تشكل محور اهتمام فى اجتماعات مجلس الطائفة، وفى أندية الشباب، وعلى صفحات الجرائد والمجلات اليهودية.. وحملات تدعو أثرياء الطائفة للتبرع من أجل النهوض اجتماعيا بسكان الحارة، وحثهم على الإسهام فى إقامة المدارس والمراكز الاجتماعية ومكاتب الرعاية الصحية.

كان هناك تقليد متوارث التزمته بعض الأسر الثرية، فى أيام الأعياد الدينية، بدعوة بعض من فقراء الحارة، لتناول وجبات فاخرة لا يحظون بها سوى مرات تعد على أصابع اليد الواحدة طيلة حياتهم، فكنت تراهم يجرون أسمالهم وبؤسهم إلى فيلات الأحياء الراقية: المعادى، الزمالك، جاردن سيتى.. وكان لهم الحق فى أخذ ما تبقى فى لفائف من

ورق الصحف.. يدسونها فى جيوب جلاليبهم أو معاطفهم البالية، لا يطلب منهم سوى الدعاء لهذه الأسرة بالخير والبركات!

بعض العائلات كانت تكتفى بالتصدق على بعض المعدمين.. أما كيف يعيش هؤلاء البؤساء؟.. فذلك أمر من النادر أن يهتم به أقطاب العائلات ذات الثراء والنفوذ، وكان فى نظر البعض- معيار للنجاح- فمن خلال هؤلاء البؤساء، يمكن للأثرياء أن يقيسوا المسافة التى تفصل بينهم وبين الحارة، التى غادرها آباؤهم، خوفا وتحسبا من أن يطأوها بأقدامهم مرة أخرى!!

صور ومشاهد

فى هذا الحى الشهير، كان يعيش نحو ٢٠ ألفا من اليهود، حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢.. ومن الشائع أن «ليفى أشكول» رئيس وزراء إسرائيل الأسبق و«موشى ديان» قد ولدا بهذا الحى.

لا شىء يذكرك الآن بأن هذا الحى كان لليهود سوى «نجمة داود» السداسية محفور أو مشغولة بالحديد على بوابات بعض المنازل المتبقية من ذلك العهد، ورحل عنها أصحابها، فى موجات هجرات متعاقبة، منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٧.

العتبات العليا لهذه الأبواب، كان يوضع بداخلها أوراق مخطوطة تحوى أربعة نصوص من التوراة، تتحدث عن خروجهم من مصر فى زمن موسى، لتظل ذكرى الخروج فى وعى اليهودى دائما عندما يتجاوز عتبة بيته!.. وحتى لا ينسى ما عانوه من ذل ملوك الفراعنة!

وكانوا يتركون موضع حجر بدون بناء، حسرة على هدم هيكل سليمان!.. مثلما كان يحدث فى حفلات الزواج، عندما يقدم الحاخام كأسا، قرأ عليها السبع بركات، إلى العروسين، فيشربان منها ثم تكسر، ليذكرا دائما هدم الهيكل!.

كثير من المنازل قد تهدم، وأقيمت مكانها بعض الورش والمصانع الصغيرة، التى تعمل فى صناعة الأحذية، والنحاس، والسجاد والأكلمة، والحلى المقلدة، والملابس.. بعض كبار السن تتلمذوا على «الخواجات اليهود» وبعضهم اشترى الورشة أو المحل من يهود عزموا على الهجرة.

كان الحرفيون من يهود الحارة، يعملون فى صياغة الذهب والفضة ، وصناعة الأحذية، ومواقد الجاز وإصلاحها، وترميم الأثاثات، والكهرباء والميكانيكا.. أما فى مجال التجارة، فقد تركز نشاطهم فى تجارة الأقمشة والورق والأدوات الكهربائية.

بعض ربات البيوت من اليهوديات، كن يعملن بالحياكة وصنع الحلوى والمربى وتقطير الزهر!

على ناصية عطفة أو زقاق، كنت تسمع نداء عجوز على بضاعتها من البوريك، المحشو بالجبن أو بالعجوة!.. ونداءات لباعة متجولين.. أو دلالات وسماسرة يجتهدون من أجل ضمان خبز الغد.. ممرضات ومستخدمين ببعض المراكز الاجتماعية.. شحاذون محترفون أو على شيء من الاستحياء!.. عاطلون يندبون حظهم وشقائهم.. شيوخ يدعون العلم ببواطن التوراة.. وشباب أعضاء بنادى «المكابى».. أو أعضاء بأحزاب شيوعية، ومجموعات الدفاع الذاتى!

يشاهدون رقص «ماريتا» المجنونة.. التى تعيش بالمركز الاجتماعى اليهودى، ويمكنها أن ترسم الابتسامة على الشفاه، ويعتبرونها «تميمة الحظ» لأهل الحارة!

ومن إحدى النوافذ المفتوحة ، تنساب إلى الأسماع، أنغام عذبة شجية، يبدعها على عوده وبصوته الفنان «زكى مراد» والد الفنانة الجميلة الراحلة «ليلى مراد»

السبت: يوم التعاسة:

من الأقوال الشهيرة للزعيم الصهيونى «دافيد بن جوريون»:

«إن يوم السبت، هو يوم تعاسة للأطفال»!

ولأن الله قد خلق الدنيا فى ستة أيام ثم – طبقا للعقيدة اليهودية – استراح فى اليوم السابع!.. وكان يوم سبت، فقد حرم اليهود على أنفسهم فعل أى شيء فى هذااليوم، وترتب على هذا التحريم لممارسة اليهودى أى حركة.. أن كانوا يستعينون بالمسلمين من جيرانهم لينوبوا عنهم فى القيام بأعمال مثل: إضاءة النور، إشعال مواقد الطهو، غسل طبق.. أو أن يمد أحدهم يده فى جيب اليهودى، لالتقاط قرش يشترى به شيئا، وقد كان هذا الأمر محل ترقب من أطفال بعض المسلمين، حيث يمرون على بيوت اليهود، يعرضون خدماتهم ، ليحصلوا على بضعة قروش فى هذا اليوم!

كما كان محرما عليهم، فى يوم السبت، المشى لمسافة نحو دقيقتين أو أكثر، ثم يستأنف المشى مرة أخرى!

وقد عرض «إحسان عبد القدوس» لقدسية يوم السبت عند اليهود، وكراهية «لوسى» اليهودية، بطلة روايته «لا تتركونى هنا وحدى» لهذا اليوم:

.. حرام أن يفرض على اليهود العذاب كل يوم سبت.. لماذا نستسلم ليوم السبت.. لماذا لا تجادل الله حتى يعفيها من هذه التعاسة.. وهى تذكر عندما احتاج جيرانهم فى الشقة المقابلة إلى إضاءة النور يوم السبت، فخرج ابنهم ديان، ونادى أحد أصدقائه المسلمين، ليضيء النور لهم، ثم أمر البواب أن يعطيه قرشا أجرا له، لأنه مد يده إلى زرار النور

وأضاءه.. وأصبح الأطفال المسلمون فى الحى يتندرون ضاحكين بيوم السبت..

وقد ثارت لوسى يوما، ومدت يدها فى يوم من أيام السبت، وأضاءت كل أنوار البيت وهى تصبح: أعطونى أنا أجرى بدلا من أن تعطوه لمسلم».!

حارة اليهود القرائين:

كانت هذه الحارة، تغص باليهود القرائين، كما عاشت أعداد كبيرة منهم بسوق النحاسين وشوارع وأزقة الخرنفش، الذى يرتفع به معبدهم الكبير، بقبته الضخمة، والذى يتشابه فى طرازه مع معبد «شعار هاشمايم» بشارع عدلى، وبهذه الحارة كان لهم كنيس خاص بهم «راب سمحام»..

واليهود القرائين، هم أحدث فرق اليهود، ومؤسس هذه الفرقة: عالم بغداد «عنان بن داود» فى نهاية القرن الثامن الميلادى، وهم يؤمنون بأسفار العهد القديم «التوارة» وحدها، ولا يعترفون بالتلمود أو شروح المشنا وبتعاليم الحاخامات.. ويؤدون صلاتهم بالجلوس على الكعبين ثم الوقوف، وللركوع، والسجود فى خشوع تام، مرتلين تضرعات من المزامير وآيات من التوراة.. حتى قال الربانيون أنهم يؤدون صلاتهم «على الطريقة الإسلامية».

فى يوم السبت، اليهودى القرائى لا يغادر مسكنه، ولا يوقد نارا، ويكتفى بالوجبات الباردة فقط.. والممارسة الجنسية محرمة تماما فى هذا اليوم!

وكنت ترى أفراد العائلات اليهودية القرائية ، وهم فى طريقهم للصلاة فى معبدهم، بالجلباب الأبيض، وشال الصلاة الأبيض، المطرز أركانه الأربعة بنسيج أرجوانى، ووشاح الشعائر الدينية «سيست» تميزه خيوط زرقاء زاهية.

ومن أشهر عائلات اليهود القرائين: مسعودة، عبد الواحد، فرج، ليشع.. وكان منهم المحامون والأطباء والتجار.. وأشهر الجواهرجية بحى العباسية وميدان سليمان باشا.. وحى الصاغة الذى كان يغص بمحال الذهب، الصغيرة، المتلاصقة، وأصحابها من اليهود القرائين، الذين توارثوا حرفة صياغةالذهب وتجارته.

وفى حارة «خميس العدس» وبالتحديد فى منزل «شموئيل» القرائى، عاش الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، عندما كان صبيا فى الخامسة عشرة من عمره، عام ١٩٣٣، ولمدة خمس سنوات!

ومن أعلام اليهود القرائين: المحامى والأديب «مراد فرج ليشع» و «يوسف درويش» أحد مؤسسى الحزب الشيوعى فى مصر، والموسيقار «داود حسنى»

صحوة الأمة اليهودية فى الحارة!

فى عام ١٩٠٨م، تأسست جمعية أو رابطة «النهضةالثقافية اليهودية» بالمركز الاجتماعى بحارة اليهود، التى أعلنت عن نشاطها وأهدافها فى منشور أصدرته باللغة العربية، تحت عنوان «صحوة الأمةاليهودية» جاء فيه:

نستهل حديثنا بالتضرع إلى الله القوى.

أيها السادة..

نحن الآن فى موقف حرج، لأننا لم نهتم بتعليم أبنائنا وتثقيفهم، خاصة الفقراء منهم، والسبب نقص المدارس القادرةعلى التعليم المثمر، كما تعانى هذه المدارس من نقص المعلمين، وبالتالى فإن التلاميذ الذين يلتحقون بهذه المدارس لا يجنون أى فائدة، وهذا هو حال مدارسنا منذ عشرين عاما، وهو ما يجب أن يكون موضع اهتمام كل إنسان شريف!

أيها السادة:

منذ بضعة أيام، تأسست بين أحضان أمتنا جمعية باسم «جمعية النهضة الثقافية اليهودية» تهدف إلى خدمة شعبنا، دراسة مشاكله، وتأمين مستقبله، والاهتمام بتعليم أبنائه، خاصة المحرومين منهم.

ونظرا للتدهور الذى أصاب مدارسنا، فقد تقدمنا بالتماس إلى رئيس طائفتنا، يضم أكثر من مائة توقيع، نطالب فيه بحل مشاكل مدارسنا، والتصريح لنا بمراقبة هذه المدارس وسير التعليم بها.

إخوانى..

إننا نأسف لانعدام النظام فى مدارسنا، ونأسى لهؤلاء التلاميذ الذين التحقوا بها دون فائدة ترجى.. والأموال المرصودة من مجلس الطائفة ومن الأوقاف غير مجدية!

هل منكم من يستطيع أن يخبرنا عن مثال لطالب قد نجح فى امتحانات نهاية العام، أو حصل على شهادةالدراسة الأولية، التى قد تؤهله للالتحاق بوظيفة، أو من تعلم لغة حية.. أو حتى من يمكنه أن يؤدى الصلاة بشكل صحيح!

إخوانى..

مهما تكن المدة التى يلتحق فيها التلاميذ بهذه المدارس، فإن من يتخرج منها، فلن يمكنه سوى أن يبيع «اللب المحمص أو أوراق اللوتارية».. على الأقل حتى لا يتحول إلى بلطجى أو متسول أو متشرد!

تلك هى الحقيقة المؤلمة لأوضاع مدارسنا اليوم، فإلى متى هذا التخلف، وهذا القصور والإهمال.. ألا تعلمون أن أبناءنا هم رجال الغد؟ فإذا ظلوا على هذه الحال، فتعسا لهم!

ينبغى أن ننهض ونستيقظ من سباتنا العميق، ضموا أصواتكم إلى أصواتنا، لنطالب جميعنا بتجديد مؤساتنا الاجتماعية، حتى يمكننا القيام بواجبنا نحو أمتنا.. مدوا يد العون إلى جمعيتنا حتى لا يذهب نداؤنا هباء، وليتحقق هدفنا الذى حددناه لأنفسنا.

إخوانى..

أعيرونا انتباهكم، نحن نعيش فى قرن سريع التطور والتقدم، وكل الأمم تنهض من غفوتها، بينما أبناؤنا مشردون فى الطرقات دون تعليم أو حرفة..

إخوانى.. اسمعوا لنا:

اتحدوا وارفعوا أصواتكم، فإن الله القوى فى سماواته يسمعنا ويستجيب لنا.. وكل فرد له وجهة نظر مخالفة، فليتفضل ويعرضها على جمعيتنا.. وإننا نرحب بكل من يرغب بالانضمام إلينا.. راسلوا جمعيتنا.. ومقرها بحارة اليهود»!

سوق الحمزاوى:

إلى يمين المتجه إلى الغورية وجامع الأزهر، منطقة تضم مجموعة من الشوارع الضيقة والحارات، هى معقل تجارة الأقمشة والمنسوجات، وتعرف بسوق الحمزاوى الكبير، وسوق الحمزاوى الصغير إلى الجنوب منها، وكانت قاصرة على التجار اليهود فحسب..

لم تكن هذه السوق تعرف شيئا اسمه «الركود الاقتصادى» أو التعبير الدارج «السوق نايم»!.. معانى خارج قاموس وشريعة سوق الحمزاوى، وزيارات من أقطاب العائلات الثرية: داود عدس، جاتينيو، ساسون.. سرعان ما تأتى البضائع وتتدفق الحركة والأموال ويستمر النشاط!

احتكر اليهود تجارة الأقمشة، حراير، أصواف، جوخ.. بينها بعض محلات للصرافة وتغيير العملات وبعض الجواهرجية.. وكان من أشهر تجار المانيفاتورة والقومسيونجية بشارع سكةاللبودية بالحمزاوى: إميل ساسون، إيلى جاك حموى، عزرا ونسيم جدا ع، ادجار اسكاكى.. وبشارع بيبرس: إخوان درة، سيزارساسون، جاك ستون، سليم سقال، إبرام بطيش، يوسف شالوم، كريازى كوهين، نسيم عدس وأولاده، وبشارع الحمزاوى: اجيون كوهين، إيزاك بينيتو، عزرا جباى، كليمان كوهين، ميشيل وروبرت نحاس، ماكس هرارى، جوزيف شوحيط، حاييم سليم دويك.. وغيرهم، ممن انتشروا بشوارع ودروب حى الحمزاوى: شوارع حمام التلات، السلطان الصاحب، بيبرس، السكةالجديدة، الملطى، شمس الدولة، حوش الحين، وحارة النمرسى، حارة الشيشينى، زقاق السلاوى، ووكالة مدكور، ووكالة بطيش، ودرب سعادة.

الجنسية على الطريقة الإيطالية!

الغالبية العظمى من سكان حارة اليهود بالقاهرة، كانوا يتمتعون بالجنسية المصرية، وهم يمثلون أفقر طبقات يهود مصر.

أما أبناء العائلات الثرية اليهودية، سكان الأحياء الراقية، فكان بعضهم يتمتع بالجنسية المصرية، وبعضهم كان يحمل جنسيات أجنبية ورثوها عن أسلافهم، والبعض منهم اكتسب جنسيات اجنبية- فى عصر الامتيازات- بالدخول فى رعايا دول بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والنمسا.. والغالبية كانوا غير معينى الجنسية مفضلين البقاء على هذا الوضع!.. والتمتع بمزايا باعتبارهم- أجانب- مثل حق التقاضى أمام المحاكم المختلطة، وأسبقيةالحصول- فى ظل الاحتلال- على الوظائف الإدارية!

وقانون الجنسية المصرية الصادرعام ١٩٢٩م، كان يقضى بقبول طلب كل مقيم فى مصر للحصول على جنسيتها، ما لم يثبت أنه يحمل جنسية أخرى، لكن يهود مصر، باستثناء قلة قليلة، لم يقدموا طلبات للحصول على الجنسية المصرية، لأنهم لم يعلقوا عليها أهمية كبيرة، ولكن حين تم تعديل القانون- فيما بعد- بحيث يقضى بعدم منح الجنسية، إلا لمن يثبت مولد جده فى مصر، أو إقامة أسرته فى مصر بشكل دائم منذ عام ١٨٤٨م، أصبحت غالبية اليهود فى مصر، غير مؤهلة للحصول على الجنسية المصرية، ومن ثم بقى الآلاف منهم غير معينى الجنسية!

وكان مقهى «جيداليا» من معالم حارة اليهود بالقاهرة، مركز تجمع للعاطلين من شباب الحارة ممن تسوقهم سياط الحاجة، فى انتظار فرصة عمل طارئة، تفى بمتطلبات يومهم، مثل نقل أثاث، اصلاح دورة مياه أو عطل كهربائى.. وقد يفوزون بدعوة إلى سيوداه «وجبة» فى بيت أحد الموسرين اليهود خارج الحارة!

ومن هذا المقهى، كانت تخرج الأنباء، الطيبة والسيئةعلى السواء، وشائعات، وحكايات اشبه بأساطير ألف ليلة وليلة!

من خلال تصاعد الأحداث التى أدت إلى الحرب العالمية الثانية، وبالتحديد فى نهاية عام ١٩٣٨م، وردت إشارة إلى قنصل عام إيطاليا الفاشية، تفيد بأن الماريشال «بادوجليو» قادم بصفة شخصية للتفتيش على الجنود فى مواقعهم، رغم أن هؤلاء الجنود ليس لهم وجود سوى على الورق فقط!!.. أو تضخم عددهم لأسباب تتعلق بزيادة موارد القنصل وتنامى ثروته!!

فوجئ القنصل بهذا الأمر، فكاشف أحد أصدقائه المقربين، الذى اقترح عليه «فكرة

عبقرية»: أن المدعو- جيداليا- صاحب المقهى يمكنه أن يوفر متطوعين من بين هؤلاء العاطلين بالحارة..

فالمسألة مجرد إجراء شكلى، ينقذ القنصل من ورطته وليس عليهم سوى ارتداء قمصان سوداء، والالتزام بالانضباط والصمت يوم التفتيش!

وهكذا توجهت مجموعات من هؤلاء العاطلين إلى سفارة إيطاليا، وهم الذين كانوا يجهلون موقعها!.. ومنحوا جوازات سفر إيطالية.. وأعطيت لهم الملابس.. القميص الاسود؟ وكان تعليق بعضهم: يالهم من شواذ هؤلاء الإيطاليين!.. هل يمكن أن يصبغ هذا القميص- فيما بعد- بلون آخر!. ووزعت عليهم بعض المعلبات الغذائية، ومنحة مالية ضئيلة لا تتجاوز بضعة قروش!.. وعلموهم كيفية السير والاستعراض بخطى عسكرية منتظمة، والهتاف بأصوات قوية : «تحيا ايطاليا»!

وجاء يوم التفتيش.. اليوم المنتظر.. الذى مر على خير حال، وكانت سعادة القنصل وجيداليا «متعهد توريد الأنفار»!.. تفوق الوصف، فالماريشال أبدى إعجابه بهؤلاء «الجنود، وأثنى عليهم!

وحدث فى اليوم التالى مالم يكن فى الحسبان مطلقا حيث تم استدعائهم إلى القنصلية الإيطالية، ليفاجأوا بأمر أغرب من الخيال.. عليهم الاستعداد للرحيل إلى أثيوبيا- التى كانت تحت الاحتلال الإيطالى- للقتال فى سبيل «إيطاليا الأعظم»! والسفر فى خلال اسبوع من محطةالسكك الحديدية بباب الحديد!

وانصبت اللعنات على جيداليا، وكاد البعض أن يفتك به، وهدد آخرون بهدم المقهى على صاحبه!.. ودفنه تحت أنقاضه!.. لكن لم يكن أمامهم سوى الفرار والاختفاء عن الأنظار!

فى عام ١٩٤٥م، ظهر هؤلاء كأبطال فروا من الخدمة فى الجيش الإيطالى.. باعتبارهم مناهضين للفاشستية!!.. ووجدوا أنفسهم مواطنين إيطاليين بوثائق جنسية وهمية، فى ظرف شديد الخصوصية!.. أصبحوا من رعايا إيطاليا العظمى، وفى عام ١٩٥٦م، أفلتوا من الرحيل إلى إسرائيل، وسافروا إلى إيطاليا «وطنهم» وبعض دول أمريكا اللاتينية.. قصة نموذجية ساخرة للحصول على جنسية بالصدفة!!

الفصل الثاني
يهود القاهرة والتنظيم الطائفى

أثر اندلاع الحرب التركية اليونانية عام ١٨٢١، بدأت موجات من الهجرة اليهودية من سالونيك وأزمير والقسطنطينية، تتوافد إلى مصر، تزامنت مع بداية هجرات مماثلة من بعض الدول الأوربية- خاصة اليونان وإيطاليا وأسبانيا- بالإضافة إلى موجات أخرى من العراق وسوريا والمغرب العربى..

وفيما بين عامى ١٨٤٠م و ١٨٥٤م، بلغت تلك الموجات ذورتها، بفضل تشجيع محمد على باشا وأسرته، لاستقرار اليهود فى مصر، وتزايد توافد يهود أوروبا الذين وجدوا مع سائر الأقليات والجاليات الأجنبية- مناخا ملائما- لاغتنام الفرصة فى مجالات السمسرة والبورصة والتجارة، وتمتع اليهود بالامتيازات وحماية القناصل الأجانب، عقب سقوط البلاد فريسة للديون الأجنبية وسيطرة الأوربيين على المالية المصرية، وبافتتاح قناة السويس، يتوالى المزيد من المهاجرين اليهود، وقد تهيأت للجميع ظروفا أنسب للازدهار المالى والاقتصادى.

ومع تزايد أعداد اليهود الوافدين، إلى جانب الطائفة اليهودية المصرية أو العنصر الوطنى، إلا أنهم كانوا ينقصهم جميعا الترابط والتنظيم العام.

تمتع الإشكنازيم والقرائين، بنوع من الاستقلال الذاتى عن باقى فرق الطائفة..

والسمات العامة للطوائف اليهودية يحددها: الأصل، اللغة، الثقافة، المستوى الطبقى.

فى عام ١٩١٢م، علق أحد مدرسى مدرسة التحالف الإسرائيلى العالمى بالقاهرة على أوجه التباين اللغوى والثقافى بين تلاميذه قائلا:

إن غالبية أطفالنا هم نتاج يهود محليين كسالى، خاملين يتحدثون العربية، بينما معظم أطفال الأشكنازيم متوقدوا الذكاء، يصرون على الارتقاء علميا، وبلغتهم الألمانية، والحيوية والنشاط هى سمة اليهود الأسبان، والقادمين من تركيا والذين يتحدثون اللادينو فى منازلهم»!

فى عام ١٩٢٥م، كتب «يوليوس بيرجر» عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية بالقدس تقريرا عن زيارته لمصر، تضمن:

«الجالية اليهودية بالقاهرة يبلغ تعدادها نحو ثلاثين ألفا، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهم المتحدثون بالعربية، ويمثلون القطاع الأكبر، وكانت هجرتهم من دول شمال افريقيا، وغالبيتهم من العمال والحرفيين.

القسم الثانى: اليهود الأسبان، والنازحين من بعض الدول الأوروبية مثل إيطاليا، انجلترا، النمسا، رومانيا.

القسم الثالث: الإشكنازيم، وهم الذين استقروا بالقاهرة لأكثر من عقدين من الزمان وعددهم نحو الفين نسمة.

ويأتى اليهود الأسبان فى الصدارة من حيث الأهمية، نظرا لما يتمتعون به من ثقل اجتماعى وهيمنة على الطائفة ومؤسساتها وعلاقاتها، يدعمهم نفوذ اقتصادى وسياسى ومعظمهم يرفل فى ثراء فاحش، ولغتهم الفرنسية وبالتالى فلا يمكن مقارنتهم بما يمكن أن نسميه «يهود اللهجة المصرية، الذين يأتون فى المرتبة الأدنى!..

والمساواة الاجتماعية بين الإشكنازيم والسفارديم غير مطروحة، فنادرا ماتحدث حالات تزاوج بين الطائفتين، طبقا للاتجاه السائد بأنه يعتبر «زواج الأشراف بالصعاليك»!!

وإزاء هذه الأوضاع الاجتماعية، كان من الصعب تأسيس هيئات يهودية يمكنها تنظيم الهجرات الوافدة إلى القاهرة، والعلاقات فيما بينها. قبيل الحرب العالمية الأولى وإن كانت المحافل والمعابد والجمعيات الخيرية، قد حاولت أن تضطلع بدور مؤثر فى هذه القضية.

فى عام ١٩١٢، ظهرت أول لائحة لتنظيم العلاقات بين أفراد الطوائف اليهودية، وتشكل المكتب العمومى، الذى سيطرت عليه عائلتى «قطاوى وموصيرى» وفى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى، كان هناك مشاركة يهودية على نطاق أوسع فى الشئون العامة.

وتزايد نفوذ أسرة قطاوى.. وتعود أصول هذه الأسرة إلى هولندا. وينسب مؤرخ القرن السابع عشر «جوزيف إيزاك سامبرى» ١٦٤٠م-١٧٠٣م اسم أسرة قطاوى إلى قرية «قطا» التى تبعد عن القاهرة شمالا بنحو سبعة كيلومترات والتى استقروا بها منذ نهاية القرن ١٨ وتثبت وثائق الجنيزة أول هجرة تاريخية كانت ليعقوب منشة قطاوى عام ١٨٠١م.

فى عهد الخديو عباس الأول، كانت يعقوب قطاوى مديرا لمصلحة سك النقود، وأسس شركة للتجارة والتصدير.

وأصبح «صراف باشى» للخديو اسماعيل، وهو المنصب الذى تولاه «يعقوب ليفى منشة» والذى تشابه مسار حياته مع يعقوب قطاوى فى أوجه عديدة، وقد أسسا معا بيتا لصرافة والتجارة، لاقى من النجاح والشهرة، حتى أصبح له فروع فى ليفربول ومانشستر ومارسيليا.

وعندما كبر أولاد يعقوب قطاوى الأربعة، انفصل عن منشة وأسس شركة للتجارة والصرافة بالقاهرة، وفرعين لها بالإسكندرية وباريس.

عاش يعقوب قطاوى الحياة الشرقية، بكل سماتها، حتى أنه كان يفضل الأكلات الشعبية المصرية، ويرتدى الزى العربى، ويتحدث العربية والعبرية فقط.

وقطاوى ومنشه كانا من أوائل اليهود الذين غادروا حارة اليهود، واستقرا فى شبرا، التى كانت منذ عهد محمد على سكنى الطبقة الأرستقراطية من البكوات والأمراء.

ويعقوب قطاوى هو أول رئيس للطائفة، وأول يهودى ينال لقب «بك» عام ١٨٨٠م ثم لقب «البارون» من إمبراطور النمسا والمجر.. حتى ألحق أفراد الأسرة بلقبهم لفظة «فون قطاوى» ثم ألحق بلقبهم «دي قطاوي» كعائلة منشة «دى منشة»

أكبر أبناء يعقوب: «اصلان بك قطاوى» ١٨٢٤-١٨٨٣م، تولى إدارة أعمال الأسرة، وبالاشتراك مع أسرة سوارس أنشأ شركة لصناعة السكر وكان له من الابناء عشرة تركز نشاطهم فى مجالات التجارة والبورصة والبنوك.

«موسى قطاوى» باشا ١٨٤٩-١٩٢٤ اصغر الاربعة، وأكثرهم شهرة ونبوغا، اقترن بـ«آدا روسى» عام ١٨٧٤ ابنه د. إيليا بك روسى الطبيب الخاص للخديو أسماعيل، قاما بقضاء شهر العسل فى نابلس، وأقاما فى قصر بالإسماعيلية فى ١٨٨٣، انتخب موسى رئيسا لجمعية رفاهية النمسا، وخدم مع أخيه يوسف كرئيس للطائفة اليهودية بالقاهرة لمدة أربعين عاما.

وكان من المعارضين لنشاط الحركةالصهيونية فى مصر، على عكس قرينته التى أبدت تعاطفا شديدا للحركة.. ورغم مسئولياته الضخمة فقد انتخب رئيسا فخريا لرابطة «بنادى بريت».

توسع فى مشروعاته المشتركة مع أسرتى رولو وسوارس.. وأسهم فى تمويل مد شبكة خطوط السكك الحديدية، ومرفق المياه بطنطا.. ووسائل النقل العامة..

رأس مجلس إدارة البنك الأهلى المصرى، وأسهم فى تأسيس شركةالدلتا المصرية للاستثمار وكان مقرها بالمعادى.

انشغل أولاده بإدارة مشروعات وممتلكات الأسرة، عن التفرغ للعمل العام، وأوكلوا بهذه المهمة إلى ابن عمهم «جوزيف أصلان قطاوى» ثم ابنه «رينيه قطاوى».

ورغم الثقافة الفرنسية والتعليم الأوربى، إلا أن أسرة قطاوى كانت شديدة التأثر بالتقاليد المصرية وتفاصيل الحياة اليومية!

تمتع موسى بالنفوذ الاقتصادى والسياسى، تولى منصب نائب رئيس الطائفة، إلى جانب إسهامه فى بعض المؤسسات الاجتماعية.

نسيم بك موصيرى ١٨٤٨– ١٨٩٧م هو أول نائب لرئيس الطائفة من أسرة موصيرى، صاحب مصرف موصيرى، وزوج ابنة يعقوب قطاوى.. ولده جوزيف «١٨٦٩– ١٩٣٤» كان تاجرا تولى إدارة المصرف، تزوج من «جين اجيون».

أخيه الأصغر «إيلى» ١٨٧٩– ١٩٤٠ «ارغم على الاقتران بـ«لورا سوارس» ورغم النفوذ الاقتصادى والاتصالات الواسعة فى الدوائر السياسية، إلا أنه لم يستطع منافسة جوزيف أصلان قطاوى فى الانتخابات لمنصب رئيس الطائفة، وقنع بمنصب نائب الرئيس، نفس ما حدث لأخيه «موريس» ١٨٨٦م– الذى انتخب نائبا للرئيس عام ١٩٤١م وخسر انتخابات الرئاسة فى ١٩٤٣م.

وكان لمساندة الحاخام الأكبر لأسرتى قطاوى وموصيرى، دور كبير فى تقلد المناصب القيادية للطائفة.. حتى أن أموال الطائفة كانت مودعة ببنك موصيرى وقد أثبت المجلس وجود مخالفات مالية انتهت باتهام موصيرى باختلاس ١٨ ألف جنيه استرلينى، مما عرضه وقطاوى لانتقادات شديدة!

فى رسالة ساخرة بعث بها اليهودى البلغارى «ماركو باروخ» إلى صديق له، عام ١٨٩٧م عرض فيها للمشاكل التى تواجه الطائفة، جاء فيها:

«المادية تطغى على كل شىء.. أصحاب البنوك والمصارف انشغلوا بتكديس الأموال

وبشئونهم الخاصة، عن أى محاولات للإصلاح.. الحياة الروحية تعانى فقرا شديدا..»

وواجه موسى قطاوى باشا حملة قوية اتهمته بالدكتاتورية المطلقة، من جانب بعض المدرسين، وناظر مدرسة التحالف الإسرائيلى «صوميخ» عام ١٩٠٨م فى اجتماع جمعية النهضة الأدبية الإسرائيلية «بحارة اليهود»، والذين أصدروا نشرة بعنوان «تيقظ الأمة الإسرائيلية» هاجموا فيها قطاوى، وقصوره عن إصلاح مدارس الطائفة مما يهدد بهجر الطلاب لها!

فى مارس ١٩١٧م، أرسل عدد من اليهود الشرقيين خطابا إلى «حسين رشدى» باشا رئيس الوزراء، يوضح أهمية الدور الذى لعبته رابطة «بناى بريت» فى تنظيم علاقات الطائفة، وإنشاء المؤسسات الخيرية، ولذا «فلا حاجة لمجلس الطائفة فى وجود سلطة الحاخام الأكبر وهيئة الحاخامات.. وبالتالى يجب حل هذا المجلس ومكتب رئاسة الطائفة..!»

وفى تقرير لـ«س. افيجدور» من الاليانس العالمى سنة ١٩١٨م «من الواضح أن هناك حملةمنظمة للسيطرة على مكتب الرئاسة، بزعامة أقطاب الطبقة البورجوازية أو ما يمكن أن نطلق عليهم «أغنياء الحرب» وما يتمتعون به من نفوذ مالى واجتماعى هؤلاء الذين حققوا ثروات طائلة- بأسلوب غريب- بعيدا عن المشاركة فى الصالح العام للطائفة!»،

فى الوقت الذى رفض فيه موسى قطاوى تقديم استقالته من منصبه كرئيس للطائفة قام أحد عشر عضوا بالمجلس- أطلق عليهم المصلحون- بتقديم استقلالاتهم احتجاجا على سوء الأوضاع والأسلوب الدكتاتورى الذى يتبعه مكتب الرئاسة فى اتخاذ القرارات وكان هولاء المصلحون من التجار والصيارفة ورجال الأعمال، وهم: البرت حاييم «هاجر من إستانبول» البرت هرارى والبرت نجار «من أصل سورى» موريس جاتينيو، ايزاكو بينارو، إيلى جاليكو، مارسيتوماتاتيا، أوجو موريوجو، سالمون شيكوريل ابن مورينو شيكوريل.. بالإضافة إلى اثنين من عائلات ثرية معروفة: روبرت رولو، جاك جرين.

ترتب على هذاالوضع، أن امتنع الكثيرين عن دفع الـ«اريخا» والإسهام بالتبرعات لمدارس الطائفة، حتى أغلق بعضها أبوابه عام ١٩١٨م، ليواجه نحو خمسمائة طالب صعوبات فى استكمال تعليمهم، فى حين اتجه أبناء القادرين فقط إلى مدارس الليسيه الفرنسية والمدارس التبشيرية البريطانية.

وقد كانت «الاريخا» أهم مصادر تمويل المؤسسات الاجتماعية اليهودية وكانت تشكل لها لجنة خاصة يتولى رئاستها نائب رئيس مجلس الطائفة، مهمتها جمع هذه التبرعات،

بحد أدنى جنيه واحد فى السنة عن كل يهودى.

فيما بين عامى ١٩٢٣م، ١٩٢٤م افتتح عدد من المدارس الابتدائية والمهنية من أجل فقراء الطائفة، بينما كانت المؤسسات الرسمية للطائفة تعيش حالة من التفسخ حتى أن اجتماع الجمعية العمومية فى يونيو ١٩٢١م، لم يحضره سوى سبعة أعضاء من بين ثلاثة آلاف عضو!

عندما توفى قطاوى عام ١٩٢٤م، خلا منصب الرئاسة.. وعاد الحاخام رافائيل آرون بن سيمون إلى منصب كبير الحاخامات ثم انتخب «جوزيف أصلان قطاوى» ١٨٦١م-١٩٤٢م رئيسا للطائفة، ليصبح الرابع من أسرته الذى يشغل هذا المنصب.

تمتع جوزيف بشخصية قوية، واتصالات على أوسع نطاق فى مجالات الاقتصاد وفى الدوائر السياسية.

درس الهندسة فى باريس، وعين بوزارة الأشغال العموميةالمصرية، شارك فى تأسيس مجموعة شركات مع عائلات: سوارس، رولو ومنشه.. اقترن بـ«آليس سوارس» ابنة فليكس سوارس عام ١٩١٢م، أنعم عليه بلقب باشا فى عام ١٩١٤م، انتخب عضوا بالجمعية التشريعية فى عام ١٩١٦م، انضم لعضوية لجنة التجارة ولجنة الصناعة وأسهم فى النشاط السياسى لحزب الوفد، فيما بين عامى ١٩١٩م، ١٩٢٣م.. وشارك الوفد المصرى فى سفره إلى لندن، اعتمادا على خبرته القانونية، وأسهم فى تأسيس بنك مصر الذى تولى تنمية وتمويل المشروعات المصرية الناشئة، بعيدا عن سطوة رأس المال الأوربى!

انتخب عضوا بمجلس إدارة شركة كوم امبو للسكر ، كما شارك فى الإشراف على عدد من المشروعات الزراعية والصناعية والنقل والصرافة.

استقال من حزب الوفد، وأصبح عضوا بحزب «الأحرار الدستوريين» برئاسة عدلى باشا يكن، والذى ضم نخبة من كبار ملاك الأراضى.

انتخب عضوا بالبرلمان عام ١٩٢٢م عن دائرة كوم امبو، والتى كانت تمثل مركز ثقل اقتصادى لعائلة قطاوى.

فى أبريل ١٩٢٣م، شارك فى عضوية لجنة إعداد الدستور الجديد، وفى نوفمبر ١٩٢٤م عين وزيرا للمالية فى وزارة أحمد زيوار باشا.. التى تشكلت عقب اغتيال «السيرلى ستاك» سردار الجيش المصرى بالسودان.

انضم لحزب «الاتحاد» الذى تشكل بإيعاز من القصر، وحتى يثبت ولائه السياسى للملك فؤاد، فى أول مايو ١٩٢٥م، قدم استقالته من الحزب، أثر شائعة بانه ارسل برقية

تهنئة إلى سعد زغلول الخصم الأول لحزب بمناسبة عيد الفطر، مما اعتبره معظم أعضاء الحزب نقضا للعهد وعدم وفاء للحزب!..

ارتبط بصداقة قوية بالملك فؤاد، الذى عينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٢٧م ثم عضوا بمجلس المالية فى الفترة ١٩٣١م- ١٩٣٥م.

أيضا ارتبطت زوجته «آليس» بعلاقة قوية بالقصر، فكانت الوصيفة الأولى للملكة نازلى، وهى نفس الوظيفة التى كانت تشغلها قبلها «فالنتين رولو» كما أنها أول امرأة يهودية تحصل على أعلى نيشان مصرى.

ورغم تعليمه وثقافته الفرنسية، إلا أنه وكما كان يردد دائما أنه يهودى الديانة، مصرى الهوية، ولائه للملك ولمصر بلده وقد وضح هذا الولاء والانتماء فى رؤيته للحركة الصهيونية ومخططاتها من أجل إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، ورفضه لإقامة مجرد ولاية يهودية على الأرض العربية!

وقد استحوذت الأوضا ع السياسية فى مصر على اهتمام الطائفة اليهودية، مما دفع بيوسف إلى توسيع وتعميق اتصالاته بين الدوائر السياسية والدبلوماسية المصرية والأجنبية، تميز أسلوب ادراته لمجلس الطائفة بالاحتكام إلى العقل فى حل المشاكل الداخلية للطائفة، وإلى الدبلوماسية إزاء المشاكل والقضايا السياسية العامة.. توفى فى مايو ١٩٤٣م.

حاييم ناحوم «أفندى» ١٨٧٣م-١٩٦٠م- ولد فى «ماجنسيا» بالقرب من أزمير، درسة الثانوية فى استانبول، التحق بالمدرسة العليا للحاخامات بباريس، ودرس اللغات الشرقية، وشارك فى تأسيس رابطة «الاتحاد والتقدم» التى كان لها دور فعال فى الانقلاب التاريخى لتركيا، عقب عودته من باريس ١٩٠٨م عين «حاخام باشى» كبيرا للحاخامات فى استانبول.

أصقلته خبرة سياسية هائلة، من خلال علاقاته بالدوائر السياسية والدبلوماسية فى ولايات الإمبراطورية العثمانية، والولايات المتحدة وفرنسا، ومن خلال المشاركة فى وفود رسمية ممثلا عن تركيا فى عدة مفاوضات ومؤتمرات ، منها مفاوضات الهدنة الحربية فى Hague، وفى واشنطن ١٩٢٠م- ١٩٢٢م، وفى مؤتمر السلام الذى عقد فى لوزان بسويسرا عام ١٩٢٢م، وكانت الحكومة التركية قد أوكلت إليه مهمة تحقيق التفاهم مع بريطانيا وتحسين العلاقات بينهما، وهى المهمة التى شجعتها المنظمة الصهيونية العالمية.

كانت اهتماماته وطموحاته السياسية بلا حدود، على حساب الجوانب الروحية والدينية،

وإهماله فى كثير من الأحيان لمسئوليات منصبه، مما أدى إلى عدة حملات هجوم عليه.. خاصة من الاشكناز الصهاينة- الذين وصفوه بأنه: » أفاق، محتال ثعبان«!.

وعندما رفضت السلطات الحكومية اختياره ممثلا لها فى واشنطن، تقدم باستقالته من منصبه الذى اكتسب من خلاله شهرته كدبلوماسى شرقى.. أكثر منه كرجل دين، حتى أطلق عليه: «أفضل حاخام بين الدبلوماسيين، وأفضل دبلوماسى بين الحاخامات»!.

كثرت زيارات حاييم ناحوم لفلسطين، ولقاءاته باللجان والجمعيات الصهيونية التى حرصت على تجنيده فى خدمة أهدافها..

وقد قوبل دوره فى تشجيع النشاط الصهيونى فى مصر بالحذر، والكراهية أحيانا، إلا أنه وثق صلته بالملك فؤاد، الذى عينه عام ١٩٢٥م، حاخام أكبر لمصر والسودان، ومنحه الجنسيةالمصرية عام ١٩٢٩م، وعينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣١م، وفى نوفمبر عام ١٩٣٣م، نال عضويه مجمع فؤاد الأول للغة العربية «مجمع اللغة العربية».

حاول حاييم تقريب وجهات النظر بين زعماء الطائفة من أجل الصالح العام. وقوبل بكراهية واعتراضات من بعض الشخصيات، وبانتخاب مجلس جديد عاد الهدوء النسبى وفى مارس ١٩٢٥م، شكل حاييم مكتب «الحاخامخاته الإسرائيلية بالقاهرة» وفى نوفمبر ١٩٢٦م، وضعت لائحة على غرار لائحة الطائفة بالإسكندرية عام ١٨٧٢م بخلاف أن لائحة الإسكندرية تحتم أن يكون ثلثى الأعضاء الثمانية عشرة من المواطنين اليهود المصريين وتنص هذه اللائحة على خضوع الطائفة لأحكام المجلس، الذى تنتخبه الجمعية العمومية لمدة ثلاث سنوات، وحق التصويت مكفول للأعضاء الذين يدفعون الاريخا طوال هذه الثلاث سنوات.

وعندما تم إقرار رئاسة الطائفة لمدة سنة واحدة، حاول البعض التدخل لتعديل هذا القرار، لكن لم يستجيب لمطلبهم مما أدى إلى سقوط جوزيف قطاوى صريع المرض نتيجة إصابته بشلل نصفى حتى وافته المنية عام ١٩٤٢م.

تحددت اختصاصات مجلس الطائفة فى رعاية مصالح وحقوق الطائفة وتحديد سلطة الحاخام الأكبر بأنها سلطة دينية فقط، ويتلقى تعليماته من المجلس، ويوقع على الطلبات الدينية والمدنية والخدمات، والشئون المالية من اختصاص المجلس فقط.

وضح هيمنة رجال الأعمال والمهن الحرة على المجلس وقراراته، وكان منهم العصاميون، والمهاجرون، منهم: ابرامينو منشه، البرت حاييم، ايزاك ناكامولى، ابرامينو آشير، ايزاك اميل، عزرا رودوريج.. وقد تشابه نشاطهم المهنى مع مورينو شيكوريل،

وجوزيف بتشيوتو وحاييم بارسيلون، سلفاتور ازاكى وفيكتور راجدون الذى ينتمون فى الأصل إلى الطبقة المتوسطة.

كان هناك استمرارية لغياب دور المؤسسات العامة فى حياة اليهود فى مصر وهذا ما أشار إليه «يوليوس بيرجر» وزميله «جرونهت» فى تقرير جاء فيه:

«رغم أن الطائفة العربية اليهودية تحتل موقعا متميزا على عكس الاشكنازيم، منذ أن كان يتزعمها وزير المالية قطاوى باشا، ولأكثر من نصف قرن، بنفوذ عائلات قطاوى وموصيرى ومنشة.. الذين كانوا يقطنون فى الأساس أماكن التجمع اليهودى الحارة ويعملون صغار صيارفة.. وبفضل علاقاتهم بسلطات الاحتلال البريطانى، كونوا ثروات، جعلتهم يتسللون إلى المناطق الراقية، ونشأ الجيل الثانى «أولادهم» فى محيط من التحضر والمدنية والتطلع إلى المناصب المهمة فى مصر.. ولهذا فمن السهل ملاحظة المتناقضات داخل الأسرة الواحدة فمنها من يرفل فى الثراء وينعم بالنفوذ الاقتصادى والسياسى.. ومنها من يعانى البؤس والشقاء ويتردد على مكاتب قطاوى أو موصيرى يطلب معونة تساعده على السلوك فى معترك الحياة»

وكانت الأوضاع الداخلية للطائفة موضع انتقاد لهانز كوهن عام ١٩٢٨م: «لا يزال الموقف سيئا فى القاهرة، فالسلطة والنفوذ بيد نحو عشرين أسرة يهودية.. أما اليهود الذين يعيشون خارج القاهرة، ومعظمهم من اليهود العرب، ولأنهم فقراء، فهم خارج دائرة اهتمام زعماء الطائفة، وهم أيضا فقدوا الإحساس بوجوب المشاركة فى العمل الاجتماعى»

أنفقت الطائفة فى الثلاثينيات نحو ٨٠ ألف جنيه من أجل إنشاء مدرسة ومستشفى يهودى وبعض المؤسسات الاجتماعية.. مما ألهب حماس السيدات أيضا، فأسسوا فرعا للمنظمة الصهيونية العالمية للمرأة wizo، ومستوصفا ومكتبا لرعاية الأسرة.. هذا فى الوقت الذى كانت تجتاح البلاد فيه أزمة اقتصادية طاحنة.. وافتتح موسى قطاوى مدرسة قطاوى للبنين، ومدرسة مارس سوارس» للبنات، بالمجان، فى حى العباسية.

وتسوء الأوضاع ويتسلل الانحراف داخل فرع القاهرة للاتحاد الدولى لشباب اليهود فيغلق أبوابه عام ١٩٣٥م، وتتأسس فى العام نفسه منظمة الشباب اليهودى المصرى التى عملت على نشر الثقافة والتاريخ اليهودى، والحفاظ على التقاليد اليهودية.

وتشهد رابطة بناى بريت نشاطا مكثفا عام ١٩٣٣م لوقف المد النازى.. والتعاون مع الجمعيات اليهودية المحلية.

برحيل جوزيف قطاوى عام ١٩٤٢م، يكاد ينتهى دور أسرة قطاوى بالنسبة لمجلس الطائفة، باستثناء رينيه ابن جوزيف أصلان قطاوى.. ويدخل فى المنافسة الانتخابية ايزاك تاكامولى ١٨٦٩م- ١٩٤٥م. رجل الأعمال العصامى، الذى شيد واحدا من أكبر مصانع الورق عمل نائبا لرئيس الطائفة، ومن المدهش أنه لم يكن يعرف العربية على الإطلاق!

ويتزعم كل من صحيفة «الشمس»، ومنظمة الشباب اليهودى، حملة تطالب بزيادة أعضاء مجلس الطائفة من ١٨ عضوا إلى ٢٤ عضوا، على أن تكون الغالبية للشباب والمثقفين من اليهود المصريين وأن تحل العربية والعبرية محل الفرنسية اللغة الرسمية للمجلس! ورئيس الطائفة يجب أن يكون مصرى الهوية، يرتدى الطربوش وبترشيح من الجمعية العمومية وليس من المجلس.

وتشتعل الحملات الانتخابية، وتعتبر بعض الصحف وأندية الشباب: زينيه بك قطاوى هو أنسب المرشحين، فعائلته مازالت تتمتع بنفوذ سياسى واقتصادى، كما تحفل بتأييد يهود الحارة والعباسية.

بينما العائلات الثرية: سوارس، جرين، موصيرى.. قد أيدت موريس موصيرى أما اليهود المهاجرون من دول أوروبا فكانوا يساندون ايزاك ناكامولى.

وبنجاح ساحق، يفوز رينيه بالمنصب، ليصبح الخامس من أسرة قطاوى.. وأنتخب ناكامولى رئيسا شرفيا، وسلفاتور شيكوريل وايزاك ليفى نائبان للرئيس، البرت حاييم سكرتيرا، أميل عدس مسئولا ماليا.. أما موريس موصيرى فلم يعرض عليه أى منصب قيادى ليخسر كل شىء فى هذه المعركة الانتخابية!

وقد ضم المجلس: يعقوب ليفى قطاوى، والمحاميان كليمان هرارى، وشارلز شالوم وابرامينو أشير، حاييم بارسيلون، سلفاتور إيزاكى، عزرا رودريج، كما ضم المجلس وللمرة الأولى اثنين من أشهر رجال الأعمال: أوفاديا سالم وأصلان فيدون.

أما عن أوفاديا سالم، فقد ولد عام ١٨٨٨م فى سالونيك، هاجر إلى مصر عام ١٩٠٣م عمل مؤقتا ببنك موصيرى، تم أسس مع الفريد كوهين وج. س. بيريز، شركة التسليفات التجارية، سرعان ما تحولت إلى واحدة من أكبر شركات التجارة والتصدير.

أسهم فى نشاط الحركة الصهيونية فى مصر من خلال رابطة بناى بريت.

أما بالنسبة لأصلان فيدون، الذى ولد عام ١٨٨٢م، فهو مثل نكامولى، أشير، رودريج وسالم... مهد لنفسه طريقا فى عالم التجارة، إلى أن افتتح شركة ناجحة عام ١٩١٧م، تمد الحكومة والجيش والمستشفيات بالاحتياجات اللازمة من الملابس والخيام وشيد مع زوجته

فى عام ١٩٣٣م مدرسة أولية ثم ملجأ فى العام التالى.

* رينيه بك قطاوى، ولد فى ٩ اكتوبر عام ١٨٩٦م، تلقى علومه بلوزان، اقترن بـ«سيلين جوهر» عمل بضع سنوات فى وزارة الزراعة المصرية، فى نهايةالعشرينيات أصبح مديرا عاما لشركة وادى كوم أمبو، وعضوا بالمجلس الاقتصادى، وعضوا بالمجمع العلمى المصرى وبالجمعية الجغرافية الملكية، فى عام ١٩٣٨م انتخب عضوا بالبرلمان عن دائرة كوم امبو مثلما خلف شقيقه الأكبر أصلان والدهما فى عضوية مجلس الشيوخ. وأعيد ترشيحه للبرلمان عام ١٩٤٥م، وأول مرة ينتخب لعضوية مجلس الطائفة كانت عام ١٩٣٦م وأشرف لعدة سنوات على مدرسة الطائفة، قبل أن يصبح نائبا لرئيس المجلس، أسهم فى تأسيس الجمعية اليهودية للاصلاح الاجتماعى عام ١٩٤١م، لتحسين الظروف المعيشية لفقراء اليهود– الحارة– وكانت أهم المشاكل التى حاول أن يضع حلولا لها: التعليم وإنشاء المزيد من المدارس، التغلب على مشاكل حارة اليهود بتوفير المساكن الملائمة والعناية الصحية، وإنشاء ناد للشباب.

وفى عام ١٩٤٧م، أثمر تعاون مجلس الطائفة مع الجمعية اليهودية للاصلاح الاجتماعى عن افتتاح مركز اجتماعى بحارة اليهود، يشمل مستوصف عام، حمام عمومى، ورشة مهنية، مكتب للعناية الصحية ورعاية الأسرة.. ومطبخا يعد نحو ١٢٠ وجبة يومية.

وكان مدير هذا المركز «اندرية جابيس» الذى وضع برنامجا للإسكان الشعبى وبرنامجا لتطوير مناهج التعليم، وبدأ يعد الاقامة مدرسة ثانوية وأخرى مهنية.

وقد با ع مجلس الطائفة مدارس قطاوى ومارى سوارس بحى الظاهر، وادمجت مدرسة البنين بمدرسة «السبيل» المجانية بالعباسية، كما تم توسعه وتطوير مدرسة الحرف والصناعات التى شيدها شيكوريل عام ١٩٤٨م.

وكان هناك تقليدا متبعا، بمقتضاه تتولى بعض الأسر الثرية مساعدة الأسر الفقيرة بحارة اليهود، بالمأكولات والاطعمة فى مناسبات الأعياد الدينية، واستمر العمل بهذا التقليد بجانب الاقتراح المستحدث بطبع بطاقات مدون بها بيانات الشخص أو الأسرة التى بحاجة إلى مساعدة، مثبت بها قيمة المبلغ الذى سيصرف له شهريا، بدلا من انتظار الصدقات فى المناسبات.

وكانت الأمور قد أصبحت أكثر تعقيدا، من خلال الحرب العالمية الثانية، وتزايدت الدعوة إلى اندماج الطوائف اليهودية الشرقية والأوربية، وتنسيق التعاون فيما بينها وهى الدعوة التى كانت تقابل دائما بالرفض أو عدم الترحيب من جانب الاشكنازيم.. خاصة ما

يترتب على ذلك من زيادة إسهامهم فى رفع مستوى معيشة يهود الحارة والنهوض بمدارس الطائفة!

كذلك باءت بالفشل كل محاولات توحيد طائفتى القاهرة والإسكندرية!.. حتى تحقق بعض النجاح فى مايو ١٩٤٨م، (لاحظ التوقيت)وبدأ التنسيق والتعاون بين الفرق المختلفة!

فى أكتوبر ١٩٤٥م، صدر قانون بوضع الجمعيات ذات الصفة الدينية تحت إشراف وسلطة الحاخام الأكبر، بينما المؤسسات الاجتماعية تسجل وتخضع لإشراف وزارة الشئون الاجتماعية وحتى منتصف الأربعينيات، كانت اجتماعات المجلس ومناقشاته تتم باللغة الفرنسية ولا تترجم إلى العربية، فغالبية أعضاء الجمعية العمومية والمجلس من غير اليهود المصريين، لا يستطيعون القراءة والكتابة بالعربية، كذلك كان من الصعب أن يتحقق حلم المصلحين فى أن يصبح المجلس مجلسا مصريا مثلا عن اليهود «الحقيقيين» المصريين، كما كانوا يأملون فى بداية العشرينيات من هذا القرن!.. ويحسب لهم نجاحهم إلى حد ما فى جعل الجمعية العمومية أكثر ديمقراطية وتسخير بعض من نفوذ العائلات الارستقراطية وعلاقاتها فى حل بعض مشاكل الطائفة خاصة الطبقة الفقيرة.

ورغم النفوذ الاقتصادى لطبقة المهاجرين الأثرياء، وسيطرتهم على مجريات الحياة العامة لليهود، إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول لمنصب رئيس الطائفة، وكل ما حققه ناكامولى- أحد افراد هذه الطبقة هو الحصول على الرئاسة الشرفية عام ١٩٤٣م، كما سبق أن أشرت لذلك، ووصول سلفاتور سيكوريل وايزاك ليفى إلى منصب نائب الرئيس، بينما ظلت الرئاسة فى قبضة أسرة قطاوى أو «القطاوية» حتى سقوط رينيه قطاوى صريع المرض واستقالته لأسباب صحية فى أغسطس ١٩٤٦م.

واختير «سلفاتور شيكوريل» عميد العائلة الثرية المعروفة وصاحب المحلات الشهيرة بوسط المدينة، والحائز على رتبة البكوية، ووسام الشرف الفرنسى بدرجة «فارس» ووسام «التاج الإيطالى» والمتمتع بالحماية الإيطالية، ورئيس أندية المكابى اليهودية. رجل الأعمال وصاحب النفوذ فى الاقتصاد المصرى والعلاقات الواسعة.. لكنه أبدا لم يكن «قطاوى»!

وارتفعت دعوة تطالب بحق المرأة اليهودية فى التصويت، فى انتخابات المجلس وساند الحاخام الأكبر هذا الاقتراح وأيده، بينما جبهة عريضة تزعمها ايزاك ليفى نائب الرئيس تعارض هذه الفكرة، لإيمانه بأن المرأة مهمتها الأساسية رعاية حياتها العائلية، فقط يمكنها أن توجه بعض جهودها لخدمات التعليم والمشروعات الخيرية وتبنت صحيفة

الشمس الاقتراح المؤيد، بل وطالبت بتأسيس مجلس نسائى يتوازى مع مجلس الطائفة «الرجالى» على أن هذه الفكرة التى شطحت كثيرا لم تكن تلقى التأييد بالطبع، وقوبلت بالرفض من جميع أعضاء المجلس!!

وقد تم تعديل لائحة المجلس، لمنح الحاخام الأكبر سلطات أوسع ونفوذ أقوى وبمقتضاه أصبح «الممثل الرسمى» للطائفة اليهودية فى مصر.

الفصل الثالث
مؤسسات الرعاية الاجتماعية
والرياضية والثقافية بالقاهرة

وجه زعماء الطائفة بعضًا من جهودهم لإنشاء مؤسسات الرعاية الاجتماعية، والجمعيات الدينية والثقافية: التى كان هدفها بث الدعوة للتجديد والبعث الدينى والثقافى وإحياء اللغة العبرية، وقد أبرزت الصحف اليهودية أنشطة هذه المؤسسات، وعاونتها فى إنجاز مهمتها، كما دعت إلى وجوب التعاون بين مجلس الطائفة وجمعيات الشباب بوجه خاص، معبرة عن رغبتها فى تنشئة الشباب فى ظل «المبادئ الصهيونية»!

فى مجال الخدمات الاجتماعية، انتشرت الجمعيات والمراكز والملاجئ والمستشفيات لخدمة الفقراء من أبناء الطائفة، وأسهمت العائلات اليهودية فى تقديم الأموال والرعاية لهذه المؤسسات منها:

جمعية «بخور حوليم» للرعاية الطبية، التى تأسست عام ١٩٠٩م.

الاتحاد الإسرائيلى لخدمة يهود هليوبوليس، تأسس عام ١٩٢٢م.

جمعية «ماتان باستير» و«الجمعية الإسرائيلية لخدمة الفتيات اليهوديات» اللتان تأسستا عام ١٩٣٣م، من أجل تقديم المعونة والرعاية للفقيرات من بنات الطائفة، وتوفير سبل العمل لهن، وتدبير الدوطات «المهور» اللازمة لزواجهن.

ملجأ «ابن ميمون» للمسنين، بحارة اليهود، تأسس عام ١٩٣٤م.

المركز الاجتماعى التابع للجمعية اليهودية للإصلاح الاجتماعى، تأسس عام ١٩٤٧م،

وضم مستوصفا، وحماما عموميا، وورشة مهنية، ومكتبا للرعاية الصحية، ومطبخا يعد ١٢٠ وجبة مجانية يوميا.. وقد جاء فى إعلان للحاخامخانة الكبرى بالقاهرة: «ليكن فى علم أبناء طائفتنا، أن المركز الاجتماعى الكائن بحارة اليهود، وكذلك ملجأ العجائز بمصر الجديدة التابعين للطائفة، يقدمان يوميا وجبات الطعام لعدد كبير من المعوزين بالمركز الاجتماعى وملجأ العجائز، على استعداد لتقديم تسهيلات لكل من يريد تحضير «السعوداه» والصلاة على روح المتوفين من الأقارب وذلك بمقرهما..»

المستشفى الإسرائيلى: بحى غمرة، وقامت بتمويله عدد من العائلات اليهودية الثرية: قطاوى، موصيرى، شيكوريل.. وتولى إدارته: د. «بيكارد هوجر».

ومن أشهر الأندية التى تولت رعاية شباب الطائفة اجتماعيا ورياضيا وثقافيا: «نادى الشبيبة اليهودى- المكابى» Maccabi- بالقاهرة والإسكندرية، وقد أسهمت عائلات شيكوريل وعاداه وقطاوى، فى تأسيس نادى «مكابى القاهرة» وتولى رئاسته سلفاتور شيكوريل فى الفترة من ١٩٣٠م-١٩٣٤م، ثم خلفه الصهيونى الشهير «ايزاك اميل» أحد ابطال مصر فى لعبة الملاكمة..

ويجدر بالذكر، أن سلفاتور شيكوريل، كان بطلا لمصر فى لعبة سيف المبارزة ووصل إلى نهائى دورة الألعاب الأوليمبية عام ١٩٢٨م، ولمع كوهين ونجار فى لعبة التنس، ورحمى فى رمى القرص والمصارعة، وحصل على عدة بطولات فيهما، كما برز سالونيشيو فى لعبةالملاكمة.

وقد تولى «جاك جوهر» عضو اتحاد المكابى بفلسطين، وأحد زعماء الطائفة، منصب مراقب عام النشاط الرياضى بمصر فى عهد الملك فؤاد.

كذلك شكلت الأندية اليهودية بالقاهرة والإسكندرية: جماعات للكشافة وفرق العبرى الصغير، التى أسهمت فى جمع التبرعات إلى «الكيرن كاميت» من أجل شراء الأراضى فى فلسطين وتشييد المستعمرات اليهودية عليها، كما أوفدت هذه الأندية لجانا خاصة لاستقبال المهاجرين اليهود القادمين على البواخر، وتهيئة سبل الإقامة والعمل والراحة لهم.

وقد دعى عدد من الكتاب والصحافيين اليهود- ممن تسلطت على عقولهم الفكرةالصهيونية- إلى تكوين جمعية تعبر عن أمانى الشباب اليهودى، على غرار جمعتى الشبان المسلمين والمسيحيين فشكلت لجنة تحضيرية لوضع أسس هذه الجمعية، ضمت: د. الفريد يلوز، د. إسرائيل ولفنسون، سعد يعقوب مالكى رحمين كوهين، هلال فارص.. وفى الثالث من يوليو عام ١٩٣٥م. أعلن تأسيس «جمعية الشبان اليهود المصريين» واتخذت

مقرا لها بعمارة «أسايس» بالحمزاوى، شعارها «الوطن والدين والثقافة»ومبادؤها خدمة مصر ورفع شأن اليهود فى البلاد أدبيا واجتماعيا، وتعويد الشباب على «الأخلاق القومية والتقريب بين عناصر الأمة على اختلاف أديانها وأجناسها.

وإذكاءا للروح اليهودية فى نفس الشباب، نظمت الجمعية محاضرات تناولت التوراة وشرائعها التاريخ اليهودى وأبرز الشخصيات اليهودية ودروسا فى اللغة العبرية.

وقد وصفت صحيفة «الشمس».. فى إطار دعوتها لشباب اليهود للإنضواء تحت راية هذه الجمعية، بأنها «ستعيد مجد الشعب اليهودى»!.

فى عام ١٩٣٩م، تمكنت الجمعية من أن تؤسس ناديا باسم: نادى جمعية الشبان اليهود».

وكان من أهم الأندية التى نشطت فى بث الفكر الصهيونى بين الشباب «النادى الصهيونى» الذى تأسس عام ١٩٣٥م، كما تأسس أيضا «الاتحاد العالمى للشبيبة الإسرائيلية»، بمصر، برئاسة د. الفريد يلوز، وفى إطاره تأسس قسم «العبرى الصغير» بهدف تعليم اللغةالعبرية ونشر المبادئ الصهيونية.

فى مارس عام ١٩٣٧م، تأسست جمعية «الشبان الإسرائيليين القرائين» التى أصدرت مجلة باسم «الشبان القرائين» ومجلة «الكليم».. ونشطت الجمعية فى تنظيم محاضرات أسبوعية خاصة بتاريخ اليهود القرائين وتعاليم اليهودية، ثم أسست هذه الجمعية ناديا خاصا باسم «نادى اتحاد الإسرائيليين القرائين» وكان مقره بشارع العباسية رقم ٥، وتشكل مجلس ادارته على النحو التالى:

المهندس فرج إبراهيم فرج رئيسا.

المحامى يوسف درويش وكيلا، وفرج يعقوب فرج سكرتيرا.

وأعضاء المجلس: الياهو اصلان، إبراهيم حسنى، توفيق عبد الواحد، جاك ليتو مرزوق، جاك فرج، زكى منشة، يوسف كمال، ثابت درويش.

وتمثلت أغراض النادى- كما جاء فى لائحته التأسيسية فى:

١- ترقية الروح الرياضية والأدبية والأخلاقية والعلمية والفنية وبثها فى الشباب وتسهيل سبل التعارف والمحبة بينهم.

٢- ترقية الطائفة على الطريقة المدنية الحديثة.

وقد اشتهر هذا النادى بتنظيم الحفلات والرحلات والمحاضرات، وتكونت به فرق رياضية وجماعات ثقافية وموسيقية وفن التصوير.

المدارس.. إعداد شباب إسرائيلى متعصب!

كانت الطائفة اليهودية بمصر- أولى الطوائف اليهودية فى الشرق الأوسط- التى تنبهت إلى أهمية التعليم الحديث الملائم لمقتضيات العصر، وأصبح الاتجاه العام نحو الثقافة الغربية، خاصة الفرنسية، ومنذ الستينيات من القرن التاسع عشر، طرأ تغيير جوهرى على مدارس اليهود بإدخال بعض اللغات الأوربية: الفرنسية والإنجليزية والإيطالية..

وقد أسهم تمركز يهود مصر فى القاهرة والإسكندرية، فى تمتعهم بمستوى تعليمى وثقافى مرتفع، نظرا لانتشار دور التعليم والمعاهد العالية الأجنبية والحكومية فى هاتين المدينتين، وكما عنيت الطائفةاليهودية بأن يكون تعليم أبنائها تحت اشرافها لضمان توجيههم الوجهةالمرجوة، وحتى يشبوا وانتمائهم الأول لدينهم وطائفتهم، ببث مفاهيم التوراة والتلمود فيهم، فإنها عنيت أيضا بإنشاء عدد من المدارس على غرار النظم الأوربية، كما أهتمت كذلك بالتعليم والتدريب المهنى.

كانت مدرسة «ابن ميمون» بدرب البرابرة أول مدرسة يهودية أنشئت بالقاهرة، أسسها محفل ابن ميمون عام ١٨٩٢م، والذى كان له نشاط بارز من أجل تعليم أبناء الطائفة، وقد ضمت خمسة فصول بلغ عدد طلابها ١٣٠ طالبا، تلقوا دروسهم الأساسية باللغة الفرنسية، إلى جانب دراسة اللغات العبرية والعربية والإنجليزية، وتولى شئون التدريس بها عدد من خريجى مدرسة المعلمين الإسرائيلية الشرقية فى باريس، كما أنشئت بعض الكتاتيب الملحقة بعدد من المحافل والمعابد اليهودية.

وقامت المحافل والمعابد اليهودية بتقديم الدعم المادى لمدارس: «الاتحاد الإسرائيلى العالمى- «alliance israelite universelle» وهو تنظيم يهودى تأسس عام ١٨٦٠م فى باريس، بهدف تنمية المجتمعات اليهودية المتخلفة باتباع أحدث النظم التعليمية والتدريب المهنى وإغاثة اليهود فى أزماتهم والدفاع عن حرياتهم الدينية وحقوقهم المدنية..

كذلك أنشأ مجلس الطائفة اليهودية عدداً من المدارس التى كانت تشرف عليها لجنة خاصة سميت «لجنة المدارس« ضمت ١٢ عضوا من الحاخامات والشخصيات البارزة، وكانت تمول من حصيلة الضرائب الخاصة «اريخا» وتبرعات أثرياء اليهود.

هذا إلى جانب عدد من المدارس الخاصة، أهمها مدرسة «جمعية نقطة اللبن- la Goute de lait» التى أسسها: ايزاك بنارويو- Isaac Benaroio وزوجته عام ١٩١٥م، واشتهرا بتقديم وجبة افطار ومعونات مالية لليتامى والفقراء، بالإضافة إلى عشرة آلاف

جنيه من التبرعات للاسهام فى إنشاء مقر لهذه المؤسسة بالقرب من ميدان سليمان باشا، ضم مدرسة لليتامى وأبناء الفقراء من اليهود افتتحت عام ١٩٢١م.

وفى عام ١٩٢٠ اسس «موسى قطاوى– Moise De Cattaoui» مدرسة أولية باسمه، وأسست «مارى سوارس– Marie Saures» مدرسة أخرى فى عام ١٩٢٤، ومدرسة العباسية فى عام ١٩٢٧.

وأسست عائلة جرين: جاك ورالف واستير، فى عام ١٩٢٤ مدرسة «جرين» بحارة اليهود، وكان مديرها الصحفى اليهودى الشهير «سعد مالكى» كما أسست «راشيل يعبيس» مدرسة باسمها بحى عابدين عام ١٩٣٤، وأسس «فليكس سماما» فى عام ١٩٣٦ «ليسيه السكاكينى» الإبتدائية، والتى ضمت أقساماً للاختزال والمدارسات التجارية وادارة الأعمال.

وأسس «إبراهام بيتش» مدرسة باسمه فى مصر الجديدة عام ١٩٢٣م بلغ عدد تلاميذها نحو ٦٠٠ تلميذ– بقسميها الابتدائى والثانوى من جنسيات متعددة: مصريون وفرنسيون وإيطاليون وإنجليز وأتراك وأسبان ويونان.

وكان محفل «بنى بريت» قد أسس فى عام ١٩٣٤م: جماعة «ليمود» الإسرائيلية، التى نشطت فى تأسيس مدارس جديدة استوعبت الزيادة المطردة فى عدد الطلاب اليهود، كما أسهمت فى معاونة الفقراء منهم لاستكمال دراساتهم وتوجيههم، وأمدت المدارس الخاصة كذلك بالعون المادى والمشورة الفنية.

وقد اضطلعت الصحف اليهودية بدور مهم فى توجيه العناية بمدارس الطائفة، حيث حرصت على الدعوة إلى تشجيع الآباء على إرسال أبنائهم إلى هذه «المدارس اليهودية الخاصة»، ونبذ المدارس الحكومية والأجنبية، بعد أن أقلقها خروج بعض أبناء الطائفة عن دينهم!.. وحثت المسئولين عن التعليم فى الطائفة على التركيز على مبادئ الدين اليهودى وتعاليمه صونا للجيل الجديد من أخطار الخروج على الملة..

فنجد أن صحيفة «إسرائيل» طالبت بإنشاء معبد بكل مدرسة لتقام فيه الصلاة كل صباح حتى ينشأ الطالب نشأة يهودية صحيحة، ويتعود الصلاة باللغة العبرية، وحثت مجلة «الشبان القرائين» على العناية بالتعاليم اليهودية، كما طالبت بإنشاء مدرسة دينية خاصة بالطائفة، يتلقى فيها الشباب تعاليم دينهم وشريعتهم بلغة التوراة.

وانتقدت صحيفة « الشمس» مدارس الطائفة لإهمالها تدريس التوراة، ودعت إلى العناية بدراسة «التاريخ الإسرائيلى» فى مصر، كما دعت أيضا إلى أن تكون لمدارس

الطائفةمبادئ تسعى لتحقيقها مثلما تفعل المدارس المسيحية التى تنحصر مهمتها فى «نشر الدين المسيحى وبث تعاليمه بين الطلبة»..!

ومما لا شك فيه أن هذه الدعوات قد أتت ثمارها باستجابة القائمين على أمر التعليم فى الطائفة، بالتوسع فى إنشاء المزيد من المدارس الإسرائيلية والاهتمام بتدريس اللغة العبرية وآداب الشريعة اليهودية، وتطوير برامج التعليم فى هذه المدرس، وتجدر الإشارة إلى أن مجلة «الكليم» دعت إلى أهمية وجود مدرسة ثانوية خاصة بأبناء الطائفة، حيث أنها : «ستكون أحد العوامل الفعالة فى تحقيق وحدة الطائفة».. وأن إقامة مثل هذه المدرسة «سيمكن الطائفة من الاستمرار فى الإشراف على شبابها، ومواصلة إعدادهم وفق السياسة التى تناسب مصالحها، كما سيمكنها من إعداد شباب إسرائيلى متعصب لطائفته ودينه، وتشغله بالقضايا اليهودية على غيرها»..!

الفصل الرابع
المحافل والمعابد اليهودية فى القاهرة

نشأة المعبد اليهودى:

المعبد أو الكنيس من المؤسسات التى شيدت بعد الكتاب المقدس، فلم يكن هناك تعليمات أو اتجاهات محددة فيما يخص تشييده، وتوجد فى التلمود إشارة واحدة إلى أن الكنيس ينبغى أن يشيد فوق أرض مرتفعة وأن يكون أعلى قامة من الأبنية المحيطة به ونستطيع أن نستدل من سفر دانيال فى الكتاب المقدس على أن وجود النوافذ فى المبنى شىء أساسى للمصلى، حيث أنها تمكنه من التأمل فى السموات، الأمر الذى يلهمه الورع والمهابة. ومن الملاحظ أن النبى دانيال كان يولى وجهه فى الصلاة شطر أورشليم، وقد كان لهذا الأمر تأثير قوى على تصميم الكنيس.

ورغم أن الكنيس كان يتجه، تبعا لذلك نحو أورشليم، فإن استجابات المعماريين لهذا التوجه جاءت متباينة بنسب كبيرة، وذلك فى أثناء العصور الأولى للمسيحية.

فى البداية كانت واجهةالكنيس تواجه اورشليم، وفى المبانى التى أقيمت على هذا الأساس لم يوجد ما يشير إلى موقع ا«لصندوق المقدس» الذى تحفظ فيه التوراة والذى يظن أنه كان يحفظ إما فى حجرة ملحقة بالمبنى أو خارج الكنيس. ثم يحمل إلى مكان الصلاة حيث يتم الاستماع إلى الشريعة، وابتداء من القرن الثالث طرأ على تصميم الكنيس تغير واضح وأصبح اتجاه المبنى يتبع موقع «الصندوق المقدس» داخله.

وقد أشار المؤرخ «فلافيوس يوسيفوس/٣٧-١٠٠ ميلادية فى كتابه «The antiquities of the jews» إلى أن الكنيس كان يبنى على مقربة من النهر أو البحر لتكون هناك فرصة لممارسة الاغتسال فى مكان ملحق بمبنى الكنيس.

وقد جاء الكنيس بمثابة انشقاق أساسى عن تقليد التعبد فى الهيكل، فكان علامة انتقال من الطقوس التى ينفرد بخدمتها الكاهن الأكبر « رئيس الكهنة» ومعاونوه.. اللاويون إلى نوع من الخدمة الدينية الجماعية، وكان لهذه الحركة الانتقالية من الطقوس القرابينية إلى الصلاة تأثيراتها الاجتماعية حيث يمكن أن يقوم بالخدمة التعبدية: الصلاة والاستماع إلى الشريعة أى ذكر راشد من المؤمنين دون حاجة لكهنوت.

وهكذا أصبح الكنيس مركزا لحياة اجتماعية، وقد أشار المؤرخ يوسيفوس إلى أن المؤمنين يجتمعون فى الكنيس لا للصلاة والاستماع إلى الشريعة فقط. ولكن أيضا لمناقشة مشكلات تتعلق بحياة الطائفة. وفى المعبد «كنيس» الكبير فى الإسكندرية كان الناس يتخذون أماكنهم تبعا لمهنهم وكل جماعة تجلس فى مكان خاص بها. فهناك الغزالون والصائغون والحدادون.. الخ، وكل شخص يتجه عند دخول الكنيس إلى المكان المخصص لأقرانه، وكذلك كان الكنيس مركزًا للنشاط الفكرى، ولذلك أصبح معروفا باسم «بيت هاميدراش» أى بيت الدراسة.

والواقع أن الطبيعة الأساسية للعبادة فى الكنيس تعنى عامة، أن عناصر التصميم المعمارى ليست بذات أهمية كبيرة، وأنها لا تنبع من هذه الطبيعة التعبدية ولكنها، فى الغالب مستعارة من عمارة الأبنية المحيطة. وإذا ما نحينا جانبا هذه التأثيرات المحلية فمن الممكن القول بأن هناك عمارة خاصة بالكنيس فيما يتصل بتنظيم جزئه الداخلى وكذلك فيما يتصل بالهيكل.

كان هيكل سليمان متأثرا بالعمارة التقليدية لمقادس الكنعانيين، كما كان بالتالى نموذجا لخيمة الاجتماع المقدسة، كان يتكون من ثلاثةمناطق متتابعة- المجاز «Ulam» والحجرة الرئيسية وهى الهيكل «Hekhal» ثم قدس الأقداس «Devir» الذى لا يدخله أحد سوى الكاهن الأكبر «رئيس الكهنة»، وبالإضافة إلى ذلك كان هناك تدرج بين الجزء المخصص للرجال ثم الجزء المخصص للكهنة.

وفى الكنيس، حيث يشترك المؤمنون فى الطقوس، صممت عمارة الجزء الداخلى بحيث تتحلق قطبين رئيسيين- الصندوق المقدس والمنبر «Bima» الذى يتم فوقه فتح درج.. الشريعة وقراءتها.

وعادة يكون الصندوق المقدس ملتقى أنظار الجميع، والحقيقة أنه لا يمكن إلا أن يراه الجميع حيث يكون قبلة المؤمنين فى صلاتهم، يحتل صدر الكنيس ويهيمن على كافة الاتجاهات واقعيا ورمزيا، الحلقة التى تربط بين المؤمن وصلواته- بين أورشليم الأرضية والمدينةا لسماوية!

ومنذ العصور الوسطى والمنبر يشغل مركزا محوريا مازال يحتفظ به مهما كانت القيود المكانية، ومعه أيضا الصندوق المقدس الذى يحتفظ هو الآخر بمكانه فى الحائط الغربى حيث يشكل التعبير المادى للتغير فى شكل الخدمة- المؤمنون يشكلون دائرة تتحلق قلب الكنيس ثم يأخذون فى الالتفاف حول المنبر.

أعمال الزخرفة

شهدت العصور الأولى للمسيحية تحولا فى التزيين والزخرفة من الأجزاء الخارجية للمبنى إلى أجزائه الداخلية وكان ذلك استجابة لتشريع معاد لانتشار اليهودية، فبعد مائة عام من وفاة قسطنطين الأكبر «٢٨٨-٣٣٧م» ميلادية منع اليهود من بناء كنائس جديدة أو حتى من إصلاح وترميم الكنائس القائمة اللهم إلا ما يكون منها معرضا للإنهيار، وشيئا فشيئا بدأ التخلى عن الأعمال النحتية المسرفة فى الزخرفة والتى كانت تزين الأجزاء الخارجية لمبانى الكنيس فى عصورها الأولى، بينما استمرت فى طريقها أعمال الفسيفساء التى تغطى أرضية الأجزاء الداخلية، ويرجع أكثرها إسرافا فى الزينة إلى القرنين الخامس والسادس.

ولم يقف الربيون «الحاخامات» باستمرار موقف المعارض للتغيرات التصويرية التى وردت كثيرا فى تعاليم الإنجيل المقدس، وفى هذا فتح الكنيس الأعين على زخرفة الكنائس المسيحية، على الأقل فى فلسطين القديمة. ومن ثم بدأت تظهر أفكار دينية معينة جنبا إلى جنب مع موضوعات تتسم بالواقعية الفنية والوثنية وموتيفات هندسية من الفسيفساء الهللينية.

وقد أصبح من الممكن ملاحظة الروابط الروحية بين المعبد والكنيس وبين تابوت العهد والصندوق المقدس فى زخرفة الأدوات الطقسية المرتبطة بالتوراة- الأردية، الأرصعة والحليات المصاغة على أردية الكاهن الأكبر، زخرفة الصندوق المقدس هذه الزخرفة التى تتكون عادة من أعمدة وستارة مأخوذة عن حجاب الهيكل الذى فى خيمة الاجتماع بين القدس وقدس الأقداس، وجميعها تعيد إلى الذهن تجهيزات المعبد. ونستطيع القول بصفة عامة، أن إحياء الموتيفات المعمارية فى الأدوات الطقسية اليهودية«المصابيح والمباخر» يؤدى

بالفرد إلى الاعتقاد بأن هذه أيضا لها معنى رمزى يرجع إلى المبنى القديم الأكثر إجادة، المبنى الأم لكل المبانى- المعبد.

المعابد المصرية

أفاد يهود مصر كثيرا من الضمانات الجديدةالتى أقرها الدستور المصرى ١٩٢٣م، خاصة فيما يتعلق بمبدأ المساواة فى الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الأصل أو اللغة أو الدين.. ومنحه حريةالعقيدة والرأى والتعليم وتسيير الأمور الشخصية طبقا لتقاليدهم وعلى يد زعمائهم الدينيين.

وقد تمتع يهود مصر بكامل حريتهم فى ممارسة شعائرهم الدينية، بل وأفادوا من المساندة التى تمثلت فى تزويد الحكومة المصرية لهم بكل اشكال المساعدة فى بناء معابدهم وإقامة محافلهم مثل تيسيرات البناء ومنحهم الأراضى المجانية، مما أسهم فى انتشار المعابد اليهودية فى مختلف مدن مصر- خاصة القاهرة والإسكندرية وحتى عام ١٩٣٠م كان فى القاهرة وحدها نحو ٣٠ معبدا ومحفلا تنتمى إلى مجوعات ومجتمعات متباديئة.. بيهود مغاربة وأتراك.. ويهود من أصول إيطالية وأسبانية وفرنسية.. ويهود ممن أطلق عليهم «مستعربون» الذين اتخذوا من القاهرة مقاما لهم منذ زمن طويل.

وأود أن أشير إلى أن مركز الفن اليهودى «Center for jewish art» بالجامعة العبرية بالقدس بالاشتراك مع المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة، شكلا فريق بحث برئاسة المهندس «دافيد كاسوتو- Caved cassuto بداية من عام ١٩٨٤ مهمته مسح وتوثيق المعابد اليهودية المتبقية، فى إطار الابحاث الحديثة التى تتعلق بتاريخ المجتمع اليهودى فى مصر.. ولنبدأ بمعابد حى اليهود بالقاهرة.

كنيس المصريين:

كان أكبر وأقدم معابد القاهرةالفاطمية، تأسس عام ١٠٣٨م طبقا لوثائقه الرسمية وكان مقره بحارة اليهود فى درب المصريين رقم ٢، وعلى مدار أكثر من ٩٠٠ سنة شهد استمرار التواجد اليهودى فى هذا الحى، وممارستهم فى حرية تامة كافة مظاهر الحياة الاجتماعية وكان إبراهيم باشا قد أغلق هذه المعبد فى عام ١٥٤٥، ثم أعيد افتتاحه عام ١٥٨٥م، وتجدر الإشارة إلى اعادة بنائه أو تجديده عدة مرات طوال تاريخه. وكان آخرها فى عام ١٩٤١م وافتتحه « رينيه قطاوى».

وقد أشار يوسف سامبارى « ١٦٤٠-١٧٠٣م) فى كتابه «Divrei Yosef) إلى أن أشهر وأهم مخطوط للتوراة كان محفوظا بهذا المعبد، وقد ظل حتى منتصف الخمسينيات

من هذا القرن مقرا للاحتفالات الرسمية بأعياد يهود مصر.

كان الهيكل المقدس ذو واجهة ثلاثية مضلعة، محمولا على ثلاثة أجنحة وثلاث مقاصير. قبةالمعبد كانت مستطيلةعلى شكل نصف بيضة مرتفعة فوق منتصف المقاصير.. التيفا Teva أو المنصة التى تتلى عندها التوراة، كانت ذات ثمانية أضلاع، ومركزها فى منتصف القاعة كما كانت أرضيةالمعبد وأعمدته من الرخام، ويذكر بأنه كان مأوى لبعض يهود الإسكندرية الذين فروا إبان القصف الألمانى للمدينةعام ١٩٤١ وقد أنتهى أمره بأن باعته الطائفة ثم هدم فى خلال عام ١٩٧٥م!

محفل ابن ميمون– Maimonedes

أو «راب موشى– rab moshe كما كان يطلق عليه يهود مصر. ومقره ١٥ درب محمود بحارة اليهود، وأول بناء لهذا المعبد كان بعد وفاة ابن ميمون بقليل فى عام ١٢٠٤م وفى خلال هذه القرون أعيد بناؤه وتجدد مرات عديدة، وكان مجموعة من المهاجرين الروس والرومانيين والبولنديين قد اسهموا فى تجديده وافتتح فى ١٦ من يناير عام ١٨٨٧، وكان لهذا المحفل دوره الفعال فى تعليم اليهود، فأنشأ مدرسة «ابن ميمون» فى درب البرابرة عام ١٨٩٢م، كما أسهم فى إيواء ومساعدة اليهود المهاجرين وقد اختير د «حاييم وايزمان» رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، رئيسا شرفيا لهذا المحفل عام ١٩٤٤م.

ولعل أهميةهذا الموقع تكمن فى سرداب صغير كان ابن ميمون يستخدمه كحجرة للتأمل والدراسة، وفيها رقد جسده لمدة سبعةأيام بعد وفاته ثم أرسل إلى طبريا حيث دفن هناك، وقد ظلت هذه الحجرة وجهةلليهود وبعض المسلمين والمسيحيين لنيل البركات والتماس الشفاء.. حيث توجد حشايا ووسائد موضوعة فى كوات محفورة فى الحائط، لمن يرغب منهم فى أن يبيت ليلته فى هذا المكان، وتحكى لوحة تذكارية زيارة ملكية قام بها فؤاد الأول لهذا المحفل.

ويجدر بالذكر أن السيد «أصلان فيدون» وزوجته كانا قد نذرا على نفسيهما تجديد وصيانة هذا المعبد فى عام ١٩٣٥م ولسنوات طويلة.. فقاما بتجديد أبواب مظلةاليهود بأبسطة من الحرير والبروكار، وأعادا بناء الهيكل والمنصة بالرخام الأبيض، وقاما بتجديد ملحقات المعبد: حجرةالأمناء وحجرة الوضوء وقاعة إشعال القناديل.. والقاعة الرئيسية للمعبد بدون أعمدة، وقد انهار السقف عام ١٩٥٠، وأشرف الحاخام الأكبر «حاييم دويك» على أعمال الترميم التى بدأت فى مايو عام ١٩٦٧ وفى أعياد رأس السنة لعام ١٩٧٣ انهار سقف المعبد مرة أخرى.

كنيس حاييم كابوسى Rabbi Haim Capoussi

ومقره فى درب النصارى رقم ٣، وكابوسى «توفى عام ١٦٣١م وكان واحدا من أبرز علماء التوراة فى عصره، تتلمذ على الحاخام اسحق لوريا، ويدعى له يهود القاهرة معجزات وكرامات!، وكان الآلاف منهم يقصدون هذا المعبد وضريحه بمقابر البساتين لالتماس السكينة والشفاء خاصة فى ذكرى وفاته فى اليوم الثانى عشر من شهر فبراير وفى ليلةعيد الغفران– kippour فيتقدمون راكعين إلى ضريحه حيث يقيمون صلواتهم.. وقد تجدد هذا المعبد كلية فى بداية القرن العشرين بفضل إسهامات البارون جاكوب دى منشه رئيس الطائفةاليهودية بالإسكندرية وجاكوب منشه قطاوى رئيس الطائفة بالقاهرةثم المليونير ب. جرين، وفيما بعد أصبح هذا المعبد موضع عناية دائمة من «ابرامينو كارو– Abramino Caro وعائلته، وقد شيدوا بجوار ضريحه بالبساتين مصلى رحب يسمح للزوار بالاستراحة وتأدية الصلوات المألوفة فيه.

معبد بار يوحاى أو معبد موصيرى:

وموقعه فى شارع الصقالبة رقم ١٦ وقامت بتأسيسه عائلة موصيرى فى سنة ١٩٠٥م، فى نفس المكان الذى شهد ميلاد عميد العائلة «نسيم موصيرى» عام ١٨٤٨.. وفى هذا الموقع كان أول مقر لحاخامية القاهرة، وبه تأسست مدرسة «شمعون بار بوحاى.. Rabbi Chimon Bar Yohai بفضل هبات عائلة موصيرى، خاصة إبراهام ليفى موصيرى وتاجر المنسوجات موشى إبراهيم دويك، وأشرف عليها مجموعة من الشباب المتطرف، وكان الحاخامات والمعلمون يلقون بها دروسا مجانية فى الشرائع التلمودية وتعلم اللغةالعبرية وقواعدها، قديمها وحديثها.

معبد راب إسماعيل:

ويعرف بمعبد الأسبان وكان موقعه فى نفس شارع الصقالبة رقم ١٣، وكان جانب من الصلوات بهذا المعبد يؤدى باللغةالأسبانية، وعندما شرع فى ترميمه فى الأربعينيات اكتشفت به مجموعة من المخطوطات والكتب النادرة محفوظة الآن بمكتبة التراث اليهودى بمحفل الإسماعيلية. وكان هذا المعبد دار صلاة لراب إسماعيل الحاخام الأكبر لمصر فى القرن السدس عشر.. وكان معبد «راب يكوف– Rab Yaacov ملحقا بمعبد الأسبان هذا.

معبد مئير باعل هانس:

وكان مقره فى رقم ٢٠ من شارع الصقالبة أيضا، ومئير باعل هذا كان رفيقا للحاخام صمويل بن سيد «Sidillio» الذى فر من أسبانيا إبان الاضطهاد المسيحى الأوربى، ثم

استقر فى القاهرة، وهذا المعبد أيضا كان مقصدا لطائفة اليهود الأسبان.

معبد راب زمرا «رادبان»:

وكان موقعه فى حوش الصوف رقم ٦ وينسب إلى الحاخام دافيد بن أبى زمرا، وهو أكبر حاخامات القرن الخامس عشر، وكان قد فر أيضا من الاضطهاد المسيحى الأوربى حتى استقر به المقام فى القاهرةالتى ظل حاخاما أكبر لها طيلة ٤٠ عاما.

معبد التركية:

وكان موقعه بشارع درب الكتاب رقم ١٣،شيدته أرملة من أصل اسبانى وكانت تلقب ب«الست التركية».. تكريما لذكرى زوجها، ويعد من المعابد ذات المستوى الثانى طبقا للمصادر اليهودية! وكانت عمارته على طراز العصور الوسطى، وصنع الهيكل والمنصة من خشب الارز للاعتقاد السائدة بأن هذا النوع من الخشب قد استخدم فى بناء المعبد المقدس!

وكان هذا المعبد يستخدم ككتاب لتعليم الأطفال اليهود اللغة العبرية وقراءة قصص الأنبياء، ومنه اشتهر الشارع بهذا الاسم «درب الكتاب».. وكانت أرضية المعبد وأعمدته من الرخام، واستخدم أيضا فى الاجتماعات والاحتفالات العامة مثل معبد المصريين.(الاستاذ).

معبد تلمود توراة:

وكان هذا المعبد مشيدا بالقرب من معبد «التركية» وبالتحديد فى عطفةالفضة، ثم انهار سقفه وتداعى بنيانه، فهدم وبنى مكانه مركزا اجتماعيا خاصا بالجمعية الخيرية للمسنين من أبناء الطائفة.

كنيس راب سمحام:

وهو خاص باليهود القرائين، فى عطفة القرائين وقد أعيد بناؤه فى منتصف القرن الماضى، ويستخدم الآن مصنعا لأحد التجار القرائين.

معبد البرتغاليون:

وكان مقره فى رقم ٥ بعطفة الفضة، وأسسه اليهود البرتغاليون الذين نجوا من مذابح محاكم التفتيش، ليكون شاهدا هو أيضا على التسامح والحرية التى تمتع بها عامة اليهود فى بلاد الإسلام، وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدد من المدراشيم– Midraschims أو المدارس الدينية كانت ملحقة ببعض المعابد وأحواش العائلات اليهودية مثل موصيرى، قطاوى، جرين، رومانو..

وقد لاحظنا الكثرةالعددية للمعابد التى كانت موجودة فى نطاق الحى اليهودى من القاهرةالفاطمية.. مما يجعلنا نذهب إلى تقدير الكثافة السكانية اليهودية ما بين ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ نسمة ومع بدايات القرن التاسع عشر كان لمعظم العائلات الكبيرة مساكن فى هذا الحى، قبل أن تنتقل بثرائها وتقاليدها للسكنى فى الأحياء الراقية من القاهرة الحديثة فى نهاية القرن الماضى، تاركة خلفها هذا الحى العتيق المكتظ بسكانه من الطبقةالفقيرة ليستقر البعض فى حى العباسية الجديدة، بشمال شرق القاهرة، والأكثر ثراء استقر فى حى الاسماعيلية ثم فى الضواحى الجديدة كمصر الجديدة والمعادى وجاردن سيتى والزمالك..

واليهود من سكان هذه الأحياء الراقية، واجهتهم مشكلة الحصول على الخبز المعد وفقًا للشريعة اليهودية، وبإنشاء معابد فاخرة فى هذه الأحياء، برزت مشكلة التصرف فى المعابدا لقديمة فى حارة اليهود وقلة عدد المصلين فيها، وقد فكر أقطاب العائلات الكبيرة فى إغلاقها أو تجميع الصلوات فيها فى أيام الخير والشر فقط!

معابد حى العباسية:

يوجد فى هذا الحى خمسة معابد ففى عام ١٩٠٠ أسس عميد عائلة «حنان» إبراهيم يوسف حنان، معبد «حنان= اتزحايم» أو معبد «عص حاييم» بشارع قنطرة غمرةرقم ٣، وقد حافظ عليه أولاده حتى توفى أكبرهم، ثم تعاقب عليه عدة جباييم– Gabbayim منهم شالوم ليفى وآخرهم يوسف طبول الذى بنى فيه «يشيفا رابى يهودا مسلوطن –Yeshiva Rabbi Yehouda Maslaton آخر نائب للحاخام الأكبر ناحوم ورئيس المحكمة الربانية وبيت الدين، وأحد علماء التوراة البارزين وله عدة مؤلفات فى القوانين والشرائع وبعض الشروح.

واستخدم هذا المعبد كدار دراسية للحاخام الأكبر رافائيل هارون بن سيمون ولأخيه الحاخام الأكبر بن سيمون، ومازال البناء فى حالة جيدة، وهندسته المعمارية على طراز إيطالى غير مألوف. وقد شيد المعبد وملحقاته على مساحة مستطيلة نحو ٧٠×٥٠ مترا، محاطة بسور من الطوب والأحجار ، ويفصل بين المعبد والمدرسة حديقة رائعة، وله مدخلان بالواجهة المطلة على شارع قنطرة غمرة، المدخل الرئيسى فى منتصف جدار الواجهة، عبارة عن بوابة حديدية، خلفها ساتر من الخشب لحجب الرؤية داخل العبد، تزينها زخارف نباتية على شكل نخلة ونجمة داود، وهذا المدخل لا يستخدم حاليا.

أما المدخل الثانى، فيقع فى الركن الجنوبى الغربى لواجهة المعبد، عبارة عن بوابة

خشبية تؤدى إلى ممر مكشوف به سكن الحارس، وسلم حجرى يؤدى إلى الطابق الثانى، حيث شرفة النساء، ويضم المعبد فى الجهة الجنوبى غرفة خاصة بعملية الطهارة. والمعبد من الداخل على شكل مستطيل ٤٠×١٠م يتوسطه صفان من الأعمدة الرخامية، تقسمه إلى ثلاثة أروقة، أوسطها أعلاها، ويعلو السقف قبة ذات نوافذ زجاجية ملونة للإضاءة والتهوية، وتوجد بالجدارين الشمالى والجنوبى خمس نوافذ، ويتوسط البهو الرئيسى منصة من الرخام ذات سياج، ترتفع عن أرضية البهو بثلاث درجات، والهيكل بالحائط الشرقى، مصنوع من الرخام، يصعد إليه بدرجات سلم، تزينه زخارف أرابسك وكتابات عبرية، وبداخل الـ«ارون هاقوديش» مجموعة أسفار من التوراة وتستخدم فى الصلاة، ويغطى الهيكل ستائر مكتوب عليها أسماء المتبرعين ودعوات بالعبرية، وزخارف السقف والحوائط الداخلية تمثل عناصر فنية يهودية مع عناصر الزخرفة العربية المعروفة. والمعبد يستخدم حاليا للصلاة إلى جانب المعبد الرئيسى «شعار هاشمايم»

معبد طائفة اليهود القرائين:

ويسمى أيضا معبد «موسى الدرعى» بشارع سبيل الخازندار، ويتميز هذا المعبد بقبته الضخمة ويشبه إلى حد بعيد معبد الاسماعيلية.. وكانت به أروع وأثمن مجموعة مخطوطات يهودية فى العالم، من بينها «دستور الأنبياء» الذى أنجزه موشى ابن أشير– Moshe Ben Asher فى طبريا عام ٨٩٥م. ويفاخر به اليهود باعتباره أقدم دستور توراتى يملكونه وإلى اليمين من هذا المعبد توجد المحكمة الدينية الخاصة بالطائفة القرائية.. وقد بدأت فكرة بناء هذا المعبد سنة ١٩٠٠م، حين تبرعت أرملة قرائية بقطعة أرض كبيرة ومبلغ من المال لهذا الغرض، بالإضافة لبناء مدرسة لأبناء الطائفة، وتبرع عدد من أثرياء الطائفة من أجل انجاز هذا المشروع، الذى ستلتف حوله نحو مائة وخمسين أسرة قرائية داخل القاهرة غير أن بدء التنفيذ تأجل ربع قرن!.. عام ١٩٢٦م وافتتح عام ١٩٣٣م.

عناصر زخرفية إسلامية تتخللها نجمة داود، تعلو واجهة المعبد، مع عناصر جصية تمثل «الوصايا العشر» والمبنى مربع الشكل، يتكون من طابقين، محاط بسور من الحديد، تمتد حديقة جميلة أمام الواجهة، والمدخل الرئيسى يرتفع عن الأرض بحوالى ثلاثة أمتار من الدرجات الرخامية، مما يضفى ثراءا معماريا،على يمين المدخل باب جانبى يؤدى إلى منعطف به دواليب لحفظ الأحذية والأدوات المستخدمة فى الصلاة، وإلى اليسار باب آخر يؤدى إلى سلم من الرخام يصعد إلى الطابق الثانى حيث شرفة النساء. وتعلو صالة المعبد

قبة كبيرة محمولة على أربع دعائم من الرخام، وبالقبة نوافذ من الزجاج الملون، والصالة مقسمة إلى ثلاثة أقسام، يتصدر القسم الأوسط: الهيكل الرخامى فى الجهة الشرقية بالصدف ونقوش إسلامية و«شجر الحياة» وتعلو الهيكل طاقةمستديرة من الزجاج الملون بداخلها نجمة داود.

أمام الهيكل مباشرة،توجد منصة الوعظ، التى يلتف حولها المصلون وهم جالسون على سجاجيد فاخرة وليس على مقاعد، وثريا كبيرة تتدلى من القبة، وقناديل تتدلى من السقف وأعلى الهيكل تزينها نقوش وكتابات عبرية وإلى يمين الهيكل، غرفة تحوى خزانة حديدية محتفظ فيها بأهم المخطوطات العبرية: وعلى رأسها مخطوط ابن أشير ذو الأهمية التاريخية والدينية واللغوية وبالطابق الثانى مجموعات من الكتب العبرية والعربية النادرة، وقد تم تجميع الآلاف من الكتب والمخطوطات لتضمها مكتبة طائفة اليهود القرائين، الملاصقة لمبنى المعبد، والتى افتتحت فى نوفمبر عام ١٩٩٢م.

كنيس باحاد اسحق كرايم– kraiem

ومقره فى شارع بن خلدون رقم ٩ بالسكاكينى، شيده زكى كرايم، بنكير من دمشق وباسهام من بعض اصدقائه السوريين، وذلك فى سنة ١٩٣٣م.

معبد نيفيه شالوم:

واشتهر باسم «الكنيسةالكبيرة» شيد عام ١٨٩٠م بشارع المدارس رقم ٩ بالسكاكينى ويتميز بمساحته الكبيرةالتى تفوق مساحة معبد الإسماعيلية ، وتحيط به حديقة غناء، وظل لبعض سنوات معبد القاهرة الكبير.. ويتميز بطرازه الفينيسى، الأعمدة والمنصة من الرخام الأبيض، والهيكل من خشب الصنوبر، وأشهر الحزانيم– Hazanim الذين احتفلوا فيه بالقداس: سهالون، وزكى مراد، والأخوة اكنين.

وقد استقبل هذا المعبد فى عام ١٩١٩م والسير «هربرت صمويل Herbert samuel أول مندوب سامى بريطانى وهو فى طريقه إلى فلسطين، وكان فى استقباله على رأس موكب كبير موسى قطاوى رئيس الطائفةالحاخام الأكبر رافائيل هارون بن سيمون، واسماعيل صدقى وزير الداخلية آنذاك مندوبا عن الحكومة المصرية.. ومازال المبنى فى حالة جيدة ، وكان جزء من حديقة هذا المعبد قد اقتطع لصالح جمعية «الإخوان المسلمين».

كنيس نسيم اشكازى:

بنى فى عام ١٨٩٤م، بشارع الكوة رقم ٤ بالظاهر، وهو مشيد بجوارعمارة اشكنازى بميدان الظاهر: وكان آخر جيعاى– «Gabbai» له هو موريس زكاى حفيد نسيم اشكنازى..

كنيس الطائفة الإسرائيلية الإشكنازية:

ومقره بشارع المنيسى بحى الظاهر افتتح فى ١٩ من مايو عام ١٩١٣م، وتم تجديده فى يونيو عام ١٩٤٠م، كما أجريت ترميمات شاملة عام ١٩٤٨، بإسهام من الحكومة المصرية والطائفة الإسرائيلية «السفارديم».. وعلى واجهة المعبد تطالعنا لافتة باللغة العربية مكتوب عليها «الطائفة الإسرائيلية الإشكنازية فى القاهرة» تعلوها لوحة تذكارية بالعبرية «اليديش» لراعى الآداب والعلوم المكتوبة بهذه اللغة «ليسكوفيتش liscovitch»

وسط القاهرة:

فى قلب المدينة بشارع عدلى رقم ١٧ يطالعنا معبد القاهرة الكبير، محفل الإسماعيلية أو «شعار هاشاميم- Shaar Hashamayim» شيدته عائلة موصيرى عام ١٩٠٣م، ويعد بتصميمه ونقوشه من أجمل المعابد اليهودية فى القاهرة، وقد تم تجديده بشكل شامل عام ١٩٨١م باسهامات جليلة من المليونير الصهيونى «نسيم جاعون» واتحاد السفارديم العالمى-... la Federation Sepharade Mondiale

وهذا المعبد مدون فى برنامج كل زيارة سياحية يهودية للقاهرة، حيث يحرص السياح اليهود على تأدية شعائرهم به وحضور الصلوات التى تقام فيه، وتضم مكتبة المعبد مجموعات رائعة من المخطوطات والكتب النادرة التى عثر عليها فى بعض المعابد، واستقطبت اهتمام الباحثين والمسئولين الإسرائيليين، وتم تطويرها وتزويدها بما تبقى من نوادر المخطوطات بالمعابد الأخرى والمكتبة الإسرائيلية، وسميت «مكتبة التراث اليهودى» وقام بافتتاحها رسميا «شيمون بيريز» فى فبراير عام ١٩٩٠م وكانت هيئة الآثار المصرية قد وافقت على قرار إنشاء مكتبة للتراث اليهودى فى مايو عام ١٩٨٢م، وأشرف على هذا المشروع د. شيمون شامير أول مدير للمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة والسفير الإسرائيلى الأسبق، بالتعاون مع «يوسف دانا» رئيس الطائفة اليهودية بمصر من عام ١٩٨٢م وحتى وفاته فى عام ١٩٨٨م، كما أسهم فى الإشراف على هذا المشروع د. أشير أوفاديا المدير السابق للمركز ود. موشى برلين مدير عام مؤسسة روتشيلد فى تل أبيب، والجمعية الأمريكية للأبحاث والنشر، ود. جوشرا شيرمان بجامعة نيويورك، ود. روبين هشت بجامعة حيفا، والسيدة فيليز كوك عضوة الاتحاد الفيدرالى اليهودى فى سان فرانسيسكو واسحق نافون رئيس الكيان الإسرائيلى ووزير التعليم السابق.. وقد امكن بالفعل تجميع نحو ٢٥ ألف كتاب ومخطوط من معابد القاهرة، حيث كانت محفوظة فى حالة سيئة وقد تم ترتيبها وتصنيفها فى مجموعات طبقا لموضوعاتها فى الديانة اليهودية

والأدب العبرى والوثائق الاجتماعية للطائفة اليهودى فى مصر فى خلال عشرة قرون مضت.

مصر الجديدة والمعادى:

فى شارع المسلة رقم ٣ نجد معبد «فيتالى مادجار– Vitali Madjar ويذهب لأداء الصلوات فيه يهود مصر الجديدة ونزلاء ملجأ اليهود المسنين المجاور له.

وفى ضاحية المعادى.. فى ٥٥ شارع ١٣ نجد معبد «مئير انائيم مضىء العيون.. Meir Enaim وكان المحامى اليهودى يوسف سلامة مقيما به حتى وفاته فى سبتمبر عام ١٩٨١م. وجنوب شارع ٨٣ تكون حى أرستقراطى يهودى، وحتى عام ١٩٤٨م، كان يضم نحو ٥٥٠ أسرة يهودية، حيث انتشرت فيلات العائلات الثرية الشهيرة: موصيرى، شيكوريل، هرارى، مزراحى، الثمان ، وولف، و، روتشيلد أغنى أغنياء العالم حاليا!

معبد بن عزرا بمصر القديمة:

يقع هذا الكنيس فى الفسطاط، نحو ثلاثة أميال من جنوب القاهرة، وقد كان حتى القرن الخامس عشر، اثنان من الكنيس الربانى فى قصر الشمع الأول تابع لليهود من أصل عراقى، ومن ثم فقد عرف باسم كنيس العراقيين والثانى تابع لليهود من أصل فلسطينى، وسمى «كنيس الشاميين» ويعتبر كنيس بن عزرا سليل كنيس الشاميين، أما كنيس العراقيين فلا أثر له اليوم.. وتشير معظم الكتب والأبحاث القديمة إلى أن هذا الكنيس كان بالفعل فيما سبق كنيسة قبطية، ويستند هذا الرأى إلى الأخبار التى رويت عن كنيسة «الملاك ميخائيل» التى باعها البطريرك لليهود عام ٨٨٢م، وذلك فى سبيل جمع مبلغ من المال أو كيلة ذهب، فرضها أحمد بن طولون على المسيحيين.

وقد حاول البروفيسور جويتاين إثبات أن الكنيسة القبطية التى بيعت فى القرن التاسع الميلادى قد اشتراها المهاجرون الجدد من اليهود العراقيين الذين لم يملكوا كنيسا خاصا بهم آنذاك، وأن كنيس بن عزرا أو كنيس «الجنيزة» يعود إلى ماقبل العصر الإسلامى إذ بنى هذا الكنيس فى خلال الفترة المسيحية فى مصر، فقد كان طبيعيا أن يتأثر بملامح أو طرز الكنائس المسيحية المحلية..

فى خلال القرن الحادى عشر تهدم المعبد وأعيد بناؤه مرة أخرى، ثم شملته عمليات الترميم مرات عديدة، حتى تدهور وتداعى بنيانه فى عام ١٨٩٠م فلم يكن بد من هدمه وبنائه من جديد، فأنشئ هذا المعبد الجديد على غرار المعبد البائد.

وتبرز الأهمية العلمية والتاريخية لمعبد بن عزرا من خلال غرفة الجنيزة الواقعة فى

نهاية بهو النساء التى استوعبت كنزا هائلا من وثائق الجنيزة منذ العصور الوسطى حتى القرن التاسع عشر حين تم اكتشافه.

وكان لهذا المعبد تاريخيا أسماء عديدة فقد دعى كنيس الياهو، كنيس عزرا، كنيس بن عزرا، معبد موسى، وكنيس الجنيزة..

وتمثل هذه الأسماء وغيرها أخبارا يهودية متباينة حول بعض الشخصيات التى كان يعتقد أن لها صلة بذلك المكان فقد زعمت بعض الروايات اليهوديةعلى سبيل المثال أن النبى الياهو إيليا قد تجلى ذات مرة للمتعبدين هناك وأن المعبد يحتوى على ما يدعى أنه رفات النبى إرميا! وأن مخطوطة قديمة من التوراة خاصة بالطائفة قام بنقلها عزرا الناسخ.. ويبدو أن اسم ابن عزرا يعود إلى العائلة اليهودية الأندلسية التى ذاعت شهرتها فى القرن الثانى عشر، بفضل الشاعر «إبراهام ابن عزرا».

وليهود مصر نظرة خاصة إلى موقع هذا الكنيس ، إذ يعتبروه مكانا مقدسا، حيث يزعمون أن النبى موسى صلى متضرعا إلى الله فى هذا المكان، ليرفع وباء الطاعون الذى اصاب المصريين كما يزعمون أن غرفتين صغيرتين من بناء الكنيس، قد أقيمتا فوق الاماكن التى كان يصلى بها النبيان «ايليا وعزرا»..

ويحوى معبد بن عزرا، آثارا فنية منها أبواب خشبيةعتيقة، ولوحات ذات إطارات.. كبيرة من الخشب، تضم رسائل فاخرة منقوشة بالعبرية، مهداة إلى مؤسسى المعبد ومن أسهموا فى إعادة بناؤه أو تجديده، وإحدى هذه اللوحات يقتنيها متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، والذى يضم أيضا بين مقتنياته نقشا كبيرا على الخشب مهدى إلى يهوشو بن إبراهيم الأمشاطى، وكان من قبل محفوظا بالمعبد.

ويتكون البناء الرئيسى للمعبد من صفين من الأعمدةالرخامية ذات التيجان المتنوعة الزخارف، يقسمان البهو إلى ثلاثة أقسام أكبرها الجزء الأوسط العمودى على الهيكل والذى يعلوه شخشيخة للإضاءة والتهوية، كما يحتوى البهو على منصة الصلاة والوعظ وحولها مقاعد المصلين، والهيكل فى الحائط الشرقى المتجه إلى بيت المقدس وهو يحوى تابوت العهد وبه لفائف التوراة.

ويحتوى الطابق الثانى شرفة النساء التى تعلو بهو المعبد من جميع الجهات عدا الجهة الشرقيةالتى تعدو الهيكل، والزخارف التى تزين جدران المعبد تمثل وحدات من الفن اليهودى عبارة عن مشاهد مستوحاة من التوراة وبعض الشخصيات الدينية والنجمة السداسية وكتابات عبرية تحمل أدعية للمتبرعين وعناصر زخرفية إسلامية كالأرابيسك

والعرائس والأطباق النجمية. وقد أعيد ترميم هذا المعبد الأثرى المهم من خلال مشروع ضخم بدأ فى سبتمبر ١٩٨٩م وانتهى فى سبتمبر ١٩٩١م تحت إشراف مشترك بين هيئة الآثار المصرية والمركز الكندى للعمارة.

ومما لاشك فيه أن لجنة إدارة شئون المعابد بمجلس الطائفة اليهودية، قد بذلت جهودا ضخمة فى مساعدة وإيواء اليهود اللاجئين من أوروبا وفلسطين وسوريا، كما كان لها دور فعال فى تعليم اليهود بإنشاء المعاهد الدينية وتمويلها، وإنشاء صناديق لمساعدة الفقراء والعاطلين وتسليف المهاجرين ، وعيادات طبية لعلاج أبناء الطائفة مجانا، ودعت إلى إقامة المزيد من المعابد، وترميم وتوسيع المعابد القديمة، وطالبت بتحويل المعبد «دعامة الوجود القومى لليهود» إلى معبد للتربية ونشر الثقافة الدينية.. فكان لهذه المحافل والمعابد دور بارز فى الترويج للفكر الصهيونى فى مصر من خلال الدين، وفى الدعوة لإقامة وطن قومى لليهود فى أرض الميعاد..!

الفصل الخامس
التقاليد الاجتماعية والحياة اليومية

العائلة- فى منظور علماء الاجتماع المعاصرين هى الخلية الأساسية فى المجتمعات البشرية، وسمات العائلة اليهودية، فى مصر الحديثة، لا تكاد تختلف كثيرا عن سمات هذه العائلة فى أى زمان أو مكان.

وفى إطار المجتمع اليهودى التقليدى، كانت العائلة الموسعة تشكل الوحدة التنظيمية الأساسية فى الهيكل الاجتماعى اليهودى، وقد كانت روابط الدم أقوى من روابط الزواج- كما يذكر جويتاين وما توقير الوالدين والإخلاص بين الأخوة، حتى يعد زواجهم، والاقتران بذوى القربى، خاصة من أبناء العمومة، إلا بعض التعبير عن تماسك العائلة الموسعة.

ويلاحظ حرص أبناء العائلة الواحدة على العيش متجاورين أو متقاربين، وغالبا ما تكون أماكن المعيشة والإقامة، أماكن للعائلة الكبيرة أو الموسعة مما أدى- عند انتقالها بالوراثة -إلى الحفاظ على مشاعر الوحدة لدى أبناء العائلة الواحدة، ولم تقم وحدةالعائلة الكبيرة على حساب وحدة الأسرة الصغيرة، إذ كانت هذه النواة الأسرية، تتعايش فى وئام مع العائلة الكبيرة.

والفتاة تتزوج عادة فى سن مبكرة، وذلك وفقا للتقاليد اليهودية وتقاليد شعوب البحر المتوسط عامة، والعريس فى الغالب أكبر من العروس سنا، إلا أن الفارق لم يكن كبيرا جدا ، وقد شجعت التقاليد اليهودية والشريعة ذوى العروس على تقديم دوطة مهر ذات

شأن فى شكل مال وأشياء ضرورية مما أسهم فى زواج رجال فى مقتبل العمر، حيث تكون قدرتهم على إعالة أنفسهم وجمع الثروة مازالت محدودة.

وقد تأسست فى الإسكندرية عام ١٨٦٣م جمعية «مهور العذارى» التى كانت تقدم لكل عذراء فقيرة مبلغ خمسمائة فرنك، كما خصصت الطائفة بالقاهرة صندوقا مماثلا، غير أنها كانت تزوجت الفقيرات مرتين فى السنة، ويتم اختيارهن بالقرعة!

والتقاليد اليهودية فيما يتعلق بنظام الأسرة ترى أن الزواج واجب دينى لكل قادر عليه، وأن من يحجم عن الزواج مع القدرة عليه، لا يقل جرمة عن جرم القاتل لأن كليهما «يطفىء نور الله، وينتقص ظله فى الأرض، ويبعد رحمته عن إسرائيل».

والاحتفال بالزواج يبدأ عادة باعلان الخطبة، ثم يتقدم الرجل الراغب فى الزواج بطلب رسمى إلى الحاخام، موضحا به لقبه واسمه وعمله وتاريخ ميلاده وقيمة المهر المتفق عليه، وقيمةا لمؤخر الذى يرغب فى تسجيله، ثم يحدد له سكرتير الحاخام موعدا لا يتجاوز خمسة عشر يوما لتوقيع وثيقة الزواج، قبيل الاحتفال بالزواج الدينى.

ومؤخر الصداق يكون فى الغالب ضعف قيمة المهر، ضمانا لحقوق الزوجة فى حال وقوع الطلاق إذا ما كان الزوج مصابا بعلة توجب التفريق الشرعى أو وفاة الزوج، فحسبما تقضى الشريعة اليهودية لا يقسم الميراث إلا بعد خصم مؤخر الصداق المستحق للأرملة.

وقد تضمنت عقود الزواج عدة شروط وإلتزامات من بينها:

– يتعين على العروس أن تتطهر من الحيض، بالجلوس فى طست به أربعون مكيالا من الماء، وفقا لما ورد فى التلمود!

– التزام الزوج بعدم الاقتران بأخرى إلا بموافقة زوجته الأولى «والتأثير اليهودى واضح فى قانون الأحوال الشخصية الحديث فى مصر»!

– التزام الزوج بالإنفاق على زوجته ولا يحق له التمتع بمالها.

وكان من العادات القديمة، أن عقدا لزواج يتم فى حضور عشرة أفراد، من بينهم الحاخام، ومندوب المحكمة الشرعية وكاتبها، كما كان من العادات أيضا، خروج العروس فى الليلة السابقة للزواج فى صحبة النساء من عائلتها، متوجهات إلى بيت العريس، وتقف العروس مع عريسها تحت المظلة بملابسهما البيضاء، يحيط بهما المدعوون، وكلاهما واقف فى مواجهة الآخر، بينما يرتل الجميع الصلوات الداعية إلى نجاح هذه الزيجة!

الليلة التى تسبق الاحتفال بالزواج الدينى يتوجب على العروس الذهاب إلى الميكفا

حمام دينى la Mikva- Bain Religieus فى صحبة أمها وحماتها وجدتها وعماتها، تحمل سلة من الصفصاف، وضع بها صابون معطر فاخر، ومناشف «فوط» وزجاجة ماء كولونيا أو ماء ورد، وليفة جديدة، وقبقاب حمام مبرقش مطعم بالصدف أو بكرات زجاجية ملونة، وطشت صغير من النحاس أو الفضة، ثم يعهد بالعروس إلى البلانة التى تنزل بها إلى مسبح شعائرى– Piscine Rituelle وبعد طقوس التبريك «البركة» يقدم شراب منعش، وقهوة أو شاى مع الجاتوه والحلوى، والملبس والبونبون، ثم تتوجه النسوة بالعروس عائدات إلى منزلها، حيث يستقبلهن الجيران بالزغاريد والتهانى.

ويعقد الحفل الدينى فى شقة أحد العروسين، كما يعد حفل استقبال تحت خيمة داخل فناء المعبد أو فى شرفته أو على الطوار الخارجى، وفى هذه المناسبة تقدم الموسيقى العربية فى ألحان عسكرية، غالبا ما يعزف لحن رقصة البولكا «Polka» أو موسيقى المازوركا.. Mazurka وتستدعى أيضا مغنية شرقية وأفراد تختها لاحياء هذه الليلة، ولا ينفض المدعوين إلا حوالى الساعة الثانية أو الثالثة صباحا.

الطقوس الدينية

لما كانت اسفار التوراة وتعاليم التلمود، هى أهم مصادر تاريخ اليهود وأساسا لنظامهم الاجتماعى، فإن تفسيرات الحاخامات لهذه الأسفار والتعاليم قد لعبت دورا مهما فى تشكيل المفاهيم. الدينية لدى الطوائف اليهودية. وألقت بظلالها على الطقوس الدينية الجامدة المتخلفة ليهود مصر.

وقد واجهت الصلوات والشعائر الدينية اليومية فى حياة يهود مصر مشكلتين أساسيتين الأولى صعوبة التحرر من التقاليد الغريبة المتوارثة والثانية هى الخلط بين ما هو مقدس وما هو رجس، وتضارب الأفكار.

وتتباين مظاهر التدين إحدى صور الحياة الاجتماعية وبشكل حاد بين طبقات الطائفة اليهودية فى المجتمع المصرى:

الطبقة الأوروبية التى تمثل قدامى الارستقراطيين اليهود– من أصحاب البنوك وملاك الاراضى، ويتقلبون فى بذخ قصور البورصة.

ثم الطبقة الرأسمالية الوطنية، التى ضمت رجال الأعمال والتجار والأطباء والمهندسين والمحامين وموظفى الحكومة والمشروعات الخاصة.

ثم طبقة فقراء اليهود المصريين بالمولد والجنسية والتى ضمت صغار الحرفيين والباعة الجائلين ومن اعتمدوا على الإعانات، الذين عاشوا فى أحياء قديمة فقيرة أو نصف ريفية

«Semi- Rural» نموذجا لحياة مهجورة مهملة!

ولقد اشتهر يهود مصر فى شعائرهم، ببعض التفاصيل الغريبة الساخرة Derisoiye كما وصفها المؤرخ الإسرائيلى «جاك حسون»، ميزت شخصيتهم بالمكابرة المبالغ فيها ! من ذلك إضافة صلاتين إلى صلوات يوم السبت، لم تستخدما قبل القرن العاشر الميلادى، ويبدأون احتفالهم ببعض أعيادهم قبل تلاوة نصوص «الشريعة» وفى صلاة.. kolnidre يشركون الغائبين فى كل موضع للعبادة، مرددين « وجبت علينا عهودهم، وجبت علينا أمانيهم، ونحمل عنهم اللعنات، وحق علينا حرماتهم..»

ثم ذلك التقليد «التلمودى» الذى فرض عليهم تناول القهوة على الريق قبيل صلوات الصباح!

ومن التقاليد الغريبة أيضا.. تلك التى كانت تصاحب الاحتفال بذكرى تدمير معبد القدس، فى التاسع من شهر آب، وهو يوم حداد وصوم قاس، يمتنع اليهود المحافظين عن حمل شارة الحزن فى صلاة الصباح! وكان الحاخام «بن سيمون–Ben Simon بعد وصوله من القدس، قد تحير فى أمر وصول رعيته متأخرين إلى غرفة الخدمة الدينية صباحا، فى المعبد الكبير حيث مجلس الحاخام بن سيمون، صامتين، حفاة الأقدام، مرتدين أسمالا بالية، ملطخين جباههم بالرماد أو بالتراب المجموع من المقابر، وجلسوا على الأرض– كعادتهم ينتحبون ويرتلون مرثية المنفى.. كان ذلك بالنسبة إلى الحاخام الجديد أمراغامضا وشق عليه تفسيره، وبالبحث والاستقصاء علم بن سيمون أن يهود القاهرة والدلتا، اعتادوا فى هذا اليوم أن يتلوا صلواتهم حيث هم سواء فى منازلهم أو خارجها، حاملين تمائمهم، وجميع الحاخامات الذين وفدوا من أسبانيا وإيطاليا لتولى مناصبهم فى مصر فى أوآئل العصر الوسيط، هددوا بفضل ونبذ كل من أخذ بهذا التلقليد لكن كثيرا من يهود مصر لم يأبهوا لهذا الخطر والتهديد، وشكلوا فيما بينهم حركة سرية تضامنية!

وقد فشل بن سيمون فى منع استمرار هذا التقليد، الذى ظل متبعا حتى يومنا هذا متخذا شكلا شبه مقدس!

ومن التقاليد والعادات الدينية التى تميز يهود مصر لكنها أقل استفزازا من غيرها وهى مأدبة السنة الجديدة Rosh Hashanah التى يسبقها سلسلة من التراتيل والتوسلات التى وضعها الكاباليم– المخلصون– المصريون، التى تتكرر وتتردد فى إيقاع أشبه بالهذيان، وبشكل يستدعى إلى الذهن صورة حلقات الذكر الشهيرة عند الصوفية! وهذه

العادة يعقبها وجبة رأس السنة، التى تبدأ بالتبريك- خبز البركة المشرب بالسكر، ثم تقدم الوجبة التى لابد أن تشمل رؤوس سمك! كرات، سلق، رمان، بلح، لوبيا ولحم ضأن، وغيرهامن «الماتسا» الطعام المباح أكله وفقاً للشريعة اليهودية!

فى اليوم التالى لهذه الوليمة، وعقب أداء صلاة الصباح التى يجأر فيها- الشوفار- بوعد الخلاص، تتلى مجموعة المزامير، وبعد الظهيرة يتجمع هؤلاء بالقرب من شاطئ البحر أو على ضفاف النيل، لممارسة طقس التخلص من الخطايا والآثام! وهم ينشدون وترمى فى الأعماق كل خطاياهم» ثم يقلبون جيوبهم ويضربون أجسادهم لئلا يعلق بها معصية أو خطيئة!

وإذا كانت بداية السنة الجديدة توافق يوم السبت فلابد لهذا الاحتفال أن يكون مخالفا لما هو متبع فى البلاد الأخرى.

أسبوع قبل بداية السنة، يضع الأطفال قطنا فى أطباق مجوفة، ينثرون عليها قمحا ينبت متوافقا مع أول يوم من العام الجديد..

وفى مساء يوم الجمعة، يتوجه رب الأسرة مع أولاده إلى المعبد لأداء الصلاة، حيث تتوالى الأناشيد والمزامير، ثم العودة إلى المنزل، حيث طاولة الطعام قد أعدة وغطيت بغطاء أبيض ناصع، وأدوات الطعام نظيفة براقة، ولا توضع سكاكين، فهذه المائدة «تمثل الهيكل الذى لا يجوز أن يشوهه سلاح»!

فى أحد الأركان، وضعت ربة البيت لمبة سهارى بينما تتلو البركات المعتادة، وعلى المائدة وضعت اثنى عشر رغيفا من الخبز، ثم يقوم رب الأسرة ومعه أولاده بالدوران اثنى عشر مرة حول المائدة لتحية ملائكة الرحمة يتولى الضيوف تلاوة نشيد الاناشيد ثم ينشد الجميع أسفار موسى الخمسة، وكل جملة تقرأ مرتين بالعبرية ثم مرة بالادامية، بعد ذلك يأتى الغسيل المقدس للأيدى ثم قراءة تراتيل أخرى.. وبينما تتوجه جميع الأيادى إلى أعلى، يردد رب الأسرة: فليبارك الذى يقدس الشباط فليبارك من يخرج الخبز من الأرض.. ثم يقطع الخبز ويغمس فى الملح ويوزع على الحاضرين ثم تبدأ الوليمة حسب الترتيب التالى: السمك المقلى، الشوربة، حمص الشام، الدجاج، الخضار، السلطات، الأرز، وقد تقدم أطباق المخ!

ثم يبدأ الجميع فى الإنشاد متوجهين بالشكر إلى الصخرة التى وزعت عليهم الطعام»!.. حتى يفتح باب الشقة أحد الجيران أو البواب لإطفاء جميع الأنوار، تاركا الجميع فى ظلام إلا من ضوء اللمبة السهارى الضئيل!

وأسبوع بعد بداية السنة، عشية عيد الغفران kippour يضع يهود مصر دجاجا فى حمامات أو شرفات منازلهم، حتى أولئك الذين يعيشون فى الأحياء الراقية، ديك لكل ذكر فى العائلة لو وافق هذا العبد يوم الأحد، تتحول أسواق السبت مساءا إلى مذابح حقيقية، المضحون يقفون إلى الموائد المعدة للذبح، ما بين صخب الزحام وأضواء المصابيح أو القناديل وصياح الطيور ونداءات الباعة الجائلين، وكل عائلة تتقدم بدجاجها والسيدة الحامل تقدم ديكا ودجاجة عن الجنين الذى تحمله فى أحشائها وتحتفظ كل أسرة بواحدة أو اثنتين من هذه الدواجن، وتقدم ما تبقى إلى الفقراء وأبناء السبيل، وتعد فطائر أو عجائن بلحم الدجاج«Tagarinas» مع الحساء لتكون الوجبة التى يعيشون عليها من خلال ستة وعشرين ساعة.

عادات أخرى تصاحب ذكرى يوم تدمير آخر معبد يهودى بالقدس فمنذ اليوم الأول من شهر آب، يمتنع اليهود عن أكل اللحوم فيما عدا يوم السبت الذى يسبق تاريخ هذه الذكرى ورغم ذلك يحرم فقط أكل الحمام»

فى مساء يوم الحداد هذا، تخفض الإضاءة بالمعابد، مصباح واحد لإضاءة المكان.. وما من أحد يجلس إلى المقاعد والأرائك.. ويسدل الستر أمام الهيكل.. ويجلس الرجال حفاة الأقدام إلى الأرض ويتذكرون فى أسى كم مضى من السنين منذ دمر المعبد!

ويهود مصر يقدرون تاريخ النفى lexil فى العام الثامن والستين من القرن الميلادى الأول، وليس فى العام السبعين، كما يعتقد الآخرون من يهود «الدياسبورا Diaspora

ثم يطفأ المصباح، وتسمع أصوات النشيج، التى تتحول إلى صراخ يملأ جنبات المعبد، وعند فراغها من هذا «الغم» يتبادرون إلى الذهاب دون تبادل السلام أو التحية!.. وفى المساء يجتمعون متحلقين جالسين إلى الأرض ويقرأون تاريخ أبناء حنا السبعة الذى فضلوا الموت على الارتداد عن دينهم وقصةحنا هى ملحمة شعرية كتبت باللهجة العامية المصرية.

ومن عاداتهم فى عيد الحانوكة– hanouka – ذكرى انتصار المكابيين– إضاءة قنديل الحانوكية بالمعبد صباحا ومساءا لمدة أسبوع كامل، ويوضع هذا القنديل على يسار المدخل وليس بالقرب من النافذة.. وهى عادة قديمة نجدها فى طقوس اليهود الفرنسيين فى القرن الثانى عشر. Mahzor Vitry وكان يهود مصر فى العصور الوسطى، يوقدون القناديل على أبواب دورهم فى هذا العيد وفقا لعد تصاعدى، ففى الليلة الأولى يوقدون قنديلا واحدا، وفى الليلة الثانية يوقدون اثنين وهكذا حتى تتم ثمانية قناديل فى اليوم الثامن.

ومن عادتهم أيضا فى تلك المناسبة، الاحتفاء بالشباب الذين يضعون التفلين tephilin للمرةالأولى وهى تمائم عبارة عن سيور جلدية تحتوى على آيات من التوراة توضع حول الأعناق والأذرع فى أثناء الصلاة. ويستقبل اليوم الأخير من هذا العيد، بأعداد كميات من الزلابية المغرقة بالعسل!

وفى ذروةالشتاء يحتفلون بيوم الخباط– توبشباط Tou Bishbat حيث الرياح عاصفة، تضرب النوافذ والأبواب، لكنها لا تفتر من عزمهم فى إعداد مأدبة تضم ستة وعشرين نوعا من الفواكه الطازجة والجافة، تضفى نوعا من البهجة على حياتهم فى هذا اليوم.

ليلة التوحيد

كانت هذه المناسبة أكثر جاذبية، وأكثر بذخا، والتى كان يحتفل بها فى كنيس الأستاذ «المصريين» ليلة أول نيسان أربعة عشر يوما قبيل عيد الفصح..

فى عصر ما قبل النفى pre-Exil كان هذا التاريخ هو بداية السنة اليهوديةالجديدة، وقد استمرت مظاهر هذا الاحتفال لدى يهود مصر فقط.

فى هذه الليلة، يجتمع حاخامات القاهرة ويتناوبون ترتيل «الهاليل» الكبير، والمزامير والابتهالات التقليدية.. تتلى الآية بالعبرية وتفسر بالعربية.. ثم فى منتصف الليل، ينهض أقدم المرتلين ليقرأ سفر التوحيد الذى يبدأ بـ«بسم الله الحليم الرؤوف» وتذكر المصادر اليهودية أن هذا النص مجهول العنوان وقد أعده الناجد إبراهيم نجل الفيلسوف «موسى ابن ميمون» وهذا النص تأثر كثيرا بالصوفيةالإسلامية وكتب بالعربية الفصحى، وندهش حينما نطالع أسماء الأنبياء مقرونة بالصيغة الإسلامية: إبراهيم الخليل.. موسى رسول الله.. هارون الإمام..

وبشكل عام، فإن استعراض تفاصيل التقاليد والعادات الخاصة باحتفالات اليهود فى الحارة المصرية «المستعربين» الذين يجمعهم «إخوة العيش– Hebrat Mazon فى ظل حياة مستقرة لكنها تعكس جمودا فكريا وظلاما يغلف العقول.. غير أن مظاهر هذه الاحتفالات لم يتبق منها اليوم سوى بعض المشاهد الغريبة الباهتة..

ونواصل تتبع حياة يهود مصر، بتفاصيلها الدقيقة، فيوم الخميس يعنى أن وجبة الغداء فول مدمس مطهو فى قدر من النحاس، ويؤكل منه أيضا فى صباح يوم الجمعة ووجبة غداء يوم السبت شتاء كانت الدفينة فريك أو حمص حيث يطهى على نار هادئة منذ صباح الجمعة بالإضافة إلى البيض والبطاطا واللحم أو كوارع الضأن.. وما يتبقى يصلح وجبة ليوم الأحد.

وينتهى العمل عادة يوم الجمعة فى الساعة الحادية عشرة، ووجبةالغداء هى الملوخية صيفا وقلقاس فى الشتاء.. إذ أن يومين دون لحم، كانا ضروريان لاستقبال يوم السبت.. ويوم الجمعة هو يوم الاستحمام بعد الظهيرة وهوالحمام الساخن الوحيد فى الأسبوع، حيث يوضع قدر كبير مملوء بالماء فوق موقد كيروسين ويتتابع أفراد الأسرة الواحد تلو الآخر، فيغترفون منه بإناء من النحاس، كمقدمة فى طقوس التطهر لاستقبال يوم السبت.

كل هذه الاستعدادات، تصل بنا إلى« ليل شيموريم» أو ليلة السهر، حيث تم إخراج أى خميرة من البيت وحفظت جميع الأوانى فى حجرة مغلقة، ويتم تناول وجبتين وقوفا فى أحد الممرات أو على ركن المائدة، ثم يجمع فتات الخبز ويلف فى ورقة ثم يحرق بعد أن يرتل عليه ثم يلقى فى جدول ماء!

وفى بعض الاحتفالات بالأعياد القومية، مثل شم النسيم، الذى تعود جذوره إلى العصر الفرعونى، كنت تشاهد جماعات الشباب والأطفال والفتيات من اليهود، بملابسهم الجديدة متعددة الألوان، فى الحدائق العامة والبلاجات وعلى ضفتى النيل.. فيقضون ساعات من البهجة والمرح كعادة طوائف الشعب المصرى فى مثل هذا اليوم و.. طعامهم الاسماك المملحة والبيض الملون والبصل ويجرعون كميات من شراب الجعة.. ويأتى هذا العيد غالبا فى اليوم التالى لآخر أيام عيد الفصح اليهودى.. أى بعد ثمانية أيام معاناة من القيود الغذائية المرهقة كالفطائر غير المخمرة المثيرة للغثيان على حد قولهم وفى ليلة عيد الفصح، تعد المائدة: صينية عليها ثلاث قطع من الخبز» الازيم «وأوراق الخس والكرفس وعشب الهاروشيث المر، وبيض مسلوق يذكر بحزن الرحيل، وإناء ماء مخلوط بالملح أو الخل، ثم عظمة من خروف مشوى ملتصق بها قطعة من اللحم، رمز للذراع الممدودة التى أشارت للعبرانيين إلى طريق الخروج من مصر!.. وأمام كل ضيف، وضعت «الهاجاداه» التى تقرأ ليلة عيد الفصح وتحكى قصة الخروج، ثم يتناول الجميع النبيذ ويأكلون من الكرفس المغموس فى الماء الملح، ثم يفتح رب العائلة باب الشقة وبيده قطعة خبز وينشد: هذا مثل خبز البؤساء الذى أكله أجدادنا فى مصر»!

وعند حلول الليل.. تعاد أوانى الفصح إلى أماكنها حتى العام التالى، وتعد وجبات من الخبز الساخن البلدى أو الشامى، وفطائر باللحم وبقول جافة وأسماك وجعة وجاتوه وحلوى بالمكسرات وأحيانا الكنافة والبقلاوة.. وفى مدخل الشقة، بأسفل الباب، تشاهد أوراق الخص مبعثرة على الارض.. أحد التقاليد المهمة فى نهاية أيام الفصح!

عيد البوريم

يحتفل يهود مصر بعيد البوريم «الفوز» فى ٢٨ من شهر آذار كل عام، وتدور الأصول التاريخية لهذا العيد حول قصة «استير» الواردة فى السفر المعروف باسمها، والتى أقنعت ملك الفرس «احشويروش»- بعد غرامه وفتنته بها- بقتل وزيره هامان الذى حنق على اليهود للمكانة التى وصلوا إليها، وأباح الملك لليهود قتل عشرات الآلاف من الفرس،، لمدة يومين من الثالث عشر إلى الخامس عشر من آذار، فاتخذ اليهود من هذه المناسبة عيدا يحفل بكل مظاهر اللهو، حتى أن المصادر العربية أطلقت عليه «عيد المسخرة»!

نحو منتصف القرن السادس عشر، ابتدع الحاخام صمويل ابن سيد سيديليو صوم اليوم الثامن عشرمن آذار، وعند الشفق من هذا اليوم كان يخرج إلى طرقات وأزقة حارة أو حى اليهود، حافى القدمين منتقب الوجه ومغطى الرأس- تعبيرا عن الحزن حاملا بين يديه سفرا من أسفار التوراة ورجال ينفخون فى الأبواق وأطفال يترنمون ببعض الصلوات.. ثم يبكى الجميع ويصرخون: لماذا يا إلهى أنت غائب؟!..لماذا أنت غافل؟!.

افتداء الابن البكر والدراما الدينية

يرجع هذا التقليد إلى تاريخ العبرانيين فى مصر القديمة، وتتم طقوسه الغريبة- القاسية عن فلسفة خاصة عن الحياة والموت ويتم هذا التقليد ليلة اليوم الحادى والثلاثين من حياةالمولد ، حيث يأتى واحد من أعضاء «جماعةالكهنوت La Caste Sacerdotale كوهين.. Cohen من عامة الفقراء، مقتحماالوليمة التى تجتمع حولهاعائلة المولود بغرض اختطافه وعمليةالاختطاف الظاهرى هذه تتم كما تؤكد المصادر اليهودية لصالح معبد أورشليم الذى دمر فى العام الثامن والتسعين من الميلاد وبينما يتحلق الأب والأم والأقارب.. بتقدم الكوهين سائلا أم المولود عما إذا كان الرضيع هو الثمرة الأولى لبطنها؟! فتجيبه مؤكدة له بأن هذاالرضيع هو ابنها البكر، وأنها لم يسبق لها الولادة أو حتى الإجهاض! إذا كانت الأم غائبة عن هذا الاحتفال فيجيب أن يتوجه إليها بهذاالاستفسار أحد الأفراد الراشدين الموثوق بهم، ثم يتقدم الكوهين إلى الأب سائلا اياه عم يفضل؟ إذا كان هذا هو ابنك البكر بالفعل فهل تفتديه منى بخمس قطع من الفضة «أو ٣١ درهما من الفضة الخالصة كحد أدنى أو ما يوازيها» أو تعطيه إلى الكوهين كما توجب عليك التوراة».. فيجب الأب قائلا «أنا واثق بأن هذا هو ابنى البكر، وأننى مستعد لإعطائك القطع الخمس الفضة – فدية له – كما أوصانا « بنى سواط- Beni soit فى توارتنا المقدسة»

لم يكن هناك قيد أو رابطة بين هذا المولود وذلك الكوهين الذين أدى دوره فى تلك

الدرامـا الدينيـة! وقد كان له قـديما حق الحياة عليه كان جـميع اليـهـود يمارسـون تلك الاحتفالات الطقسية.. غالبا باعتبارها عادات نمطية متوارثة لا تخضع للإشراف الدينى.. ويذكر بـأن الفدية النقدية كانت فى معظم الأحوال ترد فى خلال ساعة وفى بعض الحالات كانت تعتبر بالفعل ثمنا للفداء وتوضع فى صندوق أو خزينة.. وحصيلة هذه الأموال يقتسمها رجال الدين فيما بينهم!

القرابين البشرية فى أعياد اليهود!

لقد ثبت من العقائد الدينية لليهود ، أنهم «مصاصو دماء» حقيقة، فهم لا يتم لهم عيد الفصح أو عيد البوريم أو اليوبيل الفضى، إلا إذا حصلوا على دم بشرى وخلطوه بالفطائر التى تصنع لأجل هذه الأعياد وتمنح عادة للأتقياء من اليهود!

وهم يعتقدون أن هذا الدم البشرى، هو شعيرة مهمة لإتمام طقوسهم الدينية! وتطبيقا لتعاليم تلمودهم!

وكان يـهود الشتات، فى كل مدينة أو قرية يعيشون فيها، يذبحون طفلا أو امرأة أو رجلا قبل عيد الفصح، ثم يضعون دم الضحية فى عجين الفطائر، حتى لا يبقى يهودى إلا وقد ذاق من هذا الدم، واليهودى الذى لا يأكل أو يشرب من دماء الضحية يعد خاطئا! وطبقا لاعتقادهم فإنهم إذا لم يتمكنوا من ذبح الناس جميعا، فلابد من ذبح واحد منهم كل سنة، فى كل مدينة أو قرية!

ويروج الحاخامات بين اليهود أن دم غير يهودى، يفيد فى أعمال السحر والرقى والتعاويذ ويجلب الرزق ورضا الرب!! ويدخر هؤلاء الحاخامات لديهم دماء بشرية مجففة ممزوجة بالملح والدقيق، فإذا أتى عيدهم ولم يتمكنوا من الحصول على ضحية جديدة قام كل حاخام بتوزيع المدخر لديه مع الغلو فى ثمنه.

عيد البوريم والفصح

يقول التلمود «عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان الهنا «يهوه» إحداهما عيد الفطائر الممزوج بالدماء البشرية والأخرى مراسم ختان أطفالنا» وقد ورد فى دائرة المعارف اليهودية صفحة «٣٠٦» فى الجزء الثامن ما يلى «إذا كان هناك من أساس أقر من قبل الحكماء حاخامات اليهود فهو حقيقة القرابين البشرية المسيحية التى تقدم للإله «يهوه» ملك الأمة والتى بوشر فى تقديمها أواخر عهد الملكية اليهودية». وهناك نصوص كثيرة سترد معنا فى البحث، وتختلف الذبائح البشرية لعيد البوريم عن ذبائح عيد الفصح من حيث النوعية فى الذكورة والبلوغ، من حيث نوعية الضحية بذاتها، وسأتحدث أولا عن الطريقة

التى يذبح بها الحاخامات الإنسان كقربان ليهوه، ثم أتحدث عن نوعية الذبائح.

يؤتى بالضحية وتوضع فى برميل إبرئ وهو برميل يتسع لجسم الضحية مثبت بجوانبه وبشكل مكثف طولى وعرضى إبر حادة، وحين وضع الضحية بداخله وهى حية تنغرز هذه الإبر الحادة فى جسمه وبالتالى ينزف الدم فى هذا البرميل، وكلما تحركت الضحية بسبب الألم وبسبب طلوع الروح تتسع الجروح ويصفى الدم بشكل كامل بحيث تخرج الروح وآخر نقطة من دم الضحية معا، ويتلذذ المجرمون اليهود بهذا العمل ويبدو للقارئ مدى خضرمة هؤلاء بالإجرام ضد الإنسان.. إنه شىء فظيع!

الطريقة الثانية: إذا كان المكان غير آمن فإنهم ينفذون عملهم الإجرامى بسرعة، ودون أن يتلذذوا به فيذبحون الضحية من الرقبة، وفى أمكنة الشرايين ويوضع تحتها إناء واسع كى ينزف الدم بداخله ثم يجمع ويعبأ فى زجاجات، وتؤخذ زجاجات الدم فى كلا العيدين وتسلم للحاخام الأكبر فى المنطقة التى يوجد فيها اليهود فيقوم عظمته بمباركتهم ثم يعجن هذا الدم مع السميد ويعد الفطائر للعيد المقدس، ومن ثم يقوم بتوزيعها على أتقياء اليهود فيتناولونها بشراهة كشراهة حقدهم الدفين على المسيح وأتباعه ولكن التوراة حرمت الدم «لا تأكلوا دم أى جسد كان» فخرج خبث الحاخامات، بأن هذا النص يقصد به دم اليهود فقط؟

أما شروط الضحية فى عيد البوريم فهى:

١- أن تكون الضحية من المسيحيين.

٢- أن يكون ذكرا بالغا ليقدم للآلهة استير

٣- أن يكون خلوقا ومهذبا ومتدينا.

٤- أو يكون مرهف الإحساس خجولا لأن هذا يدل على جودة الدم الذى لديه.

٥- لم يزن أو يتنجس بعلاقة جنسية «أى لم يتزوج».

٦- أن تكون الضحية من أصدقاء اليهود العزيزين عليهم جدا حتى يكون الدم ملوثا بالعداوة تجاههم.

٧- تكون فرحة «يهوه» كبيرة وعظيمة إذا كان الدم الممزوج مع فطير الأعياد هو دم «قسيس» ليصلح لكل الأعياد!

ويمكن الأخذ بهذه الشروط حسب الإمكان ولكن الشرط الأساسى أن تكون الضحية مسيحية والشروط الأخرى تكميلية يمكن ليهوه أن يغض البصر عنها إذا لم يتمكن اليهود من تطبيقها لظروف قاهرة!!

ويقوم على تنفيذ عملية الذبح ومراعاة الشروط سبعة يهود يكون واحد منهم على الأقل

حاخاما وهؤلاء منفذون أما المحرضون والمتداخلون فيمكن أن يشمل الآلاف وبالتالى فليس هناك عملية ذبح يقوم بها يهودى واحد.

أما قرابين عيد الفصح فلها مواصفات وشروط معينة يجب أن تتوافر فى الضحية وهى:

١- أن يكون القربان مسيحيا.

٢- أن يكون طفلا ولم يتجاوز البلوغ.

٣- أن ينحدر من أب وأم مسيحيين صالحين لم يثبت أنهما ارتكبا الزنا أو أدمنا الخمر.

٤- ألا يكون الولد- القربان- قد تناول الخمر أى أن دمه صاف وبعيد عن المؤثرات الخارجية الملوثة.

٥- أن يكون صادقا لا يكذب وقد ربى تربية جيدة.

٦- أن يكون له ميول دينية للكنيسة ويذهب إليها بانتظام.

٧- تكون فرحة «يهوه» عظيمة وكبيرة إذا كان الدم الممزوج بفطير العيد هو دم قسيس وهذا يصلح لكل الأعياد، ويورد كتاب شهير لديهم اسمه «زنيكيوم زوهار» ما يلى:

إن من حكمة الدين التوصية بقتل الأجانب لا فرق بينهم وبين الحيوانات وهذا القتل يتم بطريقة شرعية، الأجانب هم الذين لا يؤمنون بالدين اليهودى وشريعته فيجب تقديمهم قرابين إلى أبناء الأعظم «يهوه»»، كما أن هناك نصوصا اجرامية كثيرةوردت فى التلمود وكتب اليهود لا يتسع البحث لإدراجها، أما جرائم القرابين البشرية فى ملفات التحقيق فهى كثيرة فى بلدان العالم وخصوصا أوروبا وأمريكا والشرق العربى، وهى نحو أربعمائة جريمة تم اكتشافها أما الذى لم يكتشف أو طمست معالم التحقيق فيه أو ضللت العدالة فيه، وذلك لإبعاد فكرة فطيرة العيد الممزوج بالدم عن معرفةالناس، فهى تفوق العدد المذكور بكثير لكون الحاجة إلى الدم المسيحى فى كل عام، كل كنيس يجب أن يتوافر له هذا الدم»!

اليوبيل الفضى

هو عيد يحتفل به الذين يدينون باليهودية فى مختلفة بلدان العالم كل تسعة وأربعين عاما، ويكون العام الخمسين هوالعيد، واحتفالات هذا اليوبيل بإعادة الأرض إلى أهلها الذين يدينون باليهودية محررة من الدين أو الرهن أو أى التزام آخر، قد وقعها فى خلال هذه السنوات التسع والأربعين «وقدسوا سنة الخمسين فنادورا بإعتاق فى الأرض لجميع

أهلها فتكون لكم يوبيلا».

ويعاد فى هذا اليوبيل كل واحد إلى أهله وعشيرته، فإذاكانت هناك خلافات بين أتباع تلك الديانة، وسجن أحدهم بسبب هذه الخلافات أو بسبب الديون أو أى امر آخر فإنه يطلق سراحة هذا العام، وإذا كان أحد اليهود قد جرد من ملكه أعيد إليه ذلك الملك فى هذا العام، ويزرع اليهود الأرض ولا يحصدون شيئا ولا يقطفون الثمار فى هذا العام، ويتم البيع أو الشراء بعدد سنين اليوبيل هذه أى أنهم يحسبون كم بقى للسنة اليوبيلية وبناء عليه يتم البيع أو الشراء لأنه فى سنة اليوبيل تعود لكل واحد أرضه وملكه وطبعا يخرج عن هذا كله «الأمميون» وقصد بهم كل البشر غير اليهود أى المسيحيون والمسلمون والديانات الأخرى المنتشرة فى العالم.

هنا يظهرجليا الخداع اليهودى والغش والمكر والإجرام لإبطال الحق وإحقاق الباطل، فهم يحاولون الحصول على الأراضى والأملاك من غير اليهود بأية وسيلة كانت ولو بشهادات الزور ولو بحلف عشرين يمينا كاذبة على التوراة يجوز لليهودى أن يشهد زورا وأن يقسم بحسب ما تقتضيه مصلحته عند اللزوم ويؤول ذلك فى سره»!

لقد أعطى الله اليهود حق الاستيلاء على أموال المسيحيين بمختلف السبل والوسائل الممكنة سواء عن طريق التجارة أو عن طريق اللطف والرقة أو عن طريق الغش والخداع أو عن طريق السرقة».

على اليهودى أن يؤدى عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما».

يرى اليهود فى هذا المجال، أن العالم كله وما فيه من كنوز وبشر ملكهم فالكنوز ورثوها عن سليمان وداود، والأرض هى أرض الهمم «يهوه»، إنهم الشعب المختار للقيام بكل الجرائم ضد الإنسانية والإنسان فقد منحهم الأرض لهم وحدهم وكل البشر الموجودين عليها عبيد لهم. وقصة شايلوك معروفة لدى البشر».

وهذا غيض من فيض فيما يتعلق بعيد اليوبيل هذا.

الختان:

بعد مضى ثمانية أيام على ميلاد الطفل، تأتى المولدة فتضع على الطفل الذى تم ختانه ملابس جديدة ثم تلفه فى حزام من الحرير، وتضع على رأسه شريطين من الذهب، ثم تتلى صلاة الختان.

وكانت تعقد طقوس خاصة بهذه المناسبة ، فالختان: علامة من علامات العهدين اليهود والرب، وكانت تتلى أجزاء من التوراة فى يوم السبت السابق ليوم الختان، ويشارك جميع

المدعوين فى طعام هذه المناسبة.

الإحتفال ببلوغ سن الرشد:

وكان من التقاليد الشائعة بين يهود مصر، ويبدأ الاحتفال فى ساعة متأخرة من الليل، مثل الاحتفال بفداء الإبن البكر والذى يتم فى اليوم الثلاثين من ولادته، وكان الاحتفال ببلوغ سن الرشد يبد بتناول النبيذ، ثم الحلوى، ثم أطايب الطعام خاصة اللحوم والكسكسى والسلطات، ثم تقدم الفاكهة، كما كانت تقدم جميع أنواع الخمور، ثم ترتل صلاة الطعام وينتهى الحفل بتناول القهوة!

كول نيدريه.. والتحلل من جميع العهود والمواثيق!

كانت نظرة كثير من فلاسفة أوروبا إلى اليهود نتيجة للروح الانعزالية أنهم غامضون ومتخلفون ومتعصبون وأن «الديانة اليهودية يتخللها روح المصلحة الذاتية».

ويقول المفكر والفيلسوف الفرنسى الشهير «فولتير» ١٦٩٤– ١٧٧٨:

«إنك لتجد فيهم مجرد شعب جاهل ومتوحش، زاول لمدة طويلة ، أخس أنواع البخل، وأبغض أنواع الخرافات.. ويحمل كراهية لا تعادلهاكراهية، لكافةالشعوب التى تسامحت معه، وكانت سببا فى ثرائه»

ولكى نتفهم الشخصية اليهودية، علينا أن نتوجه إلى التقاليد والطقوس الدينية وطابع الحياة اليومية اليهودية:

وصلاة «كول نيدريه» أو كل نذره.. الكلمتان الأوليان من صلاة مساء عيد الغفران «يوم كيبور».. وتفتتح بها كل الصلوات والطقوس الدينية لهذا العيد، وقد تحددت صيغة هذه الصلاة فى عصر «الجاوونيم» اليهود، وكانت مكتوبة باللغة الآرامية.

وجوهرها الإعلان بالتحلل من كل النذور والإيمانات والعهود والمواثيق التى قطعها اليهود على نفسه طوال العام ولا يريد أن يلزم بها نفسه!

وتتلى هذه الصلاة قبل الغروب، وقبيل التلاوة، يفتح التابوت المقدس: ويخرجون أسفار التوراة، ويختص صفوة الحاضرين بإمساكها تبركا،وقد اتخذوا أماكنهم بجوار الحاخام الذى يؤمهم فى الصلاة، ويتلوها بلحن مميز، لم يتغير على مدار الأزمان، وتتكرر تلاوتها ثلاث مرات.. حتى يتأكد «إحساس الجميع بالتخلص من ذنب تخليهم عن خيانتهم لكل العهود التى قطعوها على أنفسهم، والوعود التى التزموا بها تجاه الآخرين»..

ثم يبدأون الاحتفال بأقدس أيامهم «مرتاحو الضمير» معافون من نقض عهودهم وإخلاف وعودهم»!.. كانت تنطق فى مصر «كال نيدره».

علاقات اليهود بغيرهم تتم فى إطار المصلحة الذاتية النفعية، ونقض العهود سمة رئيسية فى شخصية اليهودى.. فيقول الله تبارك وتعالى : «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه..» البقرة: ٢٧ «أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون» البقرة: ١٠٠. «والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار» الرعد: ٢٥ «الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون» الانفال: ٥٦.

إن الشخصية اليهودية: لا مثيل لها فى تكوينها ضربت حول نفسها نطاقا من العادات والطقوس الدينية ووجهة النظر إلى الحياة فتم تكوينها حسب إرادتها.. وصنعت عقيدتها حسب فائدتها!.. فالدين مجرد «تنويهات» لله فى أفواههم، أما الهدف الذى يعيشون من أجله فهو النقمة بين الأمم!

اختار اليهودى من طرق المعايشة بين الناس، الطرق المقفولة عليه، وأخفاها عن الناس، مخافة أن يسرقها الناس منه، باعتبارها سر الصلاحية فى الحياة، والتى تحدد منهجه: كسيد مستبد فى عالم المال.. وفوضوى قدير فى عالم الفكر!..

امتلاك الحياة، والسيطرة على الأحياء هى:الضمان والتأمين للشخصية اليهودية، وقد وصلوا إلى هذه الحقيقة اليهودية بتجاربهم فى عصور التشريد الأولى، وعصور الغربة والشتات الأبدية، التى فرضت عليهم لمطاردة شعوب الأرض لهم بعد الملاحظة العابرة! إنهم يأخذون ولا يعطون!

وإلى أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء أمتنا العربية:

لقد حق فى اليهود، قول الله تعالى بخيانتهم ونقضهم لكل العهود.. وأكدوا هم أنفسهم هذا المعنى كجزء أساسى من عقيدتهم، هل بعد هذا.. نستطيع أن نثق بالتزامهم بما يسمى معاهدات السلام»

إن للإسرائيليين مفهومهم الواضح للسلام الذى يرتكبون تحت مظلته أوسع الجرائم فى التاريخ! والتعايش بين المشروع الصهيونى الإرهابى، الذى استثمر الدين والأساطير، والمشروع الحضارى العربى: مستحيل!: فمازال الحلم الصهيونى الرهيب «إسرائيل الكبرى» هو الهدف الإستراتيجى لزعماء صهيون!

هل المطلوب: إعادة «صياغة عقولنا »لتقبل الوجود الإسرائيلى بمقتضى إرث سماوى مزعوم!.. وهل الآلاف من شهدائنا الذين بذلوا أرواحهم، كانوا ضحايا لمجرد سوء الفهم والحاجز النفسى!

إن كل ما يحدثنا به التاريخ: أسفاراً تحوى عفن قرون من الأكاذيب والأحقاد والفتن والمؤامرات والإرهاب، ومن واجبنا جميعا كعرب، أن ندرك مخاطر أبعاد التآمر اليهودى، وأحلامهم التوسعية الجامحة!

فاليهودى يهودى فى كل زمان ومكان إلى أن يلقى بخزعبلات وترهات التوراة والتلمود وتعاليم الحاخامات جانبا.. لقد وضع اليهود مع «العهد» فى التابوت المقدس:المنطق.. الأمانة.. الشرف.. واستراحوا من الفضائل وهموم البشر!!

الفصل السادس
عصر الهيمنة اليهودية على الاقتصاد المصرى

فى رائعته «لاتتركونى هنا وحدى» يقول أديبنا الراحل إحسان عبد القدوس « .. أن اليهود يضربون السوق بالعصا السحرية فتنفجر ينابيع الثروة من تحت أقدامهم. كما ضرب موسى البحر بعصاه فانشق طريقا سهلا ممهدا تحت اقدام اليهود»!

والشخصية اليهودية تحدد اتجاهاتها نحو مصادر القوة والنفوذ، وترسم خطواتها فى عالم الطموح الذى لا نهاية له.. بصبر لا ينتهى أبدا. وذكاء صامت يتعمد أن يتخفى دائما..

وقد تمتعت العائلات اليهودية الارستقراطية بقوةاقتصادية ووجاهةاجتماعية مكنتها من توطيد علاقاتها بمراكز النفوذ السياسى، لتتربع على قمة الهرم الاجتماعى فى مصر!

وكان ليهود مصر نشاط بارز فى تجارة الذهب والقطن والمنسوجات، أهم أدوات الاقتصاد المصرى كانت فى قبضتهم.

وإذا كان مفهوم الازدهار يعنى مستوى التقدم الاقتصادى والمالى فى عصرنا الحالى فقد استطاع يهود مصر أن يحققوا هذا الازدهار فى فترة وجيزة من الزمن، بدأت مع افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م ليبلغ ذروته مع بداية القرن العشرين وحتى عام ١٩٤٨م.. وفى عبارة ذات دلالة يقول الرحالةاليهودى «س. صامويل» الذى زار مصر عام ١٨٧٩م: «لا يوجد بمصر خادم أو عامل يهودى.. وأن اليهود يفضلون أن يكسبواعيشهم برؤوسهم لا بأيديهم».

عندما شرع العلماء الذين رافقوا نابليون فى حملته الشهيرة، فى وضع موسوعة وصف مصر مع بداية القرن التاسع عشر.. لم يكن فى مصر إلا ظلال ماضيها، أطلال تشهد بأن هذا البلد كان مركزا لحضارات متعاقبة متألقة، وأرضها التى هى واحدة من أخصب أراضى العالم، كانت تغذى بالكاد مليونين من السكان الغارق معظمهم فى حالة من الفقر المدقع، والصناعة معدومة والتجارة الدولية فى أدنى مستوى لها، والتعليم قاصر على ما يتلقاه طلبة الأزهر من علوم اللغة العربية والدراسات القرآنية والفقه الحديث.. وعلى رأس النظام السياسى «باشا» معين بفرمان من الباب العالى باستانبول، والسلطةالفعلية فى أيدى أمراء المماليك.. لم تعد مصر بالنسبة للسلطان فى تركيا سوى مصدرا لجباية الأموال والهدايا الثمنية..!

فى هذا الإطار، كانت طائفة اليهود المصريين لا تتعدى ٤ آلاف نسمة تتقاسم مع مثيلاتها من طوائف الشعب حالة البؤس العام.. متماثلين بعمق من حيث اللغة والعادات وأساليب الحياة، فى إطار قوانين الشريعة الإسلامية المنظمة لحقوق الأقليات وانحصر نشاطهم فى التجارة وبعض الحرف.

وفى الثلث الأخير من القرن الماضى.. أدخل الفرنسيون والإنجليز مصر فى التقسيم الدولى للانتاج، إذا أصبحت أكبر مورد لمادة أولية دولية: القطن طويل التيلة، الذى يصنع فى دول أوربية متقدمة صناعيا، خاصة بريطانيا، كما كان تنفيذ مشروع قناةالسويس عاملا مباشرا فى عودة مصر لتتبوأ مركزا مهما فى خريطة توزيع التجارة الدولية.

وكان الوضع السياسى فريدا من نوعه، فعلى المستوى الرسمى ظلت مصر جزءا من الإمبراطورية العثمانية، خاضعة شكليا لسلطان الباب العالى، غير أن واقع الأمر، وبعد تفاقم الأزمة المالية وبلوغها ذروتها عام ١٨٧٥م، وخضوع مصر للاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢م أن أصبحت السلطةالفعلية فى يد القنصل العام البريطانى حيث أدرك الإنجليز أن ثروة مصر قد باتت غنيمة فى أيديهم رغم ما توحى به خزانتها الخاوية وتزايد توافد المغامرين والمستثمرين من انجلترا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا وبلجيكا واليونان.. بعد أن اجتذبتهم فرصة العمل والثراء الآخذ فى الاتساع بفضل الامتيازات الأجنبية التى وفرت لهم الحصانة مما يسر لهم مجالات الاستغلال وتجميع الثروات.

وكان من بين هولاء المهاجرين كثيرا من يهود أوروبا وجماعات من الطوائف اليهودية فى حوض البحر المتوسط: يهود من أزمير واستانبول، ومن سالونيك وكرفو،ويهود من الجزائر والمغرب حتى بلغ عددهم ما يقرب من ٣٠،٠٠٠ شخص فى نهاية القرن التاسع عشر.

أكثر من ٥٠٪ من هؤلاء المهاجرين اليهود، كانوا يحملون جنسيات أوروبية، سمحت لهم بالتمتع بحماية قنصليات الدول التابعين لها، بالإضافة إلى تمتعهم قانونيا بالامتيازات الأجنبية وابتعاد قبضةالقضاء المصرى عنهم فى نشاطاتهم المالية والجنائية معا!

أيضا أسهمت الاضطرابات السياسية والاقتصاديةالتى شهدها العالم فى أوائل القرن العشرين، فى زيادة معدلات الهجرة اليهودية، خاصة مذابح الحرب الأهلية الروسية والبولونية فى الفترة من عام ١٩١٦ حتى ١٩٢٠، ومع نشوب الحرب العالميةالأولى وتحالف الإمبراطورية العثمانية مع ألمانيا، فإن الطوائف اليهوديةالروسية والبولنية التى استقرت تحت التأثير الصهيونى فى فلسطين قامت السلطات التركية بطردهم باعتبارهم «أعداء» فاتجهوا نحو مصر، حيث شكلت الحكومة المصرية لجنة لاستقبالهم وإبداء العطف نحوهم وتخصيص مفتش بوزارةالداخلية لتولى هذه المهمة الانسانية وهى نفس الترتيبات التى أعدت للاجئين الهاربين من مذابح هتلر إبان الحرب العالمية الثانية وقد وضعت الإدارة المصرية تحت تصرفهم مبنى الحجر الصحى بالإسكندرية بمحطة الورديان ودار المحافظة فى رأس التين وتولت الخزانة المصرية نفقاتهم وأنشأت لهم معسكرات وملاجئ حكومية ومخابز خاصة ومعبد ومستشفى وحدائق للنزهة.!

ويبين الجدول الآتى النمو السريع لعدد اليهود المهاجرين منذ نهاية القرن التاسع عشر:

سنة الإحصاء السكان	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧
جملة السكان	٩٧٣٤٣١٣٧	١١١٨٩٧٧٢	١٢٧٠٩٤٤١
المسلمون	٨٩٧٧٧٠٢	١٠٢٦٩٤٤٥	١١٦٢٣٧٤٥
الأقباط	٦٠٩٥١١	٧٠٦٣٢٢	٨٣٤٤٧٤
المسيحيون الشوام والارمن	١٢١٧٣٤	١٧٥٣٧٠	١٩١٦٤١
اليهود	٢٥٢٠٠	٣٨٦٨٥	٥٩٥٨١

وطبقا للإحصاءات الرسمية فقد شهدت مدن مصر الكبرى أعلى كثافة سكانية من اليهود وكان توزيعهم كالآتى:

سنة الاحصاء السكان	١٨٩٧	١٩٠٧	١٩١٧
القاهرة	٨٨١٩	٢٠٢٨١	٢٩٢٠٧
الإسكندرية	٩٨٣١	١٤٤٧٥	٢٤٨٥٨
طنطا	٨٨٣	١١٠٤	١١٨٣
بورسعيد	٤٠٠	٣٧٨	٥٩٤
المنصورة	٥٠٨	٥٢٢	٥٨٦
السويس	١٢٠	٧٤	١٥٧
الإسماعيلية	٣٩	١١	٩٥
مدن أخرى	٤٦٠٠	١٧٩٠	٢٩٠١
المجموع	٢٥٢٠٠	٣٨٦٣٥	٥٩٥٨١

وفى إحصاء عام ١٩٢٧م ارتفع عدد اليهود إلى ٦٣٥٥٠ نسمة بتزايد الهجرة اليهودية إلى مصر، بتشجيع من المنظمات الصهيونية التى تغلغلت فى مصر عقب تصريح «بلفور» وجعلت مصر أشبه بمعسكر انتقال إلى فلسطين..

وكان عامل الهجرة إلى فلسطين سببا رئيسيا فى انخفاض عددهم إلى ٦٢٩٥٣ نسمة فى إحصاء عام ١٩٣٧م.. ثم ارتفع الرقم مرة أخرى إلى ٦٥٦٣٩ نسمة فى احصاء عام ١٩٤٧م.

ومن واقع الإحصائيات السابقة، تلاحظ تركز اليهود فى القاهرة والإسكندرية حيث عاش فى كلتا المدينتين: ٨٥٪ من مجموع اليهود عام ١٨٩٧م: ٩٠٪ فى عام ١٩١٧م: ٩٧٪ فى عام ١٩٤٧م وذلك بسبب تركز المؤسسات الاقتصادية والتعليمية والصحية فى المدينتين.

وبالاضافة إلى المدن التى ذكرتها فى جدولى توزيع السكان اليهود، فقد كان هناك بعض العائلات اليهودية التى استقرت فى المحلة الكبرى ودمنهور ودمياط وبنها والفيوم وبنى سويف والمنيا والأقصر وأسوان.

وتركز التجار والحرفيون فى المدن الكبرى، ومارسوا نشاطهم فى حرية كاملة، وتوافرت أمامهم فرص واسعة شملت مختلف مجالات العمل الاقتصادى وأسهمت طبيعة المجتمع المصرى كمجتمع برجوازى ناشئ فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وتميز هؤلاء المهاجرون اليهود بارتفاع مستوى التعليم والثقافة بينهم، وتشجيع السلطات الحاكمة لهم أن تحكم عدة عائلات يهودية رأسمالية قبضتها على الاقتصاد المصرى وتمويله وتطويره.

وعن تدفق الهجرة اليهودية نتيجة للظروف الملائمة فى مصر وازدهار اليهود بها.. يقول المؤرخ الإسرائيلى حاييم كوهين.

«كان من الأسباب الرئيسية لتدفق اليهود الكبير على مصر، ابتداء من ستينيات القرن الماضى، التاسع عشر التطور الاقتصادى الذى شهدته البلاد، والامتيازات التى منحت للأجانب بمقتضى قانون الامتيازات، فقد اجتذبت الامتيازات بعض يهود تركيا وسوريا، حيث تدهور الوضع الاقتصادى، كما اجتذبت ألوفا من يهود شرقًا أوربًا الذين فروا من المذابح المتتالية، ومن خلال الحرب الأولى جآء إلى مصر ألوف من اليهود المطرودين من فلسطين فأقام بعضهم ونزح العض الآخر بعد إقامة قصيرة، وبعد الحرب كفت الأحوال الاقتصادية فى مصر عن جذب المهاجرين بكثرة».

ومع النمو الاقتصادى لمصر فى غضون القرن التاسع عشر وازدياد معدلات الهجرة اليهودية، زاد بالتالى إسهامات هؤلاء المهاجرين فى الاقتصاد المصرى، ومع نهاية القرن المنصرم كانت لهم مساهمتهم فى نظام المجمع الاقتصادى الذى سمح فى البداية بالتوسع الزراعى والتجارى، ثم بالتوسع الصناعى.

ففى مجالات التوسع الزراعى، أسهم كبار الرأسماليين اليهود «الأباطرة» بإنشاء العديد من شركات استصلاح الأراضى التى تقوم بامتلاك الأراضى واستغلالهاوالمضاربة فيها وسنعرض فى ايجاز لنشاط البعض منهم:

شركة وادى كوم امبو» المساهمة لاستصلاح الأراضى وزراعة المحاصيل النقدية.

وهى إحدى الشركات الزراعية التى تكونت بأموال يهودية، وقد تأسست فى ١٤ من أبريل عام ١٩٠٤م بامتياز مدته ٩٩ عاما وبرأس مال مقداره ٣٠٠،٠٠٠ جنيه مصرى، والذى نمى عدة مرات حتى بلغ فى عام ١٩٥١م ١،٢٠٠،٠٠٠ جنيه مصرى. وتأسست الشركة بموجب العقد المبرم بين الحكومة المصرية وسير «ارنست كاسل» وإخوان سوارس وبمقتضى هذا العقد تملكت الشركة مساحة قدرها ٣٠،٠٠٠ فدان فى سهل كوم امبو كما نص العقد على ضرورة التزام المساهمين بسداد مبلغ ٨٥٠٠ جنيه مصرى على أقساط لمدة اربع سنوات، كرسم تشغيل ومصاريف رى، وقد تزايدت ملكية هذه الشركة حتى بلغت نحو ٧٠ ألف فدان عام ١٩٥٢م.

وتشكل مجلس الإدارة من «روبير رولو» رئيسا وعضوية «يوسف أصلان قطاوى»، «ارنست كاسل»، «ليون سوارس» «فيلكس سوارس»، «روفائيل سوارس»، و«هنرى موصيرى» «رالف هرارى» وتولى «رينيه قطاوى» منصب المدير العام.

واستصلحت الشركة بالفعل مساحة من الأراضى بلغت ٢١،٠٠٠ فدان، وبلغت المساحة المنزرعة ١٢،٠٠٠ فدان، ومهدت نحو ٥٠ك/م من الطرق الزراعية، وشقت من المصارف

والترع نحو ٩١ك/م ، ومدت من خطوط السكك الحديدية ٤٨ك/م.. بالإضافة إلى إنشاء مساكن للفلاحين ومدرسة ومسجدا وكنيسة ووسائل خدمات متنوعة، وشمل العمران منطقة سهل كوم امبو.. واشتهرت الشركة بزراعة قصب السكر وتوريده إلى مصانع شركةالسكر العمومية،وقد بلغت المساحة المزروعة بقصب السكر ٥٣٥٠ فدان، كما نشطت أيضا فى زراعة وتوريد المواد الخام الأخرى كالقطن والعنب.

شركة مساهمة البحيرة:

تأسست أول يونيو عام ١٨٨١ برأسمال مقداره ٧٥٠،٠٠٠ جنيه مصرى، وبلغت جملة مساحة الأراضى التى تملكها الشركة عام ١٩٠٧ ١٢٠،٠٠٠ فدان، قسمت إلى خمسة تفاتيش: كوم الرحال، القسطنطينية، حلق الجمل، الخوالد، ضهر السمرة، وتقع جميعها فى مديرية البحيرة، وكان معظم أعضاء مجلس إدارتها من اليهود الإنجليز والفرنسيين، ورأس مجلس إدارتها فى عام ١٩٤٧ يونانى كان من أبرز رجال الأعمال فى مصر انذاك هو المستر «ميشيل سلفاجو» ومن ابرز مؤسسيها «جوزيف وآشيل عاداه» و«رينيه اسماعلون».

شركة الأراضى الغربية العقارية.

تأسست عام ١٩٠٥ وبلغ رأسمالها ٣٩٧،٠٠٠ جنيه مصرى، وقد بلغت جملة مساحة أراضيها فى عام ١٩٣٢ ٥٨٠٠ فدان، تزايدت فى عام ١٩٤٨ حتى بلغت ٧٦٩١ فدان، تركزت فى مناطق رأس الخليج وكفر الوسطانى، كفر الترعة الجديدة بمديرية الغربية، وقد أولت الشركة زراعة القطن اهتماما خاصا، وقامت بإنشاء سكة حديدية تخترق مزارعها، وطورت مشاريع الرى فى أملاكها، كما أعادت بناء بعض القرى القديمة وكان من أبرز مؤسسيها «جوزيف عاداه»، «هنرى موصيرى»، «جويد ليفى».

شركةاراضى «الشيخ فضل» العقارية

أسست عائلة «قطاوى» هذه الشركة التى مارست نشاطها على مساحة من الأراضى بلغت ٨٨٥٠ فدان وبلغ رأسمالها عام ١٩٤٢ ٦٢٣،٦٠٠ جنيه مصرى، ورأس «يوسف قطاوى» مجلس إدارتها و«ابرامينو آشير» مديرا عاما وعضوية أصلان قطاوى، ليون سوارس، روبير موصيرى، هنرى موصيرى، همبرت موصيرى وسلمون نحمياس وبلغ رأسمال هذه الشركة ٢٣٠ ألف جنيه مصرى فى عام ١٩٤٢م.

أيضا فى هذا المجال هناك شركة «الاتحاد العقارى المصرى» التى أسهم فى تأسيسها وادارتها يوسف أصلان قطاوى وإميل عدس وعبد الله زلخا، وكانت ملك الشركة حين

تأسيسها ١٢،٦٤٨ فدانًا، كذلك أسس «موشيه عنتيبى» الشركة المساهمة الزراعية بالقطر المصرى، ثم الشركة الزراعية بمصر التى أسهم فى تأسيسها وإدارتها أصلان قطاوى وإميل عدس، وبلغ رأسمالها ٢٥٠ ألف جنيه مصرى، ومما لا شك فيه أن هذه الشركات قد مارست نشاطا ضخما وفعالا لا ينتقص منه شكاوى فلاحين وعمال مصريين إزاء ظلم بعض هؤلاء المستثمرين اليهود والذين أفادوا من هذا النشاط إلى أقصى درجة إلا أنهم قدموا التجربة الناجحة والنموذج العلمى بمقاييس ذلك الوقت.

وتعد تجارةالقطن من الأعمال التجاريةالرائجة التى مارسها يهود مصر، بدءا من زراعته وعمليات حلجه وكبسه واستخراج الزيوت من بذوره وتسويقه عالميا من خلال البورصة وشركات التصدير، ويشير التقرير السنوى للمندوب السامى البريطانى عام ١٩٠٥ إلى أن نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت بأيدى اليهود وأن أكثر من ٩٠٪من سماسرة القطن فى البورصة كانوا من اليهود. ويجدر بالذكر أن تجارة القطن ومنتجاتها كانت تشكل نحو ٨٨،٥٪ من تجارة مصر الخارجية حتى عام ١٩٥٢ وهذا يوضح بجلاء مدى تحكم يهود مصر وبعض المستثمرين الأوربيين فى عصب الكيان المالى والاقتصادى المصرى ومثال لبعض الشركات التى أسستها عائلات يهودية فى هذاالمجال نذكر:

شركة التصديرات الشرقية

التى اسستها أسرة «عاداه» فى عام ١٩٢٠م، وهى أسرة ذات أصول فرنسية تمصر بعض من افرادها فى الفترة ما بين ٢٩– ١٩٤٥م، وكانت تقوم بشراء القطن وفرزه ثم اعداده للتصدير وبلغ رأس مال هذه الشركة عام ١٩٥٠ ٦٠،٠٠٠ جنيه مصرى وصافى أرباح قدره ٢٠،١٦٢ جنيه مصرى.

شركةحليج الوجه القبلى

التى أسسها وشارك فى إدارتها روبير وجاك رولو وارمان نحمان، برأس مال قدره ٦٥،٠٠٠ جنيه مصرى.

شركة مكابس الإسكندرية

التى أسستها عائلة «شيكوريل» وتشكل مجلس إدارتها من مورينو ودافيد وليون سيكوريل، وأرمان نحمان وجوزيف دى فاردا.

شركة الأقطان المتحدة بالإسكندرية

وهى إحدى الشركات المهمة التى احتكرت تصدير القطن المصرى، وأسستها أسرة

«توريل» اليهودية الفرنسية، وإدار شئونها: أندريه ورينيه وهنرى توريل.

وبرزت أسماء: ايزاك ليفى وبتشيوتو وحبيب اريبول ويوسف سلامة ومارك حسان وابراهام حسون، الذين أنشأوا مصانع لحلج الأقطان ومعاصر زيوت من بذرة القطن فى مناطق متفرقة من دلتا النيل. وكان إدوارد عرجى مديرا لشركة فرغلى للأقطان والأعمال المالية التى تأسست فى سنة ١٩٤٦م،كذلك كان مارسيل ميسيكا مديرا لشركة على يحيى باشا للأقطان. وكان إميل ليفى رئيسا لبورصة القاهرة عام ١٩٤٨ كما نجحت العائلات اليهودية الرأسمالية فى السيطرة على تجارة وتصدير القطن، ونجحوا أيضا فى تأسيس بورصة القطن بالإسكندرية والسيطرة على إدارتها، كما سيطروا كذلك على اتحاد مصدرى القطن المصرى.

وإلى جانب تجارة وتصدير الاقطان، فقد نشطوا أيضا فى مجالات تصنيعه وتحويله إلى منسوجات وملابس جاهزة وفرت لهم مزيدا من الأرباح الطائلة فأسسوا عددا من الشركات والمعارض والمحال الضخمة التى احكمت قبضتها فى تلك التجارة منها:

شركة محلات «شملا» الكبرى لتجارة الملابس:

تأسست فى عام ١٩٠٧ كفرع لمحلات أسرة شملا بمدينة باريس، وشارك كليمان شملا مع أخويه دافيد وفيكتور فى إقامة المؤسسة الخاصة التى تحولت إلى شركة مساهمة فى سنة ١٩٤٦م برأس مال قدره ٤٠٠،٠٠٠ جنيه مصرى، ثم أدخلت فى نشاطها تجارة الاثاث والديكور والمستلزمات المنزلية الحديثة إلى جانب تجارة المنسوجات.

شركة المحلات الصناعية للحرير والقطن

التى أسستها أسرة «منشة» وشارك فى إدارتها البير منشة وموريس منشة ومراد يهودا منشه وليون مزراحى، وبلغ رأسمالها ٣٠،٠٠٠ جنيه مصرى.

شركة النسيج والحياكة المصرية

شارك فى تأسيسها عدد من العائلات اليهودية «قطاوى»، «موصيرى»، «عدس» برأس مال مقداره ٧٥،٠٠٠ جنيه مصرى، وصافى أرباحها ٦٠،٠٠٠ جنيه، وضم مجلس إدارتها أصلان قطاوى، سيمون رولو، موريس موصيرى، كليمان عدس وأميل وجاستون نسيم عدس، ورالف هرارى عضوا منتديا.

شركة محلات الملكة الصغيرة

تأسست بالقاهرة عام ١٩٢٩م بغرض تصريف منتجات شركة مساهمة فرنسية مركزها مدينة ليون بفرنسا، وكانت لها فروع فى باريس وبعض المدن الأوروبية، وبلغ رأس

مال هذه المحلات فى سنة ١٩٤٨م ٣٠،٠٠٠ جنيه مصرى، وحققت فى نفس السنة أرباحا بلغت ٢٤،٦٩٥ جنيه وتركز نشاطها فى منتجات الحراير والأصواف والملابس الجاهزة وقد قام بتأسيسها وادارتها عدد من اليهود الذين ينتمون إلى أصول فرنسية، ورأس مجلس إدارتها فيكتور كوهين وعضوية ريمون كوهين وهارون كوهين وماكس مزراحى، وإسحق مزراحى عضوا منتدبا وكان لهذه المحلات فروعا أخرى فى الإسكندرية وبورسعيد.

شركة محلات «سيكوريل»

اسستها عائلة «سيكوريل» فى سنة ١٨٨٧م وهى من العائلات اليهودية التى وفدت إلى مصر فى النصف الثانى من القرن الماضى، وعميد هذه العآئلة هو «مورينو سيكوريل» الذى ولد فى مدينة أزمير بتركيا، وهاجر إلى مصر نحو عام ١٨٧٠، حيث استقر بها ومارس نشاطا واسعا فى تجارة وتصدير القطن، حتى أسس مؤسسة خاصة لتسويق القطن فى سنة ١٩١٥م، وأصبح عضوا فى مجلس إدارة جمعية المصدرين وبورصة مينا البصل، ورئيسا شرفيا لطائفة اليهود الشرقيين بالإسكندرية.

ثم برز اسم ابنه «سلفاتور سيكوريل» الذى ولد بالقاهرة عام ١٨٩٤م، والذى تولى رئاسة مجلس إدارة محلات سيكوريل، وفى عام ١٩٣٥م أصبح عضوا بمجلس الغرفة التجارية المصرية، وقد مارست هذه الشركة أعمالها فى تجارة المنسوجات والملابس الجاهزة والخردوات والأحذية والقبعات والأدوات المنزلية والأثاثات، وبلغ رأسمالها فى عام ١٩٤٩م ٥٠٠،٠٠٠ جنيه مصرى وصافى أرباحها ٢١٣،٥٩٠ جنيه مصرى، واستخدمت هذه الشركة فى تصريف أعمالها ٤٨٥ اجنبيا، معظمهم كان حاصلا على شهادات فرنسية، إلى جانب ١٤٢ مصريا على قدر من الإلمام باللغة الفرنسية، وقد كان العمل فى هذه المحلات خاضعا لنظام محكم دقيق فى إطار التخصص والخبرة، فحازت شهرة عريضة جعلتها تتبوأ الصدارة فى السيطرة على السوق المالى والتجارى فى مصر، كما أسس أيضا سلفاتور شيكوريل «شركة محلات اوركو» ورأس مجلس إدارتها.

شركة الملابس والمهمات المصرية

التى أسسها موريس ليبوفيتش مع مجموعة من اليهود الإيطاليين، وقد اعتمدت هذه الشركة فى تجارتها على ورش خاصة تملكها لتجهيز الملابس والمنسوجات، وافتتحت ثلاث محال تابعة لها اثنان باسم «كرنفال دى فينيس» بشارع قصر النيل، والثالث بشارع سعد زغلول بالإسكندرية، واعتمدت هذه الشركة فى إدارتها وتشغيلها لمحالها على العنصر الأجنبى فقط، وكانت نموذجا رفيعا لمحلات الارستقراطية وقد تطورت أعمال هذه الشركة

فتعاقدت مع الحكومة المصرية لإعداد الملابس الرسمية، خاصة لرجال وزارة الحربية، والبحرية والشرطة.

هناك أيضا فى هذا المجال على سبيل المثال شركة «موبيليات بونتريمولى» التى أسسها وأدارها «هارون وفيكتور كوهين»، شركة المنسوجات المصرية «ماتكسا» التى شارك فى تأسيسها وإدارتها: ماكس رولو، وأرمان موستاكى، وجوستاف اجيون، وايلى جاتينو، الشركة الصناعية لخيوط الغزل والمنسوجات، وتولى إدارتها جاك أصلان ليفى عضوا منتدبا، أيضا شركة «صباغى البيضا» التى أسستها عائلة سموحه وتولى إدارتها جوزيف سموحة، وشركة «كونتنتال» للأقطان التى شارك فى تأسيسها وإدارتها موريس ساسون وروبيرولو.. وشركة محلات «شملا» الكبرى لتجارة الملابس التى أسسها الاشقاء كليمان ودافيد وفيكتور شملا وتولى كليمان رئاسة مجلس الإدارة، وهو من مواليد تونس عام ١٨٧٤م، وقدم إلى مصر عام ١٩٠٧م وشركة محلات جاتينيو» التى أسسها ورأس مجلس إدارتها موريس جاتينيو- الذى احتكر تجارة الفحم ومستلزمات السكك الحديدية، وشارك فى تأسيس عدد من المستشفيات والملاجئ والجمعيات اليهودية وكان له دور بارز فى خدمة الحركة الصهيونية فى مصر ومساعدة المهاجرين اليهود من خلال الحرب العالمية الأولى.. بالإضافة إلى إسهام أسرة «عدس» فى تأسيس عدد من المحلات التى حازت شهرة عريضة إلى يومنا هذا مثل «بنزايون»، «عدس»، «ريفولى» «هانو» و«عمر افندى- اوروز دى باك» كما أسهمت فيها أيضا بعض العائلات اليهودية مثل رولو، وجاتينيو.. ويجدر بالذكر أن حى الحمزاوى بالقاهرة كان مركزا لتجارة الجملة، ولذا فقد ضم اكبر تجمع لكبار تجار اليهود ويجدر بالذكر أيضا أن عدداً من كبار الرأسماليين اليهود، قد احتكروا منتجات بعض الشركات المصرية الخالصة، مثل شركة مصر للغزل والنسيج بالمحلة الكبرى، وسيطروا على تجارتها، خاصة فترة الحرب العالمية الثانية، والتى حققوا فيها أرباحا طائلة ورغم ما يؤخذ على هذه الشركات والمحلات تعدد وسائلها فى تكثيف اعتمادها على العناصر الأجنبية بحجة افتقار المصريين إلى الخبرة الكافية والإلمام باللغات الأوربية وفنون التعامل إلا أنها امتازت بالتنوع والدقة فى الأداء والخبرة فى الممارسة والمعاملة، والدراية الواعية بأحوال السوق.. إلى جانب إسهام هذه المحال فى تقديم ألوان مختلفة ومتطورة من فنون الازياء والأثاثات والأدوات المنزلية تمثل صورا من حضارة المجتمع الأوربى.

أيضا نشط يهود مصر فى مجال الصناعات الغذائية وتطويرها وهى من أقدم

الصناعات فى مصر أهمها صناعة السكر التى تبوأت مكانة بارزة فى الاقتصاد القومى، فكان أن أسس بعض الرأسماليين اليهود: «شركة عموم مصانع السكر والتكرير المصرية» ووقعت الحكومة المصرية عقد إنشاءها فى سنة ١٨٩٣م على أن تتقاضى ٩،٥٪ من أرباح الشركة ثم تزايدت النسبة بعد ذلك مع زيادة رأس المال من ٣ مليون فرنك فى مرسوم التأسيس إلى ٣٣ مليون فرنك فى سنة ١٩٠٤م ونمت أعمال هذه الشركة حتى أصبحت فى سنة ١٩٥٠م تمتلك عدة معاصر بالوجه القبلى فى الشيخ فضل وأبى قرقاص ونجع حمادى وأرمنت وكرم امبو ومصنعا لتكرير السكر فى الحوامدية ينتج فى المتوسط ٧٠٠ ألف كيلو جرام يوميا، مع إمكانية زيادة هذاالمعدل اليومى من الإنتاج ليصل إلى المليون كيلو جرام، كما أقامت الشركة مخزنا عاما لتوزيع السكر المكرر فى حى بولاق بالقاهرة. وكان فيكتور هرارى رئيسا لمجلس الإدارة وشارك فى إدارتها: رينيه قطاوى ورالف هرارى. وليون وفيلكس سوارس.

كذلك أسهم يهود مصر فى تأسيس بعض مطاحن الغلال ومضارب الأرز منها: شركة مطاحن المحمودية ساكس التى أسستها عائلة ساكس فى سنة ١٩٣٩م، برأس مال قدره ١٠ آلاف جنيه مصرى وصل إلى ٧٠ ألف جنيه مصرى عام ١٩٤٨م ورأس مجلس إدارتها دافيد ساكس. كما أسست أسرة كوهين ادوارد وجيمس كوهين شركة صناعة الطحن بالإسكندرية، برأس مال قدره ١٠ الاف جنيه مصرى فى سنة ١٩٣٤م اشتهرت بصناعة المكرونة، وبلغ صافى أرباحها فى عام ١٩٥١: ١٢،٧٥٢ جنيه مصرى.

كما أسس سلفاتور سلامة، ورافائيل نحمان «شركة مضارب الأرز المصرية» فى سنة ١٩٤٧م بإسهام صورى لبعض المصريين، وقد بلغ رأس مال هذه الشركة فى سنة ١٩٤٩م ١٢٨ ألف جنيه مصرى، والمصنع الرئيسى بالإسكندرية، بالإضافة إلى عدة فروع فى مدن رشيد ودمنهور والمنصورة وكانت تنتج فى المتوسط ٢٥٠ طن أرز يوميا.

وفى مجال استخراج ملح الطعام وتجهيزه للاستهلاك المحلى، شاركت أسرة «قطاوى» فى تأسيس «شركة الملح والصودا المصرية» التى منحتها الحكومة المصرية حق إدارة الملاحات الحكومية اعتبارا من عام ١٩٠٦م، فقامت باستغلال ملاحات المكس ووادى النطرون، وأنشأت عدة مصانع فى منطقة القبارى ومحرم بك بالإسكندرية، وكفر الزيات لاستخراج الزيوت من بذرة القطن وتصنيع الكسب والصابون والشحوم الغذائية.. وكان «أصلان قطاوى» عضوا بارزا بمجلس إدارتها.

أيضا فى نفس هذا المجال، اسس أصلان قطاوى بالاشتراك مع بعض المستثمرين

الإنجليز «شركة الملح المتحدة المصرية ليمتد» فى سنة ١٩٠٧م، كما شارك أيضا فى إدارتها، وقد نجحت هاتان الشركتان فى تغطية الاستهلاك المحلى، وفى إنتاج بعض المواد الأولية اللازمة لصناعة الصابون التى تستورد من الخارج وإنتاج انواع جديدة من المواد الدهنية والأحماض المشتقة منها.

كذلك أسهم «اصلان قطاوى» فى تأسيس وإدارة: «شركة نسطور جاناكليس للسجاير» عام ١٩٣٤م وقد بلغ رأس مال هذه الشركة ٩٠ ألف جنيه مصرى، وحققت أرباحا تجاوزت ٢٧ ألف جنيه وفى نفس ذلك العام ١٩٣٤م شارك «أصلان قطاوى» فى تأسيس وإدارة فرع لشركة «الصناعات الكيماوية الإمبراطورية الإنجليزية» فى القاهرة، وقد مارست هذه الشركة نشاطا موسعا فى إنتاج المستحضرات الطبية والبيطرية وصناعة التبريد والأحماض والمبيدات الحشرية بالإضافة إلى الغاز السائل لتنقية المياه، والروائ[العطرية، كما أسست الشركة معملا للأبحاث العلمية سنة ١٩٥٠ وقد نجحت الشركة فى تغطية حاجة السوق المحلية ابان الحرب العالمية الثانية بعد انقطاع الواردات من العقاقير الطبية والمواد الكيماوية. كما كان أصلان قطاوى عضوا بمجلس إدارة «الشركة المالية والصناعية المصرية لانتاج الاحماض الكيماوية التى اسهم فى رأسمالها البالغ ١٨٠ ألف جنيه.

وفى مجال الصناعات القائمة على الاسمنت ، فقد كان مصنع «سيجوارت» للمواسير والاعمدة والمصنوعات من الاسمنت المسلح أهم وأنشط المصانع العاملة فى هذا المجال أنشيئ بالمعصرة جنوب القاهرة فى سنة ١٩٣١م وشارك فى تأسيسه: موريس نسيم موصيرى الذى تولى رئاسة مجلس الإدارة ورالف هرارى،، وفيتا ابراهيم، وفيكتورحنان، وبلغ رأس مال هذا المصنع ٣٠٠ ألف جنيه مصرى، ويقوم بإنتاج مواسير الأسمنت المسلح وغير المسلح وأعمدة من الأسمنت المضغوط وألواح من الاسبتوس والأسمنت مضلعة ومسطحة وبعض أنواع من الطوب الحرارى.

وقد أسهمت منتجات هذا المصنع فى إنجاز كثير من المشروعات المهمة، منها على سبيل المثال إنارة ميناء الإسكندرية وتوريد المواسير الضخمة لقناطر محمد على، وإقامة أعمدة الاسلاك التليفونية من الأسمنت المسلح، وإنشاء طريق خرسانى لمجارى مدينة الإسكندرية كذلك كان لها إسهامها فى حل أزمة المساكن أثر الزيادة المطردة فى عدد سكان المدن.

هناك أيضا مصنع «الطوب الأبيض الرملى» بالعباسية، وكان له فرع بحى البساتين

وقد بلغ رأس مال هذا المصنع نحو ١٠٠ ألف جنيه مصرى فى عام ١٩٥٠ وأسهم فى تأسيسه وإدارته جاكو دى كومب مع بعض اليهود الفرنسيين والسويسريين وكانت القدرة الإنتاجية للمصنع ٨٠ ألف طوبة يوميا تغطى الاستهلاك المحلى وبجانب صناعة الطوب، أنتج المصنع أيضا البلاط والمواسير والأحجار الصناعية، وكانت عمليات الإنتاج تدار بأحدث الآلات الميكانيكية الكهربائية ، كما كان جانب من هذا الإنتاج يصدر إلى البلاد العربية.

كذلك أسهم جاكودى كومب فى تأسيس وإدارة شركة توريد الكهرباء والثلج التى بلغ رأسمالها ٦٨ ألف جنيه مصرى، وكان سمحا امباخ مديرا عاما لها.

وأسس جوزيف وبنفتو كامبوس، ورافائيل نحمان، واندريه شماع، وافنيعام هوروفيتش الشركة العمومية للكهرباء والميكانيكا» وشكل هؤلاء مجلس إدارتها.

وأسست أسرة «موصيرى» شركة «مصانع النحاس المصرية» برأس مال قدره ٥٤ ألف جنيه، وشارك فى إدارتها فيلكس نسيم موصيرى وهنرى موصيرى، وسيجوند هيرش.

كما أسست عائلة «دره» الشركة المصرية لصناعة الخردوات التى بلغ رأسمالها ١٠٠ ألف جنيه مصرى، واشترك فى إدارتها جاك دره وحاييم دره، زكى دره، أيضا أسهم حاييم دره فى تأسيس وإدارة شركة مصر للمستحضرات الطبية وأسس روبير وأدوارد شندلر «مؤسة شندلر للطباعة فى عام ١٩٢٩م التى كانت أول من أدخل طباعة الجرافيك فى مصر وشاركت أسرتا قطاوى وموصيرى فى تأسيس الشركة المساهمة للمحاريث والهندسة التى بلغ رأسمالها ١٠٠ ألف جنيه وتشكل مجلس إدارتها من أصلان قطاوى رئيساً، ورينيه قطاوى، وهنرى موصيرى وفيلكس موصيرى وموريس كورييل أعضاء، كما أسهمت أسرة «موصيرى» فى تأسيس شركة «فنادق مصر الكبرى» التى بلغ رأسمالها ١٤٥ ألف جنيه مصرى، وشارك فى إدارتها موريس نسيم موصيرى، وجوستاف اجيون، وقد أدارت هذه الشركة عدة فنادق هى الكونتنتال ومينا هاوس وسافوى وسان سيتفانو وفندق توفيق بحلوان. وشارك فيلكس موصيرى فى تأسيس وإدارة شركة الفنادق المصرية التى بلغ رأسمالها ٣٦٥ ألف جنيه مصرى، كما أسهم رينيه قطاوى فى تأسيس ورئاسة شركة فنادق الوجه القبلى.

كذلك أسهم أوفاديا سالم فى تأسيس وإدارة العديد من الشركات منها شركة التسليفات التجارية التى بلغ رأسمالها ٣٥٠ ألف جنيه مصرى والشركة المساهمة لمخازن الأدوية المصرية وأسمالها ٥٠ ألف جنيه مصرى و«شركة التوريد والتصدير السودانية»

وكان رأسمالها ٣٠ ألف جنيه مصرى وحققت أرباحا قدرها ٧٠ ألف جنيه ورأس مجلس إدارة هذه الشركة الفريد كوهين.

وأسهمت أسرة عاداه فى تأسيس الشركة المصرية للإضاءة بأشعة النيون برأسمال قدره ٦ آلاف جنيه، ورأس مجلس إدارتها شارك عاداه كما أسهمت «جوزيف عاداه» فى تأسيس وإدارة شركة «كاربا»المساهمة المصرية والتى بلغ رأسمالها ١٧ ألف جنيه كما أسست أسرة عاداه «شركة العقارات الشرقية المساهمة» التى تولى فيكتور عاداه رئاسة مجلس إدارتها، وشارك فى عضوية المجلس جوزيف عاداه وفرنان عاداه وكان رأسمالها ٢٥ ألف جنيه مصرى، وأسهمت أيضا فى تأسيس وإدارة «شركة الأشغال والمبانى المصرية» فكان فيكتورعاداه وجوزيف عاداه عضوين فى مجلس الإدارة وأسس دافيد وهارى «شافرمان» عام ١٩١٩م، مؤسسة احتكرت تجارة الأدوات الكهربائية والبطاريات ومنتجات البلاستيك، ثم أقاما فى عام ١٩٣٠م مصانع لإنتاجها محليا وتصديرها إلى بعض البلاد العربية.

وأسس «سالمون ماكبتز» مصانع ناردين للمطاط والكاوتشوك، واحتكر ايزاك ناكامولى تجارة الورق فى مصر، كما كان من كبار ملاك الأراضى وعضوا بمجالس إدارات بعض الشركات.

وفى مجال استغلال أراضى البناء وتقسيمها وبيعها قامت أسرة عدس بتأسيس الشركة المصرية للأراضى والبناء وتشكل مجلس إدارتها من إيلى عدس، إميل عدس، كليمان عدس، جاستون عدس، وبلغ رأسمالها ٧٠ ألف جنيه مصرى.

كما أسس روبير رولو وشارك فى إدارة «الشركة المصرية الجديدة» التى بلغ رأسمالها ٣٥٠ ألف جنيه مصرى.

وأسست أسرة قطاوى شركة «أسواق الخضر المركزية المصرية المساهمة» وبلغ رأسمالها ٨٠ ألف جنيه مصرى وتولى يوسف قطاوى رئاسة مجلس الإدارة وبعد وفاته فى عام ١٩٤٣م، خلفه ابنه رينية قطاوى وشارك فى عضوية المجلس أصلان قطاوى جويدر قطاوى، شارل عاداه وابرامينو آشير.

وأسهم «موريس كورييل» فى تأسيس «الشركة المساهمة المصرية المالية والعقارية» عام ١٩٣٤م وتولى رئاسة مجلس إدارتها وبلغ رأسمالها ٧٥ ألف جنيه مصرى، وتشكل مجلس الإدارة من ماكس اجيون، هنرى موصيرى، رالف هرارى وفيتا إبراهام فرحات.

كذلك أسس مجموعة من المستثمرين اليهود «شركة أراضى الدقهلية» برأسمال ٨٠

ألف جنيه مصرى، تولى موريس جربوعه رئاسة مجلس الإدارة وأسهم فى عضويته رينيه اسمالوم واسحق مزراحى.

ثم الشركة العقارية لحى محطة مصر، التى كان إيزاك ليفيرئيسا لمجلس إدارتها وشارك فى عضويته جيمى ليفى وايزاك يائير.

كذلك أسست أسرة «عاداه» فى هذا المجال «شركة العقارات الشرقية المساهمة» برأس مال مقداره ٢٥ ألف جنيه مصرى، وكان فيكتورعاداه رئيسا لمجلس إدارتها، وشارك فى عضويته جوزيف عاداه وفرنان عاداه كما شارك فيكتور عاداه وجوزيف عاداه فى تأسيس وإدارة «شركة الأشغال والمبانى المصرية».

أيضا تأسست الشركة العقارية العمومية بمصر برأس مال قدره ٢٥٠ ألف جنيه مصرى واشترك فى إدارتها روبير رولو، وموريس نسيم موصيرى، وأميل عدس ، ورالف هرارى.

وأسهم جوزيف عاداه وجويد ليفى وموريس دباح فى تأسيس وإدارة شركة المباحث والأعمال المصرية التى بلغ رأسمالها نحو ١٤٠ ألف جنيه.

كذلك أسهم جوستاف اجيون وارمان موستاكى فى تأسيس وإدارة شركة مشروعات الأراضى والبناء» التى بلغ رأسمالها ٩٧ ألف جنيه مصرى.

وكانت ليهود مصر السيطرة فى مجال حيوى خطير هو تجارة البترول ومشتقاته، وقد اسهم إيلى اميل عدس فى تأسيس وإدارة «شركة البترول المصرية» التى بلغ رأسمالها ٧٥ ألف جنيه مصرى وكان جاكو دى كومب عضوا بمجلس ادارتها.. وهذه الشركة كانت تعرف باسم «شركة الغاز المصرية» عندما أسسها «فيتوريو جيانوتى» عام ١٩٣٠م ثم تحولت إلى شركة مساهمة مصرية عام ١٩٣٢م أسهم فيها جيانوتى وحده بمبلغ ٣٩ ألف جنيه مصرى، وقد اجتذبت هذه الشركة اهتمام شركة الألمونيوم الفرنسية العالمية وبعد مفاوضات أسهمت فى رأس مال الشركة المصرية وأصبحت تمتلك ٥٥٪ من قيمة الأسهم، ومع تزايد نشاط تجارة البترول، عملت شركة الغاز المصرية على تأسيس «شركة الغاز الأهلية» وأسهمت بنسبة ٩٧٪ من رأس المال. وكانت الإدارة والإشراف التنفيذى لليهود، فى هاتين الشركتن وصادف نشاطهما رواجا كبيرا، وافتتحت شركةالغاز الأهلية عدة فروع لها بالدول العربية، وأنشئ فرع للشركة فى فلسطين عام ١٩٣٢م، ومحطات لتوزيع البنزين فى حيفا وعكا وطبريا، وبعد حرب ١٩٤٨م توقفت العلاقة المباشرة بين الشركة وفروعها بفلسطين وتولت شركة الألمونيوم الفرنسية مباشرة فرع الشركة بفلسطين

باعتبارها تمتلك غالبية أسهم الشركات المصرية، بل أنها عقدت اتفاقا بموجبه تسلمت إسرائيل موجودات فرع الشركة المصرية وإدارته ! وفى مجالات التأمين أسس بعض المستثمرين اليهود عدة شركات للتأمين منها «شركة الإسكندرية للتأمين» والتى بلغ رأسمالها ٣٦٠ ألف جنيه مصرى، وشارك فى تأسيسها وعضوية مجلس إدارتها روبير رولو، أميل عدس، البير مزراحى وادوين جوهر وجوستاف اجيون.

كما شارك روبير رولو وموريس نسيم موصيرى وأصلان قطاوى فى تأسيس وإدارة«شركة التأمين الأهلية المصرية» البالغ إجمالى رأسمالها ٣٠٠ ألف جنيه مصرى، وكان روبير بلوم مديرا عاما لها.

أيضا تأسست «شركة الإسكندرية للتأمين على الحياة» برزس مال قدره ٧٥ ألف جنيه مصرى، وشارك فى مجلس إدارتها روبير رولو وادوين جوهر.

وفى مجالات النقل البرى، والبحرى، أسهم يهود مصر فى تأسيس وإدارة العديد من الشركات فشاركت أسرة «موصيرى» فى تأسيس وتوجيه «شركة ترام الإسكندرية البلجيكية» ثم شركة ترام الرمل الإنجليزية اللتين حققتا نجاحا كبيرا وأرباحا وفيرة فى الفترة من عام ١٩٢٢م حتى عام ١٩٥٢م وكذلك شركة ترام القاهرة البلجيكية».. وكان كل من موريس نسيم موصيرى، وهنرى موصيرى، وجويد وموصيرى أعضاء فى مجالس إدارات هذه الشركات كذلك أسهمت أسرة «موصيرى» فى تأسيس وإدارة «شركة سكك حديد الفيوم» والتى بلغ رأسمالها ٩٥ ألف جنيه مصرى.

وأسست أسرة «سوارس» شركة أمنيبوس القاهرة فى عام ١٩٠٦م، ثم اندمجت هذه الشركة مع «شركة الامنيبوس العمومية» عام ١٩٣٣م التى أسهم روبير رولو فى تأسيسها وادارتها.

أيضا أسهم بعض المستمثرين اليهود فى إدارة شركتى لومبارد ودى مارتينو حتى عام ١٩٣٦م بانتهاء تراخيصهما، ثم شركة سيشليا، وشركة رويال وكانت شركة ترام الرمل الإنجليزية قد تقدمت بتأسيس «شركة الإسكندرية للنقل بالأتوبيس» فى عام ١٩٣٨م.

وأسهم جاكو دى كومب فى تأسيس وإدارة «الشركة المصرية للنقل بالسيارات» فى عام ١٩٢٥، وقد اقتصر نشاط هذه الشركة على نقل البضائع فقط، خاصة القطن والغلال، وقد تأثرت أعمال الشركة كثيرا فى سنة ١٩٣١ م بسبب الأزمة الاقتصادية، إلا أنها صادفت رواجا وأرباحا هائلة عندما كلفتها– لجنة شراء القطن البريطانية– فى سنة ١٩٣٩م بنقل كميات ضخمة من القطن وبذوره.

وفى عام ١٩٣٥م أسست شركة شكك حديد الدلتا الإنجليزية التى سيطر اليهود على أعمالها الإدارية والتنفيذية «شركة السيارات المتحدة المساهمة» و«شركة أتوبيس البحيرة والغربية» للربط بين مديريات الوجه البحرى.

كما أسهمت أسرتا «قطاوى» و«رولو» فى إدارة «شركة وابورات البوستة الخديوية» وكانت تسمى فى عهد الخديو سعيد الشركة المجيدية ثم تغير أسمها إلى الشركة العزيزية فى عهد الخديو إسماعيل، وتحولت إلى مصلحة حكومية عام ١٨٧٣ وعرفت باسم شركة البوستة الخديوية غير أن الحكومة المصرية قد باعتها بكل إدارتها وورشها وسفنها إلى عدد من الشركاء اليهود، وكان أبرز أعضاء مجلس الإدارة أصلان قطاوى وروبير رولو.

كذلك أسهم جويد وليفى فى تأسيس وإدارة شركةالملاحة بالمنزلة التى بلغ رأسمالها ٢٦ ألف جنيه مصرى.

البنوك والشركات المالية اليهودية

كانت أعمال الصرافة والربا أهم المجالات التى اشتغل بها اليهود، وبرز عدد من المرابين بصورة ملحوظة فى عهد الخديو إسماعيل، حيث أداروا بنوك الرهونات والتسليف وأسهموا فى تأسيس بنوك وشركات ائتمان تتولى عمليات الخصم والعمولة وتقديم القروض، ويشير المؤرخ الفرنسى جابرييل شارم الذى عاصر ذلك العهد أن السماسرة اليهود كانوا يدفعون الخديو إسماعيل إلى عقد القروض المتتالية من بيوت المال اليهودية الأوروبية.

ويعد تاريخ البنوك ونشأتها فى مصر هو ذاته تاريخ ونشأة البنوك التى أسستها العائلات اليهودية بعد أن استقر بهم المقام فى مصر وتملكوا الثروات العريضة، فكان لهذه البنوك دورها الخطير فى تمويل الحكومة، وفى استثمار الأموال الأجنبية فى مصر.

والبنوك هى أحد النظم المصرفية التى عرفتها أوروبا منذ القرن السابع عشر، ومهد لها قبل نشأتها صيارفة فى استبدال العملات الأجنبية وقبول الودائع من المعادن والعملات. ولم يقيض لمصر أن تعرف أنظمة البنوك إلا بعد قرنين ونصف القرن من الزمان منذ تأسيسها فى أوروبا، والتى سارت فيها شوطا طويلا فى الممارسة والخبرة والدراسة.

وقد تميزت فئة المولين من الرأسماليين اليهود، بدرجة عالية من الكفاءة والعقلية المالية المنظمة الخبيرة، وأسهمت هذه العائلات اليهودية بتعاونها فيما بينها فى تنفيذ العمليات المالية الضخمة التى تعجز موارد أى منها عن مواجهتها منفردة، ومن أبرز العائلات اليهودية فى هذا المضمار قطاوى ،موصيرى، سوارس، منشه، رولو، سرسقه.. فأسهمت

هذه العائلات فى إنشاء وإدارة وتوجيه البنوك والشركات المالية والائتمانية، التى كانت تتولى مختلف المعاملات المالية، والاتجار فى العقارات والأراضى الزراعية وامتلاكها واستغلالها وتمويل المشروعات الصناعية والزراعية حتى تغير النشاط العام ليهود مصر مع إعلان قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨م، وتهريب معظم رؤوس الأموال إلى الخارج، مما حتم صدور قانون تمصير البنوك الأجنبية فى مصر فى ١٥ من يناير عام ١٩٥٧م، ومن أبرز هذه البنوك:

البنك العقارى المصرى

اسهمت ثلاثة عائلات يهودية هى قطاوى وسوارس ورولو فى تأسيس وإدارة هذا البنك فى أول يناير سنة ١٨٨٠م كما أسهم فى تأسيسه وتوجيهه بنك «الكريدى ليونيه» الفرنسى العالمى- وهو البنك الرئيسى لصندوق الدين فى مصر وقد بلغ رأس مال البنك العقارى المصرى عند تأسيسه ٤٠ مليون فرنك فرنسى، ووصل إلى ٨ مليون جنيه مصرى فى سنة ١٩٤٢م وبلغت أرباحه نحو مليون جنيه فى تلك السنة، وقد لعب هذا البنك بصفة خاصة دورا خطيرا فى الاقتصاد الزراعى المصرى منذ انشائه، فنتيجة للقروض التى قدمها للملاك الزراعيين المصريين، التى بلغت ١٤٦٥٣ قرضا قيمتها ٥٢،٥ مليون جنيه مصرى منذ إنشائه وحتى عام ١٩١٠م فقط، أن أصبح يتحكم فى أكثر من مليون فدان وكان بروبير رولو نائبا لرئيس مجلس الإدارة وموجها للسياسة المالية للبنك. ومنحته الحكومة البريطانية لقب «سير» تقديرا لجهوده فى خدمة مصالحها فى مصر.

البنك الأهلى المصرى

وهو أكبر وأنشط البنوك الأجنبية بشكل عام، ولعب دورا مهمًا فى تاريخ مصر الاقتصادى والمالى منذ تأسيسه فى ٢٥ يونيو ١٨٩٨م وقد بلغ رأسماله ٣ مليون جنيه إنجليزى، ومثل هذا المبلغ فى الاحتياطى، وقد تحول إلى بنك مركزى عام ١٩٥١م وزاول نشاطه فى مختلف الأعمال التجارية، كما تولى- بمقتضى الامتياز الممنوح له إصدار أوراق البنكوت المستحقة الدفع لحامليها وكان صاحب امتياز تأسيس هذا البنك هو «روفائيل سوارس».. بالاشتراك مع أرنست كاسل وميشيل سلفاجو وقد أسهمت عائلات سوارس، هرار، ورولو فى تمويل وإدارة هذا البنك، وكان أبرز أعضاء مجلس إدارته روبير رولو وفيكتور هرارى.

البنك التجارى المصرى

وكان يعرف عند تأسيسه فى سنة ١٩٠٥م باسم بنك التسليف الفرنسى ثم تحول إلى

شركة مساهمة مصرية باسم البنك التجارى المصرى فى سنة ١٩٢٠م وأسهم فى تأسيسه وإدارته أسرتى سوارس وقطاوى وقد واكب تأسيسه ظروف اقتصادية سيئة أثرت كثيرا على أعماله فى تجارة القطن خاصة، مما اضطره إلى تخفيض رأس ماله فى سنة ١٩٢٣م من ٣٠٠ ألف جنيه استرلينى إلى ١٥٠ ألف جنيه استرلينى، واستمر تأثره بحالات الركود والأزمات الاقتصادية فى الثلاثينيات ، ولكن ما لبث أن توسع فى نشاطه ابتداء من عام ١٩٤٤م وزيادة رزس ماله من ١١٠ ألف جنيه اسرتلينى إلى ٤٠٠ ألف جنيه استرلينى إلى مليون ومائتى ألف جنيه استرلينى فى عام ١٩٤٦م، وكان من أبرز أعضاء مجلس إدارته جاك سوارس وجوزيف قطاوى.

بنك موصيرى

وهو من أقدم البنوك الإيطالية فى مصر، أسسته أسرة موصيرى وبإسهام أيضا من أسرة كورييل فى عام ١٨٨٠م وقد ظل حتى سنة ١٩٣٥م شركة تضامن ثم تحول إلى شركة مساهمة مصرية برأس مال قدره ١٠٠ ألف جنيه مصرى إلى أن وصل إلى ٢٥٠ ألف جنيه مصرى فى سنة ١٩٤٢م، واستثمر البنك أمواله فى مختلف الأعمال التجارية، وامتلاكا لسندات المالية والعقارات ومنح القروض، ومثلما سيطر اليهود ذوى الأصول الإيطالية على رأس المال لهذا البنك فقد سيطروا أيضا على إدارته ومختلف الوظائف الرئيسية وتولى إيلى كورييل رئاسة مجلس الإدارة ومن أبرز أعضائه موريس نسيم موصيرى، فيلكس موصيرى وفيتا إبراهام فرحات وكان مقره فى ٢٣ شارع الشيخ أبو السباع.

بنك سوارس

تأسس عام ١٨٨٠م باسم بنك أولاد سوارس وشركائهم، وهى أسرة من أصول فرنسية وبعضها يحمل الجنسية الإيطالية، وقد أعيد تأسيس هذا البنك فى عام ١٩٣٦م بعد تحويله إلى شركة مساهمة مصرية بإسهام مستثمرين يهود أخرين، كان ابرزهم يوسف قطاوى، وبلغ رأس ماله عند إعادة تأسيسه ٥٥ ألف جنيه مصرى، ومارس البنك نشاطا فى كافة الأعمال المصرفية والتجارة خاصة تجارة القطن وأنشأ ورشة أحذية ومعصرة للزيوت، كما نشط أيضا فى تمثيل شركات التأمين والملاحة والنقل ومركزه الرئيسى بالإسكندرية وله فرعان فى القاهرة ومدينة طنطا وقد تولى رئاسة مجلس إدارته جاك نجار، ومن أبرز أعضائه يوسف قطاوى وكارلوس سوارس وفريد ساكس.

البنك البلجيكى الدولى

تأسس عام ١٩١٢ وأعيد تأسيسه فى شكل شركة مساهمة مصرية فى يناير عام ١٩٢٩ تكونت فى بروكسل واتخذت من مصر مركزا لنشاطها، وأسهم فى تأسيسه عدد من البنوك والشركات المالية والصناعية البلجيكية والبنك التجارى السويسرى، والبارون البلجيكى إدوارد امبان بالإضافة إلى عائلتى رولو وعدس، وقد بلغ رأس ماله عند التأسيس ٥٠٠ ألف جنيه مصرى ومركزه الرئيسى بالقاهرة ثم افتتح فرعين بالإسكندرية، وفرعين آخرين فى شبرا ومصر الجديدة ومارس البنك مختلف الأعمال المصرفية والأنشطة التجارية، وكغيره من البنوك الأجنبية، كان يضع تقاريرا سنوية عن نشاطه وميزانيته ، تميزت بتحليلات دقيقة لكافة الانشطة الاقتصادية فى مصر من زراعة وصناعة وتجارة داخلية وخارجية وعرض لمالية مصر العامة وحركة رؤوس الأموال فيها، وقد بلغ رأس مال البنك فى سنة ١٩٥٢م نحو ٥٥٠ ألف جنيه مصرى، محققا أرباحا قدرها ١٤٦،١١٨ ألفا فى تلك السنة وكان من أبرز أعضاء مجلس إدارته سير روبير رولو واميل نسيم عدس.

بنك زلخة

صدر مرسوم تأسيس هذا البنك فى مارس عام ١٩٤٤م فى شكل شركة مساهمة مصرية، برأس مال قدره ١٠٠ ألف جنيه مصرى، وأسسته أسرة زلخة اليهودية العراقية، كما أسهم فى تأسيسه وإدارته وأعماله عدد من اليهود الأجانب المتمصرين ، والمركز الرئيسى للبنك فى القاهرة وفرعين آخرين فى حى الموسكى ومدينة الإسكندرية، ومارس نشاطا فى الأعمال المصرفية وتجارة القطن وبعض المشروعات الصناعية والتجارية، وحقق أرباحا مقدارها نحو ٦٢ ألف جنيه مصرى فى ميزانية ١٩٤٨م وكان عبد الله خضورى زلخه مديرا للبنك وهو من مواليد بغداد عام ١٩١٣م وأكمل دراسته فى انجلترا عام ١٩٣٠م ثم عينه والده وكيلا لبنك زلخة بسوريا وقدم إلى القاهرة عام ١٩٤٠م.

وبنك «حاييم يعبيس» والذى سمى بعد وفاة مؤسسه عام ١٩٠٩م بنك ايزاك ليون وأولاد إيلى يعبيس وتولى ولده ايزاك يعبيس رئاسة مجلس إدارة هذا البنك، والذى ولد بالقاهرة عام ١٨٧٤م وبلغ رأس مال هذا البنك نحو ٧٥ ألف جنيه مصرى.

كذلك أسست أسرتا ناكامولى وسيكوريل الشركة المصرية لتوظيف الأموال والتسليف وتولى ايزاك ناكومولى رئاسة مجلس الإدارة الذى ضم فى عضويته البير ناكامولى وسلفاتور سيكوريل وسيمون رولو.

وأسهمت عائلات عدس، رولو،موصيرى، قطاوى فى تأسيس وإدارة «الشركة المصرية

المالية» وتشكل مجلس الإدارة من كليمان عدس رئيسا وعضوية هنرى موصيرى وموريس نسيم موصيرى، سيمون رولو أصلان قطاوى ورالف هرارى.

وأسهم سمحا امباخ وجاك يانكوفتش فى تأسيس وإدارة شركة الشرق الأدنى المالية عام ١٩٣٧م برأسمال قدره ٥٠ ألف جنيه مصرى.

وسمحا امباخ ولد فى يافا فلسطين سنة ١٨٩٢م، هاجر إلى القاهرة، وأتم دراسته بجامعة نانسى بفرنسا، ومارس نشاطا تجاريا واسعًا.

هذا النشاط المالى الضخم ليهود مصر، وما صحبه من تأسيس الشركات والمصانع والبنوك نتج عنه أن اصبحوا يسهمون فى إدارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموعة الشركات المسجلة فى مصر البالغ ٣٠٨ شركات فى خلال العقد الرابع من القرن العشرين، الذى شهد تصاعد الاضطهاد النازى والعداء لليهود فى أوروبا، أضف إلى هذا، أن هذه الشركات كانت تعمل فى أهم ميادين الاقتصاد ولنتخيل وضعها الحقيقى على مسرح الاقتصادى المصرى.

من خلال السنوات بين عامى ١٩٤٠– ١٩٤٦م بلغت الطائفة اليهودية فى مصر اوجها فى النشاط الاقتصادى بينما كان عالم التجارة والاقتصاد مرهق من ثقل الازمة الاقتصادية الكبرى عالميا، ففى الحرب الثانية، كانت مصر تعيش وضعا غربيا، بينما صحراء العلمين كانت مسرحا لمعارك دامية رهيبة، إلا أن الحكومة المصرية لم تعلن دخولها الحرب سوى فى عام ١٩٤٥م ونظرا لعداء الحركة الوطنية المصرية لجيوش الاحتلال الإنجليزى، فإن الطائرات الألمانية والإيطالية لم تقصف إلا ميناء الإسكندرية ففى تلك الفترة نلحظ نشاطا تجاريا ضخما، فكميات البضائع والمنتجات الهائلة المكدسة من خلال السنوات الازمة والتى كانت نادرا ما تجد عملاء قادرين على وفاء الديون، نجدها تنزع لقاء أثمان خيالية، والتضخم المالى ظاهرة جديدة نشأت وغذاها تزايد نفقات جيوش الحلفاء فى مناخ ملائم للنشاط التجارى، وعقبات الاستيراد سمحت بالانفراج السريع لبعض الصناعات المحلية الصغيرة والكبيرة وتكوين عشرات الآلاف من العمال المتخصصين تقريبا.

استفاد يهود مصر بوجه خاص من هذه الحالة الاستثنائية وحقق التجار وأصحاب المصارف والمصانع أرباحا هائلة، ورؤوس الأموال الأجنبية التى استثمرت فى الداخل وأخذت تنمو سريعا ورؤوس الأموال المحلية المتراكمة اعيد توظيفها وتكونت شركات مساهمة جديدة وظهرت طبقة عريضة من أغنياء الحرب كونت ما يمكن أن نطلق عليه ..

Establishment يـهودى قـوى ومـخـتلف عن بـاشـوات الـطـائفـة القـدامى أمثـال قطاوى موصيرى، سوارس، منشه، رولو.

لتلمع أسماء جديدة مثل زلخة، شاويله، ناكامولى، جاتينيو..

ونستطيع أن نقول أنه منذ تولى الخديو إسماعيل الحكم سنة ١٨٦٣م، وحتى منتصف القرن العشرين أصبحت العائلات اليهودية الكبيرة التى استقرت بمصر، وبعض أفراد من الطبقة المتوسطة من اليهود المصريين، أغنى طبقة يهودية فى الشرق الأوسط، ولم يؤثر فى تلك المكانة المتميزة لهذه الطبقة فى الاقتصاد المصرى إلغاء الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٧م، وانخفاض معدلات الهجرة اليهودية إلى مصر أو صدور عدة تشريعات قانونية تهدف إلى مضاعفة إشراف الحكومة المصرية على الشركات والمشروعات الاجنبية، والتى كان أهمها قانون الشركات رقم ١٣٨ الصادر فى يوليو ١٩٤٧م حيث أمكن التحايل على هذه القوانين والإجراءات.

غير أن قيام دولة إسرائيل فى سنة ١٩٤٨م ونشوب الحرب بينها وبين العرب، حتم مصير الطائفة اليهودية فى مصر، وخاصة قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م وتغير موازين العلاقات بين أقطاب العائلات اليهودية والسلطات الحاكمة تغييرا جذريا، بالإضافة إلى سياسات التمصير الفعلى وإجراءات التأميم والحراسة التى طبقتها حكومة الثورة جعلت هؤلاء يبدأون فى تصفية أملاكهم وأعمالهم والهجرة إلى الخارج.. لتحرم مصر من أنشط طائفة عرفتها فى تاريخها الحديث.. رغم كل المآخذ..!

الفصل السابع
أصحاب المعالى والسعادة والعزة
دليل الطبقة الراقية!

حاييم ناحوم أفندى:

الحاخام الأكبر للطائفة اليهودية بمصر

ولد بمدينة «مجنيسا» بالقرب من أزمير عام ١٨٧٣م، وبعد أن إجتاز تعليمه الأولى، أوفد إلى «معهد العلوم الدينية» بمدينة« طبريا» بفلسطين، حيث درس التلمود وأصول الدين اليهودى، عاد إلى أزمير فالتحق بالمدرسة الثانوية السلطانية وحصل على شهادة البكالوريا، ثم التحق بكلية الحقوق بالآستانة، ثم سافر إلى باريس عام ١٨٩١م لإتمام دراساته الدينية والفلسفية حتى حصل على شهادة «حاخام أكبر» عام ١٨٩٧م من مدرسة اللاهوت اليهودية العليا، كما تردد على معاهد باريس العلمية لدراسة التاريخ، والفلسفة وفقه اللغات الشرقية، فتتلمذ على «شيفر» و«دار مبورج» وغيرهم من كبار المستشرقين..

عاد حاييم إلى تركيا، فعين أستاذا للتلمود والوعظ والتاريخ بمدرسة اللاهوت الإسرائيلية، كما عين مدرسا بكلية المدفعية والهندسة العسكرية العليا، وفى عام ١٩٠٧م، انتدب للسفر إلى الحبشة للبحث فى أحوال قبائل الفلاشا اليهودية، وعاد فى العام التالى، وشهد انتصار حزب الترقى وعين حاخاما أكبر لتركيا، وفي خلال السنوات ١٩١٨-١٩٢٢م، نشط فى إلقاء المحاضرات فى عدة دول أوروبية وفى الولايات المتحدة، بناء على دعوة من الجامعات والهيئات العلمية، وعين مستشارا للوفد التركى فى «مؤتمر لوزان» وفى

عام ١٩٢٤م جاء إلى مصر عقب تعيينه حاخاما أكبر ليهود مصر، وفى مارس عام ١٩٢٥م صدر أمر ملكى باعتماده فى هذا المنصب وفى عام ١٩٢٩م منح الجنسية المصرية، وفى يونيو عام ١٩٣١م عين عضواً بمجلس الشيوخ، وفى نوفمبر عام ١٩٣٣م، عين عضوا بالمجمع الملكى للغة العربية.

أجاد حاييم ناحوم من اللغات القديمة: العبرية والعربية والآرامية والسريانية والحميرية، ومن اللغات الأوروبية: الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والاسبانية بالاضافة إلى لغته الأصلية: التركية.

فى عام ١٩٣٢م، وبأمر من الملك فؤاد الأول، أشرف على إصدار كتاب يتضمن «الفرمانات الشاهانية» الصادرة بمصر، من العصر العثمانى عام ١٥١٧م حتى عام ١٩١٤م مع مقدمة تاريخية ومعجم للكمات العربية والتركية المستخدمة فى هذه الفرمانات الشاهانية.

وكرمه سلاطين آل عثمان، فحمل الوشاح الأكبر من النيشان العثمانى والوشاح الأكبر من النيشان المجيدى، والصليب الأكبر من وسام فرانسوا جوزيف إمبراطور النمسا، ووسام سليمان بدرجة كوماندور من النجاشى الثانى إمبراطور الحبشة، ووسام جوقة الشرف من المسيو دومرج رئيس الجمهورية الفرنسية، وكان مقر إقامته فى ٦ شارع خليل أغا بجاردن سيتى.

جوزيف

جوزيف أصلان قطاوى:

«١٨٦١– ١٩٤٢م درس الهندسة فى فرنسا ثم عاد إلى مصر ليعمل فى وزارة الأشغال العامة، رحل إلى مورافيا– شرق جمهورية التشيك– لدراسة صناعة تكرير السكر، وعقب عودته أصبح مديراً لشركة السكر المصرية ورئيسًا لشركة كوم أمبو التى قامت على أنقاض مشروع الخديو إسماعيل لإستصلاح وزراعة آلاف الأفدنة بقصب السكر بأسوان فكانت صناعة السكر فاتحة العديد من المشروعات الصناعية والمالية لعائلة قطاوى مما مكنها من الحصول على نفوذ إقتصادى وسياسى هائل، حصل يوسف أصلان على الباشوية عام ١٩١٢م، وعين نائبًا فى البرلمان عام ١٩١٥م حتى عام ١٩٢٢م عن دائرة كوم أمبو، أنتخب عضوا بلجنة صياغة الدستور عام ١٩٢٣م، ثم عينه أحمد زيوار باشا وزيراً للمالية ثم وزيراً للمواصلات ١٩٢٤–١٩٢٥م، وبقرار من الملك فؤاد عين عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٢٧م، وكانت قرينته« أليس سوارس» وصيفة للمكلة نازلى، تولى رئاسة

مجلس طائفة اليهود السفارديم في خلال الفترة ١٩٢٤-١٩٤٢م كما رأس الغرفة التجارية المصرية، بالإضافة إلى رئاسة وعضوية مجالس إدارات عدة شركات مساهمة، وكان له فضل تعزيز روابط عائلة قطاوى بالأسرة المالكة وتشكيل تحالف إقتصادى مع عدد من العائلات اليهودية: موصيرى وسوارس وعدس ورولو وبنتو، كما كان عضواً بأندية: محمد على والجزيرة والسيارات الملكى، وأقام بفيلا قطاوى باشا فى ٨ شارع إبراهيم نجيب باشا بقصر الدوبارة.

رينيه بك قطاوى:

ولد بالقاهرة فى ٩ أكتوبر عام ١٨٩٦م، مدير عام شركة وادى كوم أمبو، كان عضوا بالمجلس الاقتصادى، والمجلس الاستشارى بوزارة الزراعة، وعضو مجلس إدارة الجمعية الزراعية الملكية، والجمعية الجغرافية الملكية، وانتخب عام ١٩٣٨م عضواً بالبرلمان عن دائرة كوم أمبو، كان نائباً لرئيس طائفة اليهود السفارديم حتى خلف والده- يوسف أصلان قطاوى- فى رئاسة مجلس الطائفة بالانتخاب في خلال الفترة ١٩٤٣-١٩٤٦م كما كان عضواً بأندية: محمد على والجزيرة والسيارات الملكى واليخت الملكى.

أصلان بك قطاوى:

ولد فى ٢٦ من يوليو عام ١٨٩٠م بالإسكندرية، تلقى تعليمه بكلية لوزان للعلوم بسويسرا، عضو مجالس إدارة عدة شركات مساهمة، عضو مجلس إدارة جمعية فؤاد الأول للإقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع، عينه الملك فاروق عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣٨م خلفاً لوالده يوسف أصلان قطاوى باشا، وظل وشقيقه رينيه عضوين بالبرلمان حتى حله فى عام ١٩٥٣م، حصل على نيشان إسماعيل من الطبقة الرابعة، ووشاح أورانج ناسو من مملكة هولندا، ووسام لجيون دونير بدرجة فارس من الحكومة الفرنسية.

موسى قطاوى باشا:

«١٨٤٩-١٩٢٤م» أصغر أبناء يعقوب قطاوى باشا وأكثرهم شهرة، كان رئيساً لطائفة اليهود السفارديم لمدة أربعين عاماً، ورأس مجلس إدارة البنك الأهلى المصرى، كما كان عضوا بمجالس إدارات عدة شركات مساهمة، انتخب رئيساً لجمعية رفاهية النمسا، ورئيساً فخرياً لرابطة «بناى بريت»!

ابرام رولو:

كان من وجهاء الإسكندرية، وعضواً بمجلس إدارة عدة شركات مساهمة، كما كان عضواً بأندية محمد على، والجوكى والاتحاد والسباق بالإسكندرية، والسيارات الملكى،

وسكن بميدان وابور المياه.

اتيليوبينيتو:

تاجر ومصدر أقطان، وعضو بنوادى محمد على والسيارات الملكى واليخت الملكى، أقام بشارع فؤاد الأول بالإسكندرية.

أدجار جلاد:

كان محامياً شهيراً، وصاحب ومدير تحرير جريدة لوجيبت الفرنسية، كما كان عضوا بالنادى الشرقى وأندية الروتارى، وأقام فى ٢٧ شارع قصر النيل.

أصلان ليفى عجمى:

من كبار تجار القطن ووكيل أشغال البورصة، وعضو بأندية محمد على والسيارات الملكى، والاتحاد، ومقر إقامته فى ١٧٨ شارع فؤاد الأول بالإسكندرية.

ايزاك ليفى:

أمين سر الاتحاد المصرى للصناعات ورئيس تحرير نشرته الدورية التى حملت اسم «مصر الصناعية».

ايلى بوليتى:

رجل الدعاية والاعلان، روج لمصالح الطبقة الرأسمالية اليهودية، أسس صحيفة أسبوعية حملت اسم «المستشار المالى والتجارى»

اندريه روصانو:

وكيل أشغال البورصة الملكية، وفيلته بشارع اندريه روصانو بالسيوف، وكان من أعيان الإسكندرية

البرت تاجريك:

كان واحداً من أبرز المحامين اليهود، كما كان نائبًا من الدرجة الأولى بقلم قضايا المحاكم المختلطة، ومكتبه فى ٧٣ شارع الملكة نازلى «رمسيس».

اميل جاكوب:

مدير عام البنك العقارى الشرقى، عضو أندية السيارات الملكى والجزيرة والطيران الملكى، وأقام فى ١١ شارع حوض اللبن بجاردن سيتى.

جاك بينين:

كان تاجراً ووكيلاً لأشهر شركات الأدوية والمواد الكيماوية العالمية، عضو نادى السيارات الملكى، ومقر إقامته فى ٦ شارع النباتات بجاردن سيتى.

أصلان فيدون:

ولد عام ١٨٨٦م، وفى عام ١٩١٧م أسس شركة لتوريدات المصالح الحكومية والجيش والمستشفيات، أنشأ مدرسة ابتدائية وملجأ للعجزة، وكان مكتبه فى ٩شارع الرويعى وسكن بشارع د. ملتون بالزمالك.

ايمانويل مزراحى:

محامى ديوان خاصة الملك فاروق والأوقاف الملكية، ولدي محاكم الاستئناف المختلطة العليا، كان عضواً بنوادى محمد على والسيارات الملكى والجزيرة والمعادى، وكان مكتبة فى ٢٧ شارع الشيخ أبو السباع، وفيلته بميدان موصيرى بالمعادى.

انطون أرقش بك:

كان تاجرا شهيراً ومن أعيان الإسكندرية وصاحب مصنع ثلج، أقام فى ٢١ شارع رياض باشا بباكوس.

ايزاك ايريرا:

رئيس قومسيون بورصة الأوراق المالية، كان مقيمًا فى ٤٤ شارع الإسكندر الأكبر بالمزاريتا «الأزاريطة».

اميل داودعدس:

صاحب محلات داود عدس وولده الكبرى، وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، وعضو أندية محمد على والسيارات الملكى والترف والجزيرة والاتحاد الإنجليزى المصرى وألعاب الإسكندرية، وأقام فى ٦ شارع الشيخ الأربعين بقصر الدوبارة.

اميل أورفلى بك:

طبيب شهير، وكانت عيادته فى ٢٨ شارع شريف باشا.

البارون اميل منشة:

أحد رجال المال والأعمال بالإسكندرية، كان مقيماٍ فى ٧٨ شارع فؤاد الأول.

البارون جاك دى منشة:

أتم علومه فى باريس، أحد كبار رجال المال والأعمال بالإسكندرية عضو أندية محمد على والعاب الإسكندرية والسباق ، كما كان عضواً بارزًا بعدد من الجمعيات اليهودية.

جاك بيهور دى منشة:

كانت أبرز نشاطاته فى مجال بورصة القطن وتجارة السكر، تولى رئاسة مجلس طائفة اليهود القرائين بالإسكندرية لمدة ٢٥ عامًا، شارك مع أقطاب عائلته فى تأسيس عدد من المؤسسات الإجتماعية بالإسكندرية.

البارون فيلكس منشه:

بنكير وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، كان من أبرز مؤيدى الحركة الصهيونية فى مصر، رئيس شرف طائفة اليهود القرائين بالإسكندرية، وعضو أندية محمد على والعاب الإسكندرية والروتارى، كان مكتبه فى ٥٦ شارع فؤاد الأول وسكن فى ١ شارع الرصافة بالإسكندرية.

ادوارد دباس:

طبيب أطفال شهير، رئيس قسم امراض الأطفال بالمستشفى الإسرائيلى بغمرة، عيادة فى ٧ شارع فؤاد الأول بالقاهرة، والإقامة فى ١٨١ شارع عماد الدين.

ادوارد كوك:

محافظ البنك الأهلى المصرى وعضو المجلس الاقتصادى الأعلى ووكيل الاتحاد الإنجليزى المصرى، ولد فى يناير عام ١٨٨١م وتخرج بجامعة كمبريدج، منحته الحكومة البريطانية لقب سير والوشاح الأكبر من نيشان النيل، عضو أندية محمد على والجزيرة والترف والسيارات الملكى، أقام فى ١٢ شارع الدكتور بيومى بالزمالك.

اسكندر مشرقى بك:

من رجال المال والأعمال، أقام فى ١٧ شارع سيزوستريس بمصر الجديدة.

أشيل صيقلى بك:

رئيس الإدارة الأوروبية بمجلس الشيوخ، حصل على نيشان اللوجيون دونير ونيشان النيل من الطبقة الرابعة وتاج ايطاليا من الطبقة الثانية، أقام فى ١٢ شارع رشدى باشا بمصر الجديدة.

اميل بولاد:

محام شهير بالمحاكم المختلطة، أقام فى ١٢ شارع ابراهيم نجيب بجاردن سيتى.

أنيس ساويرس:

طبيب شهير، كانت عيادته فى ٨ شارع »إسماعيل بجاردن سيتى.

بول ديمون:

مدير شركة مصر الجديدة، وعضو بمجلس إدارة عدة شركات مساهمة ، حصل على نيشان اللوجيون دونير ونيشان النيل من الطبقة الثانية، عضو أندية هليوبوليس والجزيرة والسباق والسيارات الملكى، كانت إقامته بفندق هليوبوليس بالاس بمصر الجديدة.

ادوين جوهر:

من كبار رجال المال والأعمال، ووكيل رئيس الطائفة اليهودية بالإسكندرية، وكان عضواً بمجالس إدارات عدة شركات مساهمة، كما كان عضواً بأندية محمد على والسيارات الملكى واليخت الملكى، وأقام فى ٤٠ شارع السلطان حسين.

جاك جوهر:

سمسار أوراق مالية وتاجر أقطان، ووكيل نادى السيارات الملكى، وعضو بأندية محمد على والترف والالنيون والجوكى، وأقام فى ١٤ شارع ستانلى ببولكلى.

جوستاف جوهر:

تاجر وأحد أصحاب محلات جوهر، كان عضواً بأندية محمد على والاتحاد السكندرى والسيارات الملكى، أقام فى ٧ شارع البطالسة.

جاك روبير رولو:

تاجر وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، وعضوا بأندية محمد على والاتحاد السكندرى، والاتحاد الإنجليزى المصرى، أقام بشارع كورنثة بالإسكندرية.

جاك دره:

تاجر وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، ومقر إقامته فى ٤٦ شارع السلطان حسين بالإسكندرية.

جاك روصانو:

وكيل أشغال البورصة الملكية، وعضو أندية محمد على وألعاب الإسكندرية، أقام فى ١٩ شارع العباسيين بالإسكندرية.

جوزيف جلاد بك:

ولد بالإسكندرية فى ٩ من مارس عام ١٨٩٢م، حصل على ليسانس الحقوق، شغل منصب مدير الإدارة الافرنجية بديوان جلالة الملك، حصل على نيشان النيل من الطبقة الثانية، ووسام إسماعيل من الطبقة الثالثة ولوجيون دونير بدرجة ضابط من الحكومة الفرنسية، وكان مقر إقامته فى ٣٧ شارع قصر النيل.

جول خلاط بك:

رئيس بورصة الإسكندرية الملكية، وعضو أندية محمد على، واليخت الملكى، وأقام فى ٢٤ شارع روفر برشدى باشا.

جبريل هانو:

أحد أصحاب محلات هانو الكبرى، أقام بفيلا ميتا بشارع جارستن بمصطفى باشا.

جاستون أجيون:

مهندس معمارى، وكان مكتبة فى ١٤ شارع سيزوستريس، وإقامته فى ٨ شارع الملكة فريده ببولكلى.

جوستاف أجيون:

مهندس معمارى وبنكير، وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، وعضو نادى محمد على وألعاب الإسكندرية، واقامته كانت فى ٦٢ شارع البارون منشة.

حاييم دره:

تاجر وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، وأمين صندوق الغرفة التجارية المصرية، وعضو نادى ألعاب الإسكندرية، ومقر إقامته فى ٣١٢ شارع فؤاد الأول برشدى باشا.

دافيد سكيوريل:

أحد كبار مصدرى القطن، عضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، عضو أندية محمد على والسيارات الملكى وألعاب الإسكندرية واليخت الملكى، ومقر إقامته فى ٢٩٧ شارع فؤاد الأول بمصطفى باشا.

جوزيف مورينو سيكوريل بك:

ولد بالقاهرة عام ١٨٨٧م، عضو مجلس إدارة الغرفة التجارية بالقاهرة، عضو مؤسس بمجلس إدارة بنك مصر عام ١٩٢٠م، شارك فى العديد من مشروعات بنك مصر، بالاضافة إلى سلسلة محلات سيكوريل الشهيرة.

جان جيكوب بك:

السكرتير المالى بوزارة الداخلية، أقام فى ١٠ شارع البرجاس بجاردن سيتى.

رالف جرين:

بنكير، وعضو أندية الجزيرة واليخت الملكى والاتحاد السكندرى، أقام فى ٦٤ شارع الجيزة.

رافائيل توريل:

أحد كبار رجال الأعمال والصناعة، وفيلته بالرأس السوداء

روبير سيمون رولو:

ولد عام ١٨٦٩، أتم علومه فى باريس، عضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، وعضو أندية محمد على والجزيرة والسيارات الملكى، والسباق بالإسكندرية، وكانت إقامته فى ٦ شارع الشيخ بركات بقصر الدوبارة.

روبرت هانو:

أحد أصحاب محلات هانو الكبرى، أقام فى ١٨ شارع فؤاد الأول بالقاهرة.

ريزو ادموند ليفى:

عضو مجلس بورصة الأوراق المالية، حصل على نيشان النيل من الطبقة الثالثة، وعضو أندية اليخت الملكى وألعاب الإسكندرية والروتارى، وكان مكتبه فى ٤ شارع شريف باشا، وسكن فى ٧٠ شارع السلطان حسين.

رينيه إسماعلون:

مهندس زراعى، وعضو مجلس إدارة شركة البحيرة المساهمة والمجلس الاستشارى بوزارة الزراعة، أقام فى ٤٠ شارع لافيزون ببولكلى.

رينيه عاداه:

محام بالمحاكم المختلطة، حصل على نيشان النيل من الطبقة الثالثة وتاج إيطاليا من طبقة كوماندور، وعضو أندية الجزيرة والترف والسيارات الملكى والشيش الملكى، أقام فى ١٣٠ شارع فؤاد الأول بالزمالك.

ريمون عيد:

عضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، عضو أندية الجزيرة والشيش الملكى والسيارات الملكى والطيران الملكى، أقام فى ١٤ شارع الجزيرة بالزمالك.

سلفاتور سيكوريل بك:

عضو مجلس الإدارة المنتدب لمحلات شيكوريل الكبرى، تلقى علومه بسويسرا وعاد عام ١٩١٢م ، عمل بشركة العائلة حتى رأس مجلس إدارتها، مورد السرايات الملكية، عضو الغرفة التجارية المصرية، عضو مجلس طائفة اليهود السفارديم ١٩٣٩-١٩٤٦م ثم رئيسا للمجلس حتى ١٩٥٧م، عضو مؤسس فى جمعية أصدقاء الجامعة العبرية بالقدس، كما كان عضواً بأندية الجزيرة والسيارات الملكى والصيد الملكى والروتارى وهليوبوليس، ومقر إقامته فى ١٢ شارع إبراهيم نجيب بجاردن سيتى.

شارل روفيه:

تاجر، وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، ومن أعيان الإسكندرية، كان عضواً بأندية محمد على والترف والجزيرة والاتحاد السكندرى، أقام فى ٣٠ شارع البارون منشة.

عبد الله خضورى زيلخا:

ولد فى بغداد عام ١٩١٣م، درس فى انجلترا وعاد إلى القاهرة عام ١٩٤٠م، رئيس مجلى إدارة شركة التجارة والمعاملات المالية وفروعها فى الإسكندرية وبغداد وبيروت ودمش، ورئيس بنك زليخا، وعضو بأندية اليخت الملكى وألعاب الإسكندرية، وكان مقر إقامته فى ٨٦ شارع فاروق الأول بالجيزة، وفى ١١٢ شارع فؤاد الأول بالإسكندرية.

عزرا رودريك بك:

مدير عام شركة ماكينات سنجر للخياطة، أقام فى ١١ شارع الشريفين.

عزيز مشرقى:

عضو مجلس النواب، محام بالاستئناف الأهلى، أقام فى ٢ شارع الحصن بالجيزة، وكان مكتبه فى ٤٢ ميدان ابراهيم باشا.

هيكتور دى قطاوى:

عضو مجلس إدارة بنك موصيرى وأولاده وشركاهم، وعضواً بمجلس إدارة عدة شركات مساهمة، كما كان عضوا بأندية محمد على والمعادى، أقام فى ١ شارع الكامل محمد بالزمالك.

ايلى موصيرى:

نائب رئيس طائفة اليهود السفارديم ، عضو مجلس إدارة بنك موصيرى، تمتع بنفوذ إقتصادى واتصالات واسعة فى الدوائر السياسية، وأسهم فى تأسيس عدة شركات كبرى.

فيلكس موصيرى:

تلقى علومه بجامعة كمبردج عضو بمجلس إدارة عدة شركات مساهمة، كما كان عضوا بأندية: محمد على والجزيرة والروتارى، أقام فى ٥٨ شارع الجيزة.

موريس موصيرى:

كان رئيسا وعضوا بمجالس إدارات عدة شركات مساهمة، أنتخب نائبا لرئيس طائفة اليهود السفارديم عام ١٩٤١م، أقام فى فيلته بشارع الجبلاية بالزمالك.

أوفاديا سالم:

ولد فى سالونيك عام ١٨٨٨، ساهم فى تأسيس وإدارة عدة شركات، كان أبرزها شركة التسليفات التجارية أكبر شركات التجارة والتصدير، ارتبط بتحالفات تجارية مع عدد من العائلات اليهودية، كان مقيما فى ٤ شارع سليمان باشا.

ارنست ترامبلى:

تخرج بمدرسة الهندسة بلوزان، ويعد رائد صناعة الاسمنت فى مصر، وكان العضو

المنتدب بمجلس إدارة الشركةالمصرية لأسمنت بورتلاند، ونائبًا لرئيس بنك التسليف العقارى السويسرى المصرى، وكان عضواً بنادى محمد على والنادى السويسرى، ومقر إقامته فى ٢٢ شارع المنصور محمد بالزمالك.

فيلكس طوبى بك:

من كبار التجار، عضو نادى محمد على، أقام فى ١ شارع نيروتوس بك بالإسكندرية.

فيلكس ادموند كارفر:

من كبار مصدرى القطن، عضو أندية ألعاب الإسكندرية والاتحاد والسباق، أقام فى ٣ شارع كارفر ببولكلى.

فيكتور توليدانو:

من كبار رجال الأعمال والتجارة، عضو أندية محمد على والجزيرة والسيارات الملكى، أقام فى ٤ شارع الشيخ الأربعين بقصر الدوبارة.

فيكتور هرارى باشا:

رئيس مجلس إدارة شركة عموم مصانع السكر والتكرير المصرية، وعضو بمجلس إدارة عدة شركات مساهمة، عضو مجلس إدارة البنك الأهلى المصرى، عضو المجلس الاقتصادى، منح لقب سير من الحكومة البريطانية والوشاح الاكبر من نيشان النيل واللوجيبون دونير، عضو أندية محمد على والجزيرة والطيران الملكى والاتحاد الإنجليزى المصرى، وكان مقر إقامته فى ٨ شارع الشيخ الأربعين بقصر الدوبارة.

فيكتور أبرام عاداه:

بنكير، رئيس وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، كان مقيما فى ٧٧ شارع فؤاد الأول بالإسكندرية.

لينوس جاش:

من كبار رجال الصناعة، حصل على نيشان النيل من الطبقة الثالثة، عضو أندية محمد على والسيارات الملكى واليخت الملكى، رئيس مجلس إدارة شركة الغزل الأهلية بالإسكندرية وعضو مجلس إدارة عدة شركات للصناعات المصرية، أقام فى ٣٥٢ شارع فؤاد الأول ببولكلى.

البارون لوليس دى بنوا:

وكيل عام شركة قناة السويس العالمية، عضو المجلس الاقتصادى، رئيس وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، منح نيشان اللوجيون دونير بدرجة فارس وصليب

الحرب الفرنسي والوشاح الأكبر من نيشان النيل، عضو أندية محمد على والجزيرة والفرنسي، كان مقيمًا في ٦ شارع الابراهيمي بقصر الدوبارة.

مارسيل فانسينو:

رئيس مجلس إدارة البنك العقارى وعضو المجلس الاقتصادى وعضو مجلس إدارة شركات التأمين، منح الوشاح الاكبر من نيشان النيل واللوجيون دونير، عضو أندية الجزيرة والسيارات الملكى والتجديف والفرنسي، أقام بفيلا رقم ٤ شارع الطحاوية بالجزيرة.

موريس نحمان:

أشهر تاجر عاديات، سليل عائلة متاتيا، تلقى علومه فى مارسيليا، عمل بالبنك العقارى المصرى، ومقر إقامته فى ٢٧ شارع المدابغ.

موسى ديش بك:

ولد فى ٨ أكتوبر عام ١٨٩١ بالقاهرة، شغل منصب السكرتير المالى بوزارة الداخلية، ومدير عام شركة السكر والتكرير المصرية، والمراقب العام لمجلس بلدى الإسكندرية، أقام فى ٤٤ شارع الفلكى، ثم فى ٢٩ شارع الصالح أيوب بالزمالك، وأخيرًا فى ١١ شارع ابن زنكى «عمارة هرارى» بالزمالك.

مويز فرانكو:

من كبار التجار بالإسكندرية، كان مكتبه فى ٥ حارة ابن رشد، والإقامة فى ٢٥ شارع بابليون بالابراهيمية.

مويز فنتورا:

الحاخام الأكبر لطائفة اليهود الفرائين بالإسكندرية، كان مقيما فى ١١ شارع النبى دانيال، وكان وزيرا للاديان والطوائف فى أول وزارة إسرائيلية.

مويز ليفى دى بنزايون:

صاحب محلات بنزايون الكبرى، عضو أندية محمد على والسيارات الملكى والجزيرة، أقام فى ٦ شارع الأمير عمر بالزمالك.

هربرت بنيامين كارفر:

أحد أعيان الإسكندرية، عضو المجلس البلدى، عضو أندية الترف والجزيرة والسيارات الملكى، واليخت الملكى وألعاب الإسكندرية والاتحاد والروتارى، أقام بفيلته فى ٢ شارع سنادينو بباكوس.

هنرى باركر:

ولد بالإسكندرية فى ١٣ مارس عام ١٨٧٣م، من كبار رجال الأعمال، ورئيس الجالية البريطانية بالإسكندرية، رئيس وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، عضو أندية محمد على والترف والسيارات الملكى وألعاب الإسكندرية، أقام فى ٨ شارع العباسيين بالإسكندرية.

هوج نوس:

مدير عام شركة السكر المصرية، بعدما تنقل فى وظائف فنية بمصانع نجع حمادى وكوم امبو والحوامدية، وخلف والده «هنرى بك نوس» فى هذا المنصب عقب وفاته فى عام ١٩٣٨م، عضو أندية محمد على والجزيرة والسيارات الملكى والروتارى، أقام بفيلته ليه فلامبويان بالجيزة.

هنرى فربيه:

مدير البنك العقارى السويسرى المصرى، عضو أندية الجزيرة والسيارات الملكى، أقام فى ١١ شارع ابن زنكى «عمارة هرارى» بالزمالك.

هنرى فيسارد:

مدير عام شركة الشرق للتأمينات، نيشان النيل من الطبقة الرابعة، عضو أندية الجزيرة والسيارات الملكى، أقام فى ٧ شارع الصالح أيوب بالزمالك.

يوسف حمصى:

مدير عام شركة الترحيلات، وعضو مجلس إدارة عدة شركات مساهمة، منح نيشان النيل من الطبقة الرابعة، عضو أندية اليخت الملكى وألعاب الإسكندرية، كان مكتبه داخل دائرة الجمرك وأقام فى سيدى بشر.

يوسف ابرام عاداه:

بنكير، عضو مجلس إدارة شركة العقارات الشرقية المساهمة التى كان فيكتور عاداه رئيس مجلس إدارتها، كما شارك فيكتور عاداه وفرنان عاداه: شركة الأشغال والمبانى المصرية، أقام فى ٣٧ شارع فؤاد الأول بالإسكندرية.

يوسف مناحم ليفى:

من مواليد طنطا فى ١٠من يناير عام ١٨٩٩م، أسس وأدار مع أخيه موريس شركة ايكا للحوليات، وشركة الإسكندرية للغزل والنسيج وشركة صباغى باكوس وشركة الإسكندرية للتغليف الصناعى، عضو أندية محمد على والسيارات الملكى، وكانت إقامته فى

٢٠ شارع عدلى بالقاهرة.

د. يوسف نحاس بك:

أحد كبار رجال الأعمال ومصدرى القطن، سكرتير النقابة الزراعية المصرية، وعضو المجلس الاستشارى بوزارة الزراعة، أقام فى ٧ شارع شامبليون.

الفصل الثامن
الحياة الثقافية ليهود مصر
الصحافة- الأدب- الفن

حقق يهود مصر ازدهارا ملحوظا على المستوى الثقافى، مماثل للازدهار الذى تحقق لهم فى خلال العصر الإسلامى فى الأندلس والمغرب العربى.

كانت الصحافة هى أبرز وسائل الاعلام، وبالتالى كانت أهم وسيلة للتعبير فى حرية كاملة عن تطلعات الطائفة اليهودية ومشاكلها فى مصر.. وإذا وضعنا فى الاعتبار حرص الصهيونية على تجنيد وسائل الإعلام لخدمة أهدافها، فقد حرصت منذ البداية على أن يكون لها صوتها المعبر عنها فى مصر.

ولقد تمتعت الطائفة فى مصر بكامل حريتها فى إصدار الصحف والمجلات، التى بلغت نحو خمسين صحيفة فى الفترة من ١٨٧٧- ١٩٤٧م، منها واحدة وثلاثين صحيفة باللغة العربية.

ومن خلال هذه الصحف، بثت الدعوة إلى تحقيق التفاهم والتعاون بين العرب واليهود مع التأكيد على ما وصفته بأنه «الحقوق التاريخية لليهود فى فلسطين»!!

ونظرا لأهمية موقع مصر الإستراتيجى، فقد حاولت الصهيونية العالمية أن تجعل منها مركزا للنشاط والدعاية الصهيونية فى الشرق ، وتبلور هذا الاهتمام منذ انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول عام ١٨٩٧م فى اعتماد الشخصيات اليهودية المعروفة بانتماءاتها الصهيونية على الصحافة لبث الدعاية الصهيونية وتحقيق هدفين:

١- كسب تأييد الرأى العام المصرى بصفة خاصة، والرأى العام العربى بصفة عامة لمشروعات الصهيونية فى فلسطين.

٢- مقاومة اندماج اليهود فى المجتمعات العربية، وحشدهم وراء الحركةالصهيونية وتوظيف امكاناتهم لخدمة اهدافها.

وقد شهدت تلك المرحلة التى أعقبت المؤتمر الصهيونى الأول، نشاطا ملحوظا من جانب الهيئات والجمعيات الصهيونية التى تكونت بمصر وإصدارها للعديد من الصحف التى كانت فى جوهرها أبواقا للفكر الصهيونى فى المجتمع المصرى، وبالنسبة إلى الصحف الصادرة عن الطائفة اليهودية بمصر، والتى أبدت تعاطفا مستترا مع الاتجاهات الصهيونية، فقد كانت حريصة على التظاهر بالالتزام بمصالح الطائفة من الناحية الدينية.

وقد سعت الصحافة اليهودية إلى اكتساب القوى السياسية والاجتماعية والثقافية فى مصر إلى جانب اليهود، سواء بمد جسور الصداقة معها أو بمحاولة إقناعها بعدالة موقف اليهود من خلال تقديم صورة مشوهة عن حقيقة الأوضا ع فى فلسطين.

وفى ذات الوقت الذى كانت تتحدث فيه الصحف اليهودية عن «الصلات التاريخية» بين اليهود والعرب، والتعاون من أجل إنشاء « حضارة سامية مشتركة».. إلا أنها ركزت اهتمامها طبقا لتوصيات مؤتمر بال بخلق وعى قومى يهودى كوسيلة للحيلولة دون اندماجهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها، ودعت هذه الصحف إلى إعادة كتابة التاريخ اليهودى لابراز الاضطهادات التى ينطوى عليها، وضرورة اهتمام اليهود بدينهم ودراسة التوراة والتلمود لاستيعاب المفاهيم التى أرست عليها الصهيونية سياساتها وخططها وأنه رغم «الشتات اليهودى» إلا أنهم يمثلون أمة واحدة وقومية واحدة!!

فى محاضرة ألقاها: فيكتور نحمياس بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة تحت عنوان: جريدة الشمس والصحافة اليهودية فى مصر ١٩١٧- ١٩٤٨م استهلها بنبذة تاريخية عن حياة الطائفة اليهودية فى مصر مشيرا إلى تفوقهم فى كافة المجالات وأنهم كانوا يشكلون طائفة منظمة لها أهدافها وبرامجها الثقافية والاجتماعية والدينية وأن عددهم فى الخمسينيات وصل إلى ما يقرب من ١٠٠ ألف نسمة تحدثوا عدة لغات الغالبية كانت تتحدث الفرنسية وأقلية كانت تتحدث العربية ولذا لم يكن هناك إطار عام يسمح بتطور أدب يهودى محلى، ومعظم ما نشر من الأدب كان باللغة الفرنسية، ومن ثم فقد كانت الصحافة هى وسيلة التعبير الفعالة عن مشاكل اليهود وأفكارهم وآمالهم.

ثم تحدث عن التحول الجذرى فى صحافة يهود مصر، بدءا من عام ١٩١٩م عندما

أسس د. البرت موصيرى مجلة إسرائيل بلغات ثلاث: الفرنسية والعربية والعبرية وقد توقفت عن الصدور باللغة العربية فى عام ١٩٣٤م، فآثر سعد يعقوب مالكى رئيس التحرير، إصدار جريدة جديدة بعنوان الشمس باللغة العربية، لتعبر عن وجهةالنظر اليهودية لدى المجتمع المصرى.

وعن وجه التباين بين سياسة مجلة إسرائيل التى صدرت من عام ١٩١٩م إلى عام ١٩٣٤م وسياسة جريدة الشمس التى صدرت بين عامى ١٩٣٤- ١٩٤٨م أجاب نحمياس بأن مجلة إسرائيل صهيونية دعت إلى المشروع الصهيونى وتأسيس الدولة اليهودية فى فلسطين وروجت لذلك دون تدخل فى الأمور الوطنية المصرية بينما كانت جريدة الشمس تحاول التوفيق بين المشروع الصهيونى وتطلعات وأهداف الحركةالوطنية فى مصر.. فى محاولة لإيجاد نقطة إلتقاء بين التيارين!

باختصار يمكننا القول بأن الصحف اليهودية الصادرة بمصر، عقب مؤتمر بال ١٨٩٧م حتى نشأة الكيان الصهيونى فى فلسطين ١٩٤٨م قد خدمت الأهداف الصهيونية بأشكال متفاوتة، فإذا كانت مجلة إسرائيل وجريدة الشمس قد حملتا لواء الدفاع عن الفكرة الصهيونية، بمختلف الأساليب الدعائية نجد أن صحيفتى الاتحاد الإسرائيلى والكليم قد قامتا بتغليف الدعوة الصهيونية بغلاف دينى..

يعقوب صنوع

الكاتب الصحفى والفنان المسرحى، ولد لأسرة يهودية مصرية إيطالية فى ٩ من فبراير ١٨٣٩م والدته سارة ولدت بحارة اليهود بالقاهرة، ووالده رفائيل صنوع من أسرة إيطالية هاجرت إلى مصر، وتمتعت بالحماية البريطانية منذ عام ١٨٦٣م، تعلم فى صباه مبادئ الإسلام وحفظ القرآن ودرس اللغة العربية وآدابها إلى جانب اللغة العبرية فكان يعقوب صنوع وهو فى الثانية عشرة من عمره، يقرأ القرآن بالعربية والتوراة بالعبرية والإنجيل بالإنجليزية، بعد ذلك أتقن أيضا اللغات الإيطالية والفرنسية والتركية عن مدرسا للغات الأجنبية بمدرسة المهندسخانة وكان عضوا بمحفل نجمة الشرق التابع للماسون الإنجليز، فى ٢٣ من يونيو ١٨٧٨م، نفى من مصر إلى مارسيليا، وفى باريس ارتبط بعلاقات حميمة مع بعض العائلات اليهودية الشهيرة: «سالومون». ليفى»، كوهين، «ساسون».. وتزوج من فرنسية.

أسس الصحيفة الشهيرة «أبو نضارة زرقا» وصدر العدد الأول فى ٢١ من مارس ١٨٧٧م بتشجيع من الإمام محمد عبده والشيخ جمال الدين الأفغانى، وعقب نفيه أصدر مجلة جديدة

بعنوان رحلة أبو نضاره زرقا» فى ٧ من أغسطس ١٨٧٨م، وآخر عدد منها صدر فى سبتمبر ١٨٧٩م، وكانت ابو نضاره زرقا قد عادت للظهور فى ٢١ من مارس ١٨٧٩م لعدة شهور وفى ٤ يونيو ١٨٨٠م صحيفة ابو صفارة وبعد شهر صحيفة أبو زماره وفى ٥ من فبراير ١٨٨١م الحاوى .. وفى ٨ أبريل ١٨٨١م أصدر جريدة: ابو نضاره: لسان حال الامة المصرية الحرة.. ثم عاد لإصدار أبو نضارة زرقا، فى ربيع ١٨٨٢، ثم جريدة التودد عام ١٨٨٩م والمنصف عام ١٨٩٣م وآخر جريدة هى العالم الإسلامية– l,Univers Musulman» بالفرنسية، وكان أول من استخدم الكاريكاتير بالصورة واللفظ. ونشأته وتعليمه جعلاه شديد الفهم والتعاطف مع قضايا العالم الإسلامى تحمس لعرابى ورفاقه، وقد ظل على صلة بالمراسلة مع عرابى ومحمود سامى البارودى فى منفاهما بجزيرة سيلان، ومما كتبه له عرابى بتاريخ ٢٥ من سبتمبر ١٨٨٤م أعترف أنك كنت أول من تعاطف مع الأمة العربية، لأنك كافحت من أجل قضية الأمة والحرية ثمانى سنوات هى عمر صحف صنوع آنذاك وقد كانت صحيفتاك الحاوى وأبو نضارة زرقا أهم عون لى فى نداء الأمة ونشر أفكار الحرية بين القاصى والدانى، أكرمك الله باسم الأمة.. توفى فى أكتوبر ١٩١٢م ودفن بالمقبرة اليهودية فى باريس.

البرت مزراحى

اسمه الحقيقى «أبراهام يعقوب مزراحى».. تمتع بمكانة اجتماعية متميزة بين الطائفة اليهودية، كان عضوا بنقابة الصحفيين، فى ١٧ من يونيو ١٩٤٤م أصدر جريدة التسعيرة سياسية أسبوعية، تعنى بنشر تسعيرة المواد التموينية.. توطدت علاقته بوزير الداخلية فؤاد سراج الدين الذى منحه ترخيص الجريدة، وعقب صدور العدد السابع منها، كان عدد المشتركين قد بلغ ١٤ ألفا من التجار وأصحاب المصانع والشركات، ثم اضطر لوقف الاشتراكات مع صدور العدد الثانى عشر لاتهامه بتهديد التجار والفنانين لإجبارهم على الاشتراك.

وقد اهتمت التسعيرة بأخبار الفن، خاصة الفضائح الشخصية، وأخبار الجرائم المخلة بالآداب، وفى خلال عام ١٩٤٥م، تحولت إلى صحيفة فكاهية هزلية ساخرة، ثم عادت مع بداية مايو ١٩٤٦م جريدة سياسية.. وفى نفس العام، أسس مزراحى وكالة مصر للصحافة لتتولى إصدار «التسعيرة» ثم «الصباح» و«الصراحة» التى رأس مزراحى تحريرها.

وحول النشاط الصهيونى فى مصر ومشكلة فلسطين، كان اتجاه التسعيرة هو رفض فكرة تدخل اليهود المصريين فى مشكلة الوطن القومى، وناشدتهم الابتعاد عن تلك المشكلة حتى تظل العلاقات بينهم وبين مواطنيهم المصريين على ما هى عليه من متانة وإخلاص متبادل!

ثم أصبح مزراحى أحد دعاة الصهيونية فى مصر!.. ووجه سياسة الجريدة إلى شن حملات ضد الصحف المصرية التى تهاجم الصهيونية أو تحذر الحكومة من أطماع اليهود ومخططاتهم، حرصا على المصالح الوطنية، وتتهم هذه الصحف بأنها ليست وطنية و«لا تعرف واجب الولاء نحو عرش مصر ومليكها»..

وفى عام ١٩٥٠م أصدر البرت مزراحى ملحق منفصل باسم «التسعيرة لامينورا» بالعربية والفرنسية وكانت تنشر على الصفحة الأولى أخبارا سياسية عامة، وفى الصفحات الداخلية: أخبار الطائفة وفصولا من التاريخ اليهودى، وتصريحات لبعض قادة الكيان الصهيونى، ونشاط الوكالة اليهودية فى سياسة التهجير.. ووضح حرص إدارة الجريدة على نشر اخبار دولة «إسرائيل» الناشئة ومحاولة إيجاد رابطة بينها وبين يهود مصر!

وكان مزراحى قد أصدر صحيفة «المصباح» السينمائية، فى أول أغسطس ١٩٤٦ وتولى الناقد الفنى حسن إمام عمر إدارتها، وأسند مزراحى رئاسة التحرير إلى قرينته «صول مزراحى»..

فى ١٦ من سبتمبر ١٩٥٠م، يصدر مزراحى عن مؤسسته الصحفية، جريدة الصراحة اليومية السياسية، وللتحايل على القانون، يستصدر ترخيصا باسم قرينته صول ويتولى هو رئاسة التحرير، ولتصبح الجريدة ناطقة بلسان الوفد، منتهزا عودة حزب الوفد للسلطة عام ١٩٥٠م، وتغدو الجريدة ثانية صحيفة يومية يصدرها يهودى بعد صحيفة الميمون التى أسسها موسى كاستيل عام ١٩٨٩م.

ولم تستمر الصحيفة فى الصدور يوميا بحلول عام ١٩٥٢م، ويعتقل مزراحى عقب قيام ثورة يوليو، ثم أفرج عنه فى نهاية ديسمبر ١٩٥٢م، وفى ٢٦ من مايو ١٩٥٤م، يصدر قرار وزارى بتعطيل الجريدة لعدم صدورها بانتظام.. وكان مزراحى ضمن اخرين حصلوا على أموال من بند المصروفات السرية لوزارة الداخلية تحت دعوى خدمة مصر وذلك عندما عرض على فؤاد سراج الدين وزير الداخلية آنذاك فكرة إعداد منشورات مصورة ضد البريطانيين توزع على السفن التى تمر بقناة السويس..!

وقد ظل مزراحى مقيما بمصر حتى عام ١٩٦٠م، عندما هاجر إلى الولايات المتحدة..

مراد فرج ليشع

كان من الشخصيات البارزة فى طائفة اليهود القرائين ولد عام ١٨٦٦م.. عمل بالمحاماه، وارتبط بعلاقات وثيقة بالخديو ثم عهد إليه برئاسة قلم قضايا الأوقاف بقصر

عابدين لمدة أربع سنوات.. وكان عضوا باللجنة المليه لطائفة اليهود القرائين أصدر صحيفة التهذيب فى ١٢ من أغسطس ١٩٠١م وقد اهتمت الصحيفة بأخبار الطائفة والأمور الدينية، وأخبار طوائف القرائين فى العالم وتعرضت الصحيفة إلى الفروق بين المذهب القرائى والمذهب الربانى وطبيعة العلاقة بين الطائفتين، مما أدى إلى عدد من المشاكل والشكاوى من رؤساء طائفة الربانين، وتوقف صدور الصحيفة عدة مرات، إلى أن توقفت نهائيا عام ١٩٠٣م وتجدر الاشارة إلى أن «التهذيب» ثانى صحيفة يهودية تصدر باللغة العربية فى مصر بعد صحيفة «نهضة إسرائيل» ١٨٩٠م.

فى ١٥ من مايو ١٩٠٨م أصدرت طائفة القرائين صحيفة الإرشاد وشارك مراد فرج فى تحريرها مع آمى منشة وموسى يوسف وبنطوب يهودا، اهتمت بالدعوة إلى الإصلاح وغرس المحبة فى القلوب وترسيخ أسس الإخاء فى النفوس غير أنها لم تستمر طويلا فتوقفت عن الصدور فى ٢١ من مارس ١٩٠٩م.

كتب مراد فرج العديد من المؤلفات والمقالات والرسائل الفقهية والأدبية باللغة العربية: الشعراء العرب اليهود، ملتقى اللغتين العبرية والعربية، رسالة فى الأحوال القانونية، القراءون والربانيون، المجموع فى شرح الشروع، الأحكام الشرعية للإسرائيليين القرائيين، أستاذ العبرية أمثال سليمان الحكيم، سلسلة مقالات مراد، الفروق، شعار الخضر، القدسيات، تفسير التوراة، ديوان مراد أربعة أجزاء وهو أول ديوان لشاعر يهودى باللغة العربية فى عصرنا الحديث.. وقد توفى مراد عام ١٩٥٦.

د. إسرائيل ولفنسون

كان د. إسرائيل ولفنسون «أبو ذؤيب» من الداعين إلى ضرورة الاهتمام بالتاريخ اليهودى وتنمية الثقافة اليهودية و« ..التطلع إلى آفاق واسعة من التفكير الإسرائيلى فى عصوره الغابرة واللاحقة.. نال د. ولفنسون درجة الدكتوراة برسالته التى أعدها باشراف د. طه حسين تحت عنوان: «تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام».. وأعد مرجعا مهماً باللغة العربية «تاريخ اللغات السامية».. وكتاب «موسى بن ميمون» الذى كتب مقدمته الشيخ مصطفى عبد الرازق» عام ١٩٣٦م.

عمل مدرسا للغات السامية بدار العلوم، كما كان عضوا بجمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية بالقاهرة، التى تأسست عام ١٩٢٥م، وكانت تصدر مجلة بعنوان «مجلة تاريخ الإسرائيليين فى مصر واقتصرت على نشر بحوث فى تاريخ يهود مصر فى جميع العصور، وشارك فى تحريرها نخبة من علماء اليهود فى مصر والخارج، هاجر د.

ولفنسون إلى إسرائيل، واشتغل بالتدريس فى الجامعة العبرية بالقدس، عقب صدور العدد الأول من جريدة الشمس فى ١٤ سبتمبر ١٩٣٤م.. بعث إلى رئيس تحريرها سعد يعقوب مالكى برسالة نشرت بالجريدة، جاء فيها: «لقد سرنى ما رأيت منكم من العزيمة على نشر جريدة تكون لسان حال الشعب اليهودى بالديار المصرية.. إن هذا عمل جرئ سيؤدى إلى إنقلاب فى الحياة الاجتماعية والأدبية اليهودية، ليس فى الامصار المصرية فحسب بل فى الاقطار الشرقية والإسلامية التى فيها جماعات وطوائف من بنى إسرائيل».

الدعوة إلى إبداع أدب يهودى

تبنت صحيفة الشمس لصاحبها ورئيس تحريرها الصحفى والأديب سعد يعقوب مالكى مدير مدارس جرين الإسرائيلية وكان رئيسا لتحرير صحيفة إسرائيل كما كان من الحاصلين على الحماية الإيطالية الدعوة إلى إبداع أدب يهودى باللغة العربية، وتشجيع المواهب الشابة لتشارك فى الحياة الأدبية الشرقية».

والأدب اليهودى الذى دعت إليه الشمس هو بالتحديد الذى يصور معاناة اليهود واضطهادهم فى كل مكان وزمان!..

والحلم بوطن مستقل والحنين إلى أرض الميعاد!.. ونفى شخصية اليهودى التى شاعت فى الأدب الأوربى خاصة فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر التى انحصرت فى تصويره بصفات غير مشرفة.. فهو إما مراب جشع مجرد من العاطفة ولا يتورع عن اقتطاع لحم ضحيته.. أو متشرد يجلب النحس والدمار أينما حل!.. وبالطبع كان لهذا أثره فى نبذ اليهود فى جيتو داخل المجتمعات الأوربية.

فكان الأدب من وجهة نظر الصحافة اليهودية هو خير علاج للأزمة الروحية التى يمر بها اليهود، كما سيكون «عاملا فعالا فى تدعيم كيان الطائفة وازدهارها»!

ونشط فى هذا المجال: الكاتب والشاعر مراد فرج، المحامى كما سبقت الإشارة إليه ونسيم يسوف حداد زجال الشبيبة الإسرائيلية والصحفى الأديب سعد يعقوب مالكى الذى ترجم كتاب تاريخ اليهود الماران فى البرتغال للمؤرخ: ناحوم سلوشتس.. و«سعد ليتومالكى» الذى نشر له عام ١٩٣٦م مجموعة قصصية بعنوان «يراعى الأول».

وكان مسعود حى بن شمعون قد نشر كتابا بعنوان أبواب العدل» عام ١٩١٢م وترجم عبده شمله كتاب «تاريخ بنى إسرائيل» للمؤرخ اليهودى: سيمون دويتوف، ونشر فى حلقات بجريدة الشمس.. ود.«هلال يعقوب فارح» الذى كتب بالصحافة وترجم كثيرا من الصلوات اليهودية من العبرية إلى العربية، منها كتاب «الصلوات حسب طقس السفارديم»

لسدور فارحى عام ١٩١٧م.

ود. «الفرد يلوز» الذى كان سكرتيراً لجمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية، واهتماماته بالأدب والترجمة.

ود. «هارون زكى حداد» الذى كان صحفيا «وفديا» ومديرا لتحرير «جريدة النداء» التى أسسها فؤاد سراج الدين نشر مجموعة قصصية بعنوان مائة قصة وقصة مصرية وعربية» عام ١٩٥٠م، طرد من مصر عقب عدوان ١٩٥٦م عمل أستاذا للأدب العربى الحديث بجامعة كاليفورنيا.. توفى عام ١٩٧٨م.

ثم ايزادور سلفاتور بن روفائيل.. الذى كان عضوا بارزا بالحزب الشيوعى المصرى، ولد فى ٢٩ من يناير ١٩١٩م أشهر إسلامه ظاهريا عام ١٩٥٧م وتسمى باسم: «احمد صادق سعد».. وله عدة مؤلفات فى التاريخ الاقتصادى لمصر، وكتاب صفحات من تاريخ اليسار المصرى تزوج من اليهودية ديناصمويل حموى، ولدت بالقاهرة ١٩٢٢م، وله ابنة وحيده تدعى « راوية».. وتشير التقارير الرسمية من خلال عام ١٩٦٠م، وعام ١٩٧٢م إلى أن المذكور له «نشاط ضار بأمن الدولة، ولا يطمأن إلى اتصالاته بالخارج»

كان الاتجاه العام هو «إيقاظ الوعى القومى اليهودى، وخلق تعاطف مع اليهود و«قضيتهم».. والتركيز على اضهادهم بين شعوب الأرض وحاجتهم إلى ملجأ يأويهم بين أبناء عمومتهم العرب»

ويشير د. حامد ربيع إلى أن الأدب اليهودى قد اضطلع بمهمة مزدوجة حيث شارك فى تعبئة اليهود، والحيلولة دون اندماجهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها بالحفاظ على استمرار وجودهم كطائفة لها وضعها المتميز.. كما كان «إعادة للذات القومية وتمسك بالهوية اليهودية»!

جمعية «المباحث» الأبحاث التاريخية الإسرائيلية المصرية

تأسست هذه الجمعية العلمية عام ١٩٢٥م، بهدف إحياء التاريخ اليهودى وإيقاظ «الوعى القومى اليهودى» بالتركيز على الأبحاث التى تناولت اضطهاد اليهود منذ التاريخ القديم، وبشكل يسهم فى مقاومة فكرةالاندماج التى نادى بها بعض اليهود، والتى من شأنها بالطبع عرقلة المشروعات المستقبلية للصهيونية.

وشارك بهذه الجمعية عدد من الشخصيات اليهودية البارزة فى المجالات العلمية والثقافية د. إسرائيل ولفنسون أستاذ اللغات السامية بدار العلوم،ود. الفريد يلوز، الكاتب ومدير إدارة الترجمة بوزارة الزراعة، حصل على درجة الدكتوراة فى تاريخ الأدب من

جامعة بروكسل عام ١٩٢٧م، وعين سكرتيرا عاما للجمعية عام ١٩٣٦م، والكاتب والمؤرخ والأديب والمحامى: مراد فرج ليشع، كما شارك بعضويتها وأبحاثها: رينيه قطاوى، مراد كامل، سلامون بينس، برنهارد جردزلوف، ف تشرينكرفر، جاك هويفلر، سالمون بيفن، والعالم الشهير الذى تخصص فى تحقيق ونشر وثائق الجنيزه: صامويل جويتين وغيرهم وقد تولى رئاسة الجمعية يوسف قطاوى ثم خلفه «رينيه قطاوى» وكان الحاخام الأكبر «حاييم ناحوم» رئيسا شرفيا، وكان مقر إدارة الجمعية فى ١٢ شارع زكى بالتوفيقية، وتعقد محاضراتها بقاعة «حلقة الشبيبة اليهودية الأسبانية بالقاهرة».

فى يوم الاثنين الأول من أبريل عام ١٩٣٥م، أعدت الجمعية احتفالا رسميا بدار الأوبرا الملكية، بمناسبة إحياء الذكرى المئوية الثامنة لميلاد المفكر والفيلسوف «بن ميمون».

كذلك أصدرت الجمعية بهذه المناسبة: كتابا تذكاريا ضم أبحاثا عن تاريخه وفلسفته ومؤلفاته.

فى عام ١٩٤٧م، أصدرت الجمعية مجلة «تاريخ الإسرائيليين فى مصر» التى قررت إصدارها فى جلستها العمومية فى يونيو ١٩٤٥م، وطبعت المجلة بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالمنيرة.. وجاء فى مقدمة العدد الأول بعنوان «تنبيه» بقلم « رينيه قطاوى» رئيس الجمعية، بتاريخ ٢٥ من أكتوبر ١٩٤٦م:

«مازال المشتغلون بتاريخ الإسرائيليين فى مصر، مفتقرين إلى أداة لنشر بحوثهم وآرئهم، فيقيننا أن إصدار هذه المجلة الجديدة سيسد نقصا، كما ستيح لنا القيام برسالة، وما من شك فى أن تضافر جهود العلماء الإخصائيين سيؤدى يوما بعد يوم إلى زيادة الاهتمام نحو مادة غزيرة صعبة، مواضيعها بعيدة عن مشاغلنا اليومية لكنها مشوقة نظرا لما ستفتحه من الآفاق الواسعة المدى، عندما تطلع الطوائف الإسرائيلية بانتظام على رسائل تاريخية صحيحة لماضيهم وحياتهم بين ظهرانى الشعب المصرى الكريم وهى رسائل مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاريخ المجيد لوادى النيل السعيد، الذى يرجع إلى آلاف السنين.

وستصدر مجلتنا متعددة اللغات، تسهيلات لاشتراك علماء مصر والخارج فى تحريرها، تاركين لهم حرية المفاضلة بينها ، متوخين نشر أعمالهم بلغة تحريرها، وقد رأينا من الأهمية بمكان، أن نورد ترجمة موجزة بالعربية لجميع الموضوعات، حتى تصبح مجلتنا فى متناول الشعب المصرى، أما منهاجنا، فإنه يمتد إلى أقصى حدود تاريخ اليهود فى مصر، زمانا ومكانا، نشوء الطوائف اليهودية المختلفة على ضفاف النيل، ومصيرها منذ

ظهورها الأول فى عهد آباء بنى إسرائيل حتى العصر الحديث..

وتجدر الإشارة إلى أن رينيه قطاوى كان عضوا أيضا بالمعهد العلمى المصرى، والجمعية الجغرافية الملكية وتحتوى مجلتى المعهد والجمعية أبحاثا تاريخية بالفرنسية، نشرها رينيه، إلى جانب إسهامه العلمى فى إصدارات الجمعية الجغرافية بكتاب ضخم عن تاريخ الخديو إسماعيل وعصره.

يهود.. فى تاريخ الفن المصرى!

كانت حياة اليهود المصريين فى واقع المجتمع المصرى اندماجا وانصهارا نسجته السنين الطوال، من خلال التسامح الفطرى الذى ميز الإنسان المصرى عبر تاريخه، وجعله بحسه الحضارى يفصل بين الدين وأمور الحياة اليومية.

وبينما كان يهود الحضارة الإسلامية مندمجين فى نسيج هذه الحضارة: لغويا وفكريا واجتماعيا وسياسيا، كان أقرانهم فى أوروبا فى العصور الوسطى والحديثة يتعرضون لأبشع أنواع الاضطهادات والمجازر المتكررة، وقد بذلت الصهيونية العالمية جهودا هائلة للحيلولة دون اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها تحت ادعاءات ومزاعم بالتمايز القومى والاجتماعى والثقافى لليهود فى أى مجتمع!..

وقد امتد اندماج اليهود المصريين فى حياة المجتمع المصرى إلى الحياة السياسية وعلاقتهم القوية بالقصر، والهيمنة الاقتصادية بالسيطرة على مراكز المال والتجارة، متجاوزا مجالات الصحافة والأدب، إلى مجال الفن موضوع هذه الدراسة- تجدر الاشارة إلى حلقة جديدة من مسلسل «لصوص الفكر» وبطلها الصحفى المدعو: سليمان الحكيم وكتابه «يهود ولكن مصريون» حيث سطا على فصل «يهود فى تاريخ الفن المصرى» المنشور بكتابى «يهود مصر.. بارونات وبؤساء» عندما قرأ عرضا لهذا الكتاب بجريدة الجمهورية فى ٢٧ من فبراير ١٩٩٧م تحت عنوان «يهود لكن مصريون» فقط أضاف حرف الواو، فلم تسعفه عبقريته فى أن يبدع عنوانا جديدا لكن السرقة اسهل وبلغ به اعجابه بهذا الفصل أن جعل منه كتابا أشاد به بعض رؤساء التحرير الصحف المصرية باعتباره زميلا لهم كما سطا على ما ذكرته بشأن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية للطائفة اليهودية فى مصر، فى مقدمة كتابه، وأضاف إليه من دشت الصحف ومن اللغو والتلفيق والسرقة بالأدلة والوثيق: واضحة وفاضحة، خاصة السينما والمسرح والموسيقى.

يعقوب صنوع

يعده النقاد واضع أسس المسرح فى مصر واحد الحقيقة التاريخية تؤكد أن محمد

عثمان جلال كان رائد المسرح المصرى فى العصر الحديث، وهو أحد تلامذة رفاعه الطهطاوى أجاد التركية والفرنسية وتولى أعمال الترجمة الرسمية فى الديوان واهتم بصفة خاصة بالأدب الفرنسى شعرا ونثرا ومسرحا توجه إلى الفن المسرحى قبل أن يظهر فى الشرق عامة كاتب يهتم بهذا الفن الجديد لقد قصر دكاترة المسرح فى بلادنا فى دراسة هذا الرائد والوفاء بحقه، ترجم عيون الأدب المسرحى الفرنسى وطبعها ونشرها تحت عنوان: الروايات المفيدة فى علم التراجيدة قبل ظهور يعقوب صنوع ورواياته الهزلية وكرس عثمان جلال حياته لنقل المسرحيات الفرنسية إلى العربية بطريقة التمهيد وأشهرها مدرسة الأزواج، الشيخ متلوف طرطوف لموليير وتعد من النصوص الرائدة ومنها تعلم الكثيرون فن تمصير المسرحيات ثم مدرسة النساء، النكدى، أستير، النساء العالمات، الاسكندر الأكبر، السيد، هوراس، الثقلاء وجميعها تدل على عبقرية الاختيار والإدراك الواعى، وجميعها قدمت فيما بعد ولا كثر من نصف قرن من خلال عدة فرق مسرحية وهو أول من كتب باللهجة المصرية، وقلده صنوع فيما بعد، وتظل تجربة عثمان جلال هى الأساس وعنوانا لريادته لفن المسرح المصرى رواد الصحافة المصرية وفن الكاريكاتير السياسى

ولد يعقوب صنوع أو «صنوا» لأسرة يهودية مصرية إيطالية فى ٩ من فبراير عام ١٨٣٩م، والدته سارة مولدة بحارة اليهود، ووالده «رفائيل صنوا» من أسرة إيطالية هاجرت إلى مصر، وتمتعت بالحماية البريطانية، وفى مذكراته التى دونها عقب نفيه إلى باريس ١٨٧٣م بعنوان: Memoires كتب أنه كان خامس مولود لسارة التى فقدت ابنائها الأربعة بالموت، فلما حملت به خشيت أن يلقى مصير إخوته، فاستشارت إمام جامع سيدى الشعرانى، الذى طلب منها أن تنذر مولودها للإسلام ففعلت ووفت بالنذر، ونشأ يعقوب شبه مسلم، وألحقته أمه بكتاب لتحفيظ القرآن، وحارة اليهود تحيطها بيئة إسلامية، فتأثرت الأم بالتراث الدينى المصرى الذى جعل أبناء الديانات الثلاث يلجأون إلى الأولياء والقديسين!

وحفظ يعقوب القرآن ودرس اللغة العربية وآدابها إلى جانب اللغة العبرية، فكان وهو فى الثانية عشرة من عمره يقرأ القرآن بالعربية والتوراة بالعبرية والإنجيل بالإنجليزية،، ثم أتقن اللغات الإيطالية والفرنسية والتركية. عين مدرسا للغات الأجنبية فى مدرسة «المهندسخانة» كما أصبح عضوا بمحفل «نجمة الشرق» التابع للماسون الإنجليزى.

تأثر يعقوب بالعروض الفنية التى كانت تقدمها الفرق المسرحية الإيطالية والفرنسية

على مسرح حديقة الأزبكية فى عهد الخديو إسماعيل.. فكون فرقة مسرحية وتولى التأليف والاخراج ودعاه إسماعيل باشا لتقديم عروض خاصة فى سراى قصر النيل، وكان أول من قدم ممثلات على خشبة المسرح، ولم يجرؤ أحد على تقديم العنصر النسائى بعد ذلك إلا «اسكندر فرح» حيث كانت الفنانة اليهودية «استرشطاح» بطلة لفرقته منذ عام ١٨٩٦م.

وقد قام يعقوب باخراج معظم مسرحياته التى بلغ عددها ٣٢ مسرحية،، أهمها: «البورصة» و«أبو ريده البربرى» التى تناولت فساد الحكام، ومسرحيات: الحشاش، الوطن والحرية، زبيدة، زوجة الأب، السلاسل المحطمة و«الضرتان» التى أثارت حنق الخديو إسماعيل.. واشتهر يعقوب بلقب «موليير مصر»!

توجو مزراحى

توجو مزراحى، المخرج الشهير، هو أول من أدخل التجارة فى فن السينما..ولد بالإسكندرية فى الثانى من يونيو عام ١٩٠١م حصل على دبلوم التجارة الثانوية الفرنسية، ثم رحل إلى إيطاليا عام ١٩٢١م ومنها إلى فرنسا ثم عاد عام ١٩٢٨م وقد لا يعرف الكثيرون أنه قد زاول فن التمثيل فى بداية حياته الفنية، فى أفلام من إنتاجه وإخراجه باسم أحمد مشرقى»! كان أولها فيلم الكوكايين عام ١٩٣٠م، وفى عام١٩٣٣م وفى العام التالى أنتج فيلمه الثانى «٥٠٠١» وفى عام ١٩٣٣ قدم تجربته الثالثة بعنوان «أولاد مصر»

وقد اعتمد توجو على بعض الوجوه الجديدة، مثل اليهودية «جينيان رفعت» وشقيقة الذى ظهر فى بعض الافلام باسم «عبد العزيز مشرقى» وممثل شاب يدعى «شالوم».. وقد ساعده ذلك على تقديم أفلامه بأسلوب سينمائى بعيد عن الأداء المسرحى الذى كان يغلب على سينما تلك المرحلة.

كان توجو على دراية بلغة السينما، وتعدد مواهبه فى التأليف والتمثيل والإخراج والإنتاج.. اشترى دار سينما «باكوس» بالإسكندرية وحولها إلى ستوديو للتصوير السينمائى عام ١٩٣٠م واستاجر ستوديو وهبى بالجيزة، وتحول من الموضوعات الاجتماعية إلى الافلام الكوميدية، فقدم «المندوبان» عام ١٩٣٤م الذى قام ببطولته: شالوم مع فوزى الجزايرلى واحسان الجزايرلى، وكان أجر إخوان الجزايرلى ثمانية جنيهات! ثم فيلم «الدكتور فرحات»عام ١٩٣٥م بطولة تحية كاريوكا وإخوان الجزايرلى وكان أجرهم عن هذا الفيلم ثمانين جنيها، وشاركهم توجو فى تمثيله، وفى نفس العام شارك إخوان الجزايرلى فيلم البحار وقام فيه بدور ابن البلد حميدو ومن الأفلام الكوميدية التى أخرجها أيضا «مراتى نمره٢» بطولة : حسين إبراهيم وعبد الحميد زكى، و«كله من ده» للراقصة

بباعز الدين، و«الحب المورستانى» لبشاره واكيم و«الساعة ٧» و«أنا طبعى كده» وللكسار: «غفير الدرك» و«العز بهدلة».. واشتهر توجو بإنتاج أفلامه فى وقت قياسى، فقد انتهى من تصوير فيلم «سلفنى ٣ جنيه» لعلى الكسار فى خلال أسبوع واحد فقط!

أخرج توجو فيلم «شالوم الترجمان» بطولة شالوم وعبده محرم عام ١٩٣٥م، كما قدم للكسار والممثلة اليهودية «هنريت كوهين» أفلام: الساعة سبعة، التلغراف، عثمان وعلي، وألف ليلة وليلة، وعلي بابا والأربعين حرامي.. وفي عام ١٩٤٠، قدم فيلم «قلب امرأة» بطولة سليمان نجيب، وأمينة رزق، وفيلم «الطريق المستقيم» عام ١٩٤٣م عن قصة ليوسف وهبي الذي قام ببطولته أمام «أمينة رزق» و«فاطمة رشدي». كما أنتج أفلام: ابن الحداد ١٩٤٤، يد الله والفنان العظيم ١٩٤٥م شارع محمد علي ١٩٤٤م، ملكةالجمال، وإكسبريس الحب ١٩٤٦م.

فى عام ١٩٤٢م، أخرج فيلم «ليلى» بطولة: ليلى مراد، حسين صدقى، فردوس محمد، منسى فهمى، كما كتب توجو أيضا السيناريو والحوار.. وأنتج فيلم «ليلة ممطرة» الذى كان فاتحة خير للفنان يوسف وهبى- بعد أن أشهر أفلاسه- وكان أيضا أول فيلم : ليس من إخراج وإنتاج وتأليف وموسيقى يوسف وهبى!

فى عام ١٩٤٦، قام توجو مزراحى بالاتفاق مع يهود أميركا، بعمل دوبلاج لأفلام دعائية صهيونية أنتجت فى الولايات المتحدة، منها فيلم «بيت أبى» و«أرض الأمل» اللذين عرضا لحياة يهود فلسطين ونشاطهم فى «أرض أجدادهم»!.. وعرضت هذه الأفلام باللغة العربية على الجمهور العربى!

وآخر فيلم أنتجه توجو هو فيلم «سلامة» عام ١٩٤٧م، كما قام أيضا بكتابة السيناريو وإخراجه، وقام بالبطولة: أم كلثوم ويحيى شاهين.. وعرض هذا الفيلم فى موسم امتحانات، فتكبد خسائر فادحة، انعكست على اتفاقه مع الموزع العراقى «إسماعيل شريف» صاحب دور سينما «الحمرا» فى بغداد والبصرة والموصل.. والذى حقق أرباحا طائلة بلغت عشرات الألوف من الدينارات فى الأسابيع الأولى، وهو الذى اشترى الفيلم بعد مساومات بثمن بخس!!.. فأصيب توجو بلوثة أودت به إلى مستشفى بهمان»

وكان لتوجو وجهة نظر فى امتلاك وإدارة بعض دور السينما تتلخص فى أن هذا المجال هو الأكثر ضمانا للربح، مرددا عبارته الشهيرة أنه «ما من أحد يستطيع أن يدخل السينما مجانا»!.. وقد غادر توجو مزراحى مصر عام ١٩٥٦م عقب العدوان الثلاثى حيث أقام فى إيطاليا بصفة دائمة حتى وفاته فى روما فى الخامس من يونيو عام ١٩٨٦م.

انتاج وتوزيع الأفلام

في مجال إنتاج وتوزيع الأفلام السينمائية، برزت بنشاطها شركة «جوزى فيلم» التى أسسها المليونير اليهودى الشهير «جوزيف موصيرى».. وقد شيدت هذه الشركة ستوديو للإنتاج السينمائى بشارع الأهرام، كما امتلكت وأدارت عشر دور للسينما فى الإسكندرية والقاهرة وبورسعيد والسويس، كما كانت تحتكر استيراد وبيع الأفلام الخام، وكان مقر هذه الشركة فى ١٤ شارع الانتيكخانة المصرية «محمود بسيونى حاليا».

كذلك أسس «ادجار موصيرى» شركة لتوزيع الافلام، كان مقرها بشارع الشريفين كما قام ادوارد ليفى بتأسيس وإدارة: شركة إنتاج وتوزيع الأفلام السينمائية بالإسكندرية، وكان مقرها فى ٥ شارع المتحف، وتجدر الإشارة إلى أن ٩٠٪ من دور السينما فى مصر آنذاك كان يمتلكها أثرياء اليهود.

كما تكونت شركة أفلام «ابتكمان» أسسها الأخوة: موريس وايلى وألسكندر ابتكمان، وأخرج موريس فيلم «ابن الشعب» عام ١٩٣٤م، واخرج ايلى فيلم «اليد السوداء» عام ١٩٣٦م واخرج الكسندر فيلم سر الدكتور ابراهيم» عام ١٩٣٧م كما نشطت هذه الشركة فى توزيع الأفلام الاجنبية.

حكاية كاميليا!

من المدهش أن يشاع بأن «كاميليا» نجمة السينما المصرية فى الأربعينيات كانت يهودية!!.. حتى رسخ فى الأذهان ذلك الاعتقاد الخاطئ لدى عامة الناس، بل ولدى الكتاب والباحثين أيضا!.. وأكوام من الكتب والمقالات والروايات حتى يومنا هذا عن علاقتها بالملك «فاروق» بأدق التفاصيل!.. وحكايات عن غرامياتها.. وعن علاقتها بالمخابرات الإسرائيلية، حتى أن سقوط طائرتها ومصرعها كان مؤامرة للتخلص منها.. على غرار ما حدث للمطربة «اسمهان» نتيجة علاقتها بالمخابرات البريطانية!

و«كاميليا» براء من كل ذلك.. براءة الذئب من دم يوسف!.. وقد اختلق شائعة يهوديتها وروج لها الكاتب الصحفى الراحل: مصطفى أمين، عندما رفضت الذهاب إليه فى موعد حدده لها بالجارسونيرة الخاصة به، والكارت الذى حدد عليه ذلك الموعد، مازال محتفظا به أحد أصدقائها المقربين وهو صحفى وإعلامى معروف!

ولدت «ليليان» وهذا اسمها الحقيقى فى ١٣ من ديسمبر عام ١٩٢٩م، من أصل إيطالى، جدتها لأمها هاجرت إلى مصر عام ١٨٨١، واستقرت بالإسكندرية، تزوجت من وكيل بوستة العطارين، وسرعان ما تم الطلاق، ثم اقترنت بالفريق «أحمد زكى باشا»

رئيس الديوان الخديوى، ومن زواجها الأول أنجبت «أولجا» والدة كاميليا.. وكانت أولجا تمتلك بنسيونًا بشارع سعد زغلول بالإسكندرية عشقها تاجر أقطان إيطالى مسيحى فحملت منه سفاحا، وحدث أن خسر العاشق كل ما يملك فى بورصة القطن، فغادر الإسكندرية هاربا إلى روما ولم يعد مرة أخرى فلما وضعت نسبت ابنتها فى شهادة ميلادها إلى يهودى يقطن بذلك البنسيون، وسميت «ليليان ليفى كوهين»!

عمدتها والدتها بكنيسة القديس يوسف، لتتبعها فى ديانتها الكاثوليكية، ثم ألحقتها بمدرسة الراهبات بشارع السبع بنات ثم الكلية الإنجليزية للبنات، ومضت الحياة بها ما بين الإسكندرية وقبرص وإيطاليا.

فى عام ١٩٤٦م، تعرفت كاميليا بالفنانة «إلهام حسين» ألمع نجمات السينما فى ذلك العصر، والتى تعهدت بتقديمها إلى السينمائيين ليمهدوا لها خطواتها الأولى.. وجمعتها فى لقاء مع الفنان أحمد سالم والمخرجين فطين عبد الوهاب وكامل التلمسانى بفندق وندسور بالإسكندرية إلى أن يحين موعد العرض الأول لفيلم «الماضى المجهول» بطولة ليلى مراد وأحمد سالم الذى كان أيضا مديرا لاستوديو مصر، وقرر أحمد سالم أن يتحمل مسئولية تقديمها إلى جمهور السينما.. كما قرر أن يستبدل اسمها من ليليان إلى «كاميليا»!

ويمكننى أن أقرر أن كل ما كتب عن كاميليا هو «محض افتراء» لا أساس له من الصحة!.. لأن كاميليا فى واقع حياتها: كانت تعيش «مأساة».. أثر واقعة اغتصابها من خمسة جنود استراليين تناوبوا الاعتداء عليها، فأصابوها بحالة نزيف مزمن.. فلم تكن قادرة على مضاجعة أى رجل.. وهذا السر لم يكن يعلم به إلا قلة تعد على أصابع اليد الواحدة، واستلزمت هذه الحالة: إجراء عملية تغيير دم كل ستة شهور.. ورحلات علاج إلى أوروبا وأميركا.

والأغرب من كل هذا، أنها لم تلتق بالملك فاروق فى حياتها سوى: ثمان دقائق فقط!.. وكانت فى يوم عيد ميلاد ناقد فنى كبير، اقترحت كاميليا أن يأخذوا قاربا للنزهة فى النيل، وكان معهم الفنان الراحل محمود شكوكو، وأطلعتهما على برقية ثرى هندى تعرفت عليه بالإسكندرية، كان شابا جميلا وتبادلا الحب، وفى البرقية عرض بالزواج والسفر إلى سويسرا لاتمام علاجها.. وفجأة يظهر مسرعا زورق للشرطة النهرية يحمل «بوللى».. وكانت سيارة كاميليا أمام مرسى «كازينو بديعة» فى نفس موقع «شيراتون» القاهرة الآن.. ويخبرها بوللى بالإيطالية أن «مولانا الملك» يريد أن يراها الآن، واصطحبها معه

وكان اللقاء الذى استمر لمدة ثمان دقائق فحسب: عرف من خلالها الملك حقيقة مأساتها!

وقيل الكثير عن علاقتها بالوكالة اليهودية.. فى الوقت الذى كرمتها فيه الدولة عندما منحها وزير الشئون الاجتماعية جلال باشا فهيم ميدالية ونيشانا تقديريا لدورها فى جمع التبرعات للمجهود الحربى من خلال حرب ١٩٤٨م..

وانتهت حياة كاميليا بمشهد مأساوى رهيب، فى تمام الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم الخميس ٣١ من أغسطس عام ١٩٥٠م، بسقوط طائرة الخطوط الجوية العالمية T.W.A التى استقلتها مع ستة أشخاص آخرين، وهى فى طريقها إلى سويسرا للعلاج.. وعلى غير ما أشيع أن جثتها قد تفحمت!.. فإن جثتها كانت سليمة إلا من كسر فى الجمجمة!

وقد أقيمت صلاة القداس على جثمانها بكنيسة «قلب يسوع المقدس» Cordi Iesu Sacrum الإيطالية، القائمة إلى الآن أمام مبنى نقابة المحامين بشارع عبد الخالق ثروت، بحضور المخرج الراحل حلمى رفله والمؤرخ الفنى حسن عمر والفنانة تحية كاريوكا وأصدرت مجلة «المصور» عددا خاصا فى أكتوبر ١٩٥٠ عن «كاميليا» النجمة التى رحلت عن دنيانا ولم تكمل عامها الحادى والعشرين!

راقية إبراهيم

الرقيقة، ساحرة الجمال، اسمها الحقيقى «راشيل إبراهام ليفى».. والتى لعبت أدوار البطولة فى الأربعينيات والخمسينيات أمام نخبة من أشهر نجوم السينما المصرية.. بدأت حياتها بحى السكاكينى حائكة للملابس، إلا أنها ثقفت نفسها وقرأت كثيرا وأغرمت بفن التمثيل.. وأجادت الفرنسية والإنجليزية.

أحبت المخرج الرائد «محمد كريم» وعشقها أديبنا العظيم الراحل «توفيق الحكيم» وهو الذى سعى لإلحاقها بالفرقة القومية، ورشحها لدور البطولة فى مسرحيته الشهيرة سر المنتحره ثم صعد نجمها فى عشرات من المسرحيات التى قامت ببطولتها.. تزوجت راقية بمهندس الصوت مصطفى والى وغادرت مصر عام ١٩٥٦ إلى الولايات المتحدة الامريكية، وعملت بقسم الاتصال والإعلام الخاص بالوفد الإسرائيلى فى الأمم المتحدة، وتعددت زياراتها لفلسطين المحتلة، وتمتلك بوتيك لبيع المنتجات والتحف الإسرائيلية فى نيويورك!.. وقد استضافت عدداً من الوفود الصحفية والفنية المصرية التى زارت نيويورك عقب معاهدة السلام، وأقامت لهم ولائم فاخرة: تخللها دائما حديث الذكريات والحنين إلى الماضى الجميل!

ومن أشهر أفلام راقية إبراهيم: «الحل الأخير» عام ١٩٣٧م أمام أنور وجدى وسليمان

نجيب، و«سلامة فى خير» عام ١٩٣٧م بطولة نجيب الريحانى وإخراج نيازى مصطفى، ويعتبر أول كوميديا راقية فى تاريخ السينما المصرية و«رصاصة فى القلب» قصة توفيق الحكيم وإخراج محمد كريم، وفى هذا الفيلم كانت الأغنية الأشهر «حكيم عيون» مع الموسيقار محمد عبد الوهاب، والفيلم أنتج عام ١٩٤٤م، وفيلم «ملاك الرحمة» عام ١٩٤٧م– إخراج وبطولة يوسف وهبى، بالاشتراك مع فاتن حمامة ونجمة إبراهيم، وفيلم «زينب» عام ١٩٥٢م– أمام يحيى شاهين وفريد شوقى عن قصة د. محمد حسين هيكل وإخراج محمد كريم.

نجمة إبراهيم

وعندما نقلب صفحات الذاكرة الفنية.. يطالعنا وجه الفنانة القديرة «نجمة إبراهيم» وهو اسمها الحقيقى، والتى برعت فى تجسيد أدوارالمرأة الشريرة بملامحها الصارمة ونظراتها المرعبة، وصوتها القاطع الحاد، مما جعلها تتبوأ ذروة الأداء الفنى فى عدة أفلام تمثل علامات فى تاريخ السينما المصرية، منها على سبيل المثال: «أسير الظلام» عام ١٩٤٧م إخراج عز الدين ذو الفقار مع مديحة يسرى ومحمود المليجى.. ودورها الذى لا ينسى فى الفيلم الشهير «ريا وسكينة» إخراج العبقرى الراحل صلاح أبو سيف، وقصة وسيناريو أديبنا الكبير نجيب محفوظ، وأنتج هذا الفيلم عام ١٩٥٣م.. وفيلم «الحرمان» عام ١٩٥٤م مع عماد حمدى وزوزو ماضى، إخراج عاطف سالم.. و«صراع الأبطال» عام ١٩٦٢م مع سميرة أحمد وشكرى سرحان.

ولدت نجمة إبراهيم عام ١٩٠٦م، عشقت التمثيل وحياة الفن، التحقت بالفرقة القومية منذ تأسيسها عام ١٩٣٥م وعملت مع عمالقة المسرح جورج أبيض، عزيز عيد، فاطمة رشدى، نجيب الريحانى.. اقترنت بالفنان «عباس يونس» الذى كان ممثلا وصاحبا لفرقة مسرحية.. وتوفيت عام ١٩٦٨م.

وكان للفنانة نجمة إبراهيم.. شقيقة كبرى هى «سرينا إبراهيم يوسف» التى ولدت بالقاهرة عام ١٩٠٤م عملت راقصة ببعض الملاهى وقامت ببعض الأدوار الثانوية على المسرح، ولم يكن لها حظ نجمة إبراهيم من الشهرة، اقترنت بالثرى اليهودى سالم مزراحى وغادرت الإسكندرية فى ٤ من نوفمبر عام ١٩٥٤م.

إلياس مؤدب

الفنان الكومدى الذى شارك فى عشرات الأفلام أمام أشهر نجوم الكوميديا، وعلى رأسهم إسماعيل ياسين.. كان يسكن شارع« سوق الفراخ» بحارة اليهود، كما كان يمتلك

مع شقيقه محلا صغيرا لتصليح الساعات بشارع عبد العزيز، أمام محلات «عمر أفندى». أحب إلياس الغناء والتمثيل، وعمل منولوجست فى الأفراح، واشتهر بتقليد «اللهجة الشامية» التى كانت مفتاحه لولوج عالم السينما والشهرة، وكان من البراعة بحيث رسخ فى أذهان الكثيرين إلى يومنا هذا أنه لابد وأن يكون من أصل لبنانى أو سورى!

فى التياترو

فى مجال الفن المسرحى، برع العديد من الممثلات اليهوديات، منهن: «ميليا ديان» بطلة فرقة سلامة حجازى المسرحية، التى كانت تقيم فى بيتها بشارع سلامة خلف مسجد السيدة زينب تحوطها نظرات وأعجاب أهل الحى أن هذه الفنانة تسكن بينهم!.. و«استرشطاح» التى لمعت فى فرقة جورج أبيض.. و«نظله مزراحى» بفرقة الريحانى، والتى شاركت فى أوبريت درويش «العشرة الطيبة» بطولة روز اليوسف، وكانت البطولة الغنائية للفنان زكى مراد.. ثم «جميلة قرداحى» و«ابريز استاتى» و«وردة ميلان» اللاتى شاركن فى فرقة منيرة المهدية وفرقة يوسف وهبى «مسرح رمسيس» التى افتتحت أول عروضها فى ١٠ من مارس عام ١٩٢٣م.. و«فيكتوريا موسى» التى كانت «فيديت» فرقة عكاشة ولعبت بطولة عشرات المسرحيات، ثم عملت بفرقة الريحانى، وآخر عمل شاركت به كان مع الفنان فؤاد المهندس وشويكار فى المسرحية الشهيرة« أنا وهو وهى» عام ١٩٦٤م، وكانت هناك أيضا الفنانة والمنولوجست اليهودية «اديل ليفى» التى عملت بفرقة رتيبة وأنصاف رشدى بصالة البيجو بالاس بعماد الدين.

فيكتوريا موسى

قصة الحب العظيم.. التى فى جوهرها مأساة اشترك فى اخراجها: مسرح الحياة ومسرح الخشبة والستارة!.. قصة حب المؤلف المسرحى «عباس علام» لفيكتوريا موسى التى قامت بأدوار البطولة فى رواياته التى كتبها خصيصا لها!.

فى العقد الثانى من هذا القرن، صعد نجم فيكتوريا التى كانت على قدر من الثقافة والطموح.. وهيام بالفن، وكان عباس علام مثالا للعاشق المنكوب.. تميز بطهارة القلب وسعة الخيال، وقد أطلق على معشوقته عدة القاب: «فيكتوريا العظيمة» .. «الملكة».. «ايزيس» وشاع هذا اللقب حتى أطلق عليه: «عبد إيزيس»!

قال عنها: «إنها أقدر ممثل فى مصر».. رفض أن يقول: أقدر ممثلة، حتى لا يتوهم أحد أن هناك رجلا يفوقها فى موهبتها!.. وكتب عباس علام فى مذكراته، الصفحات الطوال عن نبوغها وعبقريتها، وقد بدأ تعلقه بها منذ اليوم الأول لعرض مسرحيته «الزوبعة» والتى

لعبت بطولتها، وأشار إلى أنها استطاعت أن تؤثر بروحها وفنها على المشاهدين.. وقال: «من ذلك اليوم، صرحت عبدا لفيكتوريا وزوجها عبد الله « «عبد الله عكاشة مدير الفرقة وأولادهما الأربعة المحروسين وربما وجدت بعض الإعزاز عند خادمهم وكلبهم أصلان».

وعندما قامت ببطولة الأوبريت الغنائى «هدى» كتب عنها فى مجلة« الكشكول» فى الثامن من يناير ١٩٢٦ مشيدا بأدائها الساحر، فيقول: «هدى، رواية من نوع الأوبرا، غنائية، كل من فيها يطربون الناس بأصواتهم، أنس وجن، أشجار وأنهار حتى الزمان يغنى وحتى الجو والتماثيل.. كأنك فى مجلس فرعون وقد جمع السحرة حوله فقدم كل منهم سحره، ولكنك لا تكاد ترى فيكتوريا موسى حتى تدرك أن «بنت موسى» قد فعلت ما فعله أبوها بعصاه من قبل، فقد ابتلعت الجميع فى جوفها ولم يبق إلا هى.. لا سحر إلا سحرها ولا جمال إلا جمالها ولا فن إلا فنها!..

وتخرج من هدى وقد نسيت سيد درويش وأبناء عكاشة وكل شىء آخر.. ولا صورة انطبعت فى ذهنك، ولا سحر أثر فى نفسك غير صوت فيكتوريا موسى وجمالها وفنها»!!

ومن الروايات التى كتبها عباس علام خصيصا لها: الزوبعة، إيزيس، كوثر، سهام، زهرة الشاى، المرأة الكاذبة، الساحر، استير.. فى الفترة من فبراير ١٩٢٠ حتى يناير ١٩٢٧.. وقد أنهى عباس علام مذكراته بقوله: « .. فسلام منى إلى فيكتوريا سلام يعقوب إلى يوسف وأرجو أن لا يكون قد أكلها الذئب»!!

نجوى سالم

اسمها الحقيقى «نينات سلام».. لمعت فى فرقة الريحانى مع العمالقة: مارى منيب، عادل خيرى، عباس فارس، شرفنطح أجادت دور الفتاة اللعوب المثيرة فى قالب من الميوعة والأنوثة الفائرة، واشتهرت بمط الكلام والضحكة الرنانة المميزة التى تفتن الزاهد!

اكتشفها نجيب الريحانى وهى صغيرة تتسلل إلى الكواليس، لتشبع رغبتها فى رؤية هؤلاء الفنانين عن قرب، فتولاها بالرعاية والتدريب.

كانت أمها «ميرفت جوده» خبيرة تصميم« شباشب حريمى» بمحلات» شيكوريل» المليونير اليهودى الشهير.. كانت أجمل الجميلات.. تجسدت فيها الفتنة والإثارة الطاغية، عشقها وزير المالية «أمين عثمان باشا» عميل السفارة البريطانية الذى اغتيل فى قضية شهيرة اتهم فيها أنور السادات – الرئيس الراحل – وآخرين.

لم تكتفِ والدتها بعلاقتها بأمين عثمان باشا، بل ارتبطت أيضا وفى الوقت ذاته بعلاقات مع آخرين من الوسط الصحفى والفنى!.. وقد اقترنت نجوى سالم بالناقد

والصحفى الراحل عبد الفتاح البارودى نحو عامين.

كان الرئيس السادات قد منح نجوى سالم شهادة تقدير ومعاشا استثنائيا مدى حياتها.. ويومها صعدت إلى منصة التكريم وهى تزغرد.. مرتدية فستان الزفاف والطرحة!.. ورحلت عن دنيانا عام ١٩٨٨م.

فى الموسيقى والطرب

يقول اديبنا الراحل «يحى حقى»

.. كان الشعب المصرى يجهل كل الجهل سعى الصهيونية منذ عام ١٨٨٢ لإقامة دولة إسرائيل فى فلسطين العربية، ومن يدرى لعل يهود مصر كانوا على علم بهذا السعى، يؤيدونه فى غفلة منا، ولكن لو تطلعنا اليوم إلى الصورة كما يراها أهل ذلك العهد فى بلدنا، لرأينا صورة تنم عن الخلطة التى لا تعكرها الشوائب البيئية .. وأتاح هذا الجو لليهود أن يلعبوا دورا غير قليل فى مجالات الفنون عندنا: البزرى وسهلون فى الأداء الموسيقى، زكى مراد فى الغناء والتلحين، وأستاذهم جميعا «داود حسنى» الذى أعانه الدم اليهودى الذى يجرى فى عروقه ، عن التعبير أحر تعبير عن اللوعة والأسى والشجن والحرمان، هذه المادة الخام لكل غناء شرقى، يخيل إليهم أن الموسيقى الشرقية هى التى أرضعته من ثديها أصفى ألبانها».

داود حسنى

علم من أعلام التلحين ورائد من رواد النغم.. اسمه الحقيقى «دافيد حاييم ليفى» ولد عام ١٨٧١م، عاصر فى نهاية القرن التاسع عشر، اثنين من أساطين الطرب والتلحين: عبده الحامولى ومحمد عثمان، وأخذ عنهما، وقد بدأ داود حسنى حياته الفنية مطربا ثم عكف على التلحين، فأثرى الموسيقى المصرية بغزارة عطائه الفنى على مدار خمسين عاما، واستوحى من البيئة الشعبية ألحانا زاهية تغنى بها الناس فى كل مكان، منها: «قمر له ليالى».. «ليلة فى العمر»، وما أجمل وأشجى صوت السلطانة منيرة المهدية فى هذا الدور.. ثم «على خده ياناس ميت ورده».. «أسير العشق ياما يشوف هوان».. وطقطوقة «وجننتينى يابت يا بيضه» و«صيد العصارى» و«يمامة حلوة» و«عصفورى يامه».. وغيرها من الأدوار والطقاطيق التى مازالت حتى اليوم تتهادى بين أسماع الناس نغما عذبا شجيا يملك القلوب ويأسر الألباب.

ولم يقتصر فن داود حسنى على تلحين الأدوار والطقاطيق. وإنما وجه جهوده نحو الموسيقى التعبيرية موسيقى المسرح حيث استطاع أن يلحن أكثر من خمسة وعشرين

مسرحية غنائية وأوبريت، منها «معروف الإسكافى» و«صباح» و«ليلة كليوباترا» التى صاغها شعرا الأديب الموسيقى الرحالة د. حسين فوزى.

وعندما لمس داود إقبال الجماهير على هذا اللون من الغناء وتذوقها لفن الأوبريت، قام بتلحين أول اوبرا مصرية كاملة، هى أوبرا «شمشون ودليلة» فكانت تطويرا وطفرة كبيرة للموسيقى العربية، واثبتت للباحثين فى علم الموسيقى: أن الموسيقى الشرقية قادرةعلى التعبير عن كل معنى من معانى الحياة، وأن تملأ عالما بأسره يفيض بالخيال والجمال.

وقد اعتادت مصر أن تحتفل بذكرى هذا الفنان المصرى اليهودى: فى العاشر من ديسمبر كل عام، حيث وافته المنية فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٣٧م، تقديرا لمآثره فى عالم الموسيقى وتكريما لما أبدعه من تراث فنى خالد لوطنه مصر.

ليلى مراد «سندريلا النيل»

فى عالم الغناء والطرب، بزغ نجم الجميلة الرقيقة، القيثارة «ليلى مراد».. ولدت عام ١٩١٦م بحى العباسية الذى كان يسكنه آلاف من اليهود معظمهم من طائفةالقرائين كان والدها زكى مراد من نجوم الطرب والتلحين، تتلمذ على الفنان «داود حسنى».. وكان «حزانا» يؤم الصلوات بالمعبد اليهودى.

أنجب زكى مراد ثلاث بنات هن: ملك وليلى وسميحة «أسلمت» وثلاث أولاد: وإبراهيم وموريس الذى اشتهر باسم «منير مراد» .. درست ليلى مراد فى مدارس الاتحاد الإسرائيلى والليسية وعندما قام والدها برحلة إلى أميركا لتكوين ثروة.. طالت الرحلة.. فأضطرت أن تعمل بالحياكة إلى أن عاد الأب مثلما سافر .. نشأت ليلى فى جو من الموسيقى والغناء، حيث كان محمد القصبجى ورياض السنباطى من أقرب أصدقاء والدها، وجلسات الطرب تضمهم جميعا، فكانت تردد ما تسمع، فانبهر القصبجى بصوتها وتعهدها برعايته.. غنت فى الإذاعات الأهلية والحفلات الخاصة.. إلى أن سمعها الموسيقار محمد عبد الوهاب فأعجب برقتها وجمال صوتها، فتعاقد معها على بطولة فيلم «يحيا الحب» ١٩٣٨م وتقاضت مبلغ ٣٠٠ جنيه!. ثم تعاقد معها «توجو مزراحى» على بطولة فيلم «ليلى» أمام حسين صدقى بمبلغ ٨٠٠ جنيه، ثم وصل أجرها إلى ١٥٠٠ جنيه عندما تعاقد معها مزراحى لمدة ثلاث سنوات، ليقطع طريق المفاوضات الذى بدأه معها ستوديو مصر، ثم ارتفع أجرها إلى ١٢ ألف جنيه: أعلى أجر يتقاضاه فنان فى ذلك العصر!..

بعد فيلم «ليلى فى الظلام» أمام الفنان «أنور وجدى» متعدد المواهب خفيف الظل الذى

برع فى التمثيل والتأليف والإخراج والإنتاج، تعاقد معها على القيام ببطولة فيلم «ليلى بنت الفقراء» عام ١٩٤٦م، وفى اليوم الأخير من التصوير، دعا كل الصحفيين لمشاهدة آخر لقطة فى الفيلم «مشهد الزفاف» وبعد الانتهاء من تصويره، فاجأ أنور وجدى الجميع بأن هذا المشهد كان حقيقيا وأنه اقترن بالفنانة ليلى مراد التى أشهرت إسلامها!

وحدثت خلافات بينهما وصلت إلى حد الطلاق مرتين، بسبب رفضه أن تمثل أفلاما من إنتاج آخرين، وأن عملها بالسينما يقتصر على الأفلام التى تنتجها شركته فقط!.. وكانت لا تتقاضى أجرا إلى أن فوجئت بالضرائب تطالب بحقوقها!.. وتدخل يوسف وهبى وعبد الوهاب فى محاولة للصلح– فى المرة الثانية– وتمسك كل منهما بموقفه وتم الطلاق، ويعقد أنور وجدى مؤتمرا صحفيا كان ذلك عام ١٩٥١م أوضح فيه أن سبب الطلاق أنه «سمع بأنها ذهبت إلى إسرائيل».. ولم تنشر الصحف أنباء هذا المؤتمر.. غير أن صحيفة «الكفاح العربى» السورية نشرت الخبر فى المانشيت الرئيسى!.. واجتمع مكتب مقاطعة إسرائيل وقرر عدم اذاعة أغانيها وعرض أفلامها.. وتعود نسخ الأفلام التى تعاقد أنور وجدى على عرضها تجاريا بالبلاد العربية، لتنقلب المسألة ضده بخسارة جسيمة!

كانت ليلى مراد نجمة حفلات الثورة عقب قيامها ١٩٥٢م والتى كانت تقام بحديقة الأندلس، وأبدى وجيه أباظة أحد ضباط الثورة استعداده لحل قرار المقاطعة مقابل أن يتزوجها وكان جمال حماد المؤرخ العسكرى أحد شهود هذا الزواج، وكان فى ذلك العهد ملحقا عسكريا بسفارتنا فى دمشق.. وأفرج بالفعل عن اغانيها وأفلامها بعدما ثبت عدم مصداقيةهذا الاتهام من هذه الزيجة أنجبت ابنها أشرف.. وفى عام ١٩٥٧م، كان زواجها الثالث من المخرج السينمائى فطين عبد الوهاب وأنجبت زكى الذى شارك يسرا بطولة فيلم «مرسيدس».. واستمر هذاالزواج ١٢ عاما إلى أن تم الانفصال.

وكان فيلمها الأشهر «غزل البنات» شهادة تقدير للعقلية التجارية لأنور وجدى، وأحد معالم تاريخ السينما المصرية والذى حقق نجاحا باهرا، وكان فيه أشهر دويتو غنائى بينها وبين الفنان نجيب الريحانى «علشانك انت انكوى بالنار».. وهو آخر فيلم ظهر فيه عبد الوهاب، وآخر أمجاد يوسف بك وهبى.. وانتهى الفيلم بنجيب الريحانى وهو يبكى محبوبته «ليلى مراد» التى تعلقت بشاب فى مثل عمرها، وعليه أن يكتفى بدور عاشق الروح.. إحدى روائع عبد الوهاب، عقب عرض هذا الفيلم: رحل الريحانى، ثم لحق به سليمان نجيب وأنور وجدى فبدأ الفيلم فى مجمله وكأنه «حفل وداع لعصر بأكمله»

وكانت ليلى مراد شديدةالاعتزاز بإسلامها، مواظبةعلى الصلاة والصيام، تكثر من

قراءة القرآن والإحسان لذوى الحاجة.. ورحلت فى بداية عام ١٩٩٦م والمصحف الشريف على صدرها.. وشيعت جنازتها من جامع السيدة نفيسة رضى الله عنها طبقا لوصيتها!

وليس غريبا.. ما قيل عن محاولات إسرائيل والجهود السياسية التى بذلت من أجل عودتها إلى اليهودية، حتى أن وزارة الخارجية الإسرائيلية عرضت عليها «المواطنة الشرقية».. فرفضتها، كما رفضت منحها جواز سفر دبلوماسى إسرائيلى.. بل وكانت ترفض مقابلة أى مسئول إسرائيلى.. كذلك عرض عليها «شيمون بيريز» عندما كان وزيرا للخارجية أن تكون «سفيرا فوق العادة».. فكانت إجابتها أنها: « مصرية ومسلمة وستظل كذلك حتى تموت»

منير مراد:

نشأ منير مراد فى أسرة فنية كما سبقت الاشارة وكان فنانا شاملا وبكل ما يعنيه مصطلح «معجون بالفن» فقد كان متعدد المواهب: يغنى ويلحن ويمثل ويرقص ، بالإضافة إلى قدرته وبراعته فى تقليد الفنانين!

ولد منير مراد عام ١٩٢٨م، وتعلم الموسيقى على والده، ثم تلقى دروسا إضافية على الموسيقار اندريه رايدر وعمل فى بداية حياته الفنية مساعدا للإخراج مع كمال سليم وأحمد بدرخان وأنور وجدى ثم مديرا فنيا لشركة صوت الفن وقدم للمسرح مسرحية «أصغر استعراض فى العالم».

أثرى منير مراد حياتنا الغنائية بالكثير من الألحان التى تميزت بالخفة والمرح والعبقرية فأسعدتنا فى زمن الفن كما أسهمت ألحانه فى تشكيل وشهرة عدد من الأصوات الغنائية، وكانت أروع ألحانه لعبد الحليم حافظ وليلى مراد وصباح وشادية التى لحن لها أغنية واحد اتنين التى حققت نجاحا غير مسبوق، أيضا أغنية «ماما يا حلوة» كما كتب قصة فيلم أنا وحبيبى الذى قام ببطولته أمام شادية وفيه غنى معها الديوتو الشهير «أنا وحبيبى محدش قدى»!

أشهر منير مراد إسلامه عندما إقترن بالفنانه سهير البابلى فى أوائل الستينيات لكنه بعد طلاقها عاد إلى يهوديته وظل عليها حتى وفاته!.

الفصل التاسع
النشاط السياسى والصهيونى

يهود مصر.. وعلاقاتهم بالقصر!

ترسخت فى الوعى اليهودى عبر التاريخ مشاعر الإحساس بالضعف والعزلة والخوف والتشكك.. وأنهم بحاجة دائما إلى قوة تحميهم وتزود عنهم بعدما تخلى الرب عنهم وتركهم يعانون قدر اليهودى اللعن والكراهية والشتات..

الكاتبة البريطانية «ارتيميس كوبر» التى عاشت فى مصر فى خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩– ١٩٤٥م، ترصد بوعى وفكر ثاقب الحالة الاجتماعية والوضع السياسى فى المجتمع القاهرى فى خلال تلك السنوات العصبية،، فتقول:

«صفوة اليهود كانت تتمثل فى عائلات: قطاوى، رولو، هرارى ومنشة، وكانوا من كبار المولين فى مصر.. يتنقلون وسط الدوائر الملكية، حرم يوسف باشا قطاوى «اليس سوارس» وحرم السير روبرت رولو «فالنتين رولو» كانتا صديقتين للملك فؤاد، كان رولو مديرا للبنك الأهلى المصرى، ابنه «سيمون» كانت أذواقه فى الملابس صارخة فيما كان ذوقه فى النساء راقيا!.. زوجته كانت إحدى جميلات القاهرة..»

السير «فيكتور هرارى» باشا، كان أحد رجال المال اللامعين، عمل مع لورد كرومر ثم كرس حياته للتجارة والأعمال الخيرية.. وكان دائما يحث ابنه «ماكس» على أن ينتهج سبيلا أكثر جدية فى حياته «لكن ماكس شأن كثير من شباب العائلات الثرية بالقاهرة،

كان يفضل لعب البولو بنادى الجزيرة الرياضى.. عائلة منشة منحت الأوسمة من إمبراطور النمسا، وكان البارون جورج دى منشة» رجلا تنتابه وساوس إزاء مصافحة الناس، ومن ثم كان يرتدى دائما القفازات !.. ولا يمكن لأحد أن يرى اصابعه إلا إذا عزف على البيانو.. أخوه تشارلز كان فى غاية الاعتزاز بعائلته، وكثيرا ما كان يستعرض براءات الأوسمة الممنوحة من الإمبراطور، وقد تألقت فوق منصة فخمة فى مدخل البهو..!

أما عائلة موصيرى، فكانت من يهود اليونان، وقد دأبت «هيلين» أرملة ايلى موصيرى على الإشراف علي حفلات آل موصيرى، وكانت صديقة مقربة من الملك فاروق، وكثيرا ما كانت تقيم حفلات خاصة للأسرة الملكية.. وقيل أن الملك قد أمر بتركيب خط تليفونى خاص ، يستطيع من خلاله أن يخابرها فى أى لحظة ليلا أو نهارا..»

تمتع يهود مصر بوضع متميز داخل المجتمع المصرى، نتيجة علاقاتهم الخاصة التى أقاموها مع كل حاكم جديد ارتقى عرش مصر..

فمنذ عهد محمد على باشا، وحتى قيام ثورة يوليو، كان التقارب المتبادل بين يهود مصر- وممثل الاحتلال البريطانى- والأسرة المالكة، متوازيا مع حريتهم فى التعبير وممارستهم لكل الحقوق المدنية، فتربعت العائلات اليهودية الشهيرة على قمة الهرم الاجتماعى فى مصر، وقد تجمعت بأيديهم كل مصادر القوة والنفوذ الاقتصادى، ووجاهة اجتماعية، مكنتهم من توطيد علاقاتهم بذوى النفوذ السياسى.

شهد يهود مصر نوعا من الازدهار الذى شجع يهود اليونان وشرق أوروبا على الهجرة إلى مصر، إبان عصر محمد على. الذى خفف عنهم الضرائب بإلغاء الجزية المفروضة عليهم، واستعان بهم فى الأعمال والوظائف، كما أسس محاكم مدنية مكنتهم من التقاضى أمامها، وحين شكل مجالس البلديات، ضم بين أعضائها عدد من اليهود.

كذلك قرب الخديو عباس حلمى الأول إليه «يعقوب قطاوى» عميد تلك الأسرة الشهيرة فعينه مديرا لمصلحة سك النقود، وقد ظل محتفظا بهذا المنصب فى عهد خلفه الخديو سعيد.

وفى عهد الخديو إسماعيل، عينه فى وظيفة «صراف باشى» أو كبير الصيارفة ، وهو نفس المنصب الذى تولاه بعده البارون «يعقوب منشة» وانضم الاثنان إلى حاشية إسماعيل باشا ومعهما آخرين وشاركه قطاوى ومنشه فى بعض الاستقبالات الرسمية، واستعان بهما فى مفاوضات الحصول على قروض من بيوت المال اليهودى الأوربية: روتشيلد، واوبنايم وديبيه ديبشار.. وبتسهيلات من الخديو، تمكنا من تأسيس عدد من البنوك

وشركات الصرافة والتجارة.

فى عهد الخديو توفيق، كان لعائلات: قطاوى وموصيرى وهرارى وعاداة علاقات متميزة بالقصر، ومنح يعقوب قطاوى عام ١٨٨٠ لقب «بك» كأول يهودى ينال هذا اللقب.

وفى عهد الخديو عباس حلمى الثانى، كان المحامى والأديب الصحفى «مراد فرج ليشع» على علاقة وثيقة بالخديو، الذى وكله فى قضاياه الخاصة، حتى أصبح محامى الخاصة الخديوية، ثم رئيسا لقلم قضايا الأوقاف بقصر عابدين وتقرب إليه عدد آخر من اليهود، الذين هيمنوا على استثمارات الخديو ومضارباته المالية!

فى عام ١٩١٣م، أصدر الخديو دستورا عرف باسم «القانون النظامى» تأسس بموجبه «الجمعية التشريعية».. وعين بها أول عضو يهودى فى تاريخ البرلمان المصرى يوسف أصلان قطاوى» وكان ذلك فى ٢٢ من يناير عام ١٩١٤م، وظل عضوا بها حتى تشكل أول مجلس نيابى على غرار المجالس النيابية الأوربية.

فى عهد السلطان حسين كامل ازداد «عطف» القصر على اليهود، وحين طرد الوالى العثمانى «جمال باشا» يهود فلسطين عام ١٩١٥م، نظرا لتزايد النشاط الصهيونى بينهم ، هاجر منهم إلى مصر نحو ١٢ ألفا، واستقر معظمهم بالإسكندرية وأمر السلطان بصرف اعانة يومية لهم مقدارها ثمانون جنيها، زيدت إلى مائة جنيه!

ويصدر السلطان فرمانا بتبرع الحكومة بقطعة أرض لبناء مستشفى للطائفة اليهودية فى القاهرة.. بالإضافة إلى الإسهام فى إنشاء عدد من المدارس اليهودية.

وعهد «السلطان» الملك فؤاد، يعتبر «العصر الذهبى» للعلاقة بين يهود مصر والقصر، فحين صدر «وعد بلفور» صرح الملك فؤاد بأن مصر «تنظر بعين العطف إلى قضية اليهود وتأمل أن يتحقق أملهم، وتعلن حمايتها لهم»!

كذلك تجدر الاشارة إلى النشاط السياسى البارز لكل من «فيكلس دى منشه» وعلاقته المتميزة بدوائر القصر، والذى رأس وفد يهود مصر فى المؤتمر الصهيونى العالمى فى لندن عام ١٩٢٠م و«فيلكس بنزاقين» عضو الهيئةالعليا بحزب الوفد و«ليون كاسترو» رئيس المنظمة الصهيونية بالقاهرة وموضع ثقة الزعيم سعد زغلول!!

وكان «يوسف قطاوى» هو أول وآخر- وزير يهودى فى تاريخ مصر الحديث، عندما كلف الملك فؤاد «أحمد زيوار باشا» بتشكيل حكومة جديدة فى ٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٢٤م وكان يوسف قطاوى عضوا بحزب «الاتحاد» الذى شكله القصر الملكى فعين وزيرا للمالية وهو أول من أصدر قرارا بسك العملة البرونزية من فئتى المليم ونصف المليم!.. ثم أجرى

تعديل وزارى، تولى بمقتضاه وزارة المواصلات فى ١٥من مارس سنة ١٩٢٥م، حتى إقالته فى مايو من نفس العام!

ارتبط «يوسف قطاوى» بصداقة قوية بالملك فؤاد كان حريصا على إعلان وإثبات ولائه للملك، كما كانت زوجته اليس الوصيفة الأولى للملكة نازلى، وهى نفس الوظيفة التى شغلتها قبلها «فالنتين رولو» أول امرأة يهودية تحصل على وسام الكمال!

ويصدر الملك مرسوما ملكيا بتعيينه عضوا بمجلس الشيوخ فى ٣١ من ينايرعام ١٩٢٧م، ثم عضوا باللجنة المالية فى ٧من مارس من العام نفسه، ثم رئيسا لها فى العام التالى، وشارك فى عدة وفود رسمية، لحضور مؤتمرات البرلمانات الدولية فى الفترة من سبتمبر ١٩٢٧م حتى عام ١٩٣٥م، وقد ظل عضوا بمجلس الشيوخ حتى استقالته فى السادس من يوليو عام ١٩٣٨م.

هناك أيضا «حاييم ناخوم أفندى» الحاخام الدبلوماسى الذى توثقت علاقاته بالدوائر السياسية فى ولايات الإمبراطورية العثمانية، والولايات المتحدة وفرنسا، وثق صلته بالملك فؤاد، الذى عينه حاخاما أكبر لمصر والسودان عام ١٩٢٥م ومنحه الجنسية المصرية عام ١٩٢٩م، وعينه عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٣١م. كذلك ارتبط أولاد يوسف قطاوى بصداقة قوية بالملك فؤاد، وكان أكبرهم «أصلان قطاوى» موظفا بإدارة أملاك الحكومة، ثم تدرج فيها حتى تقلد منصب المدير العام سنة ١٩٣١م، كما عينه الملك عضوا بمجلس الشيوخ، وعضوا بمجالس إدارات البنك الأهلى المصرى وشركة قناة السويس وشركةالملاحة الخديوية، وكان «أدولف قطاوى» صديقا للملك منذ أن كان أميرا..

أيضا رينية قطاوى.. الذى كان مديرا لشركة وادى كوم امبو، ورئيسا لمجلس إدارة شركةالسكر والتقطير المصرية، عينه الملك فاروق عضوا بالبرلمان عام ١٩٣٨م، وعين عضوا بالمجلس الاقتصادى ، وبالمجمع العلمى المصرى وبالجمعية الجغرافية الملكية.

و«جاك جوهر» كان صديقا للملك فؤاد فى خلال الحرب العالمية الأولى كان ضابطا بالجيش البريطانى برتبة كولونيل، تزوج من عائلة «عدس واحد من أغنى العائلات اليهودية فى مصر.. عينه الملك فؤاد مشرفا عاما على النشاط الرياضى فى مصر.. وتوثقت صلته بالملك فاروق، وصحبه فى عدة رحلات بالداخل والخارج وكان نائبا لرئيس منظمة أندية «المكابى» العالمية.. ونائبا لرئيس نادى السيارات الملكى.. الذى كان ملتقى «صفوةالمجتمع والارستقراطية اليهودية من نجوم عائلات: قطاوى وموصيرى، عدس، وشيكوريل ومزراحى.. يلتفون حول الملك ويخسرون له عمدا على موائد القمار!.. تماما كما كان

«نادى اليخت الملكى» أرقى أندية الإسكندرية، ملتقى العائلات اليهودية الشهيرة- صفوة المجتمع السكندرى- مثل منشة ورولو اجيون وسوارس.

وقد أغدقت الرتب والألقاب على كثير من اليهود ذوى العلاقات الوثيقة والمتميزة بالقصر، فمنهم من أنعم عليه بالباشويةمثل : يوسف قطاوى، موسى قطاوى، فيكتور هرارى، مزراحى، بلوم.. ومن أنعم عليهم بالبكوية: يعقوب قطاوى، أدول وأصلان ورينيه قطاوى، مراد ليشع، جوزيف دى بتشيوتو: الذى كان عضوا بمجلس النواب ثم مجلس الشيوخ عام ١٩٢٨، سلفاتور شيكوريل، كليمان شملا، مارك بيبولوس، جوزيف وموسى ديشى، ابرام عاداه، رودلف شالوم.

يقول «حاييم وايزامان» رئيس اللجنة الصهيونية لدراسة أوضاع اليهود فى فلسطين وأول رئيس لدولة إسرائيل، فى رسالة بعث بها من الإسكندرية إلى زوجته فى لندن بتاريخ ٢٤ من مارس ١٩١٨، صورت جانبا من حياة الطبقة اليهودية الثرية فى مصر.

.. موقف السلطات رائعا وصريحا، رغم افتقارها إلى إدراك الأمور.. يوجد هنا العديد من الأسر اليهوديةالعريقة، التى تعد من أقطاب المال فى الإسكندرية وفى مصر كلها، ولهم نفوذ فى جميع المجالات، وهم يشكلون شبه أسرة كبيرة، بعضهم على قدر بالغ من الذكاء والقدرة. هرارى باشا يشغل منصبا مرموقا فى حكومة البلاد.. معظم أسرة موصيرى من المليونيرات، تتزايد ثرواتهم يوما بعد يوم، إنهم رجال مهذبون يستقبلوننا بحرارة شرقية، يقدمون لنا جميع أنواع المجاملات، التى لابد أن نرد عليها بأدب مناسب.. لكن الوضع كله تمثيل فى تمثيل ولا يزيد عن ذلك!..

الصهيونية.. كانت هناك!

تقوم الصهيونية على فرضية أن اليهود فى جميع بقاع الأرض يشكلون شعباً واحداً.. وأن تعددت أوطانهم الأصلية ولغاتهم وثقافاتهم.. وعلى مدار تاريخها الممتد لنحو ١١٢ عاماً، نجحت الحركةالصهيونية فى إقناع كثير من يهود العالم بصحة أفكارها، وبأن «الشعب اليهودى» يجب أن يجمع فى دولة واحدة، وهو ما ينطوى على إنكار الوجود اليهودى فى «الشتات» ونقض فكرةاندماج الطوائف اليهودية فى المجتمعات التى عاشت فيها، وعمل رواد الصهيونية على إنهاء ما سمى «حالة الشتات» التى عانى منها اليهود منذ «هدم معبد سليمان».. كما نظرت الصهيونية إلى وجود الشعب الفلسطينى باعتباره «ليس أصيلاً».. وأن الفلسطينيين لا يرتبطون بهذه الأرض بنفس ارتباط اليهود بـ«أرض إسرائيل».. وبالتالى يسوغ الصهاينة لأنفسهم بـ«ضرورة ترحيل هؤلاء القابعين على ارضنا»!!

وبالنسبة لليهود المصريين، فإن الصهيونية روجت لفكرة: «أن هؤلاء اليهود كانت تعتريهم حالة من الوعى الزائف ظنوا به أن هويتهم المصرية أصيلة وسابقة على عقيدتهم الدينية التى تحتم عليهم العودة إلى إسرائيل والانضمام إلى سائر الشعب اليهودى والانضواء تحت نجمة داود»!

وتجدر الإشارة إلى الدور الفعال الذى قام به عملاء الحركة الصهيونية من خلال الحرب العالمية الثانية بين قوات الحلفاء والفيلق اليهودى المتمركز فى مصر، كما أنهم أكسبوا الحركة الصهيونية أساسًا قويًا من التأييد بين أوساط اليهود فى مصر، فقد نقلوا أنباء القتل الجماعى لليهود الأوروبيين بأسلوب صهيونى مبالغ فيه وأن ما حدث لهؤلاء فى أوروبا عن الممكن أن يحدث لغيرهم فى مكان آخر!

ولأن رواد الصهيونية كانوا ضد فكرة الاندماج اليهودى فى المجتمع المصرى، فقد استخدموا فى دعايتهم: تغذية فكرة الوطن القومى اليهودى فى نفوس أبناء الطائفة المصريون والمتمصرون وتدعيم الإحساس بأنهم أجانب وإن إقامتهم فى مصر مسألة مصادفة، تمهيدا لانتقالهم إلى الوطن القومى!.. وكان للصحف اليهودية التى تأسست فى مصرخلال الفترة ١٨٩٧– ١٩٤٨م دورًا ابارزًا فى الترويج للفكر الصهيونى، وأصبح التحول ناحية صهيون» تعبير عن الشعور القومى لدى اليهود، وأن عودة هؤلاء اليهود إلى أرض صهيون هى الحل الوحيد لأزمتهم، وهو ماعبرت عنه « آدا أهارونى» فكتبت«١»:

«عرفت مصر الحركات الصهيونية قبيل بداية القرن العشرين، عندما تأسست عام ١٨٩٧م منظمة باركوخبا وهى أول منظمة صهيونية فى مصر، وفى عام ١٩٠٥م تأسست منظمة «مورياح»

ثم توالت الحركات والمنظمات الأخرى مثل: هاشومير هاتسير وبنى بريت والمكابى.. وفى عام ١٩١٧م تأسس الاتحاد الصهوينى العام فى مصر المعروف باسم «هستادروت هاستيونتيث بيمصرا ييم» الذى وحد الحركات الصهيونية فى مصر، ومارس نشاطه علنًا فى القاهرة والإسكندرية مع «مباركة السلطات المصرية»!.. وقد وعد الملك فؤاد الذى شهد الافتتاح بأن ينال اليهود الحماية دائما فى مصر.. وهكذا أتاحت الصهيونية حافزا مجددا للطائفة اليهودية والتى سرعان ما أصبحت منظمة مكتفية بذاتها وتحقق إنجازات رائعة»!

وقد شرع أنصار حزبى العمل والمابام فى توثيق نشاطهم الصهيونى فى المنطقة العربية، من خلال سلسلة من المؤتمرات التى عقدت حول مائدة مستديرة أوحلقات بحث تناولت الدفاع اليهودى فى أرض المشرق قام بتنظيمها معهد أبحاث الحركة الريادية

والصهيونية بالاشتراك مع مركز هاكيبوتز هاميوحاد للدراسات والابحاث، واعتمدت الحلقات على الشهادات الشفهية للمشاركين وكان أبرزهم «شلومو باراد» عضو المنظمة الصهيونية المخضرم، منذ الأربعينيات، والذى قام بنشر أول تاريخ شامل للنشاط الصهيونى فى مصر، والذى أكد على جهود الناشطين الصهاينة فى مصر:

«بعد القبض على معظم قادة المنظمات الصهيونية، البالغة والشبابية، فى مايو ١٩٤٨م، برزت قيادة جديدة للجماهير اليهودية المشوشة خارج معسكرات الإعتقال فى شكل شباب الحركة الصهيونية السرية.. أخذت تلك الأنباء تنتقل همساً إلى كل بيت يهودى– معلنة عن وجود منظمة تشجع «العالياه–الهجرة» إلى إسرائيل وأنها كانت الوسيلة الوحيدة للخروج من المنفى إلى الحرية»!«١»

ومثل رواد الحركة الصهيونية، رأى «باراد» الهجرة الصهيونية أنها الحل الأمثل والنهائى الحتمى للشتات اليهودى، وينسب هذا الإدراك إلى «سكان كل بيت يهودى» فى مصر، مؤكدا على اشتراكهم الكامل فى » إمتلاك التاريخ» وفى الحركة الصهيونية قبل قيام دولة إسرائيل!

وعلى عكس معظم الجماعات الصهيونية المصرية الأخرى، بدأت «هاشوميرها تساعير» العمل بشكل سرى من خلال عام ١٩٤٧م وبدايات عام ١٩٤٨م، وعندما تم القبض على بعض من زعمائها، واصل أعضاء الحركة العمل السرى فى تنظيم الهجرة إلى إسرائيل ومساعدة الحركات الشبابية الأخرى، وقاد كل من: رالف هودارا، فيتاكاستل، ودافيدهاديل العمل السرى، بتوجيهات الوكالة اليهودية ومنظمة العالياه ووكالة سفريات «منشة».. ومما يثير الدهشة، أن منظمة العالياه قامت فى مارس ١٩٤٩م، بإرسال «الياهوبراخا» و«حاييم شاؤول» لتولى مسئولية تنظيم الهجرة إلى إسرائيل، كان براخا عضواً بمنظمة «هى– حالوتز» بالإسكندرية، وبوصفه عضوا فى حزب الماباى الحاكم آنذاك، وفى الوكالةاليهودية، فقد حاز ثقة رواد الحركة الصهيونية، وكان شاؤول عضواً بارزاً فى هاشومير هاتساعير».. وكان واضحا أن الدافع وراء إرسال هذين المبعوثين هو رغبة قادة «الماباى» وعلى رأسهم «بن جوريون» رئيس الوزراء فى السيطرةعلى «النشاط الصهيونى فى مصر»!

ويشير «يوسف درويش» إلى أن «السلطات المصرية حتى أوائل عام ١٩٤٨م، كانت تتهاون مع العدد القليل من الصهاينة فى مصر، فلا يمكن أن أنسى حينما كنت أقيم مع عائلتى بمصر الجديدة بشارع رشيد، كان فى شارع– مراد– المجاور، ناد مكتوب بخط

واضح على لافتته « النادى الصهيونى» فى حراسة رجال الشرطة!.. ثم ماذا تقول إذا عرفنا أن السلطات المصرية هى التى حظرت فى عام ١٩٤٧م إقامة ونشاط «الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية»!..

لقد تدهورت الفعاليات الصهيونية- خلال الثورة الفلسطينية ١٩٣٦- ١٩٣٩م- نظرا لأن أصداء التأييد العربى للشعب الفلسطينى وحقه المشروع فى المقاومة، قد أقنعت بعض اليهود المصريين بأنه ربما يكون هناك بالفعل تعارض بين الصهيونية والولاء لمصر!.. وبالتالى، فقد رأت هذه القلة فى مسألة تأييد الصهيونية على أنه مخاطرة بوضعهم فى المجتمع المصرى!

يؤكد سعد يعقوب مالكى.. رئيس تحرير صحيفة إسرائيل على أهمية الصهيونية ودورها فى إنقاذ الشباب اليهودى بقوله من لطف الله بالأمة اليهودية أن قيض لها وهى على وشك الوقوع فى اليأس من تحسن أحوالها أن ظهرت إلى الوجود الحركة الصهيونية، التى قدمت المثل الأعلى للشباب وللأمة بأسرها!!

وبإيجاز شديد يمكننا القول بأن الصهيونية العالمية قد استطاعت أن تجعل من مصر أخطر مراكز نشاطها فى الفترة من عام ١٩١٧م إلى عام ١٩٤٨م.. فقد كانت مصر دون أن تدرى أو تريد معسكر الانتقال للصهيونية العالمية والمحطة الرئيسية على الطريق إلى فلسطين ولولا جهود زعماء الصهيونية وأعوانها فى مصر، لما استطاعت الصهيونية العالمية تأمين ظهر المستوطنين اليهود فى فلسطين ، وضمان حركة التهجر إليها، وتخفيف حدة التوتر العربى داخل فلسطين وخارجها ثم إعلان قيام دولة إسرائيل!

ونظرا لوجود طائفة يهودية كبيرة وثرية، يمكنها أن تؤدى دورا مؤثرا فى خدمة الأهداف الصهيونية فقد أولت الصهيونية العالمية مصر اهتماما خاصا.

ولذا فإننا نلاحظ أن بداية النشاط الصهيونى فى مصر واكبت ظهور الصهيونية الحديثة ففى فبراير ١٨٩٧م، وبعد صدور كتاب هرتزل الدولة اليهودية» عام ١٨٩٦م، أسس جوزيف ماركو باروخ جمعية صهيونية بالقاهرة باسم «جمعية بركوخبا الصهيونية» برئاسة جاك هارملين وعين جوزيف ليبوفيتش سكرتيرا لها، وقد نجحت الجمعية فى أن تؤسس عدة فروع لها فى الإسكندرية وبورسعيد والمنصورة وطنطا..

وقبيل الحرب العالمية الأولى، تأسس فى مدينتى القاهرة والإسكندرية وحدها نحو ١٤ جمعية صهيونية، هدفها الدعوة إلى الأفكار والأهداف الصهيونية، فى القاهرة تأسست جمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٠م «لأطفال تحت ١٥ سنة» وجمعية الأدب العبرى عام

١٩٠٥م، وجمعية أحباء صهيون عام ١٩٠٦م ولجنة التنسيق الصهيونية عام ١٩٠٩م، وجمعية أبناء صهيون إلى الأمام عام ١٩١٠م، واتحاد أطفال صهيون عام ١٩١١م والدائرة القومية اليهودية ودائرة هرتزل عام ١٩١٢م.

وفى الإسكندرية أسس شارل بغدادلى أول جمعية صهيونية عام ١٨٩٨م ضم إليها صفوة الإشكنازيم والسفارديم، ثم تحولت هذه الجمعية إلى فرع لجمعية بركوخبا عام ١٩٠١م، ثم تأسست عدة جمعيات أخرى مثل جمعية أمل صهيون ١٩٠٤م، وجمعية عمال صهيونة وجمعية أبناء صهيون عام ١٩٠٦م، وجمعية شبان صهيون عام ١٩٠٧م، ثم اندمجت جمعية أبناء صهيون مع جمعية زئير صهيون عام ١٩٠٩م.

وقد توحدت هذه الجمعيات عام ١٩١٧م تحت اسم «الاتحاد الصهيونى»، وكان أن تدفقت على مصر أعداد هائلة من اللاجئين اليهود عقب نشوب الحرب العالمية الأولى. وهؤلاء أعطوا للنشاط الصهيونية فى مصر دفعة كبيرة.. وأقام هؤلاء اللاجئين اليهود فى مدينة الإسكندرية، فى معسكرات أطلق عليها «معسكرات التحرير» وأشرفت السلطات المصرية والبريطانية على توفير وسائل الراحة والدعم لهم!!

ثم تأسس أول فرع للمنظمة الصهيونى العالمية فى مصر برئاسة جاك موصيرى ثم خلفه جوزيف شيكوريل رئيسا للفرع عام ١٩٢١م وشغل ليون كاسترو منصب سكرتير اللجنة المركزية، فى عام ١٩١٨م، أصدر الفرع المجلة الصهيونية باللغة الفرنسية ونشط كاسترو فى ضم الجمعيات الصهيونية وأنشاء فروع للمنظمة فى المدن الكبرى، وبث الدعاية للأفكار الصهيونية بين أوساط اليهود..

وقد سعى زعماء الصهيونية إلى تكوين كيان صهيونى مسلح، بهدف تجميع شباب اليهود فى منظمة أو تشكيل عسكرى يتولى حماية الكيان الصهيونى فى فلسطين، وتزعم هذا المسعى صحفى يهودى روسى هو «فلاديمير جابو تنسكى» وتكونت بالفعل فرقة البغالة أو «كتائب أبناء صهيون» فى منطقة برج العرب غرب الإسكندرية عام ١٩١٥م، التى شاركت تحت لواء القوات البيرطانية فى الحرب العالمية الأولى.

ثم تكون ما يسمى «الفيلق اليهودى» فى الجيش البريطانى وأرسلت الكتيبتان «٣٨» و«٣٩» إلى مصر فى فبراير وأبريل عام ١٩١٨م، حيث أقيمت لهما استقبالات حافلة فى الإسكندرية والقاهرة! وعقب استكمال تدريب كل كتيبة أرسلت إلى فلسطين.. وافتتحت مكاتب خاصة بتجنيد اليهود فى كل من القاهرة والإسكندرية، فى إطار حملات مكثفة لحث يهود مصر على التطوع.. حتى أمكن تشكيل الكتيبة« ٤٠ » من يهود مصر وفلسطين، ثم

أرسلت إلى القدس للإنضمام إلى الجيش البريطانى الذى فتح المدينة بقيادةالجنرال اللنبى!

وتجدر الإشارة إلى أن الجمعيات الخيرية والأنديةاليهودية، تحولت إلى ساحات للترويح للفكر الصهيونى، حيث كانت تضم عددا كبيرا من شباب اليهود المتحمسين للصهيونية وحلم الوطن القومى وكان عملا الصهيونية العالمية قد نجحوا فى تجنيد معظم أعضاء هذه الجمعيات، والاندية فتحولت من نشاطها الاجتماعى إلى النشاط السياسى.. ومن ناحيةأخرى سعى أذناب الصهيونيةإلى اكتساب عطف الحاخامات خاصة بعد صدور وعد بلفور عام ١٩١٧م، فمنذ ذلك التاريخ، بدأ الحاخامات اليهود فى القاهرة والإسكندرية يتصدرون احتفالات الصهاينة واجتماعاتهم ويباركونها، وكان للحاخام حاييم ناحوم دورا بارزا فى تشجيع الفكر الصهيونى ونشاطه فى مصر!!

وبالنسبة إلى الصهاينة..

وبالنسبة إلى اليهود الصهاينة الذين إعتقلوا فى عام ١٩٤٨م، فقد كانت السلطات المصرية تعاملهم معاملة خاصة فعنبرهم الخاص فى «الهاكستب» مزود بوسائل الترف، بل كان يسمح لزعمائهم بالتوجه يوماً فى الأسبوع إلى منازلهم للإلتقاء بزوجاتهم وأولادهم، وأخيرا ألم يكن فى علم السلطات المصرية وبمعرفتها أن اليهود البدون جنسية وقد تم تزويدهم بـ« ورقة طريق» للتوجه إلى إيطاليا، حيث كان ينتظرهم «بعلم السلطات المصرية» رجال الموساد لتوصيلهم للعيش فى إسرائيل» «١»!

ويشير جوئل بينين» إلى أن الجهود التى بذلها اليهود المصريين من أجل إثبات هويتهم ووجودهم المتميز فى ضاحيتى خولون وبات يام بتل أبيب، وفى المنطقة من بئر سبع إلى حيفا: «قد أكدت على فكرتين، الأولى أنهم كانوا صهاينة فى مصر، والثانية أنهم كانوا ضحايا الاضطهاد المعادى للسامية.. وبالنظر إلى التفسير الصهيونى لذكرى القتل الجماعى لليهود فى أوروبا، فقد أدى ذلك التفسير إلى تشجيع اليهود المصريين على ادخال تاريخهم وتجربتهم فى مصفاة أسلوب الخطاب الصهيونى » «٢»!

ولعل «آدا أهارونى» وهى تستعرض روايتها« الخروج الثانى» فى إطار التفسير الصهيونى للتاريخ الشخصى فى شكل روائى، قد أصابت الحقيقة فأوجزتها وبإصرار على أن «الصهيونية لم يتم جلبها إلى مصر.. بل كانت هناك»!!

يهود مصر والتنظيمات الشيوعية

طرح الراحل د. على شلش فى كتابه «اليهود والماسون فى مصر» عدة تساؤلات عن أسباب قيام النشاط الشيوعى على أيدى اليهود– فى مصر:

هل كان هناك صلة بين الشيوعية والصهيونية على أيدى اليهود؟

هل كان اليهود الذين نقلوا هذا النشاط من أوروبا، يريدون صرف أنظار جماهير الشعب فى مصر عن الصهيونية؟

هل كان هؤلاء شديدى الاندماج فى المجتمع المصرى، بحيث أدركوا أن حل مشكلة الفقر لا سبيل لها إلا الشيوعية؟!

هل كان التفكير فى الشيوعيةعندهم نوعا من الترف النظرى؟

أو بمعنى أوضح: هل كان مجاراة لموضةالتفكير فى الشيوعية التى سادت المثقفين فى أوروبا الغربية فى فترة ما بين الحربين؟!

من واقع التاريخ السياسى لمصر الملكيةنجد أن: النشاط الشيوعى كان محظورا تماما، على عكس النشاط الصهيونى!!

أقدم تنظيم شيوعى فى مصر، هو الذى اسسه «جوزيف روزنتا» بالإسكندرية باسم «الحزب الاشتراكى» وقصر عضويته على اليهود والأجانب بالمدينة، فى بداية العقد الثانى من هذا القرن.

ولفت نشاط الحزب انتباه أربعة من المصريين هم: محمد عبد الله عنان الذى تخصص فيما بعد فى تاريخ العرب بالأندلس ومحاكم التفتيش الشهيرة والكاتب الصحفى سلامة موسى. حسنى العرابى وعلى العنان.. هؤلاء كانت أفكارهم تتراوح بين الماركسية والفابية على طريقة برنارد شو.. وتمت الاتصالات التى أسفرت عن تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى فى أغسطس ١٩٢١م، لكن الحزب أصابه الانشقاق سريعا، وخرج منه المعتدلون مثل سلامة موسى الذى قال: «لم يتسع صدر روزنتال لاعتدالنا!»

بعد نحو عام، تغير اسم الحزب إلى «الشعبة المصرية للدولية الشيوعية» ولم يكد ينتهى عام ١٩٢٢م، حتى أصاب الحزب تصدع آخر راح ضحيته- روزنتال نفسه بسبب معارضته للانضمام إلى الكومنترن الشيوعى» وبدأت السلطات الحكومية فى مطاردة أعضاء الحزب، حتى تم اعتقالهم فى ٥ من مارس ١٩٢٤م.

فى عام ١٩٣٤م، أسس «بول جاكو دى كوب»، « راءول كوريل» وشقيقه الأصغر «هنرى كوريل» ١٩١٤-١٩٧٨م جماعة شيوعية من اليهود باسم «رابطة أنصار السلام» ضمت:مارسيل إسرائيل، هليل شوارتز، سلامونى سدنى.. وقد أغرى هؤلاء بعض المثقفين المصريين بالانضمام إليهم مثل: د. عبد الرازق السنهورى وزهير جرانة.. غير أنهم سرعان ما انفصلواعنهم فاستقل بها اليهود، وتغير اسمها إلى «جمعية أنصار السلام»

فى عام ١٩٣٨م، انشق هنرى كوريل عن هذه الرابطة أو الجمعية، وأسس ما يسمى بـ«النادى الديمقراطى».. وعن هذا النادى، انشق مارسيل إسرائيل الذى كون منظمة تحرير الشعب».. ومن هذه المنظمة، تفرعت عدة جماعات، مثل: «جماعة الفن والحرية» التى ضمت من شباب المصريين: جورج حنين، رمسيس يونان، أنور كامل، الذين أصدروا فى يناير عام ١٩٤٠م مجلة«التطور» وكانت هذه الجماعة متأثرة بفكر «ليون تروتسكى».. وجماعة «الخبز والحرية» التى تأسست عام ١٩٣٩م.

عقب الحرب العالمية الثانية، نشأت عدة تنظيمات شيوعية أسسها يهود، أهمها: «جماعة الفجر الجديد» التى أصدرت مجلة بهذا الاسم فى ١٦ من مايو ١٩٤٥م، ورأس تحريرها أحمد رشدى صالح، وضمت: سلفاتور بن روفائيل المعروف باسم «أحمد صادق سعد» وريمون دويك، شقيق حاييم دويك الذى تولى منصب الحاخام الأكبر بعد وفاة حاييم ناحوم، ويوسف درويش، فى سبتمبر ١٩٤٦م، تحولت هذه الجماعة إلى تنظيم الطليعة الشعبية للتحرر» ثم تغير اسمها إلى طليعة العمل ثم إلى «حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى» عام ١٩٥٧م.

وكان النادى الديمقراطى الذى أسسه هنرى كوريل، قد انقسم بدوره عام ١٩٤٢م إلى تنظيمين:«الحركةالمصرية للتحرر الوطنى» بقيادة هنرى، و«ايسكرا» أو الشرارة بالروسية، بقيادةهليل شوارتز.. ثم اتحد هذان التنظيمان عام ١٩٤٧م باسم «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» الذى اشتهر بالاسم الرمزى «حدتو».. وضمت من شباب المصريين خالد محيى الدين، أحمد حمروش، سعد كامل، أحمد فؤاد الذى تولى فيما بعد رئاسة مجلس إدارة بنك مصر.. وقد ظل كوريل مسيطرا على هذا التنظيم وممولا له، حتى تم القبض عليه مع شوارتز وتم ترحيلهما إلى الخارج فى صيف ١٩٥١م، وكان من أنشط أعضاء هذا التنظيم «إبراهام ارنست هرارى» الذى كان محاميا آنذاك ونظرا لخطورته على أمن البلاد، فقد اعتقل أكثر من مرة إلى أن هرب من معتقل الوادى الجديد عام ١٩٦٤م، إلى باريس ثم مخاطبته الجهات الرسمية للسماح له بالعودة لـ«خدمة وطنه»!

يشير «أحمد مرتضى المراغى» وزير الداخلية فى نهايةعهد الملك فاروق إلى أن هنرى كوريل كان مليونيرا ينفق بسخاء على مظمته ويعمل تحت ستار التجارة مع ثلاثة إسرائيليين هم: ارنولد ريشفيلد سيمون سيتون، وروبرت روبنسون، بتكليف من زعماء الحركة الصهيونية فى فلسطين عام ١٩٤٦م لإمدادهم بما يحتاجون إليه من معلومات عن مصر».. بينما يذهب البعض إلى أن كوريل كان يملك مكتبة صغيرة بميدان سوارس

مصطفى كامل حاليا» وأشاع عن نفسه أنه مليونير، حتى يبعد الشبهة عن إنفاقه السخى على النشاط الشيوعى وأهدافه.

وتجدر الإشارة إلى مقال نشرته صحيفة «واشنطن تايمز» وثيقة الصلة بالمخابرات المركزية الأمريكية «CLA» فى ١٧من أغسطس ١٩٩٤م. عن دور المخابرات الروسية. جى. بى فى دعم الإرهاب الدولى، جاء فيه «ان السوفييت قد ساعدوا فى إقامة شبكة لدعم الإرهاب الدولى يتولاها «هنرى كوريل» الذى حصل على الجنسية الفرنسية وكان مقيما فى باريس حتى اغتيل فى حادث دموى غامض عام ١٩٧٨م»

ويضيف المقال بأن منظمة كوريل كانت مهمتها تقديم الباسبورات والوثائق المزورة إلى الإرهابيين فى أوروبا، وامدادهم بالأموال، وإتاحة أماكن آمنة يلجأون إليها قبل وبعد العمليات الارهابية، بالإضافة إلى التدريب على استخدام الأسلحة والمفرقعات».

ويدفع الكاتب الصحفى المعروف، رفيق كوريل «أحمد حمروش» عضو اللجنة المركزية لتنظيم «حدتو».. الاتهام بالإرهاب عن كوريل وأنه «كان يعتمد على النظرية الماركسيةالتى اقتنع بها، والتى لم يكن فى ادبياتها دعوة للارهاب، وإنما كان داعيا للثورة الشعبية عن طريق إقناع وتنظيم الجماهير بالفكر والحوار» ويضيف.. «فى فرنسا لم تنقطع صلة كوريل بوطنه!.. وكانت له صلات بعدد من الشخصيات الوطنية مثل: يوسف حلمى المحامى، خالد محيى الدين، د. ثروت عكاشة والكاتب الصحفى سعد كامل».

بقى أن أشير إلى أن سفارة جمهورية الجزائر، بشارع حسن صبرى بالزمالك كانت قصرا رائعا على طراز العمارة الأوروبية الكلاسيكية كانت تمتلكه عائلة كوريل.

كما تبقى الاشارة إلى أن حرب عام ١٩٤٨م أجبرت اليهود الشيوعيين على مواجهة حقيقية هويتهم وانتمائهم السياسى، وهو ماعبر عنه «ريمون استامبولى» عضو حدتو والمقرب من هنرى كوريل، فكتب: كانت الحرب فى فلسطين بمثابة ضربة قاصمة بالنسبة لنا، فقد وضعت نهاية لحلم كان آخذا فى التحقق، ولقد ظننا أننا مصريون.. الآن انتهى كل ذلك، الآن لم نعد فقط أجانب، بل يهودا، ولذلك فنحن الاعداء، ونحن طابور خامس كامن ، هل كان بمقدور أحد منا أن يتنبأ بذلك»!

الفصل العاشر
يهود الإسكندرية

فى نهاية القرن السابع عشر.. رحل مجموعة من الصيادين اليهود، من رشيد وادكو، – تعثرت بهم سبل العيش – إلى الإسكندرية لينضموا إلى بضع مئات من اليهود، كانوا أيضا فى حال من البؤس والشقاء.. أقام هؤلاء الوافدون من رشيد وإدكو، خياما لهم فى «حى الانفوشى» بمحاذاة الشاطئ، وبشارع الصيادين بالقرب من سوق السمك القديم.

فيما بعد أصبحت هذه الخيام أكواخا.. تحولت بدورها إلى منازل.. مكونة حى اليهود بالإسكندرية، أو ما يعرف بحارة اليهود، ممتدة من حوش النجار وحوش الجعان وحوش الحنفى إلى ميدان وشارع فرنسا.

لقد كان أكبر وأهم تجمع يهودى فى مصر بعد القاهرة هو طائفة يهود الإسكندرية.. وتجدر الإشارة إلى أن أوامر «الباب العالى» في خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. أشارت إلى يهود الإسكندرية اكثر من إشادتها إلى يهود القاهرة، ومن المؤكد أن أحد العوامل المهمة فى تدهور الوضع الاقتصادى للمدينة، هو انهيار تجارة الترانزيت فى نهاية القرن الخامس عشر، حتى انتعاش التجارة الدولية فى منتصف القرن السادس عشر.

أيضًا تجدر الإشارة إلى أن فرمانات الباب العالى في خلال الفترة ١٥٧٦–١٦٠٩م ورد بها عدة مرات: أن اليهود أقاموا منذ فترة فى قلعة السلطان الأشرف قايتباى بالإسكندرية

وشيدوا فيها بيوتًا ومعابداً.. ثم أخرجوا منها وشيدوا منازل لهم خارج القلعة فوق مقابر الشهداء من الصحابة « وهو مازال يحدث حتى يومنا هذا من انتهاك لحرمة مقابر المسلمين ومساجدهم فى فلسطين وبعض الدول الأوروبية من قبل الجماعات اليهودية المتطرفة» وأجبر اليهود على هدم هذه المنازل وإلزامهم بعد انتهاك القواعد الشرعية والقانون الإدارى.. كذلك تناول أحد الفرمانات شكوى مواطنى الإسكندرية ضد اليهودى المشرف على جمارك الميناء، الذى شيد نحو سبعين منزلاً فى المدينة، مستخدمًا فى بنائها مواد استولى عليها من منازل الأوقاف بالقلعة وأحجار مساجد متهدمة!

وارتبطت ظاهرة الزيادة التى طرأت على عدد اليهود بالإسكندرية، بذلك التطور الذى طرأ على ميناء الإسكندرية وبحالة الازدهار الاقتصادى التى عاشتها المدينة من خلال القرن التاسع عشر.

فى عام ١٨٩٧م، قدد عدد يهود الإسكندرية بشعة آلاف، تركزوا بصفة اساسية فى الحى اليهودى بالقرب من سوق السمك القديم، وفى أحياء المنشية والعطارين ومحرم بك، وفى عام ١٩١٧م، طرأت زيادة ملحوظة فى أعداد اليهود التى وصلت إلى سبعة عشر ألفا ، كما تزايدت مناطق تجمعهم فشملت: أحياء أبو شوشة والمنشية وباب شرق والمسلة وسوق الأتراك واللبان.. وحتى العقد الثالث من القرن العشرين لوحظ زيادة تمركز اليهود فى المناطق الواقعة على امتداد شاطئ البحر، خاصة الرمل والحضرة وسيدى بشر، واتسم تعداد يهود الإسكندرية بالاستقرار بتلك الزيادة السريعة التى طرأت على مسلمى المدنية!

وفى إطار مشروع «محمد على باشا» للنهوض بمصر، تحولت الإسكندرية فى عصره إلى محور مهم للتنمية الاقتصادية، وشهدت تلك الفترة تزايد الهجرات اليهودية، ونمو الطائفتين الايطالية واليونانية، وكان من بين معالم الحداثة التى شهدها مجتمع الإسكندرية، إزدياد المتاجر الدولية والفنادق والمطاعم والملاهى والمسارح.. والمعابد والكنائس!.. ولم يشعر اليهود «السفارديم» الذين تدفقوا من انحاء الإمبراطورية العثمانية، بالاغتراب داخل مصر، بل كانوا يدخلون إلى الإسكندرية دون وثيقة سفر، وهو ماكان ينطبق أيضا على غير اليهود، استقر المهاجرون اليهود فى الإسكندرية، وعملوا مع الأرمن والشوام المسحيين كوسطاء بين رجال المال والتجارة فى أوروبا، والتجار المحليين كوسطاء بين رجال المال والتجارة فى أوروبا، والتجار المحليين، كما فتح الاشتغال بالتجارة آفاقًا من النشاط المالى الضخم للأسر اليهوديةالثرية وعلى رأسها: عائلة «دى منشة» وعائلة «رولو».

وفي خلال تلك الفترة التى شهدت تزايد الهجرات اليهودية إلى مصر، منذ منتصف القرن التاسع عشر، حاولت الطائفة اليهودية التمتع برعاية بعض الدول الكبرى، ففى عام ١٨٥٥م، عقدت الطائفةاليهودية بالإسكندرية اجتماعا قررت فيه الحصول على رعاية الإمبراطورية النمساوية المجرية، وحظى هذا المطلب بالموافقة، وفى عام ١٨٧١م، ومع تصاعد الخلافات الداخلية، طالب البعض بأن تكون الرعاية: مصرية بالكامل، وبعض مضى سبع سنوات، اتحدت الأراء وأصبحت الرعاية مشتركة بين مصر، والنمسا والمجر، وتجدر الإشارة إلى عدم تدخل السلطات المصرية عندما تدهورت الأوضا ع السياسية للطائفة.

وتفيد وثائق الحاخامية أنه كان يوجد بالإسكندرية منذ القرن السابع عشر «هيئة ربانية «رئيسية»، وكان رئيسها يدعى «مارى داترا» وقد أطلق هذاا للقب على الحاخام «افراهام يسرائيل» أحد حاخامات الإسكندرية في خلال القرن الثامن عشر، واستمر هذا اللقب يطلق على رؤساء هذه الهيئة في خلال القرن التاسع عشر، كذلك أطلق لقب «ريش متا» على الحاخام «افراهام سكندرى« .. إلى أن أطلق على كبار الحاخامات فى القاهرة والإسكندرية لقب «الحاخام باشى» ! وكان بين مهام الحاخام توقيع الفتاوى وعقود الزواج، كذلك إلقاء الخطب أمام طائفته، وقد سادت فى الإسكندرية، فى عهد الحاخام «الياهو يسرائيل» قيامه بإلقاء ثلاث خطب فى السنة، الأولى يوم السبت الكبير، والثانية فى يوم سبت الغفران، والثالثة فى يوم السبت العروس، وعادة ما كانت هذه الخطب تلقى فى معبد «زراديل» أو معبد «عزوز».. وكانت خطبة يوم السبت الكبير تتناول: تعاليم التوراة وأحكام عيد الفصح، كما كان الحاخام فى الإسكندرية وفى القاهرة، يرثى الموتى عدة مرات: من خلال الخبازة، وفى اليوم السابع من الوفاة، ثم بعد مضى ثلاثين يومًا على الرحيل، ثم فى الذكرى السنوية، كما يقوم الحاخام باصدار فتاوى إعداد الطعام قبل حلول العيد، وتوزيع النذور.. وقد اعتاد الحاخامات أيضا الإشراف على الجزارين و«التأكد من طهارة سكاكينهم»!.. وفى حالة وجود أية سلبيات فمن حق الحاخام إقصاء هؤلاء الجزارين عن عملهم، تبعًا لحقه فى عزل اموظفين اليهود عن مناصبهم!

وكان قرار تعيين الحاخامات حصريا بين رؤساء الطائفة والصفوة فى المجتمع اليهودى.. وكانت عملية انتخاب كبير الحاخامات فى الإسكندرية، وفى القاهرة، كثيرًا ما تثير الخلافات بين قادة الطوائف اليهودية، وكانت السلطات المصرية تكتفى باصدار فرمان رسمى للتصديق على انتخاب الحاخام، وتشير سجلات طائفة الإسكندرية عام ١٨٧٢ إلى

أن كبير الحاخامات ثم انتخابه بعد فوزه بغالبية الأصوات من بين دافعى الضرائب!.. وكان «الحاخام باشى» عند تقلده هذا المنصب يرتدى ثياباً مزركشة!..

كما كان يتمتع بمزايا عديدة منها: حق رفع التوراة يوم السبت، وتلاوة الوصايا العشر أمام المصلين.

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، كانت الإسكندرية فى «عصرها الذهبى» تعرض مشهدا غريبا صارخ الألوان لمدينة جامعة لأجناس وجاليات متعددة، متباينة فى أنماط التفكير الثقافى والاجتماعى، نتيجة اختلاط الهويات الجماعية..

فكانت المدينة أشبه بـ«برج بابل» لليهود، الذين لعبوا دور الوساطة بين هذه الجاليات المختلفة وبين أهل المدينة.. وفى نهاية القرن التاسع عشر كانت الإسكندرية قد اجتذبت المزيد من يهود القاهرة، ومن تركيا والمغرب وأسبانيا- نتيجة للطفرة التى حدثت فى التبادل التجارى بين الشرق والعرب، ومع الانتعاش الاقتصادى للمدينة.. استقر بها نحو عشرة آلاف يهودى، وفدوا من بلاد حوض البحر المتوسط، وكانوا فى معظمهم، من المغامرين والمضاربين والأفاقين، تدفعهم شهرة الكسب، ويطأون بأقدامهم قوانين البلاد فى ظل حماية القناصل..!

وتشتهر المدينة كمركز لفروع وعمليات البنوك العالمية. وكبرى بيوتات التجارة والمال.. ويشير البروفيسور «روبير البير» إلى أن «بعض العائلات الثرية قد جعلت من المدينة عالم صغير تحكمه قوانينه الخاصة، مثل عائلة منشة والبارون زغيب، ورولو وشبكة من العائلات تحكمها نظم معقدة، تتوزع فيما بينها المكاسب والنفوذ»!

فى خلال الحرب العالمية الأولى، تصاعد نجم العائلات اليهودية بالإسكندرية وعلى الأخص، عائلات: دى منشة، أجيون، جوهر، رولو... وتمتعت بالثروة والهيبة والنفوذ كالصفوة اليهودية فى القاهرة وأسرة «دى منشة» كانت بالطبع هى الأكثر شهرة، وهم من اليهود السفارديم، نزحوا إلى مصر عن طريق فلسطين والمغرب، فى خلال القرن الثامن عشر، مثل أسرتى: «قطاوى» و«موصيرى».

وعميد العائلة «يعقوب دى منشة» ولد بالقاهرة عام ١٨٠٧م وتوفى بالإسكندرية عام ١٨٨٧، بدأ حياته بتجارة العملة صرافا بحارة اليهود بالقاهرة إلى أن أصبح «صراف باشى» المدير المالى للخاصة الخديوية فى عهد إسماعيل باشا..

ويعقوب دى منشة هو أحد رجال المال والأعمال الأوائل فى مصر الحديثة الذين أدركوا قيمة الاستفادة من التجارة مع أوروبا، وأسس مع يعقوب قطاوى بيتا للتجارة والمال. وكان

للعائلة فروع فى مانشستر وليفربول ولندن وباريس ومارسيليا واستانبول.

والبارون« ليفى دى منشة» ولد بالقاهرة عام ١٨٤٠م، درس فى إيطاليا وانجلترا، عقب عودته إلى الإسكندرية أسس شركة للصرافة، فى عام ١٨٦٨م، تزوج «لولى بغدادلى» التى أنجبت له ولدا واحدا جاك إيلى وخمس بنات، هن:

* استير، تزوجت« الفرد اسمعلوم».
* لويز، تزوجت« البرت اسمعلوم»
* شارلوت، تزوجت« إيزاك بولاسكو».
* جان، تزوجت«فيلكس جرين».
* ديانا، تزوجت « موريس قطاوى».

واستعراض الأسماء، يؤكد شهرة عائلة منشة وحرصها الشديد على الارتباط بأقوى العائلات اليهودية بعلاقات الزواج!.

وبتشجيع من الخديو إسماعيل، وبتدخل من شقيقه الأمير مصطفى فاضل، أمكن تجاوز بعض الصعوبات.. ليؤسس «البنك العثمانى المصرى» عام ١٨٧٢م. وكان لهذا البنك دور بارز فى عمليات إقراض الخديو بفوائد باهظة!.. تمتع بالحماية النمساوية.. وتوفى عام ١٩٠٢م.

أما ولده البارون «جاك إيلى دى منشة «فقد ولد فى ٢٦ من أغسطس عام ١٨٧٢م، تلقى علومه فى فيينا وباريس، عقب عودته، اشركه والده فى إدارة بعض أعماله وممتلكاته، التى كان من بينها ١٢ ألف فدان مخصصة لزراعة القطن وشركة للعقارات، ووكالة صحفية باسم «المصريون الأحرار» وكان عضوا بارزا بعدد من الجمعيات اليهودية، واشتهرت عنه هوايته فى تربية خيول السباق.. تزوج من «جابرييل» ابنه موريس اجيون أحد كبار رجال المال بالإسكندرية.. فى بداية عام ١٩٠٩م، حصل على عضوية أرقى الأندية الارستقراطية «نادى محمد على».. وقد لعب دورا مهما فى تنمية التجارة المصرية النمساوية، لينعم عليه الإمبراطور «فرانسيس جوزيف» بلقب البارون ومنحه الجنسية النمساوية.

* ويبرز اسم «جاك بيهور دى منشة» ١٨٥٠– ١٩١٦م، الذى بدأ نشاطه فى بورصة القطن، وتجارة السكر، وكان يمتلك الكثير من الأسهم العقارية فى الدلتا وصعيد مصر.. وتولى رئاسة مجلس الطائفة بالإسكندرية عام ١٨٩٠م..

* وشقيقه «فيلكس بيهور دى منشة» ١٨٦٥– ١٩٤٣م، درس فى فيينا، وكان أبرز

وأنشط مؤيدى الحركة الصهيونية فى مصر، بتشجيع من زوجته الثانية «روزيت».. كما كان صديقا لحاييم وايزمان، ورأس اللجنة الصهيونية المصرية التى تأسست عام ١٩١٨م، وفى عام ١٩٢٠م كان ممثلا للصهيونية المصرية فى المؤتمر الصهيونى العالمى بلندن، وكذلك فى مؤتمر كارلسباد عام ١٩٢١م.

* وعائلة منشة: ثراء، عالمية، ثقافة أوربية، نفوذ سياسى، واقتصادى، أسهمت فى إنشاء عدد من المؤسسات الاجتماعية، منها: جمعية «ازرات احيم» لمساعدة الفقراء، عام ١٨٨٥م، ومدرسة الأطفال «اميل توراة» عام ١٨٩٤م، ومعبد ومدافن منشة، كما أسس الإخوان: جاك وفيلكس والفرد، مستشفى منشة عام١٨٩٠م، التى حازت شهرة فى خدمة المرضى اليهود، كما أسست العائلة، مدرسة مشتركة عام ١٩٠٧م، وبالتنسيق مع رابطة «بناى بريت» أسست الاتحاد اليهودى للتعليم، و فى خلال بضع سنوات، افتتحت مدرسة ثانوية وليسية الاتحاد اليهودى بحى محرم بك، ثم مدرسة « ابن ميمون» الثانوية عام ١٩٤٣م.

وقد سيطرت عائلة منشة على مجلس الطائفة المنتخب بالإسكندرية واشتهر عن جاك بيهور دى منشة الذى رأس الطائفة لأكثر من ربع قرن: تشدده واستبداده وانفراده بالرأى وأعضاء المجلس كانوا ممن ارتبطوا به بعلاقات القربى أو بالزواج أو ينتمون إلى دائرة الأصدقاء المقربين.. حتى أطلق عليه «مجلس العائلة»!

وخلفه فى رئاسة مجلس الطائفة بالإسكندرية: «ادجار سوارس» ١٩١٤-١٩١٧م وفيلكس بك طوبى» ١٩١٧-١٩٢٥م و«الفرد تيلش» ١٩٢٥-١٩٢٦م و«فيلكس دى منشة» ١٩٢٦-١٩٣٤م و«روبرت رولو» ١٩٣٤-١٩٤٨ و«ادوين جوهر» ١٩٤٨-١٩٥٦م.

ومن أعضاء المجلس البارزين، الذين حظوا برضاء عائلة منشة، وكان لهم نشاط ونفوذ فى مجالات التجارة وأعمال البورصة والبنوك والصناعة والمهن الحرة، خاصة المحاماة والطب: روبرت وابرام وماكس رولو، رافائيل توريل، ادوين وجاك جوهر، جوزيف إيلى دى بتشيوتو، فيلكس بك بادوا اجيون، تيلش.

* ادوين جوهر: ولد عام ١٨٧٥، كان من أهم المصدرين بالإسكندرية كما كان عضوا بمجلس أكثر من شركة لتجارة الأخشاب، تلقى علومه بسويسرا وتزوج من عائلة «بيجا».

تولى رئاسة محفل «الياهوهانبى» وشغل لعدة سنوات منصب نائب رئيس الطائفة، حتى تولى رئاستها بالفعل فى الفترة ١٩٤٨-١٩٥٦م.

* جاك جوهر: ولد عام ١٨٨٧م، تلقى تعليمه فى إيطاليا، ومن خلال الحرب العالمية

الأولى، كان ضابطا بالجيش البريطانى برتبة «كولونيل».. أقترن بـ«سيلين عدس».. وأسرتها كانت من أشهر وأغنى العائلات اليهودية فى مصر.. ارتبط بصداقة وطيدة بالملك فؤاد ثم الملك فاروق.. كما كان نائبا لرئيس المنظمة اليهودية العالمية و«المكابى».. ونائبا لرئيس نادى السيارات الملكى.

* جوزيف إيلى دى بتشيوتو: كان عضوا بمجلس الطائفة، كما كان له نشاط سياسى من خلال حزب الوفد، حتى أصبح عضوا بمجلس الشيوخ عام ١٩٢٤م رأس محفل «الياهوهانبى» فى الفترة من ١٩١٧-١٩٢٥م، ورأس لجنة المدارس بالإسكندرية ونائبا لرئيس اللجنة الصهيونية عام ١٩١٨م.

رافئيل توريل: رجل أعمال بارز انتخب عضوا بمجلس الطائفة، وهو من عائلة تركز نشاطها فى تصدير القطن، وكانت تمتلك نحو خمسة آلاف فدان عام ١٩٣٠م، وفى نهاية نفس السنة، عمل سكريترا متطوعا بمجلس الطائفة. ولأكثر من ثلاثين عاما كان عضوا بالمجلس البلدى لمدينة الإسكندرية.

*الفرد نسيم كوهين: ولد بتونس عام ١٨٨١م، بدأ حياته مدرسا بمدرسة الاليانس الإسرائيلى العالمى بالإسكندرية.. ثم اتجه إلى المضاربة فى البورصة، أسس مع : حاييم بيريز، وأوفاديا سالم «شركة التسليفات التجارية» وفروعها بالقاهرة ولندن والسودان.

* حاييم درة:ولد بدمشق عام ١٨٩٨م، هاجر إلى مصر فى العشرينيات من هذا القرن، واستقر بالإسكندرية، حتى أصبح واحدا من ملوك تجارة المنسوجات.

* ماركو نادلر: من أشهر رجال الصناعة الأثرياء، وهو صاحب مصانع الحلوى الشهيرة باسمه حتى اليوم.

* د. هيرمان شلزنجر: هاجر إلى مصر من رومانيا عام ١٩٠٧م، اشتهر كطبيب ولفترة طويلة كان عضوا بمجلس الطائفة، كما أسهم بدور فعال فى دعم نشاط الحركة الصهيونية بالإسكندرية.

موسى بك ديشى: السكرتير المالى بوزارة الداخلية، ولد ٨ من اكتوبر عام ١٨٩١م بالقاهرة، شغل منصب المراقب العام لمجلس بلدى الإسكندرية، والمدير العام المساعد لشركة السكر المصرية اقترن بـ«سوزان اسمعلون» مواليد ١٩١٤م. ابنه ماكس اسمعلون، وان موسى بك مقيما فى ٢٩ ش صالح أيوب بالزمالك، ابنه الوحيد «سمير إيلى كلود» ولد فى ٩ من يناير ١٩٤٢م وأشرف على ولادته «سعادة الدكتور نجيب باشا محفوظ»!

* فيلكس بن زاقين: أشهر محامى يهودى بالإسكندرية كان معروفا بنشاطه الصهيونى

ومع ذلك كلفه النقراشى باشا بتشيكل لجنة تمثل يهود مصر، للسفر إلى أمريكا، والتباحث مع زعماء اليهود حول إنشاء «دولة فيدرالية» للعرب واليهود فى فلسطين، لكن زعماء الطائفة فى القاهرة والإسكندرية، نصحوه بعدم التدخل فى مثل هذه الموضوعات!

وأشهر من تولوا رئاسة الحاخامانه بالإسكندرية:

«رافائيل ديللا برجولا» ١٩١٠– ١٩٣٣م، و«دافيد براتو» ١٩٢٧– ١٩٣٦م الذى ولد بفلورنسا و«موشى فنتورا» ١٩٣٧– ١٩٤٨م، وهو من يهود أزمير.. وقد كان لهؤلاء الثلاثة نشاط بارز فى دعم النشاط الصهيونى بالإسكندرية!.. وتجدر الإشاة إلى أن «فنتورا» كان وزيرا للأديان والطوائف فى أول وزارة إسرائيلية.

وقد تزامن التطور الاجتماعى ليهود الإسكندرية مع التطور التاريخى للمدينة نفسها، خاصة تلك الفترة التى شهدت انفتاحا اقتصاديا هائلا بعد الحرب العالمية الثانية، فكانت ذروة التآلف والنشاط للطائفة اليهودية بالإسكندرية ، لم نشهد له مثيلا منذ العصر اليونانى الرومانى.

تركزت الطبقة الارستقراطية بوسطة المدينة، بالقرب من شارع النبى دانيال ومحفل الياهوهانبى، وتوسعت أملاكها فى حى الرمل، الذى زحفت إليه الطبقة المتوسطة فى الثلاثينيات من القرن العشرين.. البعض منهم عاشوا داخل القوقعة التى صنعوها لأنفسهم، منفصلين عما حولهم، وعن الثقافة التى كان يجسدها الطابع» الكوزموبليتانى» للمدينة.

وتزايدت الأنشطة التجارية والحرفية وأعمال البنوك، وسيطرة السماسرة وكبار رجال المال على البورصة، حتى أنها كانت تغلق أبوابها فى جميع الأعياد اليهودية.. وانتشرت بوسط المدينة وميدان محمد على:المحلات الكبرى مثل هانو، بنزويون وعدس.. محلات المجوهرات، وشركات التأمين، وشركات الملاحة اليهودية، بشوارع شريف وتوفيق وسيزوستريس وانطونيادس واستانبول.. وسيطر المحامون اليهود على المحاكم المختلطة.. وشارع فؤاد ، وكانت تنتشر به مكاتب كبار تجار القطن وسماسرة البورصة، وحلوانى بودرو، والمكتبة الفرنسية، وتجار الأدوات والأجهزة الكهربائية، ومكاتب بعض الصحف والمجلات اليهودية.. وفى شارع سعد زغلول انتشرت محلات الأحذية والملابس ولعب الأطفال وبعض المكتبات..

فى الطرف الآخر من المدينة، نشط يهود الإسكندرية فى الميناء البحرى، وكان سماسرة البورصة دائمى الحركة بين بالات القطن وأكياس البصل والأرز المعدة للتصدير.

وكان أبرز نشاط عمرانى شهده ثغر الإسكندرية ذلك الذى قام به «جوزيف سموحة» عميد عائلة سموحة، التى تعود أصولها إلى بغداد، وقد هاجر إلى مصر عام ١٩١٧م، قادما من مدينة مانشستر، فأسس شركة لتجفيف الأراضى عام ١٩٣٠م، واشترى منطقة مستنقعات قديمة فى سيدى جابر. وبلغت مساحة الأراضى المجففة سدس مدينة الإسكندرية : ٤٢٥ فدانا، وشيد فى كل قسم منها فيلات للسكن ، والباقى حدائق للفاكهة، وسميت «مدينة سموحة».. وكان جوزيف سموحه معروفا بصداقته للملك فؤاد واشتهر بسخائه فى تمويل مشروعات الخدمات الاجتماعية للطائفة، وعلى رأسها المستشفى الإسرائيلى بسيدى جابر، والتى أسهمت فى تأسيسها أيضا عائلات منشة، سوارس وعاداه.

وعن ذكرياته بالإسكندرية يقول الأديب ال جورمزانو» أن يهود الإسكندرية كانوا يقضون قسما من أوقات فراغهم فى مضمار سباق الخيل والسهرات الخاصة ولعب الورق « .. تكلموا لغات كثيرة، لم تكن لديهم لغة خاصة بهم، يملكون حسن التصرف.. يأخذون مكانهم وسط الشعوب التى يعيشون بينها بسرعة فائقة»!

وقال أنهم قد وجدوا العمل بسرعة نسبية فى إسرائيل وصنعوا المال من العدم.. بسبب ذكائهم الذى منحته لهم البيئة وكثرة السفر والتنقل، وبسبب هذا الذكاء، وصلوا لأعلى درجات السلم الاقتصادى.. وعند قدومهم لإسرائيل احتفلوا بكل الأعياد التى يعرفونها يهودية كانت أو مسيحية، حتى أعياد المسلمين أخذوا منها!..

* عبد الله الشحاذ اليهودى!*

بينما كانت العائلات اليهودية الثرية: منشة، رولو، اجيون عاداة.. تمثل صفوة المجتمع الارستقراطى بالإسكندرية سماسرة القطن وملوك البورصة، يرتادون الأماكن الراقية مثل: نادى اليخت الملكى، ونادى سبورتنج وفندق سيسل وباسترودس ويونيون بار مونسنيور.. كان هناك، فى قاع المدينة من هم فى عداد الأحياء وماهم بأحياء!.. فقراء ضاقت بهم أرزاقهم، وعاطلون ومتشردون ، وشحاذون.

وقد جسد المؤرخ اليهودى «موريس مزراحى» بؤس وشقاء هذه الفئة فى صورة «سليمان أو عبد الله اليهودى» شحاذ شارع التتويج بالإسكندرية عام ١٩٤٦م، فيقول عنه:

« .. العينان اكلتهما التراكوما «الرمد الحبيبى» والطربوش قد حال لونه بفعل الزمن والعرق والقذارة، فأصبح أقرب إلى اللون الأسود، يعتلى رأسا التهمتها لحية كبيرة

مشعثة، الجلباب بالكاد تتبين أنه كان أبيضا!.. تغطية بقع الطعام وكل قذارة المدينة، يرتدى جاكته كالحة فوق الجلباب، وفى قدميه حذاء كبير بال، فقد رباطه منذ زمن بعيد.. لا تخطئه عين، حتى أصبح من معالم المكان.. إنه سليمان أو عبد الله اليهودى!

وتحت عنوان «حادث يدعو للأسف».. نشرت صحيفة المنير اليهودى» الصهيونية الناطقة بالفرنسية، وإحدى الصحف اليهودية التى كانت تصدر بالقاهرة والإسكندرية فى عددها الصادر بتاريخ ٦ من ديسمبر عام ١٩٣٩م، هذا الخبر التالى:

فى غضون الاسبوع الماضى، وقع حادث يندى له الجبين فى مقر طائفتنا بالإسكندرية، حيث تجمهر مجموعة من العاطلين اليهود أمام مقر مجلس الطائفة وأمام مكاتب بعض أعيان اليهود بالمدينة كانت حالتهم غاية فى البؤس ويبدو من الصعب إيجاد حل لمشكلتهم معظمهم من الشباب الذى يكاد يعرف القراءة والكتابة ولا توجد فرص عمل لهؤلاء العاطلين من حارة اليهود.. التى تكدر عليهم حياتهم دائما».

المؤسسات الاجتماعية اليهودية بالإسكندرية

شهدت الإسكندرية نشاطا ملحوظا فى مجال الخدمات الاجتماعية، حيث أسهمت العائلات اليهودية فى إنشاء عدد من المؤسسات الاجتماعية لخدمة أبناء طائفة بالمدينة،منها:

* الجمعية الخيرية الإسرائيلية، التى تأسست عام ١٨٨٥م.

* مستشفى «منشة» التى اسسها الأخوان: جاك وفيلكس والفريد دى منشة عام ١٨٩٠م.

* المبرة الإسرائيلية، التى تأسست عام ١٨٩٤م، وكانت تعنى بتقديم الوجبات الغذائية والكساء لتلاميذ المدارس المجانية للطائفة بالإسكندرية، ونظمت برامج لتعليم اللغة العبرية.

* جمعية «بخور هوليم» تأسست عام ١٩١٠م.

* مبرة «حساء المرضى» الإسرائيلية، تأسست عام ١٩١١م، وعنيت بتقديم الألبان، والأغذية للمرضى من فقراء اليهود.

* جمعية «سيدا كاباستسر» تأسست عام ١٩١٣م، وكانت تقدم معونات مادية للأسر الفقيرة من اليهود.

* جمعية رعاية الامومة الإسرائيلية، تأسست عام ١٩١٤م، وتولت رعاية الامهات الفقيرات فى فترات الحمل والولادة وتقديم العون المادى لهن

* جمعية «نقطة اللبن» بالإسكندرية تأسست عام ١٩١٧م،

* الجمعية الخيرية لليهود الاشكنازيم، تأسست عام ١٩٣٠م.

* ملجأ محرم بك للمسنين، أنشئ عام ١٩٣٠م

* المستشفى الإسرائيلى: وقد تعاونت فى إنشائه عائلات منشة وقطاوى وسوارس عام ١٩٣٢ بشارع أبو قير بحى سبورتنج وتولى إدارته: د. «أو بالدو بورجى».

مدارس الطائفة اليهودية بالإسكندرية

لا جدال فى أهمية دور المدرسة وتأثيرها على حياة الفرد والأمة وهو ما أدركه جيدا رؤساء الطائفة اليهودية بالإسكندرية، فوجهوا جانبا من نشاطهم إلى العناية بمدارس الطائفة وتطوير برامج التعليم فيها، وإنشاء مدارس جديدة لمختلف مراحل التعليم تتعهد التلميذ اليهودى بنشأة يهودية خالصة، تتلاءم مع الأهداف المرجوة منه مستقبلا!.

وأولى المدارس التى تأسست بمدينة الإسكندرية: كانت مدارس «أجيون–Ias Ecoles Aghion للبنين والبنات عام ١٨٧٥م، وأسس البارون يعقوب منشة مدرسة باسمه عام ١٩٨٥م، كما أسست الطائفة مدرسة للفنون والصنائع فى ٢ من فبراير عام ١٨٩٧م، وأسس الاليانس الإسرائيلى A.I.U مدرسة مشتركة عام ١٨٩٥م.

كما أسس مجلس الطائفة بالتعاون مع الحاخاماته الإسرائيلية مدرسة خاصة بأطفال الفقراء من اليهود باسم «مدرسة المأوى» عام ١٩٠٤م، وتأسست مدرس «اتزهام» ملحقة بمعبد زراديل عام ١٩١١م، ومدرسة جمعية «نقطة اللبن» عام ١٩١٧م ومدرسة ديللا برجولا Della Pergola عام ١٩١٩ ومدرسة جان يلاديم Gan Yeladim عام ١٩٢٣م ومدرسة يهود النهضة Hatehiah.

وفى عام ١٩٢٥م تأسست مدرسة مدام جابيه Mme Jabes وليسية الاتحاد اليهودى للتعليم» ومدسة تلمود توراه للبنين، ومدرسة شادى يعزور ChadaiYyaazor للبنات وبدءا من ذلك العام تشكلت لجنة المدارس بالإسكندرية برئاسة البارون «دى منشة» والتى تمكنت من جمع حصيلة طيبة من التبرعات، أقامت بها عددا من المدارس، منها ليسيه الرمل بحى كامب شيزار، ليسيه محرم بك، ليسيه سبورتنج، ومدرسة بيت الطفولة اليهودية، ومدرسة ابن ميمون الثانوية.

كذلك أسس الاليانس الإسرائيلى مدرسة بمدينة طنطا عام ١٩٠٥م وفى بورسعيد تأسست مدرسة «زيكرون موشى».. ومدرسة «تلمود توراة» بمدينة المنصورة.

المعابد اليهودية بالإسكندرية.

مع تزايد أعداد اليهود الأوربيين الذين هاجروا إلى الإسكندرية من خلال الحرب

العالمية الأولى، تزايد عدد المعابد اليهودية بالمدينة، حتى أشارت بعض المصادر إلى وجود ٢٩ معبدا فى خلال القرن التاسع عشر.

* معبد الياهو هانبى أقدم معابد الإسكندرية، والمعبد الرئيسى للطائفة اليهودية بها وهو المعبد الوحيد الذى تقام به شعائر الصلاة ومقره بشارع النبى دانيال رقم ٦٩ بوسط المدينة.

ويعد هذا المعبد مزارا مقدسا بما يمثله من أهمية دينية وتاريخية، نتيجة للاعتقاد اليهودى فى أسطورة تذكر أن النبى الياهو ظهر عقب وفاته لعدد من الحاخامات فى نفس الموقع المشيد عليه المعبد الآن وقد ورد فى رحلة فولتيرا Voltera أن هذا المعبد قد شيد للمرة الأولى عام ١٣٥٤م، وتهدم البناء القديم إبان الحملة الفرنسية عندما أمر نابليون بقصفة بالقنابل لإقامة حاجز رماية للمدفعية بين حصن كوم الدكة والبحر، فى عام ١٨١٥ وبتوجيه من محمد على باشا، أعيد بناؤه.. ثم هدم وأنشئ المبنى الحالى، كما تشير اللوحة التذكارية، فى سنة ٥٦٤١ بالتقويم العبرى ١٨٨١م.

ويضم المعبد: مقر الطائفة الإسرائيلية بالإسكندرية، ومبنى المحكمة اليهودية، والمعبد على شكل بناء مستطيل «حوالى ٤٠×٢٥م» ويعد من المعابد الفخمة معماريا على الطراز البازليكى، الطابق الثانى بعد شرفة السيدات، والمدخل الرئيسى فى الواجهة الغربية، تعلوه النجمة السداسية وكتابات عبرية، والمبنى من الداخل يتكون من ثلاث أروقة، تحتوى صفين من الأعمدة، أكبرها الرواق الاوسط، والهيلك كالمعتاد بالجهة الشرقية مصنوع من الرخام الفاخر، على جانبيه أعمدة رخامية تحمل عقدا نصف دائرى، وبجوارها اعمدة معدنية وزخارف معدنية، وبداخل المقصورة المقدسة لفائف من الجلد والورق من أسفار التوراة، أمام الهيكل: المنصة المخصصة للصلاة، وداخل القاعة صفوف من المقاعد الخشبية، والسقف تتدلى منه ثريات من الزجاج والفضة.

فى عام ١٩٢٨م، تأسس بالمعبد قسم خاص لموسيقى الصلوات تحت إدارة «البرتوحمصى» وقد امتد نشاط الجوقة الموسيقية إلى الاحتفاء بالأعياد اليهودية ومناسبات الزواج، ولم يفتر القسم الموسيقى على التأليف فحسب بل قام بعمل دراسات عن الفولكلور اليهودى الاسبانى، ودراسات عن الموسيقى الكلاسيكية ليهود مصر.

وقد اعدت مكتبةالتراث اليهودى بالمبنى المحلق بالمعبد، على غرارمكتبة التراث اليهودى بمعبد شعار هاشمايم بالقاهرة.

وقد سجل معبد الياهو هانبى كاثر عام ١٩٨٧م.

* معبد «زاراديل zaradel أنشأته عائلة زاردايل عام ١٣٩١م وظل قائما نحو خمسة قرون، إذ تداعى بنيانه عام ١٨٨٠م، فأعيد بناَؤه مرةأخرى، ومقره بشارع عمرام بحارة أليهود، بسوق السمك القديم، يحتفظ المعبد بمخطوطتين نادرتين للتوراة بحروف آشورية.

* معبد «منشة» أسسه البارون يعقوب دى منشة عام ١٨٦٠، بميدان المنشية أجريت له عملية ترميم وتوسعه عام ١٩١٢، والمبنى مستطيل حوالى ٤٠×٢٠م ويتميز بالبساطة فى طرازه المعمارى وزخارفه، ويتكون من طابقين، المدخل فى الركن الشمالى الغربى والهيكل فى الجهة الشرقية، مصنوع من الرخام يعلوه نصف قبة، وعلى جانبيه نوافذ للإضاءة وشرفة السيدات بالطابق الثانى.

* معبد «الياهو حزان» بشارع فاطمة اليوسف، بحى سبورتنج، أنشئ عام ١٩٢٨م،المبنى مستطيل الشكل ٤٠×١٥م، المدخل فى منتصف الجدار الغربى، تعلوه نجمة داود، والهيكل فى الجهة الشرقية، تعلوه خمس نوافذ من الزجاج الملون، والمعبد خال من الأثاثات وأسفار التوراة..! وقد شيد المعبد على قطعة أرض وهبتها عائلة «بارسيلون».

* معبد «عزوز» لا يعرف تاريخ إنشائه على وجه التحديد، وقد أعيد بناؤه أكثر من مرة، كان آخرها عام ١٨٥٣م.

* معبد «جرين» شيدته عائلة جرين بحى محرم بك عام ١٩٠١م.

* معبد يعقوب ساسون» أنشئ عام ١٩١٠م بحى جليمونوبلو.

* معبد «كاسترو» أنشأه «موسى كاسترو» بحى محرم بك عام ١٩٢٠م.

* معبد «نزاح إسرائيل» الاشكنازى تأسس عام ١٩٢٠م

* معبد شعار تفيلة أسسته عائلتا «انزواروت» و«شاربيه عام ١٩٢٢م، بحى كامب شيزار.

هذا إلى جانب بعض المعابد التى هدمت واندثرت مثل: معبد جوهر، كنيس المغارية، معبد جيميلوت حساديم، معبد بن بورات يوسف، معبد سلام، معبد صافنات بعانيا، معبد طبول، معبد حلب.

انطباعات يهودى سكندرى:

يقول «شارل نواوى»المولود بالإسكندريةعام ١٩٤٤م، ثم رحل مع أسرته إلى فرنسا عام ١٩٤٨م، وعاد إلى مدينته الإسكندرية عام ١٩٧٨م:

إنها حديقة يمكن من خلالها مشاهدة البحر، الذى انبطح تحت أشعة الشمس الحارقة، وقد عصفت به تلك الرياح التى تحرر روائح شجر الجوافة والياسمين بقدر ما تثير أتربة

المدينة.. والذكريات ينبغى أن تظل هناك فى حضن رياح وأضواء الإسكندرية..

لقد تطلب الأمر مرور سنوات طوال، بعيدا عن المعابد المصرية، بعد تبخر أى إثر حقيقى، حتى يجرؤ المرء على مد أذنه يوم كيبور في أثناء المزادات الخاصة بـ« السفير» كان الحوار الدائر بالعربية بين القائمين على القداس والجمهور، يتخذ طابع النقاش العائلى، وبينما تعلن قيمةالمبيعات باللغة الفرنسية، كانت تتم أمام عيون الحاضرين: إعادة تشكيل لمشهد مضى، فكأنك ترى أمامك بورصة الإسكندرية! فى أيام الأعياد، وهى الوحيدة فى السنةالتى يجتمع فيها أعضاء الطائفة، كان الأطفال يتنصتون فى بهجة إلى هذه اللغة المجهولة، وهم يشاهدون اللقاء السنوى الذى تنعقد فيه الزيجات أو المعاملات التجارية.. إنهم كانوا يترقبون اللحظة التى يجتمع فيها أفراد الأسرة الواحدة تحت «تأليث» الأب للحصول علي البركة وهم معزولون عن بقية العالم تحت تلك الخيمة التى تفردها ذراعا الأب..كانوا يحلمون بالحياة هناك، وبالأصوات والروائح التى عرفوها فى الماضى يعملون أنهم سوف يجدون تلك الروائح بعد إنتهاء القداس، على هيئة مأكولات وحلويات، بعد تناول القهوة الأولى التى تشير تقليديا إلى نهايةا لصيام، تبدأ سلسلة الذكريات، وتتناوب على مر الكلمات: اسماء الأماكن أوالشوارع، أو الاصدقاء الذين رحلوا إلى أقصى أطراف العالم..

بالأمس، كان يهود مصر يجوبون بين مجموعة متنوعة من اللغات: الفرنسية والاسبانية واليونانية والتركية والإيطالية، وهى اللغات التى تضع الحدود بين الطقوس والاطعمة المختلفة.. توطدت وحدة يهود مصر بحكم الهجرة والشتات، وهى الوحدةالتى لم تكن ظاهرة فى الواقع المعاش هناك، فقد تنوعت نقاط الاختلاف، وفيما عدا مسألة اللغات، إحتلت العلاقة بمصر إلى جانب الوضع الاجتماعى أهمية كبيرة، فإذا ما استثنيا الانتماء الدينى، لم يكن هناك ما يفرق البورجوازى المصرى، سواء كان مسلما أو قبطيا أو يهوديا، وبالطريقة نفسها، لم يوجد تمايز بين فقراء اليهود، وتجارهم ومهنييهم، عن أقرانهم من الديانات الأخرى.. كان اليهود فى بيتهم فى مصر منذ قرون، فقد عوملوا كمواطنين كاملى الأهلية من قبل البلد بأكمله، كما عانوا من المضايقات أيام الأزمات!..

ماذا نقول عن ذلك الطفل الذى غادر «سيدى جابر» ليصل إلى باريس، فيسمع فى أول درس للتاريخ، أن أجداده كانوا من بلاد الغال، وأن بونابرت رحل إلى مصر كى يعيد إحياء هذه الاأض العتيقة!

لقد مرت سنوات طويلة، وأصبح الطفل رجلاً يدفعه احتياج قوى إلى العودة ولو مرة

واحدة، إلى البلد الذى أتى منه ولا يعرفه!.. الاسماء المحفورة على اللافتات النحاسية المثبتة على الحجر خلعت منذ زمن، وسقوط الأمطار مع أشعة الشمس طمست أسماء الراقدين فى القبور.. من الأفضل الرجوع إلى سجلات الطائفة التى تشير إلى مواقع القبور فى المدافن اليهودية الثلاثة بالإسكندرية، كما تحكى تلك السجلات تاريخ هذه الطائفة التى أصبحت موزعة اليوم بين عدة قارات..

والمفارقة بالنسبة ليهود مصر، أن أسس تلك اليهودية وجذور جزء من هويتهم، يقع عند حدود الفضيحة، فهؤلاء اليهود الذين قضوا حياتهم وتاريخهم فى مصر، لم يصبحوا يهودا إلا لأن أجدادهم كانوا عبيدا فيها منذ عشرات القرون، وخرجوا منها.. لم يعد هناك طائفة ليهود مصر، وسوف ينتمى- أولا لا ينتمى- أطفالنا المولودين فى فرنسا، إلى الطائفةاليهودية فى فرنسا، اليوم بعد ٢٥ سنة من الشتات، اندمج أغلبية اليهود المصريين فى البلدان التى استقبلتهم..

من يتذكر الرئيس السابق لطائفة القاهرة عندما حمل معه عدداً من «السيفر» إلى الطرف الأقصى للكوكب من أجل بناء معبد جديد طبقًا للطقوس المصرية؟.. يحمل هذا المعبد إسم حاييم ناحوم أفندى» ومن ينسى ما قام به بعض اليهود المصريين باصطحاب وابور «البريموس» أو كنكة القهوة فى حقائبه، ذلك أن القهوة لا يمكن تذوقها إلا بصنعها فى هذا الوعاء، من يستطيع أن ينكر أن أى شىء جلبناه من مصر، لا يحرك فينا بحر من الذكريات؟

لا يعنينا البكاء على المصير المحتوم لليهود فى بحثهم الدائم عن ملاذ، ولا أن نطلق النواح على آلامنا الماضية، بل ما نريده، قبل كل شىء، هو إقتلاع هذا الخجل الذى يحيط بسرنا، الخجل من تاريخ لا يشبه ما نمارسه يوميا، والخجل أخيرا من اختلافاتنا كم أحب أن أرى اليوم: وجوه آبائنا أو أجدادنا، وهم يتلون مساء عيد الفصح صلاة «الهجاده» التى تقول: «أنا الرب الذى أخرجتكم من مصر»!.. لقد استدعى الأمر: خروج اليهود من مصر للمرة الثانية فى التاريخ!

الباب السادس:

كيفية تلفيق التاريخ- درس إسرائيلى!

الفصل الأول
ازدهار.. وتدهور

عقب رحيل الفرنسيين، عانى الأعيان المصريين من كثرةالخلافات مع الحكومة التركية تارة، ومع المماليك تارة اخرى، فاختارو محمد على ونصبوه واليا وباشاعلى مصر فى مايو سنة ١٨٠٥م.

حتى عام ١٨٨٢م ظلت البلاد من الناحية القانونية ولاية عثمانية ولكنها اكتسبت بالتدرج استقلالها. الأسرة التى أسسها محمد على باشا ظلت تحكم مصرحتى سنة١٩٥٢م.

حتى عام ١٨٠٧م ظل محمد على يكرس جهوده للتخلص من المماليك بقتل أكثرهم أهمية، أما فى الخارج فقد قام بعدة حروب زادت من هيبته فى العالم الإسلامى أما بالداخل بدأت ولمدة قرابة نصف قرن تغيرات جذرية بإنشاء إدارة مركزية وإنشاء نظام احتكار الدولة لجميع فروع الأنشطة الاقتصادية.. حرية إقامة مشروعات فى الفترة من عام ١٨٣٠م إلى عام ١٨٤٠م.

التجار الذين عملوا فى التجارةالخارجية يمثلوا طبقة غنية من الأجانب يفضلها محمد على على الوطنيين لأنها توفر له مصادر تمويل المنشآت اللازمة للصناعة الناشئة فى مصر. وفى نفس الوقت، نجح فى الزام المواطنين بكبح جماح كل مظاهر كراهية الأجانب، وألغى جميع مظاهر التمييز الدينى، بالإضافة إلى إلغاء الجزية المفروضة على غير المسلمين.

أهم عملاء مصر: حسب ترتيب أهميتهم النمسا- تركيا - انجلترا- فرنسا لحماية الصفقات التجارية الأجنبية وأنشئت في القاهرة والإسكندرية منذ عام ١٨٢٦ محاكم مختلطة تترافع باللغة الفرنسية وقد أدت هذه الاحتياطات إلى تدفق الكثير من يهود منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط إلى مصر. بعض من هؤلاء المهاجرين وكذلك اليهود المقيمين فى مصر سيتخذون جنسيات أجنبية حيث أن النمسا وفرنسا وانجلترا وإيطاليا حرصا على أن يكون لهم أكبر عدد من المواطنين داخل مصر التي. ستمنحهم هذه الجنسيات بكل يسر.

انتهى حكم محمد على فى ١٨٤٨م ومن نتائج سياسته التى قامت على الاستدانة المتزايدة، تدخل اجنبى متزايد فى أحوال البلاد. فى ١٨٨٢م، تحتل انجلترا مصر احتلالا عسكريا اتخذ الصفة الشرعية بعد ذلك باتفاق ثنائى سوف يدوم حتى ١٩٢٢م تحت ضغط الاحتلال الإنجليزى أبطأ خلفاء محمد على التقدم المهنى فى مصر- ومع ذلك بدأ فى نفس الوقت أدخال الأفكار الجديدة وتنامى النزعة القومية.

تحت حكم محمد على، تمتع يهود مصر وعددهم ٧٠٠٠ بأكبر قدر من التقدير. ومع تدفق اليهود المهاجرين سيصل عددهم إلى ٣٠،٠٠٠ فى عام ١٨٨٢م، ولكنهم لم يكونوا مجموعة متجانسة، تجمعاتهم كانت حسب فواصل لغوية اجتماعية وفواصل خاصة بالأصل. نجد فى القاهرة، ثلاث طوائف أساسية: شرقية، اشكينازية، وقرائية.. والاتصال بين الربانيين والقرائين كان معدوما آنذاك اليهود الشرقيون الذين اختلطوا مع المجتمع المحيط بهم كانوا صفوة المجتمع وهم من غالبية تتحدث اللغة العربية وأقلية تتحدث لغة اللادينو الاشكيناز الذين وصلوا فى فترة لاحقة استطاعوا أيضا الاندماج مع المجتمع الشرقى.

ابتداءا من عام ١٨٨٢م تكونت طبقة يهودية متوسطة ازدادت أهميتها بالتدريج وطبقة أخرى مزدهرة وغنية - اليهودية المصرية - لو نظرنا إليها نظرة خارجية تعتبر الأكثر ازدهارا فى الشرق الاوسط. الارتقاء السريع نسبيا لهذه الطبقة الجديدة من رجال الاعمال والجامعيين تستند على المستوى الثقافى المرتفع لهذه الاوساط فى واقع الأمر كانت نسبة اليهود الذين يتعلمون فى المدارس عالية جدا ونالت اللغة الفرنسية شيوعا قويا، وسجلات الحاخامخانة تكتب باللغة الفرنسية منذ بداية القرن العشرين فى القاهرة والإسكندرية.

من الناحية السياسية ناضل اليهود المصريين فى مختلف التنظيمات الوطنية وقد أظهر

بعضهم أحساسا شديدا بالوطنية مثل «فيكتور زاراديل صنوا» الشهير بـ«أبو نظارة» الكاتب الصحفى.

من ١٨٨٢م وحتى ١٩١٤م الموقف القانونى فى مصر لم يتغير ولكنه فى الواقع كان البلد مستقلا بالنسبة للباب العالى فى أثناء حرب ١٩١٤– ١٩١٨م التى أدت إلى تفكك الإمبراطورية العثمانية بدأت مجموعات وطنية تتكون للمطالبة باستقلال البلاد بزعامة سعد زغلول كونوا حزب الوفد الذى سوف يصبح فيما بعد أهم حزب سياسى فيما بين الحربين، وإذا كان أعضاء الوفد تكونوا من جميع طبقات المجتمع ومن بينهم اليهود إلا أن زعماء الحزب كانوا من الأعيان والمثقفين.

فى هذه الأثناء تضاعف عدد افراد المجتمع اليهودى من ٣٠،٠٠٠ إلى ٦٠،٠٠٠ بين ١٨٩٠– ١٩١٨م. وواكبت الحياة الاجتماعية تطور البلد، فقد تضاعف عدد المعابد اليهودية ١٥ فى الأسكندرية، ٣٠ فى القاهرة، ٤ فى طنطا، ٢ فى المنصورة، وغالبا واحدا فى كل قرية صغيرة فى الدلتا بها مجتمع يهودى

فى ظل العلاقات الاجتماعية، أقيمت المدارس والمؤسسات الخيرية المستشفيات المستوصفات النوادى الرياضية.

فى عام ١٩٢٢م اعتبرت انجلترا مصر مملكة مستقلة وفى ١٥من مارس ١٩٢٣، لقب السلطان فؤاد بـ«الملك» وتحت ضغط الأحزاب السياسية ، وضع دستور يمنح السلطة التشريعية لمجلسين: مجلس الشيوخ ومجلس النواب، بينما السلطة التنفيذية ظلت فى أيدى الملك ووزرائه.

أحرز حزب الوفد تقدما، لكن الملك ينشئ حزبا مناوئا ليحجم نشاط الوفد عام ١٩٣٠م ثم يلغى المجلسين، ويوقف العمل بالدستور فى الفترة من عام ١٩٣٠م حتى عام ١٩٣٥ م ورغم هذه المحاولات، إلا أن الوفد استطاع أن يفوز فى الانتخابات التشريعية فى الثاني من مايو سنة ١٩٣٦م بعد وفاة الملك فؤاد ببضعة أيام وقد وقعت مصر التى يحكمها الوفد فى مايو ١٩٣٧م اتفاقية مونترو التى أنهت نظام الامتيازات تجاه القوى العظمى الأووربية، ألغى الوضع القانونى المتميز للأجانب ، كما انتقلت اختصاصات المحاكم المختلطة والتجارية إلى المحاكم الوطنية، هذه الاتفاقات تتعلق بعدد كبير من اليهود المصريين الذى اكتسبوا جنسية أجنبية واستمر العمل بقانون الأحوال الشخصية أمام المحاكم الشرعية.

ومن سمات حكم الملك فؤاد، مبادلات اقتصادية مهمة مع أوروبا وحماس ثقافى كبير،

وقد أسهمت الطائفة اليهودية فى هذه الفترة، وعلى نطاق واسع فى الازدهار الثقافى والاقتصادى والسياسى للمملكة، فى مجال الفن والمسرح، ازدهر المسرح الشعبى المصرى فى الثلاثينيات، مستمدا أصوله من أعمال جيمس زراديل صنوا وقد أدخل توجو مزراحى فن السينما إلى مصر وظهر فى الطائفة اليهودية كتاب يكتبون باللغة الفرنسية مثل: أدمون جابيس، البرت عدس، البرت جوزيبوفيشى، اليان فينبرت، جورج قطاوى، روبرت بلوم وكارول سوارس.

وبدأت الإسكندرية فى ١٩٢٠م تنافس باريس فى الصالونات الأدبية والمسارح العديدة.. كما نشط الاليانس الفرنسى والالتيليه.. ونجد بالإضافة إلى الصحف اليهودية باللغة الفرنسية مثل إسرائيل أو كاديما مجلات أدبية مثل اتينيه ورسائل الشرق يديرها يهود وقد كان لليهود أيضا مكانتهم فى مؤسسات الدولة فى مجلس الشيوخ ومجلس النواب هكذا أصبح يوسف أصلان قطاوى باشا رئيس الطائفة اليهودية فى القاهرة نائبا وعضوا بمجلس الشيوخ ثم وزيرا.. وقد ناضلوا فى الأحزاب السياسية، المحامى فيلكس بنزاقين كان مناضلا بالوفد، وفى نفس الوقت مناضلا صهيونيا!.. وليون كاسترو رئيس المنظمة الصهيونية فى القاهرة كان مستشارا لسعد زغلول ورئيسا لجريدة الحرية التى طالبت باستقلال مصر والكاتب اليان فينبرت ناضل أيضا إلى جانب سعد زغلول ضد الإنجليز وطرد فى النهاية من مصر. وعلى رأس التنظيمات الشيوعية التى تكونت مرة أخرى فى مصر فى أثناء الحرب العالمية الثانية نجد أعضاء من أصل يهودى مثل: جوزيف روزنتال، هنرى كورييل وشوارتز حتى منتصف الثلاثينيات.

تتساوى الصهيونية والمد الوطنى فى النضال ضد عدو مشترك: هو انجلترا لكن بدأ الموقف يتدهور مع اقتراب الحرب العالمية الثانية إذ أن الوطنية الليبرالية، التى تبناها الوفد، وشكلت مصر منذ العصر الفرعونى، وضعا تاريخيا مستقلا، بدأت تتراجع أمام فكرة وحدة الوطن العربى التى اعتبرت امتدادا حديثا للأمة الاسلامية، هذا الاتجاه الجديد للنزعة القومية، كان له تأثير سيئ على الأقليات غير العربية وغير الإسلامية، خاصة اليهود!

فى أثناء الحرب العالمية الثانية كانت حاشية الملك فاروق، الذى حكم بعد الملك فؤاد فى سنة ١٩٣٦م، موالين للألمان أما الوفد فكان ضد النازية وبمساندة الإنجليز وصل إلى الحكم فى ١٩٤٢م ثم طرده الملك مرة أخرى فى ١٩٤٤م. ولم يعلن الملك الحرب على الألمان واليابان إلا فى عام ١٩٤٥م نضال اليهود فى مصر ضد النازية كان فى إطار الرابطة

الدولية ضد مناهضة السامية التي نجحت في عام ١٩٣٣م، بفضل جهود: ليون كاسترو وموريس مزراحي في حملة المقاطعة التجارية للمنتجات الألمانية في مصر.

بعد ١٩٤٥، كان للتوتر المتزايد في فلسطين والحروب الإسرائيلية العربية المتعددة، آثار وخيمة على الطائفة اليهودية في مصر«!!»

بعد إنشاء دولة إسرائيل يوم ١٤ من مايو سنة ١٩٤٨م دخلت الجيوش العربية والمصرية في حرب ضد الدولة الجديدة، وفي اضطراب تام امرت الحكومة المصرية في عام ١٩٤٨م- ١٩٤٩ بالقبض على مئات اليهود المتهمين بالصهيونية والشيوعية لمساندتهم للدولة الإسرائيلية وكان هذا أول محاكمة ضد اليهود وأول حراسة على أملاكهم، وأول ترحيل.

من شهر يوليو إلى شهر سبتمبر سنة ١٩٤٩م هاجمت المظاهرات العنيفة الاحياء.. اليهودية في القاهرة والإسكندرية، حيث كون السكان مجموعات دفاع ذاتي في القاهرة والإسكندرية، وحرق المعبد الاشكينازي بعد هجمات نسبت إلى الإخوان المسلمين كما دمر معبد «منشه» بالإسكندرية وترك البلاد ١٥،٠٠٠ من ٧٠،٠٠٠ يهودي الذين أحصوا في بداية الحرب العالمية الثانية.

بسقوط الملكية ووصول الضباط الأحرار في ١٩٥٣م لم يتغير كثيرا وضع اليهود في مصر. وقد اتبع محمد نجيب في السنتين التي حكم فيهما الدولة سياسة المساواة القانونية لكل المواطنين المصريين أيا كانت أصولهم.. منذ ١٩٥٤م اتخذ جمال عبد الناصر اتجاها راديكاليا داعيا إلى وحدة العرب، وعادت من جديد القضايا السياسية ضد اليهود وخاصة الشيوعيين.

وتبعها عملية طردهم من البلاد في يوم ٥ من يناير سنة ١٩٥٥م يهوديان مصريان صمويل عزار وموسى مرزوق حكم عليهما بالإعدام شنقا في سجن القاهرة كانا مرتبطان بالتنظيم السري الإسرائيلي الذي دفعهما إلى وضع قنابل في المساكن الأمريكية بغرض عرقلة حصول المصريين على الأسلحة الأمريكية عملية لافون.

وفي ٢٦من يوليو سنة ١٩٥٦م امم جمال عبد الناصر قناة السويس، وتتوتر العلاقات مع انجلترا، فرنسا وإسرائيل وفي ٢٦ من أكتوبر هاجمت إسرائيل سيناء وتبعتها بعد يومين الجيوش الفرنسية والإنجليزية. وانتهى هذا الانتشار للقوى في ٦ من نوفمبر تحت ضغط الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بوقف إطلاق النار، ظلت مصر تتحكم في قناة السويس، وانسحبت إسرائيل من سيناء ولكنها فتحت ميناء ايلات للملاحة إلى

البحرالاحمر بينهما ضباط الأمم المتحدة توسطوا المصريين والإسرائيليين.

فى مصر تعرض اليهود منذ بدأ العمليات الحربية إلى حملة اعتقالات واسعة، شملت نوعيات متباينة من أثرياء، فقراء، غير معينى الجنسية، أجانب. غادر ٣٠،٠٠٠ يهودى البلاد فى بضعة أشهر. ظل منهم ٧٠٠٠ حتى حرب الأيام الستة عام ١٩٨٧م، أصبحوا بضع مئات اليوم. ثلث اليهود المصريين ذهبوا إلى إسرائيل. وتفرق الباقى بين فرنسا «١٠،٠٠٠» البرازيل (١٥،٠٠٠» الولايات المتحدة «٩،٠٠٠» الارجنتين «٩،٠٠٠» انجلترا «٤،٠٠٠» إيطاليا واستراليا وكندا وسويسرا وبلجيكا ومختلف بلاد أمريكا اللاتينية ، وجنوب افريقيا.

تعقيب وتصحيح

فى هذه الدراسة، التى أعدها «إميل جابى» المولود بالإسكندرية و«ليفانا مزراحى» التى ولدت بالقاهرة مجموعة من الادعاءات والمغالطات المقصودة كعادة الباحثين الإسرائيليين دائما نجملها فيما يلى:

١- الادعاء بوجود معبد فى كل قرية بالدلتا بها طائفة يهودية.

٢- الادعاء بأن توجو مزراحى «أدخل فن السينما فى مصر».

٣- الادعاء بمساهمة اليهود فى النضال السياسى ضد عدو مشترك.. والمغالطة المفضوحة فى المساواة بين الصهيونية والوطنية المصرية.

٤- الإشارة بأن الأوضاع فى فلسطين، والحروب العربية- الإسرائيلية كانت لها آثار وخيمة على الطائفة اليهودية فى مصر!

الادعاء بقيام السلطات المصرية، عقب حرب ١٩٥٦م، بحملات اعتقال واسعة وعمليات طرد لليهود شملت نوعيات متباينة!

بالنسبة للادعاء الأول، لم نسمع عن وجود معبد فى كل قرية بالدلتا أو بغيرها فهو من قبيل الكلام المرسل هكذا دون سند وبفرض صحته فإن دل على شىء، فإنما يدل على أن «جغرافية التسامح» طبقا لتعبير اديبنا الكبير جمال الغيطانى كانت على أوسع نطاق.. ومدى تمتع يهود مصر بحرية ممارسة عقيدتهم، وحرية إنشاء معابدهم فى مختلف مدن مصر.. بينما اعتداءاتهم وجرائمهم ضد المقدسات الإسلامية فى فلسطين لم يعرفها تاريخ البشرية، أقلها حصد أرواح الساجدين بالرشاشات!

وبالإضافة إلى مجموعة المعابد والمحافل التى سبق أن ذكرتها فى مدينتى القاهرة والإسكندرية، كان لهم عدة معابد فى بعض المدن التى عاشت بها تجمعات يهودية:

* طنطا: كان بها محفل «اوهيل موشى» وكنيس المغارية

* المنصورة: بها محفل «ماجن دافيد» الذى شيد فى بداية القرن العشرين، ومعبد «حسون» الذى شيده إبراهام حسون عام ١٨٩٨م، ومعبد «كوهين» شيده مخلوف كوهين وزوجته سيمحا ١٩١٣م.

* المحلة: بها معبد الأستاذ الذى شيد بحى خوخة اليهود، منذ ستة قرون تقريبا، وأعيد بناؤه وترميمه عدة مرات.

وينسب إلى الحبر فضيل بن ابى آوى بن حنانيل الامشاطى.

* بورسعيد: كان بها محفل «إسرائيل» تأسس عام ١٨٩٨م، ومعبد سوكات شالوم ومعبد بينان.

* بالإضافة إلى معبد «سوارس» بدمنهور، و«هارون جباى» بالزقازيق، و«كليمان باردو» بميت غمر.

* توجو مزراحى» والأكذوبة بأنه «أدخل فن السينما فى مصر»! والأصوب أنه «أدخل التجارة على فن السينما»! فهو صاحب المقولة الشهيرة، والتى كان يرددها دائما، بأنه«ليس هناك من يستطيع أن يدخل السينما بدون تذكرة».

الحقيقة التاريخية التى تغافل عنها الباحثان اليهوديان: أن مصر كانت من أولى بلاد العالم التى عرفت فن السينما، فأول عرض سينمائى تجارى فى العالم، كان فى ٢٨من ديسمبر ١٨٩٥م فى الصالون الهندى بمقهى «جران كافيه» بشارع كابوسين بباريس، بعد أسبوع واحد، فى يناير ١٨٩٦م، شهدت مصر أول عرض سينمائى، بمقهى «زوانى» بالإسكندرية، أما أول عرض بالقاهرة، فكان فى ٢٨ من يناير ١٨٩٦م، بسينما سانتى بالقرب من فندق شبرد القديم بشارع الجمهورية حاليا، أى «قبل مولد توجو مزراحى نفسه بأكثر من خمس سنوات»!

* الادعاء بـ«النضال السياسى» ضد «عدو مشترك»!. فى الوقت الذى كان فيه الاحتلال البريطانى حليفا رئيسيا للصهيونية فى مصر.. ومنح لزعمائها تسهيلات هائلة من أجل دعم نشاطهم، كما كان للامتيازات الأجنبية الفضل فى فتح مجالات الثراء والنفوذ لزعماء الطائفة.

وهذا الادعاء، مكشوف الهدف، وهو إضفاء صفات القومية والوطنية على الحركة الصهيونية، وهو أيضا ما سعت إليه الصحف اليهودية فى مصر، مع جهل المسئولين بالأهداف والنوايا الخبيثة للاتجاهات الصهيونية.. وانتماء بعض الكتاب والصحفيين اليهود

لحزب الوفد حزب الأغلبية آنذاك كان الهدف منه، الظهور بمظهر الولاء للوطن الذى يعيشون فيه، دون التدخل فى خصومة سياسية، بتأييد مطلق لسياسة القصر ورئيس الحكومةوالجميع على السواء!.. والترحيب والإشادة بكل رئيس حكومة جديد «بعد أن طالت فترة انتظار الأمة إلى حكومة ترضى عنها»!!

و«ليون كاسترو» مؤسس المنظمة الصهيونية فى مصر، لم يكن «مستشارا لسعد زغلول» وعندما انضم إلى وفد المفاوضات، لم يكن دوره يتعدى دور المترجم من العربية إلى الفرنسية والعكس، فزعيم الأمة عندما رفع شعار الوحدة الوطنية وإسقاط عامل الدين فى التفرقة بين أبناء الشعب، استفاد اليهود كثيرا من هذا الاتجاه، فبادروا بالانضمام إلى حزب الوفد، كما استفادت الحركةالصهيونية من اكتساب كاسترو لثقة سعد زغلول، ليعطوا انطباعا بعدم تعارض النشاط الصهيونى مع النضال الوطنى المصرى باعتبار أن كليهما موجه ضد بريطانيا وإضفاء المظهر الوطنى على يهود مصر، ودرء شبهة عدم انتمائهم لهذا الوطن، فى محاولة لكسب تأييد الرأى العام المصرى، واكتساب صداقة الحكام، وعدم إغضاب أى هيئة أو حزب ، باتباع سياسة الحياد وعدم الخوض فى المشاكل، أحيانا، أو اتباع سياسة النفاق، كثيرا..

أما عن الادعاء بأن الحرب العربية الإسرائيلية كانت لها آثار وخيمة على الطائفة اليهودية فى مصر.. وقيام السلطات المصرية بحملات اعتقال وعمليات طرد لليهود.

فعند نشوب حرب ١٩٤٨م، التى كشفت القناع عن الوجه القبيح للصهيونية، عاشت الطائفة اليهودية فى مصر، فترة عصيبة من القلق والترقب، تحسبا لحدوث موجة من الانتقام، لكن شيئا من ذلك لم يحدث.. واستمر اليهود فى ممارسة حياتهم اليومية بشكل عادى تماما، كما استمر أقطاب العائلات اليهودية فى نشاطهم وعلاقاتهم القوية بالقصر ومراكز النفوذ السياسى والاقتصادى.. واستمر كذلك إقبال الأهالى على متاجر اليهود: شيكوريل، عدس، جاتينيو، بونتريمولى.. وعلى أطبائهم ومحاميهم دون تمييز أو تعصب.

وفى أغسطس ١٩٤٩م صدر قرار الحكومة المصرية، بإلغاء شرط الحصول على جواز سفر خاص للخروج من مصر، وبدأت هجرة بعض اليهود الذين تأثروا بالدعاية الصهيونية ولم تتخذ حكومة الثورة أية اجراءات جماعية ضد اليهود، سواء عقب قيامها أو من خلال حرب ١٩٥٦م، سوى اعتقال بعض المشتبه فى خطورتهم على امن الدولة، وبعض ممن قاموا بنشاط تخريبى «فضيحة لافون» ولم يمنع اليهود من الهجرة إلى إسرائيل، بتوجيه من وكالة الهجرة اليهودية، إلى كل يهود العالم خاصة العناصر الشابة فى إطار مخطط

منظم لم تنتبه له السلطات المصرية والحكومات العربية فى ذلك الوقت.

بعد ذلك لم تعتقل الحكومة أحدا من اليهود ، فقط كانت تكتفى بقرارات إبعاد أو ترحيل للبعض منهم، أى لم تكن هناك حملات اعتقال واسعة أو حتى ضيقة وطبقا لتصريح د. حاتم وزير الإعلام الأهرام فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٦م» أن عدد اليهود غير المعينى الجنسية نحو ٧ الاف، و٣٥ الفا يحملون الجنسية المصرية، و«طلبت الحكومة إلى ٢٨٠ شخصا منهم مغادرة البلاد».. أى أن عدد اليهود فى مصر حتى نهاية عام ١٩٥٥م كان نحو ٤٢ الفا. وفى ٣٠ من يوليو ١٩٦٢م، أسقطت الجنسية عن ٢٤٨ يهوديا غادروا البلاد ولم يعودوا، وقد أنذرتهم وزارة الداخلية بالعودة فى خلال ثلاثة شهور. فالأمر لم يتجاوز حالات فردية ولم يصل إلى حد «عمليات طرد»!

لقد صورت الدعاية الصهيونية «الهجرات اليهودية التى تم تدبيرها بإحكام» بأنها عملية اضطهاد لكل اليهود، بغض النظر عن تكوينهم الاجتماعى أو الطبقى، وأنه لا مجال لدفع هذاالاضطهاد أو لتعايش اليهود واندماجهم فى المجتمعات الأخرى، ماداموا مشتتين ويفتقدون الهوية القومية، التى لا يمكن أن تتحقق إلا بتأسيس وطن أو دولة يهودية. وأصبحت محاربة اندماج اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها جوهر عمل الحركة الصهيونية وهدف رئيسى، وقد أكد ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، على حرص الصهيونية وحذرها من اندماج اليهود فى شعوب العالم، فى خطاب ألقاه فى ١٦من مارس ١٩٦٣م بقوله:

«إن الاندماج هو الخطر الأكبر الذى يهددنا منذ اللحظة التى خرجنا فيها من الجيتو»

أخيرا كنت أتمنى أن يحدثنا «أميل» و«ليفانا» عن اليهود المصريين الذين رحلوا إلى الدولة اليهودية.. فلم نسمع عن أحد منهم واصل صعوده فى عالم المال والاقتصاد والسياسة والشهرة.. مثلما تحقق لهم فى مصر، وجعلهم صفوة المجتمع المصرى!.. لم يكن لأحد منهم شأن فى قيادة المجتمع الإسرائيلى، وفقدوا بريق النفوذ الاقتصادى والسياسى.. وهم الذين وصفهم «حاييم كوهين» فى كتابه عن يهود الشرق الاوسط:

«ان يهود مصر، كانوا فى منتصف القرن العشرين، أغنى الطوائف اليهودية فى الشرق الأوسط وأكثرها استقرارا».

هربوا بأموالهم إلى هناك، وعاشوا بلا قيمة!.. كأنهم عبيد للسادة من يهود أوروبا وأميركا!!

الفصل الثاني
أوهام غزو التاريخ

الفكر الصهيوني: مغرق في عدائه للتاريخ.. وتزييفه وتسخيره لخدمة الرؤية والأهداف الصهيونية!..

وليس أدل على ذلك من المحاولات اليائسة لزعماء دولة الإرهاب ومؤرخيها، لمحو الشعب الفلسطيني بكامله من القراءة الصهيونية للتاريخ!!

وليصبح الفلسطينيون من «الجوييم» ويهود الشتات «أرقى الشعوب» في التاريخ قديما وحديثا. وفلسطين العربية هي «أرض الميعاد».. و«أرض الحليب والعسل» و.. الوطن الأسمى!!

وعقد معاهدة سلام بين الكيان الصهيوني والحكومة المصرية، أوحى لكثير من الباحثين والمؤرخين الإسرائيليين، بالبحث والاستقصاء- بأساليب ملتوية- لاختلاق علاقات وهمية بين المصريين وما يسمى بـ«يهود إسرائيل» عبر العصور المختلفة! ولنستعرض معا، ونتأمل، كيف يكتب التاريخ من وجهة نظر إسرائيلية!!

ففي دراسة للبروفيسور شيمون شامير «١» السفير الإسرائيلي الأسبق بالقاهرة، نشرت بمجلة المركزالأكاديمي الإسرائيلي- ١٩٩٢م، بعنوان: «العلاقات بين المجتمع المصري والبيشوف اليهودي في فلسطين قبل ١٩٤٨م» «٢» قال فيها:

.. لقد أثار تطور العلاقات بين المجتمع المصري والمجتمع الإسرائيلي، التي كان لي

شرف متابعتها عن كثب، فى خطواتها الأولى،، آثار لدى حب الاستطلاع حول السؤال، هل كانت هناك فى خلال هذا القرن الذى نعيشه ، روابط من التعاون بين المجتمعين، قبل بدء النزاع المسلح بينهما عام ١٩٤٨ وإن كان الرد إيجابيا فما هو مداها ومميزاتها؟!»

ولهذه الغاية النبيلة قصد شامير أرشيف عدة مراكز علمية، ودور وأقسام الوثائق فى المؤسسات السياسية، والجامعة العبرية، وجمعيات رياضية وشركات ومؤسسات ثقافية وفنية، وبعد رحلة بحث مضنية، وجد إجابة سؤاله!

واتضح له «.. كانت هناك بالفعل، علاقات متشعبة ومتعددة الضروب والاشكال وبصورة لم تخطر لى على بال»!

وقال بأن جميع زعماء المجتمع اليهودى فى فلسطين من خلال فترة الانتداب البريطانى، قد قاموا بزيارات لمصر.. إذ كانت مصر بالنسبة لهذا المجتمع، الذى نطلق عليه الييشوف: المركز الرئيسى للمنطقة، ونقطة انطلاق نحو آفاق الدنيا الواسعة».

وأشار إلى مرور زعماء الييشوف عبر مصر، فى طريقهم إلى دول الغرب، وفى طريق عودتهم منها، وجولاتهم بمصر، و.. «كانت بالطبع الزيارات الخاصة لمصر، ذات أهمية أكثر، والغاية منها مقابلة زعماء الطائفة اليهودية فى القاهرة والإسكندرية، وماقبلة سياسيين مصريين وممثلى السلطات البريطانية»!

ويضيف: « كذلك وفد زعماء مصريون إلى الديار المقدسة لزيارتها، وقابلوا أبناء المجتمع اليهودى، وبإمكاننا أن نشير على سبيل المثال إلى السيدين مصطفى النحاس وسيد مرعى»!!

وفى إشارة واضحة لا تخلو من مأرب خبيث يؤكد شامير على وجود «اتصالات سرية» بين زعماَء اليهود والسياسين المصريين، فيقول:

«.. ومن الناحية التاريخية ، فقد تمت الاتصالات السياسية السرية بين ممثلى الييشوف وسياسيين مصريين، وكانت على جانب كبير من الأهمية ، استهدفت ايجاد حلول وسط للنزاع بين اليهود والفلسطينيين، من شأنها الحيلولة دون الوقوع أو نشوب المواجهةالمسلحة بينهما»!

وحول هذا الموضوع، يشير إلى وجود مستندات ووثائق بدور الحفظ بالقدس ولندن ، ومن بين السياسيين المصريين الذين شاركوا فى هذا الاتصالات، طبقا لمزاعمه: رئيسان للوزراء هما إسماعيل صدقى وعلى ماهر، والوزير محمد على علوبة، ورئيس مجلس الشيوخ محمد حسين هيكل، والأمين العام للجامعة العربية، عبد الرحمن عزام!!

وقد تمت المباحثات بين الجانبين، فى مختلف إمكانات الحل كالتقسيم أو الاتحاد الكونفدرالى!.

ويقول أنه بإمكانه أن يعرب عن اسفه «على أن هذه المحادثات لم تؤد إلى نتائج عملية ملموسة، وعلى أن هولاء السياسيين لم يتمكنوا من منع الأحداث التراجيدية التى حدثت فيما بعد فى الأراضى المقدسة»!

ويؤكد شامير على أن السنوات التى كانت فيها العلاقات بين «الشعبيين» أكثر متانة ووثوقا هى سنوات ما بين الحربين العالميتين!

ففى الحرب العالمية الأولى، قامت السلطات العثمانية بطرد نحو أحد عشر ألف مواطن.. كانت مصر لهم ملجأ، وحظوا بمساعدة يهود القاهرة والإسكندرية والسلطات المصرية، أما فى الحرب الثانية، فقد ازداد زوار مصر، و.. نمت حركة نشيطة بين البلدين»! وكذلك تزايد النشاط التجارى بين البلدين وذلك لأن ظروف الحرب قد فرضت فى مصر ازدياد الطلب كثيرا على مختلف السلع الاستهلاكية التى كان .. فى مقدور الصناعة والزراعة لدى البيشوف تجهيزها بها»!!

بعد الحرب العالمية الأولى، تأسست الجامعة العبرية بالقدس، ورغم أن التعاون بينها وبين جامعة فؤاد الأول القاهرة لم يكن آنذاك رسميا ودائما، إلا أن علاقات مختلفة كانت تربط بينهما:

ففى حفل افتتاح الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٢٥م، شارك من مصر: أحمد لطفى السيد، رئيس جامعة القاهرة، والذى أصبح بعد ثلاثة أعوام من هذا التاريخ، وزيرا للمعارف المصرية»!

ثم تحدث عن استضافة الجامعة العبرية لشخصيات مصرية بارزة، ففى عام ١٩٤٣م، استضاف البروفيسور «ماجنس» رئيس الجامة العبرية، عددا من الأدباء المصريين، كان على رأسهم: طه حسين وحسين فوزى!

ويشير شامير إلى زيارات الباحثين بالجامعة العبرية، إلى مصر، الذين تخصصوا فى دراسة: الحضارتين الفرعونية، والإسلامية، والعصر الهيلينى، واللغات الشرقية وآدابها، وأنهم شاركوا بالكتابة فى المجلات المصرية، كما كانوا يتلقون دعوات للاشتراك فى مؤتمرات وجمعيات علمية مصرية، منهم على سبيل المثال «ابراهام برافر» عميد الجغرافيين الإسرائيليين، الذى تلقى عدة دعوات فى العشرينيات والثلاثينيات، من الجمعيةالجغرافية المصرية، والذى «..استضاف فى بيته عديدا من علماء الجغرافية المصريين»!

وإذا كان شامير قد حاول أن يذكرنا بـ«الكرم اليهودى» الشائع والمألوف!!.. إلا أنه تناسى أن الجمعية الجغرافية المصرية فى تلك الفترة كان يرأسها اليهودى «فوكار» وسكرتيرها العام «أدولف قطاوى» أحد أقطاب عائلة قطاوى اليهودية الشهيرة!

ويشير أيضا إلى «يسرائيل ولفنسون» استاذ اللغات السامية بكلية دار العلوم بالقاهرة، ودوره الخاص فى «تطوير هذه العلاقات» ومبادرته إلى تنظيم الاحتفالات بذكرى مرور ٨٠٠ عام على مولد «ابن ميمون» فى أوائل عام ١٩٣٥م، ومراسلاته بهذا الشأن مع شيخ الأزهر ووزير المعارف اللذين أبديا اهتماما جما بهذا النشاط الثقافى.. والتعاون الحضارى فى مصر بين اليهود والمسلمين»

وكان بين أعضاء اللجنة التنظيمية للاحتفالات الأمير عمر طوسون وحسين صبرى باشا.

ثم تحدث عن العلاقات الرياضية بين «الشعب العبرى» و الشعب المصرى، والدور المهم الذى لعبته بهذا الصدد، منظمةالرياضة اليهودية العالمية «مكابى».. مختتما هذه الدراسة بتعليق إحدى صحف تل أبيب، على المباريات التى أجريت بين منتخبى البلدين» عام ١٩٣٨م.

«فلتنتقل هذه الروح المودية القائمة فى حقول الرياضة، إلى حقول الحياة ايضا، لما فى ذلك سعادة وفرحة للشعبين الشقيقين، ولفرحةكل من يطمح للسلام، ولاكتمال الأخوة والزمالة بين الشعوب»

وفى هذاالاتجاه أيضا، نجتزى بعضا مما ورد فى محاضرة بعنوان: «الجوانب الاقتصادية للعلاقات بين يهود مصر ويهود أرض إسرائيل «٣» ألقاها إفراهام دافيد أستاذ التاريخ اليهودى، بالجامعة العبرية بالقدس، قال:

«لقد كان البلدان الواقعة لفترة طويلة تحت حكم سياسى واحد، وفى عصر حكم المماليك، ازداد ارتباط أرض إسرائيل بمصر سياسيا واقتصادية، نتيجة لوجود الحكم المركزى فيها»..

ويستطيع كل من يطلع على المجموعة الكبيرة من الرسائل الخاصة والعامة، التى تبودلت بين يهود مصر ويهود أرض إسرائيل فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، معرفة مدى العلاقة التى كانت قائمة بين البلدين»!

ويتضح من المصادر اليهودية المختلفة التى عثر عليها فى وثائق الجنيزة ، أن علاقات تجارية واسعة كانت تربط بين البلدين»

وفى إحدى مطبوعات السفارة الإسرائيلية بالقاهرة، الصادرة عن مكتب المستشار الإعلامى، بعنوان «إسرائيل القديمةالمتجددة».. تتوالى الأكاذيب المفضوحة.. ونقرأ:.

« .. وهناك على سطح هذه المعمورة: أبناء شعبين فقط أحياء يرزقون، بإمكانهم مخاطبة بعضهم بعضا قائلين: إن علاقاتنا الحضارية والثقافية والتجارية وغيرها، يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف عام، هذان الشعبان هما: الشعب المصرى والشعب الإسرائيلى، هذه هى الأبعاد التى تقف من وراء العلاقات المتجددة بما فيها من علاقات اقتصادية وتجارية وتبادل تكنولوجيا العصر، والتى بدأت هى أيضا مع إبرام معاهدة السلام»!!

وفى إحدى نشرات مركز الإعلام الإسرائيلى بالقدس « ٤ » بعنوان: «إسرائيل اليوم».. تبدأ بالتعريف بدولة إسرائيل الشرق الأوسطية وموقعها، ومساحتها الاقل «من مساحة محافظة الإسكندرية».. ونشأة– الشعب الاسرآئيلى– فى هذه الرقعة قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة و..«الذكريات التاريخى المشتركة بين الدولتين المتجاورتين»!!

ويمضى صناع هذه المطبوعة فى ترهاتهم، وحديثهم عن التفاعل العربى الإسرائيلى « .. هو بمثابة تفاعل مقومات عربية شرقية أصيلة مع محيط إسرائيلى معاصر حضاريا وفنيا وعلميا، حصيلة هذا التفاعل قد تشكل همزة وصل، وجسرا للتفاهم، وتوثيق عرى السلام بين الدول العربية وإسرائيل»!

و.. «هكذايمكننا القول بفخر واعتزاز أن شعبى إسرائيل ومصر يمكنهما مخاطبة بعضهما بعضا، ليؤكدا أنهما الشعبان الوحيدان فى العالم، اللذان كانت تربطهما علاقات تاريخية وحضارية وإنسانية منذ آلاف السنين»!!

وتستمر القرصنة التاريخية لحساب الأيديولوجية العنصرية الصهيونية، فى عبارات مسمومة ودعاوى زائفة، لافتعال تاريخ لما يسمى بـ«الشعب الإسرائيلى» واصطناع حضارة إسرائيلية فأحلام الصهاينة المدمرة التوسعية الإجرامية.. تتلازم مع أحلامهم فى غزو التاريخ..!

الهوامش

١- البروفيسور شيمون شامير.

كان ثالث سفير لإسرائيل فى القاهرة «١٩٨٨-١٩٩٠م» وهو مؤسس المركز الأكاديمي الإسرائيلى وأول مدير له «١٩٨٢-١٩٨٤م».. ولد فى رومانيا فى ١٥ من ديسمبر ١٩٣٣م، وهاجر مع أسرته إلى فلسطين ١٩٤٠م، درس الاستشراق بالجامعة العبرية بالقدس، ونال درجة الدكتوراة من جامعة برينستون الأمريكية شغل منصب أستاذ التاريخ الحديث للشرق الأوسط ورئيسا لقسم كابلان لتاريخ مصر وإسرائيل بجامعة تل أبيب.

أهم مؤلفاته: «التاريخ المعاصر للعرب فى الشرق الأوسط، ٩٦٥م بالعبرية و«مصر تحت حكم السادات» ١٩٦٨م بالعبرية، و«الرؤية الذاتية من خلال البعد التاريخى فى مصر وإسرائيل»١٩٨١م بالإنجليزية، و«اليهود فى مصر: مجتمع شرق اوسطى فى العصر الحديث بالإنجليزية، ١٩٨٧، وله العديد من الابحاث والدراسات التى تناولت تاريخ مصر المعاصر، والطوائف اليهودية والتيارات الفكرية التى سادت عصر الدولة العثمانية، وأبحاثا ميدانية عن المجتمع الفلسطينى، ويشغل حاليا مدير معهد دراسات السلام بجامعة تل أبيب.

٢- sh. shamir: relations between egyptian society and the jeoish yishuv of palestine before 1948 b.l .c.c no 16, may 1992 pp.5-9

٣- a. daved: new sources in the history of the jews of egypt and their ties with the gand of israel b.i.a.c.c. no 13,july 1990,pp. 10-15

٤- تعتمد السياسة الإعلامية الإسرائيلية الخاضعة لإشراف وزارة الخارجية- على عدة محاور أساسية: (أ) تعزيز مكانة إسرائيل فى المجتمع العالمى وخلق المناخ الضامن لاستمرارها. ب- ضمان أمن إسرائيل

جـ- التذكير المتواصل بأن إسرائيل هى تحقيق لنبوءة دينية د.- التذكير المتواصل بالكارثة النازية واضطهاد اليهود عبر التاريخ، هـ- التأكيد على التطور الحضارى والمعجزات التى حققتها إسرائيل فى أرض الميعاد.

و- تحريف كل الحقائق التاريخية وإعادة صياغتها لتناسب التوجهات الصهيونية ويمكننا استخلاص هذه المحاور بوضوح، فى مطبوعات مركز الإعلام الإسرائيلى، بالقدس، وأهم إصداراته «نشرة إسرائيل» اليوم بالعربية والإنجليزية، وسلسلة «حقائق عن إسرائيل.

الفصل الثالث
مصطلحات يهودية

أب بيت دين: رئيس محكمة شرعية يهودية.

أشكنازيم: كلمة «اشكناز» فى الأصل: اسم لأحد أحفاد نوح، وقد أطلقت على الشعوب التى ورد ذكرها فى سفر التكوين «١٠-٣» وفى مصادر القرون الوسطى، كانت تطلق على ألمانيا ثم أطلقت كلمة اشكنازيم على اليهود الألمان بشكل خاص، ثم على يهود أوروبا الغربية بشكل أعم ويتميز الاشكنازيم عن السفرديين بمحافظتهم على لغتهم «اليديش» التى تطورت عن الألمانية ودخلتها كلمات عبرية. كما يتميز اشكنازيو أوروبا الشرقية عن اشكنازيى أوروبا الغربية، بتمسكهم الحرفى بنصوص التوراة والتزمت فى الطقوس الدينية وفى نمط الحياة. ويعتبر الإشكنازيم المؤسسين للحركة الصهيونية، وحتى أوائل الخمسينيات كانوا يشكلون الغالبية العظمى من اليهود فى فلسطين، ويشغلوا الآن المراكز السياسية والاقتصادية والإدارية فى الكيان الصهيونى، وقد حافظوا على أسلوب معيشتهم الأوروبى، ومازلوا ينظرون باستعلاء إلى السفرديم، وبقى لهم حاخام أكبر مستقل وعدد آخر من الحاخامات للشئون الدينية.

ألوف: لقب رئيس الطائفة فى العصور الوسطى، كماكان يطلق على القضاة الشرعيين لليهود فى مصر والعراق.

باروخيت: ستار من القطيفة أو من الحرير، مطرز بفخامة بخيوط فضية أو ذهبية،

بوضع على التابوت المحتوى لأسفار التوراة، وتحمل هذه القطعة عادة اسم صاحب الهبة، تخليدا لذكراه.

بصح: الفصح اليهودى.

بلانة: خادمة الحمام، وهى التى تتولى القيام بطقوس الحمام الدينى.

بنى بريث: تنظيم ماسونى يهودى، أسسه الصهيونى هنرى جونس عام ١٨٤٣ فى نيويورك، وأول رئيس له هو ديتنهوفر، وتعنى أبناء العهد وهى أكبر وأقدم التنظيمات الصهيونية، وكانت أهدافه توحيد اليهود ونشر التراث اليهودى وتحقيق فكرة أرض إسرائيل وتقديم كل العون ليهود الشتات والدفاع عن حقوقهم، وقد وضع هذا التنظيم نفسه فى خدمة الحركة الصهيونية ثم السياسة الإسرائيلية، ويعقد مؤتمر العام كل ثلاث سنوات.. وقد أسس هذا التنظيم محفل القاهرة الأول ابن ميمون بأغلبية مصرية عام ١٩١١م، وكانت الندوات والمحاضرات تعقد بلغة الييدش.

بوريم: عيد الفوز، وهو من الأعياد المستحدثة والتى اختص بها يهود مصر، فكان يقال «بوريم القاهرة» ويبدأ بما يسمى «صوم استير» فى اليوم الثالث عشر من شهر مارس «آذار»

بيت دين: محكمة شرعية يهودية تفصل فى القانون المدنى والأحوال الشخصية.

بيراشة: الجزء من اسفار موسى الخمس، يقرأ بالمعبد فى صباح السبت من كل أسبوع.

تتراجرام: يرمز لها بالحروف الاربعة: «I.H.V.H.» وهى بالعبرية يود- هى- فاف- هى، غير منغمة، وتشير إلى كل ما يتعلق بالذات الإلهية فى التراتيل.

تلمود: شروح حاخامية مقننة للتوراة، وتلمود تعنى فى العبرية تعليم، ويتضمن مجموعة القوانين والاحكام والوصايا الدينية والسياسية، مع التفسيرات التى كان يتداولها الحاخامات وأتباعهم فى بادئ الأمر، حتى اطلق عليه «التوراة الشفهية» وبعد أن اتسع نطاق هذه التفسيرات بالإضافات المتلاحقة لها، بات متعذرا الاعتماد على «المشافه» فقام مجموعة من الأحبار بتدوينها، لتصبح دستورا ينظم للجماعات اليهودية حياتها بعيدا عن أى مؤثرات خارجية. والتلمود اثنان: ١- التلمود الأورشليمى، نسبة إلى بيت المقدس. ٢- التلمود البابلى، نسبة إلى مدينة بابل وهو الأكثر انتشارا بين اليهود ويتكون التلمود من ستة أقسام، تحتوى على ٦٣ مبحثا، تقع فى ٥٢٤فصلا وقسم التلمود إلى قسمين: الأول مجموعة قوانين المشنا والجمارا، والثانى الإجادة الاخبار وهى مجموعة أمثال وقصص

وأساطير. ويمثل التلمود تراثا يهوديا دينيا، وكان له التأثير الأقوى فى بروز ظاهرة التعصب القومى لدى اليهود الذين يفضلون قراءته والإيمان به عن التوراة ويتضمن التلمود كما هائلا من المغالطات والافتراءات بالتركيز على أن اليهود هم شعب الله المختار وأن روح اليهود هى جزء من روح الله وأن الجنة لن يدخلها غير اليهود والنار مثوى لكل من عداهم من المسلمين والمسيحيين، والتلمود يتضمن طعنا صريحا فى المسيح والمسيحية وفى السيدة العذراء ونعتهم جميعا بالكفر وأحط الصفات ثم تنبهوا لخطورة مثل هذه العبارات لأغراض سياسية فقاموا بحذفها وترك مكانها فراغا، واتفق على تلقينها مشافهة لتلاميذ المدارس الدينية ويزعم التمود أن الله لا عمل له فى الليل سوى قراءة التلمود مع الملائكة والإعلان عن شدة ندمه، عندما «تغاضى» عن هدم هيكل القدس!!

تويشبا: اليوم الخامس عشر من شهر شباط «فبراير» اليوم الأول من بداية سنة الأشجار وتشمل طقوس الوليمة: ٢٦ صنفا من الفواكه الجافة أو الطازجة.

توراة: كتاب اليهود المقدس، ويتضمن تاريخهم وشرائعهم وعقائدهم، وكلمة التوراة تعنى فى العبرية: الإرشاد أو الهداية. تتألف من خمسة أسفار: ١- سفر التكوين: ويشمل ٥٠ فصلاوكل فصل يسمى إصحاح وكل إصحاح مقسم إلى آيات، ويتضمن قصة بدء الخلق وتاريخ سيدنا آدم، ونوح والطوفان، حتى مجئ النبى يعقوب إلى مصر ٢- سفر الخروج: ويشمل ٤٠ إصحاحًا تحكى قصة خروج بنى إسرائيل من مصر ونزول الوصايا العشر على النبى موسى، وتمرد الشعب اليهودى عليه. ٣- سفر اللاويين، ويشمل ٢٧ اصحاح، ويسمى أيضا فى الأحبار ويتضمن الطقوس والواجبات الدينية. ٤- سفر العدد: ويشمل ٣٦ إصحاحًا، ويتضمن الإحصاءات الشرعية التى كان يقوم بها الحاخامات تأهبا للحروب ٥- سفر التثنية: وهو سرد للأحكام الدينية، التى تتعلق بالكيان السياسى والاجتماعى والقضائى لليهود وتشير المصادر إلى أن أقدم قراءة للتوراة كانت عام ٤٤٤ق.م. عندما دعا النبى عزرا، الجماعات اليهودية إلى سماع بعض منها، وبعد الانتهاء أقسم المجتمعون على إطاعة ما جاء فيها.. وتذكر أن موسى بعد تلقيه أوامر الرب على جبل سيناء، كتب هذه الأوامر وسلمها إلى الأوروبيين لحفظها فى تابوت العهد فى شيلوه وأمر بقراءتها أمام كل بنى إسرائيل بعد سبع سنوات فى عيد المظال وقام يشوع خليفته بتفيذ هذه الوصية ثم فقدت هذه الأسفار من خلال حربهم مع الفلسطينين، وبعد تدمير بيت المقدس بسعبين عاما، خرج المدعو عزرا زاعما عثوره على تلك الاسفار ولماكان عدد من روايات الأسفار قد انتقل مشافهة، فإن معظم المؤرخين يرجحون تعرضها، من خلال جيل

أو أكثر، لما تتعرض له عادة، الأقوال المنقولة شفاهة، فنشأ كثير من التناقض والشك فى صحة كثير من الآيات والكثير من الإضافات مما يؤكد أن التوراة المعاصرة، ليست هى التوراة الأصلية.

تيفلين: هو نوع من التمائم، عبارة عن سيور من الجلد، بداخلها آيات من التوراة، تعلق على الجبهة، مفصد الكوع الأيسر، ويطلق عليه يهود أوروبا: «بارمتزفا– Barmitzva وهذا الطقس الدينى يحتفل به فى المعبد، لمن بلغ سن الثالثة عشرة من الذكور، حيث يبدأ فى تلقى أسرار التعاليم اليهودية وكان هذا الاحتفال فى مصر، يعقد فى يومى الاثنين والخميس.

تيكون حاسوت: احتفال خاص بالقبالين أو المخلصين فى الشرق والهدف منه: إرضاء الذات الإلهية التى أضيرت بعملية الخلق فكان المؤمنون يستيقظون فى الفجر ويتلاقون بالمعبد ثم يجلسون إلى الأرض، ذاكرين حزن الوالدتين راشيل وليئا المحزونتين بسبب الاضطهاد الذى عانته ذريتهما!

سفرحاتان: سفر فى البيراشة، يقرأه فى المعبد المتزوج حديثا، فى أول يوم سبت بعد زواجه.

حاخام: وتعنى حكيم، والحاخام الأكبر هو الرئيس الدينى للطائفة، ويتمتع بسلطات غير محدودة، وهو ممثل الطائفة أمام النظام الحاكم.

حارة اليهود: الحى اليهودى الشهير بالقاهرة، وكان يمثل أكبر تجمع يهودى فى مصر حتى بداية الخمسينيات ومنه خرجت أشهر العائلات اليهودية المصرية وكان به الكثير من المعابد والمدارس والجمعيات اليهودية ولم يتبق منها سوى ثلاث معابد أعيد ترميمها ويتميز هذا المجتمع بقربه من متاجر حى الموسكى ووسط القاهرة ومازالت شوارع الحى تحمل نفس الاسماء، منها: شارع كنيسة القرائين، شارع قطاوى، شارع الصقالبة، حارة قاعة الفضة، حوش الصوف، شارع سوق الفراخ، حارة زمردة.. كما كان بمدينة الإسكندرية، حارة لليهود بسوق السمك القديم، فى وسطها معبد زراديل.؛

حاليصاة: وتعنى الخلاص برفض الرجل زواج امراة أخيه المتوفى، وفى هذا الحال، ترمى المرأة بالنعل أو الحذاء فى وجه الأخ وتبصق عليه، إعلانا برفضه الزواج منها

حبرة: غطاء نسائى للرأس، كان شائعا بمصر حتى الثلاثينيات من هذا القرن، وكان من الأصل خاصا باليهود وأقباط مصر.

حدير: ترادف معنى كلمة كتاب وهو نوع من التعليم الابتدائى، يشرف عليه معلمون

عينهم مجلس الطائفة، ويتركز على تعليم الكتابة والقراءة والحساب ومعرفة قواعد الصلاة فى الكنس، وبعض تعاليم التلمود، وكان الأثرياء يتكفلون بمصروفات الايتام وأبناء الفقراء.

حزان: الكاهن الذى يؤم الصلوات بالمعبد والأشراف على حفل القداس، كما يقوم بالوعظ والخطابة، ويشترط فيه الإلمام بأحكام التلمود.

حلة: قطعة من خبز يابس، اثنتا عشر قطعة من الخبز تعد على المائدة، فى مساء يوم الجمعة، ثمانية لصباح يوم السبت، وأربعة لبعد الظهر منه.

جاؤن: رئيس المعهد الدينى، ومرسوم تعيينه فى هذا المنصب يؤكد حقوقا تأصلت فى تقاليد الطائفة اليهودية، إذ يتمتع بالسلطة الدينية العليا، وحق تفسير التوراة فى الخطبة الدينية والإشراف على السلوك الدينى والأخلاقى لليهود، وشئون الزواج والطلاق، وتعيين أو اقالة الخطباء والحزانين والجزارين الشرعيين، وحق فرض الحرمان «حيرم» ومراقبة أعمال المحاكم الشرعية وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين، وكانت قراراته فى الأمور الدينية والإدارية نافذة لا رجعة فيها.

جباى: مدير المعبد.

جمارا: مجموعة تفاسير وتعليقات تبسط قواعد المشنا، ومطابقتهاعلى حالات واقعية أو افتراضية لم يعالجها الحاخامات ومصحوبة بأمثلة وقصص وأخبار.

جنيزة: طبقا للتقاليد اليهودية ، تطلق هذه الكلمة على مستودع الأوراق المالية البالية من الكتابات اليهودية المقدسة التى لا يجوز ابادتها، ولما يفترض من وجود اسم الله فى ثناياها، وقد جرت العادة على تخزين هذه الأوراق فى مكان مخصص بالكنيس بصفة مؤقتة ومن وقت لآخر، يتم تفريغ غرفة الجنيزة وتنقل محتويات المقبرة، حيث تدفن نهائيا ويفضل هذا التقليد اليهودى أمكن الاحتفاظ بكنز هائل من هذه المخطوطات بمعبد ابن عزرا منذ العصور الوسطى حتى اكتشافها فى القرن التاسع عشر، وتنقسم هذه المخطوطات إلى نوعين مصادر وثائقية ومصادر أدبية.

داروش: مجموعة شروح تفسيرية للتوراة.

درور: منظمة صهيونية عمالية أساسها الطاعة الرهبانية وكان لها نشاط بمصر إلى أن انجلت فى مارس ١٩٥٣م، حيث أصدر موجهوها – أبرزهم هنرى كوريل توصية إلى أعضائها بالانضمام – حسب اختيارهم إلى الحزب الشيوعى الفرنسى parti communiste francais أو الحزب الشيوعى الإسرائيلى Maki أو حدتو الحركة الديمقراطية

للتحرر الوطنى المصرى.

ديان: بمعنى: قاض، وهى اختصار لكلمة «اب بيت دين» ويساعده فى مهمته اثنان من الشيوخ للتوقيع على الأحكام ويتولى النظر فى الاحكام القضائية وعقود الزواج والطلاق، وتعيين الحزانين والإشراف على الخدمات الاجتماعية، ولابد أن يكون عالما بأحكام التلمود وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى: كان رئيس معهد أورشليم هو الذى يعين قضاة الطائفة بمصر وبتصديق من الحكومة الفاطمية.

ديروشيم: دروس دينية مطبوعة توزع بالمعابد، بعد الظهر من أيام السبت.

ديسيزوبونير: حاخام عالم بالأحكام التلمودية، ويتمتع بثقافة رفيعة، وله اجتهاداته الخاصة فى الشروح، فتصبح فتاواه فى مختلف الأمور الدينية والاجتماعية لها قوة القانون.

راب: يحمل هذا اللقب كبار رجال الدين اليهودى، ويفضل سعة علمهم ، يصدرون الاحكام الدينية والاجابة عن الأسئلة الموجهة إليهم، وهؤلاء فى المجتمع اليهودى يماثل دورهم: وظيفة المستشار القضائى فى الإمبراطورية الرومانية، والمفتى فى دول الإسلام. ويمكن اعتبار من يحملون لقب «راب».. هيئة أو سلطة قضائية خارجة عن نطاق القضاء المنظم.

الرابطة الاسرائيية لمكافحة الصهيونية: منظمة مصرية شبه علنية معادية للصهيونية، اقتصرت عضويتها على اليهود الشيوعيين فى مصر. ومع تنامى الخطر الصهيونى فى الأربعينيات، نضجت فى مصر فكرة تكوين تنظيم يؤكد الاختلاف بين اليهودية كدين، والصهيونية كحركة سياسية موالية للاستعمار ومعادية للحركة الوطنية المصرية، وتأسس هذا التنظيم فى صيف عام ١٩٤٦م، واستمر نشاطه أقل من عامين. وكان مؤسسو هذه الرابطة من يهود منظمة ايسكرا الماركسية المصرية السرية، وضمت اللجنة التأسيسية: عزرا هرارى، مارسيل إسرائيل، ادوارد متالون، هانزين كاسفلت، وادوارد ليفى. وقد وجه سكرتير الرابطة عزرا هرارى بيانا نشر فى جريدة صوت الأمة الوفدية فى ٦ من أكتوبر ١٩٤٦م جاء فيه «أنها ترمي إلى محاربة العنصرية ومكافحة الاستعماروربيبته الصهيونية».

وأدانت الرابطة سياسة الهجرة إلى فلسطين، وأشارت فى بياناتها إلى اعتبار الصهيونية أخطر حركة ظهرت فى تاريخ اليهود وعقبة فى طريق حل المشكلة اليهودية وأعلنت فى بيان صدر فى يونيو عام ١٩٤٧م عن اهم أهدافها وهو الكفاح ضد الدعاية

الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل من اليهود والعرب، ونددت بالإرهاب الصهيونى فى فلسطين، وواصلت حملاتها ضد ما أسمته: أوكار الصهيونية فى مصر كما كشفت الرابطة فى صراعها مع اليهود الصهاينة، عن استخدام المدارس والاندية اليهودية فى النشاط الصهيونى، وحفلات جمع الأموال للمساعدة فى تهريب اليهود إلى فلسطين، فى منتصف يونيو عام ١٩٤٧م، أبلغت وزارة الشئون الاجتماعية سكرتير الرابطة عدم الموافقة على تكوين الرابطة لأسباب «تتعلق بالأمن» وفى منتصف مارس عام ١٩٤٨م، ألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على أعضاء اللجنة التأسيسية للرابطة الذين أدوا دورا فى مكافحة الصهيونية وأمرت بترحيل معظمهم إلى خارج البلاد!!

ربانيت، ربانيون: أكبر طائفة يهودية عددا وانتشاراً، فى التاريخ القديم والحديث، واسم الطائفة مشتق من كلمة «رابى» بمعنى حبر، فيطلق عليهم أيضا الحاخاميون والربيون وهم يؤمنون باسفارموسى والتلمود وشروحه وكانت الحكومة المصرية تتخير رئيس الطائفة من الربانيين ليكون ممثلا رسميا عن الطوائف اليهودية فى مصر.

روش هاشناه: عيد رأس السنة العبرية سبتمبر إلى أكتوبر ويحتفل به أيضا تخليدا لذكرى خروج بنى إسرائيل من مصر، وخلاصهم من عبودية وعذاب فرعون، وهناك بعض الخلاف فى مظاهر الاحتفال بهذا العيد، بين كل من القرائين والربانيين.

روش هقهال: لقب فى العبرية القديمة، ويعنى: رئيس الجماعة و«روش هقهيلوت» رئيس الجماعات، وينطوى هذا اللقب على ازدواجية فى الدلالة، حيث يرى اشترو أن :روش هقهال كان رئيسا على الحاخامات أما جويتين فيذهب إلى أن هذا اللقب، قد استبدل باللقب القديم «روش هاكنيست» أى رئيس الكنيس، وهو لقب فخرى لا ينطوى على أية مسئولية إدارية.

روش هوديش: اليوم الأول من الشهر العبرى ويعتبر- نصف عطلة وكان الأتقياء من يهود مصر يصومونه بدءا من مغرب اليوم السابق له.

روش يشيفا: رئيس مدرسة تلمودية.

زوهار: كتاب «الاشراق» فى التصوف اليهودى، ينسب إلى الحاخام شيمون بار يوحاى، وقد شكل التصوف الإسلامى فى العصور الوسطى تأثيرا قويا فى الحياة الفكرية لليهود. وقد اعتبرها البعض نوع من محاولات التكيف لدى يهود مصر، وبازدهار الطرق الصوفية برعاية السلاطين، تشكلت حلقات صوفية يهودية فى القاهرة والإسكندرية، ضمت عددامن الحاخامات والأطباء والقضاة.. على رأسهم إبراهام ابن ميمون فى العصر

الأيوبى، والذى اتهم بمحاولته ادخال «البدع» إلى الديانة اليهودية وقد أصدر كتابا باللغة العربية فى التصوف اليهودى أسماه «كفاية العابدين».

سامريون: طائفة يهودية اشتق اسمها من السامرة– عاصمة مملكة إسرائيل القديمة إلى الشمال من نابلس، وهناك هوة عميقة من الخلافات الدينية تفصل السامريين شمرونيم عن بقية الطوائف اليهودية وهم لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة وقد يضاف إليها سفر يوشع بن نون، ولا يعترفون بالأنبياء ولا بالكتب السماوية الأخرى بل ويعتبرونها من صنع البشر ويحرم القانون اليهودى الاختلاط بالسامريين والزواج بهم، ولا يعترف هؤلاء بقدسية جبل صهيون وإنما جبلهم المقدس هو «جبل جرزيم» أو الطور، حيث أقام أجدادهم هيكلهم الخاص، وهم ينحدرون من قبيلتى: منشة وافرايم، وعددهم الآن نحو خمسمائة يقطن أكثرهم فى نابلس ومستعمرة حولون بتل أبيت، ويرأسهم كبير الكهنة «كوهير جادول» ويستخدمون العبرية فى صلواتهم، والعربية فى أحاديثهم ويؤمنون بالمسيح المخلص الذى سيعود إلى جبل جرزيم، حيث يقدمون قرابينهم الفصحية!

سفر: كتاب، ومخطوط لأحد أسفار التوراة، منسوخ على ورق ويحفظ فى علب اسطوانية من الخشب، مغطاة بالفضة أو النحاس أو القطيفة، ويوجد بمعبد بن عزرا، علبة من هذا النوع محفوظا بها أقدم مخطوط للتوراة فى مصر، وعند الربانيين: لا يحمل المخطوط أى علامات ترقيم أو علامات موسيقية.

سفرديم: السفرديون، هم أصلا يهود أسبانيا وحوض البحر المتوسط، ويطلق هذا التعبير الآن على كل اليهود الشرقيين، والطقوس الدينية للسفرديم هى استمرار للتقاليد الدينية التى نشأت وتطورت فى بابل، واللغة العبرية للسفرديم متأثرة باللغة العربية، وبالنسبة لليهود العرب، فاللغة العربية هى لغة التخاطب ومصطلح يهودى كان يعنى بالنسبة لزعماء الحركة الصهيونية وبشكل محدد: اليهودى الإشكنازى حتى أن آرثر روبين عالم الاجتماع الصهيونى، أشار فى دراساته إلى أنه من الصعب اعتبار السفرديم يهودا ويعانى هؤلاء فى الكيان الصهيونى كل مظاهر التفرقة العنصرية!

سوفير: كاتب، وهو موظف مساعد فى جهاز المحكمة الشرعية، ويقوم بتحرير الصكوك والعقود والبراءات ونسخ عقود الزواج والطلاق وتسجيل الشهادات القضائية.

سوكة: كابينه تعد قبل بدء «عيد المظال» أو المظلة فى اليوم الخامس بعد يوم «كيبور» يوضع فوقها سعف النخيل الأخضر وأغصان الزيتون، تذكارا للغمام الذى أظلهم به الله فى سنوات التيه، ويمضى اليهود الثمانية أيام– مدة العيد –معتكفين داخل هذه الكبائن.

سيدر: حفل دينى عائلى أو جماعى، يعقد فى الليلة الأولى والثانية من عيد الفصح اليهودى وتذكر فيها قصة الخروج من مصر فى أدق تفاصيلها.

سيدر التوحيد: حفل دينى يعقد فى ليلة أول نيسان رأس السنة العبرية فى عصر ما قبل النفى اختص به يهود مصر، وتتلى فيه مزامير وأناشيد بالعبرية والعربية، ومقدمة نص مكتوب بالعربية، على غرار الابتهالات الصوفية ويذكر فيه الـ٩٩ صفة الإلهية، منسوب إلى إبراهام بن ميمون.

سيمحت توراة: وتعنى سرور أو بهجة التوراة، وهو عيد يختتم به دورة أعياد شهر تشرين «سبتمبر–أكتوبر» ويحتفل به فى المعابد بالرقصات والأغانى.

شماش: إحدى الوظائف الدينية، وهو المشرف المباشر على المعبد ويعرف بـ«خادم الكنيس» وكان له نفوذ كبير باعتباره مشرفا على أهم منشأة عامة لدى أبناء الطائفة وقد يقوم أحيانا بمساعدة القاضى الشرعى، خاصة فى العصور الوسطى، حيث كانت جلسات المحكمة تعقد بالمعبد.

شوحيط: جزار شرعى، يمارس عمله طبقا لإرشادات دينية محددة، وكان يشاهد فى سوق الفراخ بحارة اليهود فى الأعياد يوم الشباط ورأس السنة العبرية وعيد الفصح ممسكًا بسكين طويلة نظيفة لامعة ليس بها أى خدش يقطع رأس الطير بطعنة واحدة، ثم يتعقب الدماء التى سالت على الأرض بتغطيتها بالتراب!

شوفار: بوق على هيئة قرن كبش وتستخدم «التروعاه» أى النفخ فى البوق، فى بعض المناسبات الاحتفالية بالمعبد، خاصة فى عيد رأس السنة العبرية وفى نهاية يوم كيبور. وقديما كان يستخدم للإعلان عن بدء الأعياد والصوم والحروب، وتكريس الملك الجديد، وقد أعيد هذا التقليد الدينى القديم فينفخ فى الشوفار، حين يؤدى رئيس دولة إسرائيل اليمين الدستورية!

شومير: بمعنى الحارس، وهو الذى يتولى مراقبة الصلاحيةالشرعية للمأكل «الكشروت» فى المطاعم والمجازر والمخابز ومنتجات الألبان، والمعروض منها للبيع، ومدى مطابقتها للمواصفات والشروط الدينية.

صدوقيم: الصدوقيون فرقة من اليهود ينتسبون إلى صادق الكاهن الأعظم فى زمن الملك سليمان، وظهرت هذه الفرقة فى عهد المكابيين، وكانت تضم كبار الكهنة فى القدس وبعض الكتاب المسالمين للرومان، وكانوا محافظين من الوجهة الدينية ويتمسكون بأسفار موسى ويرفضون الروايات الشفهية وينكرون الأنبياء وفكرة البعث والقيامة، حريصون على

امتيازاتهم ونظامهم الطبقى، وكانوا يؤلفون تكتلا قويا فى مجلس السنهدريم اعلى سلطة دينية وسياسية فى المجتمع اليهودى.

طيبة: قمطر بوسط المعبد، يجلس إليه الحاخام أو الحزان.

عميداه: الصلاة الرئيسية بالمعبد.

فرناس: وظيفة تطوعية، إذ يتخير زعماء الطائفة، واحداً من أبناء الطبقة الثرية، موضع ثقة ومشهود له بالاستقامة، حيث يتولى رعاية شئون الفقراء والمحتاجين وتوفير الخدمات الاجتماعية لهم، وإدارة ممتلكات الأوقاف وحسابات الطائفة، وفى العصور الوسطى، كان هذا اللقب يطلق فى أوروبا على رئيس الطائفة اليهودية.

قدمونيم: وتعنى القدماء أو الأقدم لغويا والمقصود: مخطوطان للتوراة يرجع تاريخهما إلى عام ١٣٦٤م، كتبهما دافيد هاكوهين كوتينا وكانا محفوظين فى تابوت خاص لقداستهما بمعبد زراديل بالإسكندرية منذ عام ١٥٢٥م، وكانا يطاف بهما فى موكب المعبد، من خلال الأزمات وفى عيد سيمحت توراة.. ولكن تم تهريبهما عقب معاهد السلام حيث توجد واحدة الان فى القدس، والأخرى فى نيويورك..

قدوش: احتفال يفصل بين الدينوى والمقدس ، ويتم عمل هذا التبريك على النبيذ أو عصير العنب من خلال وجبات يوم السبت وفى الأعياد.

قديش: صلاة كانت تدعو إلى «الخلاص» وتتضمن الدعاء لرئيس الطائفة أو الحاخام الاكبر، مؤكدين الولاء له وأن يتم الخلاص فى عهده، تماما مثلما كانت خطبة الجمعة تتضمن الدعاء الخليفة المسلمين، وتمثل واحدة من تأثيرات البيئة الإسلامية فى فكر الجماعات اليهودية.

قراؤون: تأتى هذه الطائفة فى المرتبة الثانية، بعد طائفة الربانيون، ولكنهم أكثر ثراء، ويطلق عليهم: أصحاب الدعوة و«بنى همكراه» أبناء القراءة الخاصة بالتوراة، التى يؤمنون بها فقط، رافضين القانون الشفهى: التلمود وشروحه ويتمسكون بنصوص الكتب الأربعة والعشرين للتوراة «تاناخ» وهذا الانشقاق التاريخى حول التلمود والمشنا على يد عنان بن داود هاناسى فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى وكان لهم بمصر طائفة ومنزلة كبيرة وكانت لهم عناية فائقة بعلوم اللغة والفسفة والفقه. وهناك بعض الخلافات الفقهية بينهم وبين الربانيين مثل حرمة السبت والخمر والقصاص والمواريث، وفى قواعد الصلاة: حيث القراؤون يركعون ويسجدون بينما الربانيون ينحنون قليلا دون ركوع أو سجود.

قهال: جماعة المصلين فى الكنيس.

كتوبة: عقد زواج يحرر باللغة الآرامية، ولدى القراءين باللغة العبرية، ويحمل تاريخ الزواج واسم الزوجان وقيمة الدوطة.

كندر جارتن: روضة أطفال، أسلوب تربوى نشأ فى ألمانيا ثم انتشر فى أوروبا وفى مصر مع بدايةالقرن العشرين.

كنيس: واحد من خمس تعبيرات أو مصطلحات، كانت معروفة فى مصر، وأطلقت على المكان المخصص لعبادة اليهود: كنيس، كنيست، كاهال، معبد، سيناجوج طبقا للوسط الاجتماعى اللغوى أو الأصول الثقافية.

كوشر: الخبز غير المخمر و«الأزيم» الخالي من الخمير، وكان يستخدم فى الليالى السابقة لعيد الفصح.

كولندير: لفظة آرامية الأصل وتعنى: كل الأمنيات أو النذور، تلاوة تبدأ بها صلوات ليلة «كيبور» تحل اليهود من كل النذور، التى تعهدوا أو الزموا أنفسهم بها «دون وعى أو إدراك»!! من خلال ما مضى من العام.وكانت تلفظ فى مصر: كال نيدره «كل نذره».

ماتسا: الطعام المباح أكله طبقًاَ للشريعة اليهودية.

ماسورا: منهج صوتيات فى العبرية التى يغلب عليها الحروف الصامتة أعده ابن اشير وابن تفتالى من مدرسة طبرية فى القرن التاسع الميلادى، ويوجد واحد من أسفار موسى الخمسة، أعده ابن اشير طبقا لهذا المنهج، بالمعبد الكبير للقرائين بالعباسية.

مدراش: تفسير للتوراة، كما تستخدم بمعنى: مدرسة دينية لتعليم التلمود.

مزراح: وتعنى «شرق» نص توراتى مزخرف، يعلق على الحائط الشرقى للمعابد والمساكن، ييسر تحديد اتجاه المصلى فى اثناء تأدية صلاته.

مازالطوف: وتعنى: إشارة طيبة أو دليل خير، عبارة تصاحب الاحداث السعيدة عادة، وفى مصر، كان معظم اليهود يستخدمون تعبير سيمانتوب التى تؤدى نفس المعنى.

مزامريم: أعضاء جوقة موسيقية كورس غالبا ما تكون من الأطفال الصغار.

مشناه: القسم الأساسى من التلمود، وهى مجموعة قوانين دينية وسياسية واجتماعية فى إطار مبادئ عامة تنقسم إلى ستة اقسام:

١- البذور، ويتضمن الزراعة مسبوقة بقواعد تعبدية.

٢- الفصول، بحث فى الأعياد اليهودية.

٣- النساء، قوانين الزواج والطلاق والوصاياوالنذور.

٤- العقوبات، وتشمل التشريعات المدنية والادارية والجزاءات.

٥- الشئون المقدسة ، وتتضمن الحديث عن هيكل بيت المقدس والقرابين والاضحيات.

٦- الطهارة، ويشمل كل ما يتعلق ببنود الطهارة والنجاسة.

مكفاه: حمام دينى، يؤديه طبقا لطقوس خاصة - الرجال من اليهود فى ليلة السبت من كل أسبوع وفى الأعياد ومناسبة الزواج، وكذلك يقمن به السيدات فى اليوم الثانى عشر من بدء الدورة الشهرية، وقبيل الزواج.

نئمان بيت هادين: أمين محكمة شرعية، والمسئول عن أموال الودائع ويتولى الحجز على ممتلكات المدينين ودفع النفقات للمطلقات لإعالة أنفسهن وأولادهن الصغار ومنح القروض للمحتاجين من الودائع.

ناجد: لقب أطلق على رئيس الجماعة اليهودية فى مصر، وطبقا لوثائق الجنيزة، فإنه لم يعتمد كلقب رسمى للسلطة المركزية على يهود الدولة الفاطمية إلا فى نهاية القرن الحادى عشر، وظل مستخدما حتى ألغى هذاالمنصب عقب الاحتلال العثمانى لمصر عام ١٥١٦م، ويعرف فى المصادر العربية رئيس اليهود وكانت له سلطات دينية وإدارية وقضائية واسعة على الطوائف اليهودية جميعها، وهو المسئول عن تنظيم علاقاتها بالدولة، وكان له حق تعيين وكلاء محليين لإدارة شئون الجماعة اليهودية.

هاجاداه: نص يروى قصة الخروج من مصر، مترجما إلى اللغة المحلية، يقرأ فى مساء عيد الفصح.

هاداساه: شجرة الآس، منظمة صهيونية نسائية، تأسست فى أميركا عام ١٩١٢، أقامت عددا من المؤسسات الصحية فى فلسطين، أصبحت فيما بعد تحت إدارة السلطات الإسرائيلية، وشاركت الجامعة العبرية فى تأسيس كلية العلوم عام ١٩٢٥م كما أسست مركز هاداساه الطبى بالجامعة العبرية عام ١٩٣٦م، وخصصت ٤٠٪ من ميزانيتها السنوية، لتأهيل وتهجير شباب اليهود من أوروبا وأميركا إلى فلسطين كما شاركت منذ عام ١٩٢٥م فى نشاطات الصندوق القومى اليهودى كبريت كايميت وأشرفت على إصلاح أكثر من ١٥٠ ألف فدان فى وادى عربة والجليل الأوسط ولها نحو و١٤٠٠ فرع فى مختلف ارجاء العالم، وتوجه اهتماماتها إلى تنمية الابحاث الطبية، وتشجيع دراسة التاريخ والتراث اليهودى واللغة العبرية، وكان للهاداساة فرعان بالمستشفى الإسرائيلى بالقاهرة والإسكندرية.

هالاخاه: التشريع القانونى للديانة اليهودية أو «الشريعة اليهودية».

هقديش: الأوقاف من البيوت والعقارات، وهو ما يماثل نظام الوقف الإسلامى، وكان

يمثل مصدرا مهمًا لايرادات الطائفة، والمحكمة الشرعية هى التى تتولى إدارته بصفة رسمية، ويجدر بالذكر، أن «الهقديش» فى فترة الجنيزة، كان يطلق عليه ايضا، نفس مصطلح البيئة الاسلامية: «الوقف» أو «الحبس» ج. احباس.

هيكل: تقويسه أو تابوت مقدس بداخل المعابد، يحتوى على لفائف التوراة، ويسمى أيضا ارون كوديش.

يشيفا، يشيفوت: مدرسة تلمودية عالية «معهد تلمودى» كان منها فى مصر نحو ١٧ مدرسة، حتى نهاية الأربعينيات، حيث كانت تلفظ: يشيبا.

يوم كيبور: عيد الغفران: اليوم العاشر من تشرى ووجب صومه على الرجال والنساء والأولاد فى سن الثالثة عشر، والفتيات فى سن الحادية عشر، رغم أن أسفار موسى لم تذكر شيئا عن الصوم ، ولكن اعتبر اليهود كلمة تذلل نفسك بمعنى الصوم وفى هذا اليوم يحرم العمل وإيقاد النار والاغتسال والتطيب وممارسة الجنس، بالإضافة إلى الامتناع عن الطعام والشراب، ويجب التضحية بكبش أو ثور وتوزع الصدقات، والذهاب إلى المعابد حفاة الأقدام وإعلان التوبة والندم وإذا وافق مجيئة يوم السبت، يسمى السبت الكبير وهو اليوم الذى يدخل فيه الحاخام الأكبر إلى «قدس الأقداس» غرفة مظلمة بالمعبد الكبير، وهو اليوم الوحيد الذى يذهب فيه جميع اليهود بدون استثناء للصلاة فى المعابد، وتبدأ الصلاة فى مغرب اليوم السابق بتلاوة «كل نذره » يتحللون بها من كل ما تعهدوا بوفائه!!

الباب السابع:

مصادر دراسة تاريخ يهود مصر في القرن التاسع عشر

تشكل مصادر دراسة تاريخ يهود مصر فى القرن التاسع عشر أهمية خاصة تتباين مع التوظيف السياسى للمؤلفات اليهودية الحديثة.

وذلك فى مجالين رئيسيين:

فالأول: يخص مجموعة مظاهر تاريخ اليهود المصريين فى هذا العصر، فمن الطبيعى أن يشكل جزءا كاملا من التاريخ العام لمصر،

وأما الثانى: فيضم بعض المظاهر الأخرى من تاريخ مصر فى هذا الوقت، إلا أنه أقل ايضاحا، ومؤرخو مصر الحديثة- فى مصر وفى الخارج قد استخدموا هذه المصادر استخداما محدودا.

ويبدو أن السبب فى ذلك، أن هؤلاء المؤرخين قد اكتفوا بالماديات الاكثر قبولا والتى تخص مصر الحديثة.

حينئذ فالمصادر اليهودية توافق جيدا المجالين السابق ذكرهما، ومن الأهمية أن نشير إليها وأن نتفحص الماديات الصالحة، وأن نقيم فوائدها من خلال البحث والتنقيب للمصادر التالية: وثائق، رسائل مذكرات أسفار، والكتابات الحاخامية، وأيضا الصحف، والدراسات الاحادية.

١- الوثائق اليهودية:

تعتبر الوثائق اليهودية قليلة الأهمية ، كمصدر لدراسة تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر، عن المصادر الرسمية التاريخية أو القانونية، فى مصر أو مجتمعات أخرى «١».

من بين المجموعات اليهودية، التى تحتوى على معلومات مفيدة، أربعة مجموعات تجدر الإشارة اليها: فالأولى من الوثائق الخاصة، أما الثلاثة الاخريات فهى عامة.

مجموعة وثائق «سير موزيس مونتيفيور- Moses Montefiore ١٧٨٩- ١٨٨٥م وهو أحد الشخصيات اللامعة لليهودية البريطانية فى القرن التاسع عشر.

وكتالوج هذه المجموعة الذى يجد فى رامسجات Ramsgate جزء لا بأس به قد انتقل فى سنة ١٨٩٩م إلى الكلية اليهودية Jews College بجامعة لندن تتضمن ٥٨٠ باب، يحتوى عدد كبير منها على كثير من الوثائق.

زار منتيفيور فلسطين سبع مرات، وفيما بين عامى ١٨٣٠ و١٨٤٠م جاء إلى مصر وتبادل الحديث مع محمد على عن وضع اليهود فى مصر، وفى فلسطين، وفى سوريا.

وتحتوى مجموعة منتيفيور على عدد من الرسائل، ووثائق أخرى، قادمة من مصر تختص بأعمال مصرية، وتستحق البحث بدقة.

ومن بين الوثائق العامة، توجد وثائق: الرابطة الإنجليزية Anglo Jewish Association والتحالف الإسرائيلى الدولى Alliance Israelite Universelle وارشيف المراكز الصهيونية.

فالأولى والثانية، كانت منظمات تزعم أن هدفها هو: العمل فى سبيل الإنسانية ورفع المستوى الثقافى عند اليهود فى بلاد الإسلام، وأيضا مساعدتهم تحت أى ظرف إذا ما تعرض أمنهم للتهديد «٢».

وكان تركيز التحالف الإسرائيلى العالمى هو عمل دراسات فى مختلف الموضوعات بالإضافة إلى ذلك فقد نشر «بول ديمونت- paul Dumont دراسة جيدة فى هذا الموضوع (٣) تناول فى جزء منها: مصر فى القرن التاسع عشر.

وعدد لا بأس به من نتائج هذه الدراسات قد طبقته الرابطة اليهودية الإنجليزية فى أعمالها فى مصر، وفى دول أخرى فى الشرق الأوسط!

وقد نشرت بعض التقارير الثقافية عن هذه الدول فى أجهزة الصحافة التابعة لهذه المنظمات التقرير السنوى للجمعية الإنجليزية اليهودية، ونشرات التحالف الإسرائيلى وقد ظل جزء كبير دون طباعة فى أرشيف لندن وباريس.

كثير من هذه الوثائق، يسهم فى دراسة التاريخ العام ليهود مصر، خاصة فى مجال الثقافة والتعليم العام، وأيضا فى المجال الاجتماعى الاقتصادى الذى يشكل مجالى نشاط هذه المنظمات.

وهذا مثال من بين أمثلة أخرى، بعض التقارير الصادرة من مصر بمعرفة هاتين المنظمتين، تتناول المدارس اليهودية التى اسستها ومنها نستقى بعض معلومات لا بأس بها عن التعليم الغير يهودى، خاصة فيما يختص بنشاط المجموعات المختلفة للإرساليات المسيحية!

وقد اجتذبت الإرساليات بنجاح الطلبة اليهود، وذلك كان أحد الأسباب التى حثت المنظمات اليهودية على إقامة مدارس يهودية فى مصر وفى بلاد غيرها.

وطبيعى كان هناك حالات تشغل هذه المنظمات، ولهذا فإن الباحث سيجد فى هذه التقارير كمية من المعلومات غير المباشرة عن نشاط الإرساليات فى مصر «٤».

وتحتوى الوثائق الصهيونية المركزية فى القدس على مواد مهمة جدا عن بداية الحركة الصهيونية فى مصر فى نهاية القرن التاسع عشر.

فى الحقيقة أن معظم هذه الملفات يرجع إلى نشاط المنظمات الصهيونية، بيد أن العديد من الوثائق قد أثار مشاكل إدارية التى تعكس بطريقة معبرة، الصعوبات المحلية للتنظيم عند اليهود اكثر منها عند غير اليهود «٥».

وبإيجاز.. فإن ظاهرة عدم التجانس» بين الطوائف اليهودية فى مصر، جعل منها طبقة منفصلة: اشكناز، وسفارديم، ويمنيين، ومغاربة، ومستوطنين، ومهاجرين جدد.

تناقضات اجتماعية حادة إلى حد ما، كبرج بابل للغات.

وبالمثل أيضا، تذكر هذه التقارير الصعوبات المرئية التى ترتبط بكل محاولة لتنظيم اليهود فى مصر.

أيضا إلى جانب المشاكل اليهودية الخالصة تشير إلى ظواهر التكاسل والتراخ وعدم القدرة على التنظيم دون أى مبادرة ادارية عليا، مشاكل وراثية تقريبا، بالنسبة إلى المجتمع المصرى فى هذا الوقت.

٢- الرسائل:

تعتبر الرسائل مصدرا مهما أيضا للمعلومات لا يمكن إغفاله، من قديم الزمان، وتلك عادة يهودية مزمنة هى أن تكتب بدقة.

هذا الاتجاه صار ضرورة فقديما عندما كانوا مشتتين فى أنحاء الأرض، لجأ اليهود

إلى هذه الوسيلة الخاصة للاتصال، لأسباب عائلية أو عملية. كثير من الرسائل مرسلة من الشرق الأوسط، عاشت، بعضها طبع، والبعض الآخر ظل على حالته اليدوية.

وعلى سبيل المثال، تم اختيار ثلاثة وتسعون رسالة، جمعها: ياعارى «٦» Ya,ari أحد هواة جمع الكتب كان يعمل فى المكتبة الوطنية فى القدس والذى نشر أيضا دراسات: عن تاريخ المطبعة العبرية فى الإمبراطورية العثمانية، و كتابه رسائل من فلسطين يتضمن رسائل صادرة من فلسطين فى عام ١٨٣٠، ويستقى منها شواهد ثقافية عن الإدارة المصرية فى فلسطين والثورات التى قامت فى هذا البلد.

وحتما سوف تجرى أبحاث مستقبلية وقد نكشف أيضا رسائل صادرة من مصر نفسها.

٣- المذكرات:

والمذكرات يمكنها أيضا أن تقدم عونا كمصادر ومع ذلك يبدو أن بعض من هذه المذكرات قد دونت فى مصر القرن التاسع عشر، والبعض الآخر يعود إلى القرن العشرين، لا ريب أنها قد سجلت مواداً تنتسب إلى القرن التاسع عشر. مصر بلدى Mon Egypte بقلم راشيل مكابى يمكن أن تفيدنا على سبيل المثال.

هذا الكتاب يحتوى على معلومات مفيدة جدا كان يتبادلها أفراد أسرة المؤلفة، تختص بنشاط الوالدين فى بلدية الإسكندرية، وعادات اليهود وغير اليهود فى مصر، وكذلك علاقاتهم الاجتماعية، وتفصيلات أخرى من نفس النوع نجدها فى طبعة أخرى، باللغة الفرنسية منشور تحت اسم مستعار «يهودية مصرية– Une juive Egyptienne «٩»».

وتنصب ملاحظاتنا على الجزء الخاص بالقرن التاسع عشر، بينما مذكرات المؤلفة تتناول فى معظمها أحداثا وقعت فى القرن العشرين.

كتب أحد المعلمين فى المدارس العبرية بالإسكندرية ويدعى تاراجان Taragan بحماس مدعم بخبرته الشخصية فى هذه المدينة حوالى نهاية القرن التاسع عشر.

وقد صدر كتابه باللغة الفرنسية تحت عنوان: «الطوائف الإسرائيلية فى الإسكندرية» ويفيد كذلك جزئيا فى التاريخ العام لمصرفى القرن التاسع عشر والأكثر أهمية من هذه الأعمال هى الفتاوى Responsa التى كتبها الحاخامات وتشمل الإجابات عن المسائل القانونية وعن أسئلة مرسلة اليهم.

وكان البروفيسور برنارد لويس من أوائل من لفت الانظار إلى أهمية هذا المصدر «١٤» كما يحاول يعقوب لانداو ابراز أهمية أدب الـResponsa فى دراسة التاريخ الاجتماعى

الاقتصادى للإمبراطورية العثمانية من وجهة النظر الإسرائيلية.

ومن الملاحظ أن أدب الفتاوى الجزء الخاص بمصر فى القرن التاسع عشر: الإجابات ذات طبيعة قانونية كانت مخصصة أساسا لتفسير القانون المكتوب ومع ذلك كان مضمونها يتعدى دائمًا هذا المظهر.. وفى الواقع كانت الأسئلة الموجهة إلى الحاخامات تختص بكل نواحى الحياة اليومية، ومن خلال الإجابات على هذه المشاكل، يستطيع المؤرخ أن يجد منجما من المعلومات، وترجع قيمتها إلى العناصر الاتية:

أ- الريسبونزا مصدر متنوع، يتناول موضوعات ذات أهمية خاصة لأصحاب الأسئلة، ولكنها تمثل طبيعة عامة بالنسبة لجمهور عريض.

ب- بما أن هذه المواد لم تكن مخصصة للتعميم، لكنها تطلعنا بصفة خاصة على العديد من التفصيلات المباشرة.

جـ- بفضل الصفة القانونية للأسئلة والأجوبة، هذا الأدب مصا غ بدقة ووضوح، وذلك ما يرفع من قيمته.

وفى أعمال حاخامات الإمبراطورية العثمانية وبعض الدول الأوروبية نجد أن بعضهم قد دون كثيرا من الفتاوى ليهود مصر ولعدة قرون اضف إلى ذلك، سلسلة من الكتب شديدة الشبه بالفتاوى جمعها «موشى باردو Moche pardo المولود فى القدس، وتولى العمل فى الإسكندرية كحاخام أكبر من عام ١٨٧١ إلى عام ١٨٨٣، ونشر فى هذه الفترة مؤلفا بعنوان اسمه موسى «Son Nom est Moise -١٦ والذى يتضمن فتاوى حررها هو بنفسه مع آخرين من الحاخامات ى هذا المجلد المكون من ٤٤٠ صفحة من القطع الكبيرة،كان من الطبيعى أن يركز باردو على الموضوعات القانونية التى تخص اليهود، ولكن بإمكاننا استخراج كثير من المعلومات تحت مظاهر أخرى غير قانونية.

ومن كل النواحى، يتميز هذا الكتاب باهمية خاصة عندما يناقش - ليس فقط المشاكل التى ولدت الانعكاس الثقافى للحاخامات طوال أجيال - ولكن أيضا عندما يتناول المسائل التى أثارها التحديث، منها على سبيل المثال عما إذا كان مسموحا لليهود أن يركبوا القطار يوم السبت «١٧» جزء كبير من الإجابات تناول العلاقات بين اليهود وغير اليهود، مشكلة ملحة فى مجتمع مختلط مثل مصر فى القرن التاسع عشر. مثال مميز يوجد فى إحدى الفتاوى والذى يجب أن يقرر ما إذا كان اليهود يستطيعوا أن يستخدموا غير اليهود ليعرفوا الموسيقى يوم السبت ١٨ ربما تكون الفتاوى الأكثر ملاءمة من الناحية التاريخية، تلك التى تهتم بالنزا ع بين اليهود وغير اليهود، سواء أمام المحكمة الحاخامية أو

أمام أى محكمة أخرى.

وكان الحاخامات يفضلون دائمًا أن يعرض النزاع على المحاكم الحاخامية ولكن الحياة فى مصر كانت تقرر دائمًا خلاف ذلك!

وكانت لمحكمة كل طائفة دينية سلطات واضحة التحديد قد تكون قاصرة فى بعض حالات المشاكل الشخصية ولكن بصفة عامة كانت المنازعات اليهودية وغير اليهودية تنظر أمام المحاكم غير اليهودية. وكان مما يثير حنق الحاخامات أن بعض اليهود، كانوا يقاضون إخوانهم فى الدين أمام المحاكم غير الطائفية. ويذكر منها «باردو» بعض الأمثلة التى تتعلق بالأعمال والعقود التجارية

ولا تشكل الفتاوى إلا جانبا من النشاط الثقافى للحاخامات فى مصر فى القرن التاسع عشر، وسنوضح بعض الأمثلة عن نشاطهم فى مجالات أخرى، كمصدر تاريخى فى هذه الفترة.

تشير بعض الكتابات إلى عادات اليهود المصريين وخاصة مظاهرها المميزة. فمن المؤكد، أن المقدمات المنطقية للحاخامات تظل دائما قانونية لاهوتية لذلك يجب البحث فيما إذا كانت هذه العادات تتفق مع القواعد الدينية.

ومع ذلك نجد فى مداولاتها مادة فكرية تهم الباحثين فمثلا يوم طوف يسرائيل Yom Tov Yisrael كان كبير الحاخمات فى القاهرة من عام ١٨٦٦م إلى ١٨٩٠م قد نشر فى سنة ١٨٧٣ كتيبا بعنوان عادات مصر.

ا فالباحث فى تاريخ المجتمع المصرى سيلاحظ دون عناء التأثير الكبير للعادات الشعبية على اليهود «١٩» ومن بينها الأمثلة التى ذكرها فى كتابه «يوم طوف بسرائيل».

فنجده يسرد بالتفاصيل عادة شرب القهوة، وعادة قص الشعر الأسبوعية.. وفى نصوص بيخور الياهو حازان Bekhor Elyyaho Hazzan ٢٠ الذى شمل أعمال الحاخام الكبير فى الإسكندرية من ١٨٨٨م حتى ١٩٠٨م كتب مؤلفا عن عادات اليهود فى مصر ثم يأتى «رافائيل آهارون بن شيمون»، كبير الحاخامات فى القاهرة من عام ١٨٩١م حتى ١٩٢٠م ليصدر فى نفس الموضوع كتابا بعنوان النهر المصرى أو : نهر القاهرة ونشر عام ١٩٠٨م «٢١» ومجموعة أخرى من الأعمال الحاخامية تخص أسماء اليهود. ويرجع السبب فى هذه الأعمال إلى المراقبة الجادة للقانون الدينى، فى هذه الحالة، يتعلق الأمر بعقود طلاق وبصلاحية أى عقد، ليس فقط بالنص الذى كان معيارا، ولكن على وجه الخصوص بالتفصيلات، التى من بينها الأشخاص المشار إليهم.

ونتعرف على كتابين من هذا النوع ، سجلت فيها العديد من أسماء الرجال والنساء مرتبة أبجديا. الأول كتاب: قرار المحكمة لموشى باردو «٢٢» ثم كتاب «الياهو» مستوحى من مؤلف «بيخور الياهور حازان» تحت عنوان «أسرار القلب» ٢٣.

ويتضمن الكتابات قوائم بمئات الأسماء، وبعض النصوص القانونية والأدبية وشروح فقهية ولغوية.

ينتمى جزء من هذه الأسماء إلى أصول عبرية، غير أن الجزء الأكبر منها يرد إلى أصول عبرية، لاتينية «يهودى أسبانى» أو عربية.

ويترتب على ذلك، أن هذه الأعمال يمكن الإفادة منها كمصدر مهم لاعداد أبحاث عن أسماء اليهود فى مصر ودراسة الأصول التى أنحدرت منها هذه الاسماء.

بعض حاخامات مصر تركز اهتمامهم على الكتابات القانونية المطلوبة للجمعيات الدينية التابعة للطوائف اليهودية.

ويبدو أن الأكثر شيوعا، هو كتاب « شالومو هزان»، كبير حاخامات الإسكندرية فى عام ١٨٣٢م حتى عام ١٨٥٦م بعنوان مرتقى سالومون أو فضائل سالومون «٢٤» هذا المؤلف عبارة عن سجل مفسر لأعمال كتبها حاخامات معاصرون ومن أجيال سالفة.

وأهميتها لا تكمن فقط فى الموضوع ذاته، ولكن أيضا فى أنها تعتبر وثيقة لتاريخ الطباعة بصفة عامة.

ثم أعد الحاخام «رافائيل اهارون بن شيمون» دراسة عن الحاخامات الذين عملوا بمصر فى عهود سابقة، تحت عنوان: صلاح مصر أو ثروة مصر «٢٥» يعتبر كتابا مفصلا عن الحاخامات ، حياتهم وكتاباتهم وأعمالهم وأوضاع الطائفة اليهودية فى عهودهم، وجانب من هذه المعلومات قد يكون مفيدا فى دراسة تاريخية عن مصر.

بالإضافة إلى ما سبق فإن هذا الكتاب يحتوى أيضا على مقدمة تناولت المعابد اليهودية القديمة والحديثة، فى القاهرة فى عصر بن شيمون إلى جانب إشارات عن حياة المدينة فى نهاية القرن التاسع عشر.

تناولت المصادر الحاخامية بكثير من التوسع وصلتها الوثيقة بالموضوع. لأنها تمثل الكم الأكبر من المعلومات عن يهود مصر فى القرن التاسع عشر. وفى هذا الصدد، تجدر الاشارة إلى المشاكل اللغوية عند يهود مصر فى ذلك العصر، والتعددية اللغوية حتى ولو كانت مهمة بالنسبة إلى أعمالهم، فإنها مثلت مشكلة ليهود مصر على الصعيد الثقافى والتعليم العام. وترتبط جميع الاقليات العراقية فى مصر بلغة مشتركة، فيما عدا اليهود،

والغالبية من اليونانيين والإيطاليين والأرمن، وحتى ولو كانوا على دراية بلغات أخرى، يتحدثون بلهجتهم القومية. أما اليهود على العكس من ذلك ليس لديهم لغة اجتماعية البعض يعرفون العبرية، والعربية، واليهودية والأسبانية، والفرنسية، والإنجليزية، والروسية، والرومانية، أو الألمانية ولكن ليست هناك لهجة جماعية مشتركة بينهم.

وكان من نتيجة هذا الموقف الشاذ الإضرار بكل ما كتب ونشر اليهود ، طالما أن جزء صغير فقط هو الذى يستطيع أن يقرأ باللغة التى نشرت بها هذه المؤلفات، هذه الحالة قد حددت القراء، وبالتالى المشترين

٦- الصحافة

إحدى نتائج هذا الوضع، كان عدم وجود صحافة خاصة بيهود مصر فى القرن التاسع عشر، على النقيض من الإنتاج الأدبى لليهود فى مجالات أخرى. فالدورية الأولى نشرة اليهودية التى ظهرت فى مصر كانت «المبعوث الصهيونى» باللغة الفرنسية نشرت منذ ١٩٠٢م، ثم مصراييم باللغة العبرية الأسبانية والعربية، وعربى بالحروف العبرية منذ ١٩٠٤م، وتبعتها أخريات باللغة العبرية الأسبانية وخاصة الفارا lavara فى ١٩٠٥- ١٩٠٨م هذه المطبوعات الدورية تقدم أيضا معلومات عن يهود مصر، وخاصة فى فترة نهاية القرن التاسع عشر. وعلاوة على ذلك فالنصف الثانى من القرن التاسع عشر، كان بعض اليهود المصريين يرسلون بانتظام تقارير فى شكل خطابات القراء إلى عدد من الدوريات اليهودية التى تصدر بالخارج: منذ ١٨٤٠م منها: Allegemeine zeit Des Ju-denthums نشرت فى برلين منذ ١٨٣٧م الوقائع اليهودية The jewish chronicle لندن من ١٨٥٠م ها مجيد باللغة العبرية lyck منذ ١٨٥٦م ها- ليفانون بالعبرية، باريس ثم ماينس منذ ١٨٦٤م» وDie welt« فيينا منذ ١٨٩٧م.

وقد أشرت هنا إلى الدوريات الأكثر أهمية فحسب وتساعدنا التقارير المكتوبة على اتساع نطاق معرفتنا عن يهود مصر. وكذلك عن علاقاتهم مع غير اليهود، وتمدنا بكثير من المعلومات عن الحالة العامة فى مصر فى هذا الزمان خاصة على الصعيد الاقتصادى، وأيضا على الصعيد السياسى، والصحة العامة والكثافة السكانية، وكل المعلومات مقدمة من وجهة نظر لها قيمتها للمراقب الداخلى

٧- الدراسات الاحادية:

أعد بعض اليهود المصريين دراسات متنوعة على مستويين مختلفين عن أوضاع يهود مصر، بصفة عامة فى القرن التاسع عشر، منها:

كتاب: موريس فارجيون بعنوان « اليهود فى مصر منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا «٢٦» تاريخ عام متبوعا بلمحة وثائقية خصص عدد كبير من الصفحات لمصر فى القرن التاسع عشر، ويمثل هذا الكتاب أهمية خاصة بسبب تحليله المفصل عن تطور العديد من المدن الصغيرة والمعلومات الإحصائية التى تتعلق بهذه المدن وكتاب آخر لنفس المؤلف أطباء ومحامون يهود فى خدمة مصر «٢٧» ومع مجموعة السير الذاتية التى كتبها بالتفصيل تساعد في إعداد الدراسات عن هاتين المهنتين فى القرن التاسع عشر، والعشرين.

توفيق سليمان أبو هيف الاسم المستعار لمسيو فارجيون أعد دراسة بعنوان العلاقات بين مصريين ويهود «٢٨» تضمنت كما هائلا من المعلومات عن هذا الموضوع والدراسات الأحادية التى قام بها نورى فرحى بعنوان: «الطائفة اليهودية بالإسكندرية القديمة حتى يومنا هذا» «٢٩» وأهتم بصفة خاصة بالقرن التاسع عشر، وفضلا عن ذلك تحتوى على بعض الوثائق المهمة.

بنسيون تارجان، سبق ذكره، كتب أيضا كتاب عنوانه: أربعون عاما من اليهودية السكندرية» «٣٠» عام ١٩٠٦م إلى ١٩٤٦م.

تناول الفصل الأول القرن التاسع عشر، ويتضمن معلومات عن الطائفة اليهودية بالإسكندرية ومعابدها ومؤسساتها الاجتماعية.

ومؤلف موريس مزراحى، بعنوان: «مصر ويهودها الزمن التام» «٣١».

تناول مصر فى القرن العشرين «حيث عاش المؤلف خمساً وخمسين عاما»، بيد أن الكتاب لا يجهل القرن التاسع عشر ويهوده، خاصة العلاقات بينهم وبين غير اليهود، فى مختلف المجالات.

أحد الأمور الطريفة أنه لم يهتم فقط بالمجالات المعروفة للاقتصاد، والثقافة ولكنه لم يتردد فى أن يطرق مجالات أخرى كالأنشطة الرياضية.

ولدينا فيما عدا ذلك الدراسات الحديثة بالعبرية مثل كتاب «مارتن سيلجر» بعنوان « سياسة أوروبا فى الشرق الأوسط: وبلورة هذه السياسة فى إطار محدد فى عصر محمد على، ثم مؤلفات جبريل ببير، عن التاريخ الاجتماعى لمصر.

ثم دراسة للباحثة: ايرين جندزيز بجامعة كمبريدج، عن يعقوب صنوع كواحد من اليهود القلائل الذين انغمسوا فى الحياة السياسية فى مصر.

وآخر المصادر الحديثة، كتاب البروفيسور شيمون شامير أول مدير للمركز الاكاديمى

الإسرائيلى والسفير الإسرائيلى الأسبق بالقاهرة بعنوان« يهود مصر «٣٢» هذه المصادر القديمة والحديثة أسهمت فى تشكيل صورة عامة عن يهود مصر فى القرن التاسع عشر فى المجالات القانونية والقضائية والاقتصادية، والتجارية والتعليمية وكذلك فى مجال العلاقات بين مختلف الجماعات العرقية.

Bibliographie

1- Andre Raymond, les Documents du mahkama comme source pour i,histoire economique et sociale de i,egypte au xviii xiecle dans les Arabes par leurs archives xvi -xx xiecle paris cnrs 1976 pp. 125-129
2- narcisse levin cinquante ans d,histoire:l,alliance israelite universalle (1860-1910) 2 tomes,paris, alcan, 1911-1920
3- paul dumont, jewish communities of turkey during the gast decades of the nineteenth century in the light of archives of the alliance israelite universelle prepare pour ia princeton millet confrance de juin 1978
4- j.m. landau jews in nineteenth century egypt new york university press 1969 pp. 159-160 272-274, 310-311
5- ibed pp.191-194, 239-241, 312-314, 322-326.
6- a. ya,mare iguerot erets-israel tel avev, gazit 1943:2 edition,1950.
7- en hebreu:r.makkabi metsrayim chelli merkhav- ya, sifriyyat, poalim,1968.
8- Geneve editions de i,avenir 1971.
9- Alexandrie, editions jueves degypte, 1932.
10- Michel levy, cinq annee de voyages en orient,1846-1851, paris, 1856.
11- j.j. benjamin, acht jahre in asien und afrika von 1846 bis 1955. hannover.publie par iauteur,1858.
12- ibid pp. 311-322.
13- en hebreu:e.deunard massa be-erets ha pedem, preeburg,levy et alcalay,1882/3.
14- Bernard lewis, sources for the economie history of the middle eastS dans ma. cook ed. studies in the economic history of the meddle east from the rise of islam to the present day londres oxford university press 1970, particulierement,p.91.
15- der isiam tome 54,no 2, 1977,pp.205ff.
16- en hebreu:sefer w-chemo moche,smyrne,imprimerie ben sion benjamin,1874.
17- ibid pp. 21 verso ff.
18- ibed,pp.32ff

19- en hebreu:yom tov yisra,el sever minhoguey mitsrayim jerusalem, imprimerie yo,el moche,1873.
20- en hebreu:eliyyaju hazzan, sefer kaveh chalom alexander impuimerie farag hayyim mizrahi,1894: 2edition alexandrie.
21- en hebreu:refel aharon ben chimon nehar mitsrayim, alexandrie, imprimerie farag hayyim mizrahi,1908.
22- en hebreu:moche pardo.sefer hora,a de veyt din smyrne, imprimerie ben sion benyamin 1872.
23- en hebreu:eliyyahu hazzan, sefer devar eliyyahu, alexandrie, imprimerie farag hayyim miarahi 1900.
24- en Hebreu:chelomo hazzan sefer ha ma alot iichelomo. alexandrie imprinerie farag hayyim mizrahi,1894.
25- en hebreu:aharon ben chim,on sefer tuv mitsrayim,jerusalem imprimerie zuckerman, 1908.
26- le caire maurice sananes editeur imprimerie paul barbey,1938.
27- le caire, imprimerie lencione,1939 cet ouvrage fut publie parait il en deux tomes desquels jai puconsultte siulement celui sur les medicins.
28- t.s. abu heif m. fargeon les relations entre egyptiens et juifs. alex imprimerie salah el dine. 1939.
29 noury farhi: la communite juive dalexandrie de i,antiquite anos jourw alex 1945.
30- ben sion taragen: quarante ans du judaisme alexandrin alex impr. palombo 1947.
31- M. mizrahi:legypte et ses juifs, le temps sevol lausanne, 1977.
32- shimon shamir:the jews of Egypt Amediter Ranean society in modern times london 1988.

الأيام الأخيرة

وبعد أن انقضى العصر الذهبى ليهود مصر..كيف يعيش ما تبقى منهم أيامهم الأخيرةبعد ما شهدته الطائفةمن ازدهار اقتصادى واجتماعى فى أحضان مصر.

بدءا من ١٢من نوفمبر عام ١٩٥٦م بدأت أوسع هجرةلليهود من مصر، وكان ذلك أمر متوقع بعد شن إنجلترا وفرنسا وإسرائيل حربا على مصر فى أكتوبر من العام نفسه، ففى أول نوفمبر عام ١٩٥٦م صدر أمر عسكرى يخول للحارس العام على ممتلكات المتغيبين عن البلاد الإشراف على ممتلكات المسجونين السياسيين بل وبيعها، وبعد أيام قلائل أعلن عن اعتقال مئات من اليهود وتحويل ممتلكاتهم إلى الحارس العام، وكان من بين المعتقلين بعض من أغنى رجال الطائفة اليهودية، ونتج عن هذا أن ألوفا من اليهود غادروا البلاد فجأة دون مال، وفى خلال الأيام الأولى من نوفمبر صدرت أوامر لليهود بتحزيم جانب صغير من متلعقاتهم ومغادرة البلاد فى خلال بضعة أيام ولم يسمح لأى منهم بأخذ أى شىء من متعلقاتهم سوى ٣٠ جنيها مصريا نقدا وما يساوى ١٤٠ جنيها من المجوهرات، وما لاحد له من البضائع المصريةمثل الملابس والأحذية، وخلال الفترة من منتصف نوفمبر ١٩٥٦ وحتى سبتمبر ١٩٥٧ أبعد بهذه الطريقة أكثر من ٢١ ألف يهودى، واستمرت عملية الترحيل ببطء فى السنوات التاليةوغادر البلاد كثيرون من اليهود بناء على رغبتهم بعد أن سدت سبل العيش فى وجوههم.

وفى عام ١٩٥٧م صدر القانون رقم ٢٤ الذى قضى بوقف نشاطات الوكالات التجارية، وكان ذلك أحد العوامل المساعدة على دفع أغنياء اليهود للهجر من مصر، وفيما بين عام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٠م اتضح أن عدد اليهود الذين خرجوا من مصر قد وصل إلى أكثر من ٦٥ ألف يهودى حيث يبين إحصاء عام ١٩٦٠م أن عددهم فى مصر قد تجاوز الثمانية آلاف، ومن بين هؤلاء جميعا وخلال الفترة نفسها وصل إلى إسرائيل ٢٥ ألف مهاجر يهودى مصرى فقط، أما الباقى والذى يصل إلى أكثر من ٤٠ ألف مهاجر فقد ذهبوا إلى بلدان أوروبا والامريكتين، وحتى من تبقى من اليهود فى مصر بعد كل هذه الإجراءات فقد تعرض بدوره للمصادرة والتأميم بعد القرارات الاشتراكيةبين عامى ١٩٦١-١٩٦٢م ويقدر عدد من خضعت أموالهم للمصادرات فى هذه الفترة بحوالى خمسة آلاف يهودى. وتذكر الموسوعة اليهودية أن معظم الجمعيات اليهودية والمدارس قد أغلقت فى أعقاب الهجرة الجماعية لليهود عام ١٩٥٧م ولم يعد لهم تجمعات طائفية، واصبح رئيس حاخامات القاهرة هو رئيس الطائفة اليهودية فى مصر كلها.

كان من الواضح إذن أن المراحل الأخيرة لتاريخ اليهود فى مصر قد بدأت منذ أوائل الستينيات، ففى إحصاء عام ١٩٦٠م كان عدد اليهود فى مصر ٨٥٦١ شخصا موزعين على محافظات مصر.

وتذكر الموسوعة اليهودية أن عدد من بقى من اليهود فى مصر عام ١٩٦٠م من الاشكناز لا يزيد عن ٥٠ شخصا أما الباقى من السفارديم، ومن بين العدد الكلى لليهود والبالغ ٨٥٦١ شخصا فى هذا الإحصاء كان عدد الحاصلين على الجنسين المصرية ٣١٣٥ شخصا والباقى ٥٤٢٦ اجنبيا بدون جنسية ومن الواضح أن اليهود الذين كانوا يعيشون فى مصر والذين حرموا من العمل فى المؤسسات العامة، كانوا يعملون فى الأعمال الحرة كتجار، ولأن طائفة اليهود القرائين هى التى عملت فى هذه المهن تجارة الذهب والفضة والملابس فيبدو أن الغالب على اليهود المصريين آنذاك أنهم كانوا ينتمون لطائفة القرائين، أما الأجانب منهم فلا يعرف شىء عن انتمائهم المذهبى ومن المهم إبراز حقيقة أن معظم من هاجروا من مصر لم يذهبوا إلى إسرائيل وتشير الإحصاءات الإسرائيلية إلى هذه الحقيقة بوضوح فبين عام ١٩٤٨م، وعام ١٩٨٧م بلغ عدد اليهود الاسرآئيليين من ذوى الأصول المصرية والسودانية ٣٠١٠٢، أى أن عدد من ذهب إلى إسرائيل من بين قرابة ٧٥ ألف يهودى عاشوا فى مصر حتى عام ١٩٤٧ لا يزيد عن ٤٠٪، وقد شكل هؤلاء نسبة ١،٦٨٪ من المجموع العام للمهاجرين اليهود فى الفترة نفسها من شتى أنحاء العالم.

وعندما وقعت هزيمة يونيو عام ١٩٦٧م كان عدد اليهود فى مصر يتراوح ما بين ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ شخص، أما الإحصاء الرسمى فقد قدرهم عام ١٩٦٨-٢٥٠٠ شخص، وقبل ذلك بأربع سنوات وفى ٢٤ من فبراير عام ١٩٦٤م نشرت مجلة المصور مقابلة مع وكيل الحاخام حاييم دوبك، جاء فيها أن عدد اليهود وقتها بلغ خمسة آلاف نسمة، أما الإحصاء الرسمى الصادر عام ١٩٦٦م فقد قدر عدد اليهود ٢٤٨٤ شخصا وقد تسببت حرب عام ١٩٦٧م فى إلقاء القبض على عدد من اليهود لأسباب تتعلق بأمن الدولة، وفيما قدرهم حاييم دوبك حاخام اليهود انذاك بحوالى ٤٠٠ معتقل، صرح وزير الداخليةالمصرى فى ١٩٦٧/١/٢٢ بأن عدد المعتقلين من اليهود بلغ ٢٥٧ شخصا من جملة ٣٥٠٠ يهودى مصرى.

والواضح أن الأرقام متضاربة سواء فى تقدير عدد اليهود الذين كانوا يعيشون فى مصرحتى ذلك الوقت، أو عدد المعتقلين فى أوساطهم لأسباب أمنية، وعلى أيةحال فقد أفرج عن معظم المعتقلين اليهود عام ١٩٧٠. واستمرت حركة الهجرة بين شباب اليهود ولم يعد يعيش فى مصر سوى العجائز وكبار السن، وتختلف التقديرات اختلافا كبيرا فى هذا الشأن ففى ١٩٧٧/٧/٢١م نشرت جريدة الجمهورية مقابلة مع رئيس مجلس الطائفة فى مصر، فيلكس سامباتورى جاء فيها أن عدد اليهود فى مصر ٣٠٠ شخص، منهم ١٤ فقط كانوا يعيشون فى حارة اليهود!

وبصفة عامة، لم يعد هناك اليوم سوى عدد من كبار السن يزيد قليلا عن مائة شخص يعيشون إما على بيع ممتلكاتهم أو ممتلكات الطائفة، بالإضافة إلى المساعدات التى يتلقونها من منظمة الجيونت وهى منظمة دولية يهوديةتتولى تقديم العون لكل الطوائف اليهودية بالعالم، كما يوجد بعض اليهود الذين يحصلون على معاشات من الجهات التى كانوا يعملون بها قبل بلوغهم سن المعاش.

وفى لقاء مع كارمن ونشتاين رئيس الطائفة الربانية بالقاهرة تقرير الحالة الدينية فى مصر الاهرام- ١٩٩٨ كانت الجمعية العمومية للطائفة بالقاهرة قد قررت فى نهاية عام ١٩٩٥م إقالة رئيسها إميل روسو بسبب سوء إدارته لأموال الطائفة وتسببه فى ضيا ع بعض ممتلكاتها أو بيعها بثمن أقل من قيمتها الحقيقية، واستخدمت قضية بيعه لمعبد بورسعيد كسبب رئيسى للإقالة وقد اختارتالطائفة الربانية مدام ونشتاين التى ترفض إجراء أى مقابلات مع الباحثين لتحل محل اميل روسو ولكن نظرا لكبر سنها فإن ابنتها كارمن ونشتاين تولت إدارة الطائفة بالإنابة عنها.

تقول كارمن كانت الحياة الدينية لليهود تسير على خير ما يرام معظم الأحيان، وكان هناك ٣٤ معبدا بالقاهرة وحدها، ١٣ معبدا فى حارة اليهود، ولم يكن المصريون يتعرضون لليهود فى ممارسة شعائرهم الدينية وحتى عندما أحرق بعض المتطرفين معبدا للطائفة الإسكنازية عام ١٩٤٧م عرضت الحكومة المصرية اعادة بنائه على نفقاتها الخاصة ولكن فى مكان آخر لم تذكر كارمن مكان هذا المعبد المحترق إلا أن رئيس الطائفةرفض وقامت الطائفة بإصلاح المعبد على نفقتها فى المكان نفسه. ومع مرور الوقت ومع اضطراد هجرة اليهود خارج مصر أهملت هذه المعابد وأصبح معبد موسى بن ميمون مهددا بالانهيار بسبب زيادة منسوب المياه الجوفية أسفله.

وبالنسبة للأطعمة اليهودية الخاصة أو طعام الكوشير أى المجهز على الطريقة الشرعية وفق التقاليد الدينية اليهودية فتقول كارمن أن الطائفة كانت تقيم مخابز خاصة بها لإنتاج الخبز والفطائر الملائمة لكل الأعياد الدينية اليهودية وكان هناك مخبز فى ميت غمر ينتج الماتسا وهو خبز غير مخمر كان يتناوله اليهود المتدينون طيلة الوقت، أما اليهود غير المتدينين فكانوا يستعملونه فقط فى الأعياد الخاصة بذلك وخاصة فى عيد الفصح أو البيسح، كما كان هناك فرن آخر أيضا فى حارة اليهود لخدمة ما يزيد على سبعة آلاف يهودى هم سكان الحارة والطعام الكوشير لا يقتصر فقط على الخبز بل يتعداه إلى اللحوم حيث لم يكن مسموح لليهودى بتناول لحوم مذبوحة على غير الطريقة اليهودية، وكان أحد الحاخامات يتولى الإشراف على هذه الذبائح للتأكد من مطابقتها للشريعة اليهودية، ويحرم اليهود أكل الخنزير والجمال والأرانب والسمك غير المغطى بالقشر وأنواعا معينة من السمك مثل سمك الثعبان.

أما عن طقوس الصلاة فتقول كارمن: إن عددا قليلا من اليهود كان ملتزما بالفعل بهذه الطقوس ويؤدى اليهود الصلاة مرتين فى الصباح والمغرب ويمكن تأديتها فى المنزل، ولكن الصلاة الجماعية تتم فقط يوم السبت ويلزمها عشرة رجال على الأقل لتصبح مقبولة شرعا وقد توقفت هذه الصلوات الجماعية منذ ما يزيد على عشر سنوات، إما بسبب كبر سن معظم من بقى من اليهود وصعوبة انتقالهم من الأحياء التى يعيشون فيها إلى مكان واحد داخل القاهرة لأداء الصلاة، وإما لعدم حرص بقايا الطائفة على هذه الطقوس بسبب انتشار الأفكار العلمانية بينهم، ومع ذلك فإن الاحتفال بالاعياد اليهودية يظل آخر العلامات الباقية على وجود الطائفة اليهودى، حيث يأتى أحد الحاخامات من إسرائيل كل عام فى عيد رأس السنة اليهودية لإقامة الصلاة الخاصة بهذا اليوم ويتم استكمال العدد

القانونى من اليهود اللازمين لإقامة الصلاة الجماعية بالاستعانة بالسياح الإسرائيليين الذين يتواجدون فى مصر فى ذلك الوقت والفارق الأساسى بين صلوات الاشكناز والسفارديم أن الاشكناز يصلون باللغة اليديشية، والسفارديم يصلون باللغة العبرية.

وتضيف كارمن: حتى أواسط الخمسينيات كانت رئاسة الطائفة بالانتخاب ولكن مع نزوح أعداد كبيرة من اليهود خارج مصر اصبحت رئاسة الطائفة تتم عبر ترشيح شخص واحد للاستفتاء عليه، وعادة ما كان يتم اختياره على أسس مستوى التعليم والمكانة المهنية والاجتماعية وبعد سفر معظم الاشكناز وهجرتهم من مصر أصبحت رئاسة الطائفة فى السفرديم. ويتولى رئيس الطائفة عملية إدارة المصالح المالية والممتلكات الباقية للطائفة وكذلك الجمعية الوحيدةالتى مازالت قائمة وهى جمعية «قطرة اللبن» التى تأسست عام ١٩٢٠م، وتقوم هذه الجمعية بمساعدة المحتاجين والفقراء من أبناء الطائفة، والجمعية مسجلة فى الشئون الاجتماعية وتخضع لقانون الجمعيات الأهلية.

ورغم أن المراجع التاريخية تشير إلى أن الاشكناز والسفارديم التابعين للطائفة الربانية قد توحدوا عام ١٩٤٧م وأصبحت لهم إدارة واحدة إلا أن كارمن وينشتاين تنفى ذلك وتقول أن ما كان حادثا بالفعل هو انفصال الطائفتين بدليل أنه فى أعقاب عام ١٩٦٧م هاجرعدد كبير من الاشكناز الباقين ولم يعد هناك سوى بضع عشرات منهم فأعلنوا انضمامهم للسفارديم، كما تبرع الاشكناز الذين هاجروا بما تبقى لهم من ممتلكات إلى السفارديم، وهذا يؤكد أن الطائفتين كانتا منفصلتين حتى عام ١٩٦٧م، وكان لكل منهما حاخامها الخاص ورئيسها الخاص أيضا وتؤكد كارمن على أن احتكار الاشكناز لرئاسة الطائفة لسنوات طويلة جاء لأسباب عديدة كان أهمها أن الاشكناز كانوا أكثر ثقافة من السفارديم، وكانت الأنشطة الفكرية والثقافية للطائفة اليهودية محصورة إلا باستثناءات قليلة فى أوساط الاشكناز وحدهم دون السفارديم والقرائين، وعن الانفصال الذى قام بين الربانيين بمن فيهم الاشكناز والسفارديم وبين القرائين تقول كارمن: أن العامل الحاسم فى نظر الربانيين إلى القرائين على أنهم غير يهود أو أنهم خارجون على الملة اليهودية هو كتابات موسى بن ميمون التى أدانتهم وأوضحت مدى خطأ معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

وفى حديث أجرى مع السيدة «فينيت» رئيس الطائفة اليهودية السابقة فى القاهرة فى شهر أكتوبر عام ١٩٨٧م قالت أن عدد اليهود فى مصر الآن لا يزيد عن ١٢٠ شخصا أغلبهم من كبار السن وهم أفراد متناثرون بمعنى الكلمة إذ أن الأسر تكاد تكون غير

موجودة باستثناء أسرتين أو ثلاث، هؤلاء الـ١٢٠ يعيشون على بيع بعض ممتلكاتهم أوعلى الإعانة التى خصصتها أحد المنظمات اليهوديةالدولية وهى لا تتعدى ٥٠ جنيها مصريا لكل فرد، وعن حياتهم فى مصر قالت فينيت: «نحن نعيش فى مصر كأى فرد من أفراد الشعب ونختلط بجيراننا المسلمين والمسيحيين ولنا صداقات كثيرة، ولا نشعر بتفرقة من أى نوع، والمشكلةالوحيدة التى نعانيها أننا أصبحنا طائفة على وشك الانقراض فلا توجد اسر لكى تتناسل وتعوض من يموتون، وحتى المعابد الباقية وعددهم ١٢ معبدا أصبحت معابد مهجورة وأحيانا ما تقام الصلاة فى معبدين أو ثلاثة من هذه المعابد. .وحتى المعابد لا تفتح فى أيام السبت لأن الصلوات الجماعية تشترط عددا من الرجال لا يقل عن عشرة أفراد أو اثنى عشر عند طوائف أخرى، هذا العدد يصعب استكماله فى مواعيد الصلاة الأسبوعية نظرا لأن عدد الرجال فى الطائفة قليلة بالنسبة لعدد النساء، كما أن الحالة الصحية لمعظمهم لا تسمح لهم بالذهاب لإقامة الصلوات.

ويقول «روبير نحمان» سكرتير الطائفة اليهودية بالقاهرة والذى يقوم أيضا بمهمة رعاية الشئون الدينية حيث لا يوجد حاليا حاخام للطائفة فقط فى المناسبات الدينية الكبرى يحضر حاخام من إسرائيل يقول الخواجه روبير أن بالقاهرة ١٩٤ امرأة يهودية و٤ رجال فقط، أما عددهم فى الإسكندرية فلا يزيد عن ١٥ يهوديا!..

ولا يوجد شباب يهودى فى مصر فى سن الثلاثين أوحتى الخمسين ومنذ ٣٥ عام شهدت القاهرة آخر حفل زواج يهودى، كل الرجال اليهود سافروا خارج مصر حتى يؤمنون مستقبل أولادهم.

ولا يوجد حاخام ليهود القاهرة وكان آخر حاخام منذ ٢٥ عاما، وأقوم بدوره لو كانت هناك صلاة جماعية وفى أغلب المناسبات والاحتفالات الدينية اليهودية يحضر إلينا حاخام من إسرائيل مرتين أو أكثر فى السنة وبرفقته بعض اليهود حتى يكتمل العدد عشرة اشخاص لإقامة صلاة الجماعة ويصلى يهود القاهرة صلاة فردية عادية فى معظم الأوقات ولم نحتفل منذ أربعين عاماً بعيد ميلاد، فليس لدينا أطفال يهود صغار.

ومعظم اليهوديات متزوجات من مسلمين أو اقباط وبعضهن مازلن على الديانة اليهودية وتساعدهن الطائفة ماديا ومعنويا ولدينا ست سيدات اعتنقن الإسلام والمسيحية.

وليست لنا مطالب من الدولة فعددنا بسيط ولا نعمل فى السياسة والطائفة غنية وتنفق علينا.. أنا شخصيا أتلقى ٢٥٠ جنيها شهريا إعانة من الطائفة، أما السيدات اللواتى لا يعملن أغلبهن يحصلن على مساعدة مالية قدرها ٢٠٠ جنيه كل شهر.

وغير صحيح أننا كطائفة طالبنا وزار الثقافة بإنشاء معبد أو متحف جديد أو حائط مبكى فى القاهرة كما ردد البعض فى الآونة الاخيرة كيف نطلب هذا بينما لا يوجد فى القاهرة رجال يهود سوى أربعة فقط أنا واحد منهم لم نطلب شيئا من أى جهة رسمية على الإطلاق.

ومعظم العاملين بالمركز الأكاديمى الإسرائيلى وبالسفارة الإسرائيلية يحضرون للصلاة فى المعبد اليهودى بشارع عدلى والسفير الأميركى دانيال كيرتز يأتى مع زوجته فى المناسبات الدينية الكبيرة وكذلك السفير الإسرائيلى ولكن كل بمفرده.

المركز الأكاديمى الاسرائيلى يمنحنا فى الأعياد الدينية التى تستمر ثمانية أيام عيش الكاشير ورقاقا ولحوما وعلبا غذائية يهودية معينة تأتى إلينا من إسرائيل، قبل ذلك كنا نأخذ تلك المعونات من الولايات المتحدة الأمريكية ثم من فرنسا.

كل الأدوية وأجور العلاج لليهود بالمستشفيات تدفعها إسرائيل عن طريق الأصدقاء القادمين من الولايات المتحدة الأميركية من منظمة يهود أمريكا، أنا شخصيا أتسلم من ٥٠ إلى ٦٠ جنيها شهريا كأدوية نظرا لإصابتى بالقلب.

بالمناسبة السيدة هيلارى كلينتون فى زيارتها للقاهرة منحت الأقباط عدة ملايين من الدولارات رغم أننا كيهود نحتاج أكثر منهم ولكن مدام كارمن لم تتحدث معها فى هذا الأمر.

معبد الكربة بمصر الجديدة لا نقوم بأداء الشعائر والصلوات فيه، نصلى فى معبد المعادى الذى قامت الطائفة بإصلاحه وترميمه على نفقتها الخاصة.

بطلنا ندفن موتى اليهود فى مقابر الطور بسبب مشكلة المياه الجوفية هناك الآن ندفن فى مقابر اليهود بالبساتين التى اشتريناها بـ٢ مليم للمتر منذ سنوات طويلة شوف دلوقت المتر هنا بكام نحن لا نبيع أو نشترى فيها.. هناك يهود خارج إطار الطائفة عددهم من ٢٠ إلى ٣٠ ليست لهم علاقة بالطائفة.

لم أر السيدة «ليا» زوجة د. بطرس غالى مرة واحدة فى المعبد فهى لا تأتى للصلاة عندنا!!

ويعتقد جو هرارى رئيس الطائفة اليهودية بالإسكندرية أن من كتبوا عن معاناة اليهود فى مصر فى خلال السنوات الأخيرة من الأربعينيات وحتى نهاية الستينيات قد بالغوا كثيرا فى تصوير هذه المعاناة وخلطوا بين معاملة الدولة لليهود الأجانب وبين معاملتها لليهود المصريين ويقول هرارى الذى ولد فى ١٣ من أبريل عام١٩١٢م فى حى وكالة

الليمون أحد أفقر أحياء الإسكندرية أنه عاش طيلة حياته فى مصر دون مشاكل، وحتى كونه من أسرة سورية نزحت لمصر فى منتصف القرن التاسع عشر ولم تحصل على الجنسية المصرية فهذا لم يخلق له مشكلةحقيقية، فعندما بلغ سن التجنيد دفع ما كان يسمى بالبدل وقيمته عشرون جنيها حتى لا يتم تجنيده وهو تقليد كان شائعا فى مصر قبل توقيع معاهدة عام ١٩٣٦م، وقد استخدم جو هرارى وثيقة البدل لكى يثبت جنسيته المصرية، وعندما تعرض اليهود الأجانب أو الذين صنفوا على أنهم بدون جنسية للطرد بعد حرب عام ١٩٥٦م لم يسر هذا الإجراء على هرارى الذى ظل يعمل فى الدكان الذى يملكه والمتخصص فى تجارة أدوات الخياطة.

ولا يتذكر هرارى أنه تعرض لأى نوع من المضايقات من جيرانه حتى فى أحلك الأوقات خاصة بعد هزيمة يونيو عام ١٩٦٧م، وعن وصوله لمنصب رئيس الطائفة اليهودية بالإسكندرية رغم أنه أمى لا يقرأ ولا يكتب وإن كان يتحدث العربية والفرنسية يقول هرارى «لقد ظللت عضوا بالجمعية اليهودية – الاسم الذى استخدمه بدلا من الطائفة لمدة أربعين عاما وفى خلال هذه السنوات كانت أعداد اليهود فى مصر تتناقص بسبب الهجرات الكبيرة للشباب اليهودى فى مصر وكذلك بسبب معدل الوفيات الطبيعى، ولا تعرف الطائفة منذ عام ١٩٥٦م أى نظام انتخابى لاختيار رئيس الطائفة بل يتم اختيار أحد الإشخاص الذين يحظون بقبول معظم اليهود ويقول هرارى أن موت أغلب رجال الطائفة من أصحاب المهن المرموقة مثل الأطباء والمهندسين والمحامين قد مكنه فى النهاية من الوصول لمنصب رئاسة الطائفة رغم أنه لم يتلق أى نوع من التعليم.

وحاليا لم يعد هناك سوى ٥٠ يهوديا فى الإسكندرية منهم ٤٥ امرأة وخمسة رجال، ولأن الشريعة اليهودية تشترط إقامة صلوات السبت فى وجود عشرة رجال على الأقل فإن اليهود الذين مازالوا على قيد الحياة لا يؤدون صلوات جماعية ويقوم كل منهم بالصلاة بمفرده ورغم ذلك يقول هرارى أنه لم يكن متدينا طيلة حياته ولم يتزوج أيضا ويعتقد أن الصلاة اليهودية الآن تقتصر على الأعياد والمناسبات الدينية، ويقوم حاخام إسرائيلى اسمه البير شيرازى بالحضور إلى مصر فى عيد رأس السنة العبرية وعيد الفصح لإقامة شعائر الاحتفال حيث لا يوجد بالإسكندرية أى شخص يمكن أن يتولى منصب الحاخامية وتدلل سكرتيرة الطائفة لينا متانيا وهى من أسرة يونانية سكنت الإسكندرية منذ القرن الماضى على عدم اعتناء اليهود بالمسائل الدينية بقولها: أننا نأكل أكل الطريق، أى أكلا عاديا فى مقابل الطعام الكوشير أى المحلل دينيا والذى يجب أن تجرى عليه طقوس دينية

خاصة بالنسبة للحوم والخبز ويقول هرارى نحن نعيش كمصريين مسلمين أو مسيحيين ونأكل من أكل السوق شأن أى أسرة مصرية والطعام الكوشير نتناوله مرة أو مرتين فى السنة عندما يأتى الحاخام شيرازى من إسرائيل لإقامة الصلوات فى الأعياد».

عن الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية للطائفة يقول هرارى: لم يعد لليهود فى الإسكندرية أى نشاط يذكر فقد أغلقت كل النوادى والجمعيات اليهودية بل والمستشفيات والمدارس أيضا منذ أوائل الستينيات وحاليا أصبح جميع أفرادها من كبار السن وبعضهم فقير تقوم الطائفة بالإنفاق عليه وعلاجه وبعضهم دخل بيوت المسنين ليعيش فيها أيامه الأخيرة نظرا لعجزه عن خدمة نفسه وتتلقى الطائفة معونات من بعض المؤسسات اليهودية الخيرية إلى جانب الدخل الذى تحصل عليه من أملاكها وهى عبارةعن بعض العمارات التى تؤجرها الطائفة منذ سنوات طويلة لسكان لا يدفعون سوى إيجارات قليلة وهناك بعض اليهود أيضا يتلقون معاشات من الأعمال التى كانوا ملتحقين بها سواء فى القطاع العام أو الخاص.

وعن علاقة الطائفة بالإسكندرية بنظريتها فى القاهرة، قال هرارى: ليست هناك علاقات بين الطائفتين، هناك زيارات كان رئيس الطائفة القرائية فى القاهرة يوسف القدسى يقوم بها من حين لآخر للإسكندرية ولكنه لم يكن يقبل الصلاة فى معابد الطائفة التى تنتمى للربانيين وقبل وفاة القدسى عام ١٩٩٦م حضر إلى الإسكندرية وتحدث عن مشكلة مقابر اليهود فى القاهرة والتى قامت الدولة بنقل بعضها حتى لا تتعرض للطريق الدائرى الجديد للقاهرة، ويقول هرارى أن الطائفة بالإسكندرية لا تعانى هذه المشكلة حيث تمتلك الطائفة ثلاث مقابر، واحدة فى الأزاريطة والأخريات فى الشاطبى، ومعبد فى المنشية غير مستغل على الاطلاق ويخشى هرارى أن يموت اليهود الباقون جميعا ويتساءل كيهودى يؤمن بضرورة الحفاظ على عظام الموتى كاملة على مر الزمان ما هو مصير عظامنا بعد أن تنتهى الطائفة بالكامل.؟!

نتائج الدراسة

وبقى أن أضيف لهذه الطبعة، عدة استنتاجات علمية من هذه الدراسة كان أهمها:

– أن اختلاف الدين بين أبناء المجتمع الواحد ليس مبرراً لادعاء التمايز الحضارى والاجتماعى والثقافى، كما يزعم المؤرخون الإسرائيليون المعاصون!.. فالثقافة الفرعية للأقليات الدينية تصب عادة فى المجرى العام لثقافة المجتمع كله.

– أن المهاجرين اليهود ذوى الأصول الأوربية، حملوا معهم عقد الانعزال وإدعاء التمايز والاستعلاء على البشر، وهم الذين كانوا فى مجتمعاتهم الأوروبية عرضة لكراهية الأمم الأخرى.

– أن الطوائف اليهودية ذات الأصول العربية والتى عاشت تحت مظلة الحضارة الإسلامية لم تعرف العزلة الاجتماعية داخل الجيتو التى ميزت الوجود اليهودى فى أوروبا!

– تؤكد المصادر التاريخية أن المجتمعات العربية لم تعتبر اليهود جالية اجنبية وإنما اعتبرتهم عربا اعتنقوا الدين اليهودى، وبالتالى فإن سلوكياتهم الاجتماعية وتفاصيل الحياة اليومية لم تميزهم عن بقية أبناء المجتمع.

– أكدت تلك المصادر ، وهذه الدراسة، على أن الطائفةاليهودية فى مصر كانت تمارس شعائر وطقوس ديانتها بحرية تامة.

– ارتباط العائلات اليهودية الثرية بصناع القرار وأصحاب السلطة، وبالتالى فقد هيأ

الاحتلال الأوروبى للدول العربية ظروفا أنسب للازدهار المالى والنفوذ الاقتصادى والسياسى، ومنحتهم سلطات الاحتلال حقوقا وامتيازات لم تكن متاحة للأغلبية، فارتبطت مصالح وطموحات هذه العائلات القوية بالقوى الخارجية صاحبة الحماية!

– أن كثير من أفراد الطائفة اليهودية فى مصر وقعوا تحت تأثير الدعاية الصهيونية ومن الغريب أن يتودور هرتزل بدأ تحركه بالتآمر ضد مصر تحديدا، عندما حاول إقناع المسئولين البريطانيين بالموافقة على مشروع الاقتطاع أرض سيناء من مصر وتأجيرها لليهود لمدة ٩٩ سنة قابلة للتجديد ليتخذوا منها نقطة ارتكاز يقفزون منها إلى فلسطين، ومن حرب عام ١٩٥٦م إلى حرب ١٩٦٧م وحتى رحيلهم عنها نهائيا عام ١٩٨٢م مازال حلم ضم سيناء يراود قادة الكيان الصهيونى.

– أن الفكر الصهيونى مغرق فى عدائه للتاريخ وتزييفه وتوظيفه لخدمة الرؤية والأهداف الصهيونية، وليس أدل من المحاولات اليائسة لزعماء إسرائيل ومؤرخيها: لمحو الشعب الفلسطينى من القراءة الصهيونية للتاريخ!.

– استمرار القرصنة التاريخية لحساب الايديولوجية الصهيونية، فى عبارات مسمومة ودعاوى زائفة لافتعال تاريخ لما يسمى بـ«الشعب الإسرائيلى» واصطناع حضارة يهودى فأحلام الصهاينة التوسعية الاجرامية، تتلازم مع أحلامهم فى غزو التاريخ!!

المصادر والمراجع

أولا الأجنبية

1-Bulletin of the israeli academic center in cairo
2- Cohen mark jewish life in medieval egypt 641-1382 tel aviv unv, 1987.
3- Fargeon maurice:les juifs d,egypte, depuis les origines jusqua ce jour le caire imprmerie paul barbey,1938.
4- Farhi Noury: la communaute juive d,alexandrie anos jours,conferences a louvroir des ecoles de la communaute israelite dalexandrie, 1945.
5- Goiteins.d:Ameditterranean society the jewish communities as portayed in the Documents of the cairo Geniza unib of california press- los angeles london, 1967-1983.
6- Hassoun jacques: amosaiques egyptiennes in combat pour la diaspora n 3 1980.
7- hassoun, jacques: juifs degypte, images ettextes contributions de zivie amorabia a. stambouli j gabbai e kramer g, harari e. 1984.
8- Hayyim cohen : jews of the moddle east jerusalem, 1973.
9- landau jacob: jews in nineteenth century egypt, new york unib press,1969.
10- lewis, bernard:the jews of islam princeton 1984.
11- lilienthal alfred:what price israel? chicago, 1953.
12- Mann jacob:jews in egypt and palestine under the fatimid caliphs. london 1970.
13- Masri, jean: le judaisme egyptin, vol : la communaute dalexandrie alexandrie, 1948.
14- Memmi albert:juifs et arabes paris 1975.
15- Mizrahi maurice:i, egypte et ses juifs le temps revolu xixe et xxe siecles geneve 1977.
16- Najar albert:rapport sur i,egypte presented to the president of the aillance israelite universelle 1901
17- Momoy eeon: a modern egyptian manual of the karaite faith jewish quarterly rev. 62, 1971-72.
18- owen e. roger j.: cotton and the egyptian economy 1820-1914, a study in trade and development oxford 1969.
19- peretz don: egyptian jews today london 1981.
20- prato daved cinque annide rabbinato alesandria 1933.
21- Roumane, maurice: the case of the jews from arab countries aneglected issue tel aviv 1978.
22- samuel sydney:jewish life in the east london 1881.

23- shamir, shimon: the jews of egypt:amediterranean cociety in modern times boulder,1987.
24- Taragan Bension:les communutes israelites d,alexandre apercu historique, Depuis les tenps des ptolemees jusqua nos jours alexandrie, 1932.
25- woolfson Marion:prophets in Babylon: jews in the Arab world, London, 198

ثانيا العربية

١- د. رشاد الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة عدد ١٠٢ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٢- سهام نصار: اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم عن رسالة ماجستير قدمتها بعنوان صحافة اليهود العربية فى مصر عام ١٩٧٤م.

٣- د. على شلش: اليهود والماسون فى مصر دراسة تاريخية، كتاب الزهراء، القاهرة ١٩٨٦م.

٤- عرفه عبده: على دراسات منشورة بمجلة الهلال:

- المحافل والمعابد اليهودية فى مصر نوفمبر ١٩٨٩م.
- مقابر اليهود وتهريب وثائق الجنيزة فبراير ١٩٩٠م.
- يهود مصر من الاندماج إلى الهجرة مايو ١٩٩٠م.
- حكاية وثائق جنيزة القاهرة وأهميتها التاريخية أغسطس ١٩٩٠م.
- أثر الثقافة العربية فى ثقافات الجماعات اليهودية مارس ١٩٩١م.
- يهود فى تاريخ الفن المصرى مجلة المجلة عدد ٦٤٤ لندن، ١٠-١٦ يونيو ١٩٩٢م.
- يهود مصر فى العصرالحديث منذ عصر محمد على باشا حتى ثورة يوليو ١٩٥٢م «١٠ حلقات» ١٣ من سبتمبر- ٦ من نوفمبر ١٩٩٣م بجريدة الشرق القطرية.

ملحق وثائق وصور

الكاتب

- عضو اتحاد الكتاب
- نشر له العديد من الدراسات والمقالات بالصحف والدوريات المصرية والعربية.
-تخصص فى تاريخ اليهود فى مصر، وتاريخ القاهرةومعالمها.
- بدأ الكتابة عام ١٩٨٧م بنشر سلسلة دراسات تناولت الاختراق الفكرى الصهيونى للمجتمع المصرى وعصر الامتيازات الأمريكية، والكشف عن نشاط المركز الأكاديمى الإسرائيلى بالقاهرة.. وبضغط من مدير المركز الاكاديمى الإسرائيلى أجبر على تقديم استقالته من المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة.. ووضع على قائمة «الموساد».. «روز اليوسف فى ٢٨ اكتوبر ١٩٩٦م».
- مؤلفاته مراجع للمؤرخين الأجانب والباحثين المصريين والعرب، كما عممت وزارة الخارجية مؤلفاته عن يهود مصر بالسفارات والقنصليات المصرية بالخارج.

من أعماله:

١- تهويد عقل مصر، دار سينا للنشر، ١٩٨٩م «نشر ايضا حلقات مسلسلة بجريدة الوطن الكويتية».

٢- رحلة فى زمان القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٠م.

٣- جينو إسرائيلى فى القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٠م.

٤- وصف مصر بالصورة دار الشروق، ١٩٩٣م، يعاد طبعةحاليا باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية، رشح لجائزة الشرف الأولى بمعرض فرانكفورت الدولى ١٩٩٦.

٥- ملف اليهود فى مصر الحديثة، مكتبة مدبولى، ١٩٩٣م «نشر أيضا حلقات بجريدة الشرق القطرية- ١٩٩٦».
٦- قراءة فى الفكر الإسرائيلى المعاصر «حلقات مسلسلة بجريدةالشرق القطرية ١٩٩٧».
٧- موالد مصر المحروسة، دار عين للدراسات، ١٩٩٧م.
٨- يهود مصر.. بؤساء وبارونات!.. ايتراك، ١٩٩٧م «نشر حلقات مسلسلة بجريدة الخليج الإماراتية- ١٩٩٨».
٩- القاهرة فى عصر إسماعيل، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٨م.
١٠- القاهرة بالفرشاة الأوروبية، وزارة الثقافة، ١٩٩٨م.
١١- مملكة الاقطاب والدراويش، هيئة قصورالثقافة، ١٩٩٨م.
١٢- رمضان فى الزمان الجميل، كتاب الجمهورى، ١٩٩٩م «١٣ طبعة».
١٣- يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م، الهيئة المصريةالعامة للكتاب، ٢٠٠١م.
١٤- تحالف الحاخام. والجنرال الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م.
١٥- القدس العتيقة.. مدينة التاريخ والمقدسات، الكتاب رقم ١ فى سلسلة هوية المكان هيئة قصور الثقافة- ٢٠٠٧م.
١٦- ايلى كوهين فى دمشق، طبعتان، كتاب الجمهورية، مايو ٢٠٠٨م.
١٧- القاهرة رحلة فى المكان والزمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٠م.

للنشر في السلسلة :

* يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء. ويفضل أن يرفق معه أسطوانة (C.D) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن.
* يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تضم بياناته الشخصية وأعماله المطبوعة .
* السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبع الكتاب أم لم يطبع .

صدر مؤخراً فى سلسلة

الإصدارات الخاصة

67- مدخل فى الموسيقى .... محمد قابيل

68- ثومة حكاية فيلم لم يكتمل .... الأمير أباظة

69- بوابة جبر الخاطر .... محمد مستجاب

70- الفن وأحواله .... أحمد فؤاد سليم

71- الصعيدى والصعيديات .... عدلى رزق الله

72- الزحام .... يوسف الشارونى

73- قصة السد العالى .... طاهر أبو فاشا

74- المسرح الإقليمى.. مسرح المستقبل .... عبد الغنى داود

74- المسرح الإقليمى.. مسرح المستقبل .... عبد الغنى داود

75- رءوف عباس.. المؤرخ والإنسان .... مجموعة كتاب

76- فن الحياة مع المراهق.......... د. بينجامين سبوك - تحرير: منير عامر

77- تربية الأبناء فى الزمن الصعب ....د. بينجامين سبوك - تحرير: منير عامر

78- حديث إلى الأمهات.......... د. بينجامين سبوك - تحرير: منير عامر

79- مشكلات الآباء فى تربية الأبناء... د. بينجامين سبوك - تحرير: منير عامر

80- فلسفة الموسيقى .... د. آيات ريان

81- مسرح بلا أصداء .... محمد الشربينى

82- ازدهار وسقوط المسرح المصرى .... فاروق عبدالقادر